﴿الجزء الخامس﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾

(الجزء الخامس)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزرى

(فهرسة الجزء الخامس من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير)

صحيفة	
٢	(سنة ست وتسعين)
٢	ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر
٣	ذكر موت الوليد بن عبد الملك
٣	ذكر بعض سيرة الوليد
٤	ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته
٤	ذكر مقتل قتيبة
٨	ذكر عدة حوادث
٨	(سنة سبع وتسعين)
٨	ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير
٨	ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان
١٠	ذكر عدة حوادث
١٠	(سنة ثمان وتسعين)
١٠	ذكر محاصرة القسطنطينية
١١	ذكر فتح جرجان وطبرستان
١٢	ذكر فتح جرجان الفتح الثانى
١٤	ذكر عدة حوادث
١٤	(سنة تسع وتسعين)
١٤	ذكر موت سليمان بن عبد الملك
١٥	ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز
١٦	ذكر ترك سب أمير المؤمنين على عليه السلام
١٦	ذكر عدة حوادث
١٧	(سنة مائة)
١٧	ذكر خروج شوذب الخارجى
١٨	ذكر القبض على يزيد بن المهلب واستعمال الجراح على خراسان
١٩	ذكر عزل الجراح واستعمال عبد الرحمن بن نعيم القشيرى وعبد الرحمن بن عبد الله
٢٠	ذكر ابتداء الدعوة العباسية
٢٠	ذكر عدة حوادث
٢١	(سنة احدى ومائة)
٢١	ذكر هرب ابن المهلب

صحيفة	
٢٢	ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز
٢٢	ذكر بعض سيرته
٢٥	ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك
٢٥	ذكر مقتل شوذب الخارجى
٢٦	ذكر موت محمد بن مروان
٢٦	ذكر دخول يزيد بن المهلب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك
٢٩	ذكر عدة حوادث
٢٩	(سنة اثنتين ومائة)
٢٩	ذكر مقتل يزيد بن المهلب
٣٤	ذكر استعمال مسلمة على العراق وخراسان
٣٤	ذكر استعمال سعيد خذينة على خراسان لمسلمة
٣٤	ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد
٣٥	ذكر غزو الترك
٣٦	ذكر غزو الصعد
٣٧	ذكر موت حيان النبطى
٣٧	ذكر عزل مسلمة عن العراق وخراسان وولاية ابن هبيرة
٣٨	ذكر بعض الدعاة للدولة العباسية
٣٨	ذكر قتل يزيد بن أبى مسلم
٣٨	ذكر عدة حوادث
٣٩	(سنة ثلاث ومائة)
٣٩	ذكر استعمال سعيد الحرشى على خراسان
٣٩	ذكر عدة حوادث
٤٠	(سنة أربع ومائة)
٤٠	ذكر الوقعة بين الحرشى والصغد
٤١	ذكر ظفر الخزر بالمسلمين
٤١	ذكر ولاية الجراح أرمينية وفتح بلنجر وغيرها
٤٢	ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة

صحيفة	
٤٢	ذكر ولادة أبي العباس السفاح
٤٣	ذكر عزل سعيد الحرشي
٤٤	ذكر عدة حوادث
٤٤	(سنة خمس ومائة)
٤٤	ذكر خروج عقفان
٤٤	ذكر خروج مسعود العبدي
٤٤	ذكر مصعب بن محمد الوالبي
٤٥	ذكر موت يزيد بن عبد الملك
٤٥	ذكر بعض سيرته
٤٦	ذكر خلافة هشام بن عبد الملك
٤٦	ذكر ولاية خالد القسري العراق
٤٧	ذكر دعاة بني العباس
٤٧	ذكر عدة حوادث
٤٧	(سنة ست ومائة)
٤٧	ذكر الوقعة بين مضر واليمن بخراسان
٤٨	ذكر غزوة مسلم الترك
٤٩	ذكر حج هشام بن عبد الملك
٤٩	ذكر ولاية أسد خراسان
٤٩	ذكر استعمال الحر على الموصل
٥٠	ذكر عدة حوادث
٥٠	(سنة سبع ومائة)
٥٠	ذكر ملك الجنيد بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشية
٥٠	ذكر غزوة عنبسة الفرغ بالانداس
٥١	ذكر حال الدعاة لبني العباس
٥١	ذكر الخبر عن غزوة الغور
٥١	ذكر عدة حوادث
٥١	(سنة ثمان ومائة)
٥١	ذكر غزوة الختل والغور
٥٢	ذكر عدة حوادث
٥٢	(سنة تسع ومائة)
٥٢	ذكر عزل خالد وأخيه أسد عن خراسان وولاية أشرس
٥٢	ذكر دعاة بني العباس

صحيفة	
٥٣	ذكر عدة حوادث
٥٤	(سنة عشر ومائة)
٥٤	ذكر ما جرى لاشرس مع أهل سمرقند وغيرها
٥٦	ذكر وقعة كرجه
٥٧	ذكر ردة أهل كردر
٥٧	ذكر عدة حوادث
٥٧	(سنة احدى عشرة ومائة)
٥٧	ذكر عزل اشرس عن خراسان واستعمال الجنيد
٥٨	ذكر عدة حوادث
٥٨	(سنة اثنتي عشرة ومائة)
٥٨	ذكر قتل الجراح الحكمي
٦٠	ذكر وقعة الجنيد بالشعب
٦١	ذكر مقتل سورة بن الحر
٦٣	ذكر عدة حوادث
٦٤	(سنة ثلاث عشرة ومائة)
٦٤	ذكر قتل عبد الوهاب
٦٤	ذكر غزو مسلمة وعوده
٦٤	ذكر قتل عبد الرحمن أمير الانداس وولاية عبد الملك بن قطن
٦٥	ذكر عدة حوادث
٦٥	(سنة أربع عشرة ومائة)
٦٥	ذكر ولاية مروان بن محمد أرمينية واذربيجان
٦٦	ذكر عدة حوادث
٦٦	(سنة خمس عشرة ومائة)
٦٦	(سنة ست عشرة ومائة)
٦٧	ذكر عزل الجنيد ووفاته وولاية عاصم خراسان
٦٧	ذكر خلع الحرث بن سريج بخراسان
٦٧	ذكر عدة حوادث
٦٨	(سنة سبع عشرة ومائة)
٦٨	ذكر عزل عاصم عن خراسان وولاية أسد

صحيفة	
٦٩	ذكر حال دعاة بني العباس
٦٩	ذكر ولاية عبيد الله بن الحبحاب افريقية والاندلس
٧١	ذكر عدة حوادث
٧٢	(سنة ثمان عشرة ومائة)
٧٢	ذكر دعاة بني العباس
٧٢	ذكر ما كان من الحرث وأصحابه
٧٢	ذكر عدة حوادث
٧٣	(سنة تسع عشرة ومائة)
٧٣	ذكر قتل خاقان
٧٦	ذكر قتل المغيرة بن سعيد وبيان
٧٧	ذكر خبر الخوارج هذه السنة
٧٨	ذكر خروج الضحاري بن شبيب
٧٨	ذكر غزوة أسد الختل
٧٩	ذكر عدة حوادث
٧٩	(سنة عشرين ومائة)
٧٩	ذكر وفاة أسد بن عبد الله
٨	ذكر شيعة بني العباس بخراسان
٨٠	ذكر عزل خالد بن عبد الله القسري وولاية يوسف بن عمر الثقفي
٨٣	ذكر ولاية نصر بن سيار الكناني خراسان
٨٤	ذكر عدة حوادث
٨٤	(سنة احدى وعشرين ومائة)
٨٤	ذكر ظهور زيد بن علي بن الحسين
٨٧	ذكر غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر
٨٨	ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان
٨٨	ذكر عدة حوادث
٨٩	(سنة اثنتين وعشرين ومائة)
٨٩	ذكر مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
٩١	ذكر قتل البطال
٩٢	ذكر عدة حوادث
٩٢	(سنة ثلاث وعشرين ومائة)
٩٢	ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد

صحيفة	
٩٢	ذكر وفاة عقبة بن الحجاج ودخول بلج الاندلس
٩٣	ذكر عدة حوادث
٩٣	(سنة أربع وعشرين ومائة)
٩٣	ذكر ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني
٩٥	ذكر الحرب بين بلج وابني عبد الملك ووفاة بلج وولاية ثعلبة بن سلامة الاندلس
٩٦	ذكر عدة حوادث
٩٦	(سنة خمس وعشرين ومائة)
٩٦	ذكر وفاة هشام بن عبد الملك
٩٦	ذكر بعض سيرته
٩٧	ذكر بيعة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٩٩	ذكر ولاية نصر بن سيار خراسان للوليد
٩٩	ذكر قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين
١٠٠	ذكر ولاية حنظلة افريقية وأبي الخطار الاندلس
١٠٠	ذكر عدة حوادث
١٠١	(سنة ست وعشرين ومائة)
١٠١	ذكر قتل خالد بن عبد الله القسري
١٠٣	ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٠٧	ذكر نسب الوليد وبعض سيرته
١٠٨	ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص
١٠٨	ذكر اضطراب أمر بني أمية
١٠٨	ذكر خلاف أهل حمص
١٠٩	ذكر خلاف أهل فلسطين
١٠٩	ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق
١١٠	ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور
١١٠	ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم
١١٢	ذكر عزل منصور عن العراق وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
١١٢	ذكر الاختلاف بين أهل خراسان
١١٤	ذكر خبر الحرث بن سريج وأمانه

صحيفة	
١١٤	ذكر شيعة بني العباس
١١٤	ذكر بيعة ابراهيم بن الوليد بالعهد
١١٤	ذكر مخالفة مروان بن محمد
١١٥	ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
١١٥	ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
١١٥	ذكر استيلاء عبد الرحمن بن حبيب على افريقية
١١٨	ذكر اخراج ورجومة من القيروان
١١٩	ذكر عدة حوادث
١١٩	(سنة سبع وعشرين ومائة)
١١٩	ذكر مسير مروان الى الشام وخلع ابراهيم
١٢٠	ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان
١٣٠	ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر
١٢٢	ذكر رجوع الحرث بن السريج الى مرو
١٢٢	ذكر انتقاض أهل حمص
١٢٢	ذكر خلاف أهل الغوطة
١٢٢	ذكر خلاف أهل فلسطين
١٢٢	ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد
١٢٤	ذكر خروج الضحاك محكما
١٢٦	ذكر خلع أبي الخطار أمير الاندلس وامارة ثوابة
١٢٧	ذكر شيعة بني العباس
١٢٧	ذكر عدة حوادث
١٢٧	(سنة ثمان وعشرين ومائة)
١٢٧	ذكر قتل الحرث بن سريج وغلبة الكرماني على مرو
١٢٩	ذكر شيعة بني العباس
١٣٠	ذكر قتل الضحاك الخارجي
١٣٠	ذكر قتل الخيبري وولاية شيبان
١٣١	ذكر خبر أبي حمزة الخارجي مع طالب الحق
١٣١	ذكر عدة حوادث
١٣١	(سنة تسع وعشرين ومائة)
١٣١	ذكر شيبان الحروري الى أن قتل
١٣٢	ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان
١٣٥	ذكر مقتل الكرماني
١٣٧	ذكر تعاقد أهل خراسان على أبي مسلم
١٣٨	ذكر غلبة عبد الله بن معاوية على فارس وقتله
١٣٩	ذكر أبي حمزة الخارجي وطالب الحق
١٤٠	ذكر ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاندلس
١٤٠	ذكر عدة حوادث
١٤١	(سنة ثلاثين ومائة)
١٤١	ذكر دخول أبي مسلم مرو والبيعة بها
١٤٢	ذكر هرب نصر بن سيار من مرو
١٤٣	ذكر قتل شيبان الحروري
١٤٣	ذكر قتل ابني الكرماني
١٤٤	ذكر قدوم قحطبة من عند الامام ابراهيم
١٤٤	ذكر مسير قحطبة الى نيسابور
١٤٤	ذكر قتل نباتة بن حنظلة
١٤٥	ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد
١٤٥	ذكر دخول أبي حمزة المدينة
١٤٦	ذكر قتل أبي حمزة الخارجي
١٤٦	ذكر قتل عبد الله بن يحيى
١٤٦	ذكر قتل ابن عطية
١٤٧	ذكر ايقاع قحطبة باهل جرجان
١٤٧	ذكر عدة حوادث
١٤٧	(سنة احدى وثلاثين ومائة)
١٤٨	ذكر موت نصر بن سيار
١٤٨	ذكر دخول قحطبة الري
١٤٩	ذكر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة اصبهان

صحيفة	
١٤٩	ذكر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها
١٥٠	ذكر فتح شهرزور
١٥٠	ذكر مسير قحطبة الى ابن هبيرة بالعراق
١٥٠	ذكر عدة حوادث
١٥١	(سنة اثنتين وثلاثين ومائة)
١٥١	ذكر هلاك قحطبة وهزيمة ابن هبيرة
١٥١	ذكر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا
١٥٢	ذكر ابتداء الدولة العباسية وبيعة أبي العباس
١٥٦	ذكر هزيمة مروان بالزاب
١٥٨	ذكر قتل ابراهيم بن محمد بن علي الامام
١٥٨	ذكر قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم
١٦١	ذكر من قتل من بني أمية
١٦٢	ذكر خلع حبيب بن مرة المري
١٦٢	ذكر خلع أبي الورد وأهل دمشق
١٦٣	ذكر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم
١٦٣	ذكر قتل أبي سلمة الخلال وسليمان بن كثير
١٦٤	ذكر محاصرة ابن هبيرة بواسط
١٦٦	ذكر قتل عمال أبي مسلمة بفارس
١٦٦	ذكر ولاية يحيى بن محمد الموصل وما قيل فيها
١٦٧	ذكر عدة حوادث
١٦٧	(سنة ثلاث وثلاثين ومائة)
١٦٧	ذكر ملك الروم ملطية
١٦٨	ذكر عدة حوادث
١٦٨	(سنة أربع وثلاثين ومائة)
١٦٨	ذكر خلع بسام بن ابراهيم
١٦٩	ذكر أمر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز
١٦٩	ذكر غزوة كش
١٧٠	ذكر حال منصور بن جمهور
١٧٠	ذكر عدة حوادث
١٧٠	(سنة خمس وثلاثين ومائة)
١٧٠	ذكر خروج زياد بن صالح
١٧١	ذكر غزو جزيرة صقلية
١٧١	ذكر عدة حوادث
١٧١	(سنة ست وثلاثين ومائة)
١٧١	ذكر حج أبي جعفر وأبي مسلم
١٧٢	ذكر موت السفاح
١٧٢	ذكر خلافة المنصور
١٧٣	ذكر الفتنة بالاندلس
١٧٣	ذكر عدة حوادث
١٧٣	(سنة سبع وثلاثين ومائة)
١٧٣	ذكر خروج عبد الله بن علي وهزيمته
١٧٥	ذكر قتل أبي مسلم الخراساني
١٨٠	ذكر خروج سنباد بخراسان
١٨٠	ذكر خروج ملبد بن حرملة
١٨٠	ذكر عدة حوادث
١٨١	(سنة ثمان وثلاثين ومائة)
١٨١	ذكر خلع جمهور بن مرار العجلي
١٨١	ذكر قتل ملبد الخارجي
١٨١	ذكر عدة حوادث
١٨٢	(سنة تسع وثلاثين ومائة)
١٨٢	ذكر غزو الروم والفداء معهم
١٨٢	ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس
١٨٥	ذكر حبس عبد الله بن علي
١٨٥	ذكر عدة حوادث
١٨٦	(سنة أربعين ومائة)
١٨٦	ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار
١٨٦	ذكر قتل يوسف الفهري
١٨٦	ذكر عدة حوادث
١٨٧	(سنة احدى وأربعين ومائة)
١٨٧	ذكر خروج الراوندية
١٨٨	ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدى

صحيفة	
	المهدى اليه
١٨٨	ذكر فتح طبرستان
١٨٩	ذكر عدة حوادث
١٨٩	(سنة اثنتين وأربعين ومائة)
١٨٩	ذكر خلع عيسنة بن موسى بن كعب
١٨٩	ذكر نكث الاصبهذ
١٩٠	ذكر عدة حوادث
١٩٠	(سنة ثلاث وأربعين ومائة)
١٩٠	(سنة أربع وأربعين ومائة)
١٩٠	ذكر استعمال رياح بن عثمان المرى على المدينة وأمر محمد بن عبد الله بن الحسن
١٩٤	ذكر حبس أولاد الحسن
١٩٤	ذكر حملهم الى العراق
١٩٦	ذكر عدة حوادث
١٩٦	(سنة خمس وأربعين ومائة)
١٩٦	ذكر ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن
٢٠١	ذكر مسير عيسى بن موسى الى محمد بن عبد الله وقتله
٢٠٥	ذكر بعض المشهورين ممن كان معه
٢٠٥	ذكر صفة محمد والاخبار بقتله
٢٠٦	ذكر وثوب السودان بالمدينة
٢٠٧	ذكر بناء مدينة بغداد
٢٠٨	ذكر ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن أخى محمد
٢١٠	ذكر مسير ابراهيم وقتله
٢١٢	ذكر عدة حوادث
٢١٢	(سنة ست وأربعين ومائة)
٢١٢	ذكر انتقال المنصور الى بغداد وكيفية بنائها
٢١٣	ذكر خروج العلاء بالاندلس
٢١٣	ذكر عدة حوادث
٢١٤	(سنة سبع وأربعين ومائة)

صحيفة	
٢١٤	ذكر قتل حرب بن عبد الله
٢١٤	ذكر البيعة للمهدى وخلع عيسى بن موسى
٢١٥	ذكر موت عبد الله بن على
٢١٦	ذكر عدة حوادث
٢١٦	(سنة ثمان وأربعين ومائة)
٢١٦	ذكر خروج حسان بن مجالد
٢١٧	ذكر استعمال خالد بن برمك
٢١٧	ذكر ولاية الاغلب بن سالم افريقية
٢١٨	ذكر الفتن بالاندلس
٢١٨	ذكر عدة حوادث
٢١٨	(سنة تسع وأربعين ومائة)
٢١٩	(سنة خمسين ومائة)
٢١٩	ذكر خروج استاذسيس
٢١٩	ذكر عدة حوادث
٢٢٠	(سنة احدى وخمسين ومائة)
١٢٠	ذكر عزل عمر بن حفص عن السند وولاية هشام بن عمرو
٢٢١	ذكر ولاية أبى جعفر عمر بن حفص افريقية
٢٢٢	ذكر ولاية يزيد بن حاتم افريقية وقتال الخوارج
٢٢٣	ذكر بناء الرصافة للمهدى
٢٢٣	ذكر قتل سليمان بن حكيم العبدى
٢٢٤	ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالاندلس
٢٢٤	ذكر قتل معن بن زائدة
٢٢٥	ذكر عدة حوادث
٢٢٥	(سنة اثنتين وخمسين ومائة)
٢٢٥	(سنة ثلاث وخمسين ومائة)
٦٢٦	(سنة أربع وخمسين ومائة)

تمت

﴿ فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الذى بهامش هذا الجزء ﴾

صحيفة	
٢	ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم
١١	ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين
١٣	ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم
١٣	ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة
١٥	ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما لحق بهذا الباب
٢٣	ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها
٤٢	ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب
٥٣	ذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب
٦٦	ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته
٧٠	ذكر هجرته وجوامع مما كان فى أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته
٨٠	ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم
٨٩	ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام
٩٨	باب ذكر خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
٩٩	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
١٠٨	ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
١٠٩	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
١٤٨	ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه
١٤٩	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
١٧٤	ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه
١٧٥	ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره
١٨٣	ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره
٢٠٤	ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين

﴿ ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم ﴾

كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقدون أن الله عز وجل جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار وأن الله تعالى وملائكته احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك الى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة البارى عز وجل وبعضها على صوره الملائكة مختلفة القدود والاشكال ومنها على صورة الانسان وعلى خلافها من الصور يعبدونها وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالبارى تعالى وقربها منه فاقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الاعصار حتى نبههم بعض حكمائهم على أن الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئيه الى الله تعالى وأنها حية ناطقة وأن الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث فى هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرابين لتنعمهم فمكثوا على ذلك دهرا فلما رأوا

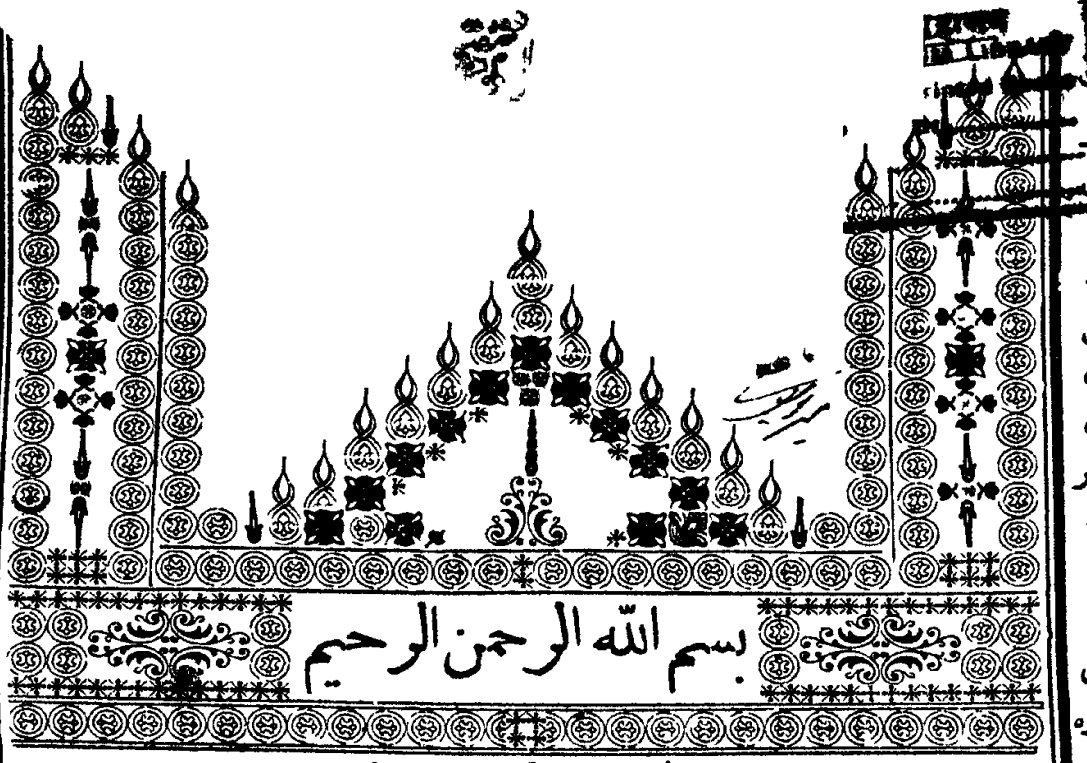

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ﴾

﴿ ذكر فتح قتيبة مدينة كاشغر ﴾

وفى هذه السنة غزا قتيبة كاشغر فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلا على معبر النهر ليمنع من يرجع الا بجواز منه ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهى ادنى مدائن الصين وبعث جيشا مع كبير بن فلان الى كاشغر ففتح وسبى سبيا فختم أعناقهم وأوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الى رجلا شريفا يخبرنى عنكم وعن دينكم فانتخب قتيبة عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك وخيول حسنة وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابى فقال لهم اذا دخلتم عليه فاعلموه انى قد حلفت انى لا انصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم واجبى خراجهم فسار واوعليهم هبيرة فلما قدموا عليهم دعاهم ملك الصين فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء فقالوا رأينا قوما ماهم الا نساء ما بقى منا احد الا انتشر ما عنده فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا وقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه اشبه بهيئة الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر واخذوا السيوف والرماح والقسى وركبوا فنظر اليهم ملك الصين فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركزوا رماحهم واقبلوا مشمرين فقيل لهم ارجعوا فركبوا خيولهم واخذوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون فقال الملك لاصحابه كيف ترونهم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء فلما امسى بعث اليهم أن ابعثوا الى زعيمكم فبعثوا اليه هبيرة بن مشمرج فقال له قد رأيتم عظم ملكى وانه ليس أحد يمنعكم منى وأنت فى يدى بمنزلة البيضة فى كفى وانى سائلكم عن أمر فان لم

تصدقونى قتلتكم قال سل قال لم صنعتم بزيكم الاول اليوم الاول والثانى والثالث ما صنعتم قال أما زينا اليوم الاول فلباسنا فى أهلنا وأما اليوم الثانى فزينا اذا أنعمنا امراءنا وأما الثالث فزينا لعدونا قال ما أحسن ما دبرتم دهركم فقولوا لصاحبكم ينصرف فانى قد عرفت قلة أصحابه والا بعثت اليكم من يهلككم قالوا كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية فقال فانا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا فيطؤه ونبعث اليه ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها فبعث اليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم اجازهم فاحسن فقدموا على قتيبة فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب فقال سواد بن عبد الملك السلولى

لا عيب فى الوفد الذين بعثتهم * للصين أن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى * حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
أدى رسالتك التى استدعيته * فاتاك من حنث اليمين بمخرج

فاوفد قتيبة هبيرة الى الوليد فات بقرية من فارس فرثاه سواد فقال

لله در هبيرة بن مشمرج * ماذا تضمن من ندى وجمال
وبديهة تعنى بها أبناؤها * عند احتفال مشاهد الاقوال
كان الربيع اذا السنون تتابعت * والليث عند تكعكع الابطال
فسقى بقرية حيث امسى قبره * غر يرحن بسلسل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده * وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مراسيا * فى العام ذى السنوات والاحمال

ووصل الخبر الى قتيبة فى هذه الغزاة بموت الوليد وكان قتيبة اذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثنى عشر فرسا واثنى عشرة هجينا فتحدر الى وقت الغزو فاذا تاهب للغزو ضمرها وحمل عليها الطلائع وكان يجعل الطلائع فرسان الناس واشرافهم ومعهم من الهجم من يستنصحه واذا بعث طليعة أمر بلوح فنقش ثم شقه بنصفين وجعل شقه عنده ويعطى نصفه الطليعة ويأمرهم ان يدفنوه فى موضع يعرفه لهم من شجرة أو مخاضة أو غيرهما ثم يبعث بعد الطليعة من يستخبره ليعلم اصدقت الطليعة أم لا وفيها غزا بشر بن الوليد الشاتية ورجع وقدمات الوليد

﴿ذكر موت الوليد بن عبد الملك﴾

وفى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة مات الوليد بن عبد الملك فى قول جميعهم وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر وقيل تسع سنين وثمانية اشهر وقيل واحد عشر شهرا وكانت وفاته بدير مران ودفن خارج الباب الصغير وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان عمره اثنتين واربعين سنة وستة اشهر وقيل كان عمره خمسا واربعين سنة وقيل ستا واربعين سنة وأشهرا وقيل تسعا واربعين وخلف تسعة عشر ابنا وكان دميما يتبختر فى مشيته وكان سائل الانف جدا فقيل فيه

فقدت الوليد وأنفاله * كمثل الفصيل بدا أن يبولا

ولما دلى فى جنازته جعت ركبتاه الى عنقه فقال ابنه اعاش أبى فقال له عمر بن عبد العزيز وكان فيمن دفنه عوجل والله أبوك واتعظ به عمر

﴿ذكر بعض سيرة الوليد﴾

الكواكب تخفى بالنهار وفى بعض أوقات الليل لما يعرض فى الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة وكل صنف منهم بعظم كوكبا منها ويقرب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر على انهم اذا عظموا ما صوروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب (وقد ذهب قوم) الى أن البيت الحرام على مرور الدهور ومعظم فى سائر الاعصار لانه بيت زحل وأن زحل تولاه ولان زحل من شأنه البقاء والثبوت فما كان له فغير زائل ولا داثر وعن التعظيم غير خامل وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة وصفها ولما طال عليهم العهد عبدوا الاصنام على أنها تقربهم الى الله وألفوا عبادة الكواكب فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر يوسف بارض

كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام والمسجد الاقصى ووضع المنابر وأعطى المجذمين ومنعهم من سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح فى ولايته فتوحا عظاما منها الاندلس وكاشغر والهند وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع فكان الناس يلتقون فى زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء وكان سليمان صاحب طعام ونكاح فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح والطعام وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الخير ما ورد ذلك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر ومرض الوليد مرضة قبل وفاته وأغمى عليه فبقى يومه ذلك كانه ميت فبكوا عليه وسارت البرد بموته فاسترجع الحجاج وشد فى يده حبلا الى اسطوانة وقال اللهم لا تسلط على من لا رحمة له فقد طال ما سألتك ان تجعل منيتى قبله فبينما هو كذلك يدعو اذ قدم عليه البريد بافاقته ولما افاق الوليد قال ما احد أشد سرورا بعافيتى من الحجاج ثم لم يمت حتى قفل الحجاج عليه وكان الوليد أراد ان يخلع اخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز فابى سليمان فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس فكتب الوليد الى سليمان يأمره بالقدوم عليه فابطأ فعزم الوليد على المسير اليه ليخلعه وأخرج خيمه فمات قبل ان يسير اليه ولما أراد ان يبنى مسجد دمشق كان فيه كنيسة فهدمها وبناها مسجدا فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا اليه ذلك فقال لهم عمر ان ما كان خارج المدينة فتح عنوة ونحن نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها فتحت عنوة ونبنيها مسجدا فقالوا بل ندع لكم هذا ودعوا كنيسة توما وكان الوليد لحانا لا يحسن النحو دخل عليه اعرابى فدت اليه بصهر بينه وبين قرابته فقال له الوليد من ختنك بفتح النون وظن الاعرابى انه يريد الختان فقال بعض الاطباء فقال له سليمان اغا يريد أمير المؤمنين من ختنك وضم النون فقال الاعرابى نعم فلان وذكر ختنه وعابه أبوه على ذلك وقال انه لا يلى العرب الا من يحسن كلامهم فجمع أهل النحو ودخل بيتا فلم يخرج منه ستة أشهر ثم خرج وهو اجهل منه يوم دخل فقال عبد الملك قد اعذر فيل انه لما ولى الخلافة كان يختم القرآن فى كل ثلاث وكان يقرأ فى رمضان كل يوم ختمة وخطب يوما فقال ياليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحتنا منك

﴿ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك وبيعته﴾

وفى هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى فيه الوليد وهو بالرملة وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة لسبع بقين من رمضان واستعمل عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عثمان قد عزم على ان يجلد ابا بكر ويحلق لحيته من الغد فلما كان الليل جاء البريد الى ابى بكر بتأميره وعزل عثمان وحده وان يقيده وفيها عزل سليمان يزيد بن أبى مسلم عن العراق واستعمل يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وامره بقتل بنى عقيل وبسط العذاب عليهم وهم اهل الحجاج فكان يعذبهم ويلى عذابهم عبد الملك بن المهلب وكان يزيد ابن المهلب قد استعمل أخاه زيادا على حرب عثمان

﴿ذكر مقتل قتيبة﴾

قيل وفى هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم الباهلى بخراسان وكان سبب قتله ان الوليد بن عبد الملك أراد ان ينزع اخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدله ابنه عبد العزيز فأجابه الى ذلك الحجاج

الهند وكان هند يأخرج من أرض الهند الى السند ثم سار الى بلاد سجستان وبلاد زابلستان وهى بلاد فيروز بن كبك ثم دخل السند الى كرمان فتنبأ وزعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وبين خلقه وأتى أرض فارس وذلك فى اوائل ملك طيمورث ملك فارس وقيل ذلك فى حمر سند وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وقد كان يوداسف أمر الناس بالزهد فى هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم اذ كان من هنالك بدو النفوس والى هنا يقع الصدر من هذا العالم (وجدد يوداسف) عند الناس عبادة الاصنام والسجود لها الشبيه ذكرها وقرب الى عقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخدع وذكر ذو والخبرة بشأن هذا العالم وأخبارهم وكهم أنه أول من عظم النار ودعا الناس الى تعظيمها وقال انها تشبه ضوء الشمس والكواكب لان النور عنده أفضل من الظلمة وجعل للنور مراتب (ثم تنازع هؤلاء) بعده فعظم كل فريق منهم ما يرون

وقتيبة على ما تقدم فلما مات الوليد وولى سليمان خافه قتيبة وخاف أن يولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان فكتب قتيبة الى سليمان كتابا يهنئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وانه له على مثل ذلك ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه بفتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته فى صدورهم وعظم صولته فيهم ويذم اهل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث الكتب مع رجل من باهلة وقال له ادفع الكتاب الاول اليه فان كان يزيد حاضرا فقرأه ثم القاه الى يزيد فادفع اليه هذا الثانى فان قرأه ودفعه الى يزيد فادفع اليه هذا الثالث فان قرأ الكتاب الاول ولم يدفعه الى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه وألقاه الى يزيد فدفع اليه الكتاب الآخر فقرأه وألقاه الى يزيد فاعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتغير لونه وختمه وامسك بيده وقيل كان فى الكتاب الثالث لئن لم تقرنى على ما كنت عليه وتؤمننى لاخلعنك ولاملأنها عليك رجالا وخيلا ثم أمر سليمان برسول قتيبة فانزل ثم احضره ليلا فاعطاه دنانير جائزته واعطاه عهد قتيبة على خراسان وسيره معه رسولا بذلك فلما كانا بحلوان بلغهما خلع قتيبة فرجع رسول سليمان وكان قتيبة لما هم بخلع سليمان استشار اخوته فقال له اخوه عبد الرحمن اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوما الى مرو وسرحتى تنزل سمرقند وقل لمن معك من احب المقام فله المراسلة ومن اراد الانصراف فغير مستكره فلا يقيم عندك الا مناصح ولا يختلف عليك وقال له اخوه عبد الله اخلعه مكانك ولا يختلف عليك رجلان فخلع سليمان مكانه ودعا الناس الى خلعه وذكر أثره فيهم وسوء أثرهم تقدمه فلم يجبه أحد فغضب وقال لا أعز الله من نصرتم ثم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها يا أهل السافلة ولا اقول يا أهل العالية أو باش الصدقة جمعتكم كما تجمع ابل الصدقة من كل أوب يا معشر بكر بن وائل يا اهل النفخ والكذب والبخل باى يوميكم تفخرون بيوم حربكم أو بيوم سلمكم يا اصحاب مسيلمة يا بنى ذميم ولا اقول تميم يا اهل الجور والقصف كنتم تسمون الغدر فى الجاهلية مليسانا يا اصحاب مصباح يا معشر عبد القيس القساة تبدلتم بتأبير النخل اعنة الخيل يا معشر الازد تبدلتم بقلوس السفن اعنة الخيل ان هذا بدعة فى الاسلام الاعراب وما الاعراب لعنة الله عليهم يا كناسة المصرين جمعتكم من مقابت الشيح والقيصوم تركبون البقر والحمر فلما جمعتكم قلتم كيت وكيت اما والله انى لابن اليمن ارى اخواخيه والله لاعضبنكم عضب السلم ان حول الصلبان لزمرة يا اهل خراسان تغدرون من وليكم يزيد بن مروان كانى بأمير جاءكم فغلبكم على فيئكم وظلالكم ارموا غرضكم القصى حتى متى يتبطح أهل الشام بافنيتكم يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقى الام والمولد والرأى والهوى والدين وقد اصبحتم فيما ترون من الامن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو الى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على العافية واسألوه الشكر والمزيد ثم نزل فدخل بيته فاتاه أهله وقالوا ما رأينا كاليوم قط ولاموه فقال لما تكلمت فلم يجبنى أحد غضبت فلم أدر ما قلت وغضب الناس وكرهوا خلع سليمان فأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه وكان أول من تكلم الازد فأتوا حضين بن المنذر بضاد معجمة فقالوا ان هذا قد دعا الى خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا وقد شتمنا فما ترى فقال ان مضر بخراسان كثيرة وتميم أكثرها وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الامر فى غير مضر فان أخرجتموهم منه اعانوا قتيبة فاجابوه الى ذلك وقالوا من ترى من تميم قال لا أرى غير وكيع فقال حيان النبطى مولى بنى شيبان ان أحدا يتولى

تعظيمهم من الاسماء تقربا الى الله بذلك ثم تنازعوا برهة من الزمان (ونشأ عمرو بن لحى) فسار بقومه الى مكة واستولى على امر البيت ثم سار الى مدينة البلقاء من عمل دمشق من ارض الشأم فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب نتخذها نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى وكل من سألها يعطى فطلب منهم صنما يدعونه هبل فسار به الى مكة ونصبه على الكعبة ومعه اساف ونائلة ودعا الناس الى تعظيمها وعبادتها ففعلوا ذلك الى ان أظهر الله الاسلام وبعث محمدا عليه السلام فطهر البلاد وأنقذ العباد (وقد قال هؤلاء) ان البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب من النيرين والخمسة (وبيت ثان) معظم على رأس جبل باصبهان يقال له مارس وكانت فيه أصنام الى ان أخرجها منه يستاسف الملك لما تجسس وجعله بيت ناره وذلك على ثلاثة فراسخ من أصبهان وهذا البيت معظم عند المجوس الى هذه الغاية (والبيت الثالث) يدعى سندوساب

هذا غير وكيع ليصلي بحره ويبذل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أميرا أخذه بما جنى فانه لا ينظر في عاقبة وله عشيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته اذ صرفها عنه وصيرها لضرار بن حصين الضبي فمشى الناس بعضهم الى بعض سرا وقيل لقتيبة ليس يفسد أمر الناس الا حيان فاراد أن يغتاله وكان حيان يلاطف خدم الولاة فدعا قتيبة رجلا فامره بقتل حيان وسمع بعض الخدم فاتى حيان فاخبره فلما جاء رسوله يدعوه تمارض وأتى الناس وكيعا وسألوه أن يلي أمرهم ففعل وبخراسان يومئذ من اهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ومن بكر سبعة آلاف ورئيسهم حضين بن المنذر ومن تميم عشرة آلاف وعليهم ضرار بن حصين ومن عبد القيس أربعة آلاف وعليهم عبد الله بن علوان ومن الازد عشرة آلاف وعليهم عبد الله بن حوذان ومن اهل الكوفة سبعة آلاف وعليهم جهم بن زحر والموالي سبعة آلاف عليهم حيان وهو من الديلم وقيل من خراسان وانما قيل له نبطي للكنته فارسل حيان الى وكيع ان أنا كففت عنك واعنتك تجعل لي الجانب الشرقي من نهر بلخ خراجه مادمت حيا ومادمت اميرا قال نعم فقال حيان للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضا ففعلوا فبايعوا وكيعا سرا وقيل لقتيبة ان الناس يبايعون وكيعا فدس ضرار بن سنان الضبي الى وكيع فبايعه سرا فظهر لقتيبة أمره فارسل يدعوه فوجده قد طلى رجليه بغرة وعلق على رأسه حرزا وعنده رجلان برقيان رجله فقال للرسول قد ترى ما بر رجلي فرجع فاخبر قتيبة فاعاده اليه يقول له لتأتيني محمولا قال لا استطيع فقال قتيبة لصاحب شرطته انطلق الى وكيع فأتني به فان أبى فاضرب عنقه ووجه معه خيلا وقيل أرسل اليه شعبة بن ظهير التميمي فقال له وكيع يا ابن ظهير البث قليلا تلحق الكتائب والبس سلاحه ونادى في الناس فاتوه وركب فرسه فخرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت قال من بني أسد قال ما اسمك قال ضرغامة قال ابن من قال ابن ليث فاعطاه رايته وقيل كانت مع عقبة بن شهاب المازني وأتاه الناس ارسالا من كل وجه فتقدمهم وهو يقول

قرم اذا احمل مكروهة * شد الشرى سيف لها والحزيم

واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواص اصحابه وثقاته منهم اياس بن بهس بن عمرو وهو ابن عم قتيبة فامر قتيبة رجلا فنادى أين بنو عامر فقال له محقر بن جزء العلائي وهو قيسي أيضا وكان قتيبة قد جفاهم نادهم حيث وضعتهم قال قتيبة ناد اذكركم الله والرحم قال محقر أنت قطعتها قال نادلكم المقبي قال محقر لا افاه لنا الله اذن فقال قتيبة عند ذلك

يا نفس صبرا على ما كان من ألم * اذ لم أجد لفضول العيش اقرانا

ودعا ببرذون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه حتى اعيا فلما رأى ذلك عاد الى سريره فجلس عليه وقال دعوه ان هذا أمر يراد وجاء حيان النبطي في العجم وقتيبة واجد عليه فقال عبد الله اخو قتيبة لحيان احمل عليهم فقال حيان لم يأن بعد فقال عبد الله ناولني قوسي فقال حيان ليس هذا يوم قوس وقال حيان لابنه اذا رأيتني قد حولت قلنسوتي ومضيت نحو عسكر وكيع فقل بن معك من العجم الى فلما حول حيان قلنسوته مالت الاعاجم الى عسكر وكيع وكبروا فبعث قتيبة اخاه صالحا الى الناس فرماه رجل من بني ضبة وقيل من بلعم فاصاب رأسه فحمل الى قتيبة ورأسه مائل فوضع في مصلاه وجلس قتيبة عنده ساعة وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن أخو قتيبة نحوهم فرماه أهل السوق والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعا كانت فيه ابل لقتيبة ودوابه ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة فقال له قتيبة انج بنفسك فقال بئس ما جزيتك اذا وقد أطعمتني

الجردق

ببلاد الهند وله قرابين تقرب وفيه أحجار المغناطيس الجاذبة والرافعة والمنفردة من أوصاف لا يسعنا الاخبار عنها فمن أراد ان يبحث عن ذكرها فليبحث فانه بيت مشهور ببلاد الهند (والبيت الرابع) هو البوبهار الذي بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك في ذلك الصقع وتنقاد الى أمره وترجع الى حكمه وتحمل اليه الاموال وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمولة وهو سمة عامة لكل سدنته ومن أجل ذلك سميت البرامكة لان خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت وكان بنيان هذا البيت من أعلى البنيان تشييدا وكان تنصب على أعلاه الرماح عليها شقاق الحرير الاخضر طول الشقة مائة ذراع فادونها فدنصب لذلك رماح وخشب تدفع قوة الريح بما عليها من الحرير فيقال والله أعلم ان الريح خطفت يوما من بعض تلك الشقاق ورمت به فأصيب على مسافة خمسين فرسخا وقيل أكثر من تلك المسافة وهذا يدل على زيادته في الجثو

الجردق والبستي الخرق وجاء الناس حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا طنابه وجرح قتيبة جرحات كثيرة فقال جهم بن زحر بن قيس لسعد انزل فخر رأسه فنزل سعد فشق الفسطاط واحتز رأسه وقتل معه من أهله اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ومسلم وقتل كثير ابنه وقيل قتل عبد الكريم بقزوين وكان ممن قتل مع قتيبة من أهل بيته أحد عشر رجلا ونجا عمر بن مسلم أخو قتيبة نجاه اخواله وكانت أمه الغبراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة القيسية فلما قتل قتيبة صعد وكيع المنبر فقال مثلي ومثل قتيبة كما قال الاول

* من ينك العير ينك نياكا * أراد قتيبة قتلي وأنا قتال

قد جربوني ثم جربوني * من غلوتين ومن المئين
حتى اذا شبت وشيبوني * خلوا عناني وتكبوني

انا أبو مطرف ثم قال

أنا ابن خندف تمنيني قبائلها * بالصالحات وعمي قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته فقال

شيخ اذا حمل مكروهة * شد الشري سيف لها والحزيم

والله لا قتلن ثم لا قتلن ولا صابن ثم لا صابن ان مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى اسعاركم والله ليضربن القفيز بأربعة دراهم أو لاصابنه صلوا على نبيكم ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقيل له ان الازد أخذته فخرج وكيع مشهرا وقال والله الذي لا اله الا هو لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب رأسي معه فقال له حضين اسكت يا أبا مطرف فانك تؤتى به وذهب حضين الى الازد وهو سيدهم فأمرهم بتسليم الرأس الى وكيع فسلموه اليه فسيره الى سليمان مع نفر ليس فيهم تميمي ووفى وكيع لحيان النبطي بما كان ضمن له فلما أتى سليمان برأس قتيبة ورؤس أهله كان عنده الهذيل بن زفر بن الحرث فقال له هل سألك هذا اياها هذيل فقال لو ساءني لساءه قوما كثير فقال سليمان ما أردت هذا كله وانما قال سليمان هذا لهذيل لانه هو وقتيبة من قيس عيلان ثم أمر بالرؤس فدفنت ولما قتل قتيبة قال رجل من أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان مناخات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ونستفتح به اذا غزونا وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة الا انه غدر وذلك ان الحجاج كتب اليه ان اخته هم واقتلهم فأبى الله وقال الاصبهبذ قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب وهما سيدا العرب فقيل له أيهما كان أعظم عندكم وأهيب فقال لو كان قتيبة بأقصى بحر في الغرب مكبلا ويزيد معنا في بلادنا والى علينا لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد وقال الفرزدق في ذلك

أتاني ورحلي في المدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثي قتيبة

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش الى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والجيش حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح الى الجنات عفوا مطهرا
فمن رزئ الاسلام بعد محمد * بمثل أبي حفص فبكيه عبهرا

وعبهر ام ولد له قيل وقال شيوخ من غسان كنا بثنية العقاب اذا نحن برجل معه عصا وجراب فقلنا من أين أقبلت قال من خراسان قلنا هل كان بها من خبر قال نعم قتل بها قتيبة بن مسلم أمس

وتشييد بنيانه وكانت مسافة البحر المحيط بهذا البنيان أميالا لم نذكرها اذ كان أمر ذلك مشهورا من وصف علو السور وعرضه (قال المسعودي) وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقير انه قرأ على البوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته قال يوداسف أبواب الملك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا اجتمعن بالعربية كذب يوداسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان (والبيت الخامس) بيت عمدان الذي بمدينة صنعاء من بلاد اليمن وكان الضحاك بناه (١) على اسم الزهرة وخرب به عثمان ابن عفان رضي الله عنه فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلا عظيما وقد كان الوزير علي ابن موسى الجراح حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء بنى فيه سقاية وحفر فيه

(١) قوله وكان الضحاك بناه قال المجد وغمدان كعثمان قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا اه

فعجبنا لقوله فلما رأى انكارنا قال أين تروني الليلة من افريقية وتركناه مضى فاتبعناه على خيولنا فاذا هو يسبق الطرف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفي هذه السنة مات قرة بن شريك القيسي أمير مصر في صفر وقيل مات سنة خمس وتسعين في الشهر الذي مات فيه الحجاج وحج بالناس هذه السنة ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو أمير المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد (بفتح الهمزة وكسر السين) وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن ابي موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن ابي سود وفيها مات شريح القاضي وقيل سنة سبع وتسعين وله مائة وعشرون سنة وفيها مات عبد الرحمن بن أبي بكرة ومحمود بن لبيد الانصاري وله صحبة وفي ولاية الوليد مات عبد الله بن محيريز قيل له صحبة وابو سعيد المقبري كان يسكن المقابر فنسب اليها وفيها توفي ابراهيم بن يزيد النخعي الفقيه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وله خمس وسبعون سنة وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان في ايام الوليد بن عبد الملك وفيها توفي محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة وعباس بن سهل بن سعد الساعدي

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين﴾

﴿ذكر مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير﴾

وكان سبب قتله ان أباه استعمله على الاندلس كما ذكرنا عند عوده الى الشام فضبطها وسدد امورها وحمى ثغورها وافتتح في امارته مدائن بقيت بعد أبيه وكان خيرا فاضلا وتزوج امرأة رذريق فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على ان يأخذ اصحابه ورعيته بالسجود له اذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق فقال لها ان ذلك ليس في ديننا فلم تزل به حتى امر ففتح باب قصير المجلس الذي كان يجلس فيه فكان أحدهم اذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع فرضيت به وصار كالسجود عندها فقالت له الآن لحقت بالملوك وبقي ان أعمل لك تاجا مما عندي من الذهب واللؤلؤ فأبى فلم تزل به حتى فعل فانكشف ذلك للمسلمين فقيل تنصر وفطنوا للباب فثاروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين وقيل ان سليمان بن عبد الملك بعث الى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نصير فدخلوا عليه وهو في المحراب فصلى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة فضربوه بالسيوف ضربة واحدة واخذوا رأسه فسيروه الى سليمان فعرضه سليمان على ابيه فتجلد للمصيبة وقال هنيأ له بالشهادة وقد قتلتموه والله صواما قواما وكانوا يعدونها من زلات سليمان وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها ثم ان سليمان ولى الاندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي فأقام واليا عليها الى ان استخلف عمر بن عبد العزيز فعزله هذا آخر ما أردنا ذكره من قتل عبد العزيز على سبيل الاختصار * وفيها عزل سليمان بن عبد الملك عبد الله ابن موسى بن نصير عن افريقية واستعمل عليها محمد بن يزيد القرشي فلم يزل عليها حتى مات سليمان فعزل فاستعمل عمر بن عبد العزيز مكانه اسمعيل بن عبيد الله سنة مائة وكان حسن السيرة فأسلم البربر في ايامه جميعهم

﴿ذكر ولاية يزيد بن المهلب خراسان﴾

كان السبب في ذلك ان سليمان بن عبد الملك لما ولى يزيد العراق فوض اليه حربها والصلاتها

وخراجها

بثرا (ورأيت غمدان) ردما وتلا عظيما قد انهدم بنيانه وصار جبل تراب كأنه لم يكن وقد كان أسعد بن يعفر صاحب قلعة كحلان المنازل بها وصاحب مخاليف اليمن في هذا الوقت وهو المعظم في اليمن أراد أن يبني غمدان فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لا يتعرض لشئ من ذلك اذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سباوأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيرا عظيما وقد ذكر هذا البيت حذ أمية بن أبي الصلت أخو أمية واسمه ربيعة في مدحه لسيف بن ذي يزن وقيل بل الممدوح بهذا الشعر معديكرب بن سيف حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا
برأس غمدان دارا منك محلالا

وكان أبو أمية جاهليا وهو القائل في أصحاب الفيل ان آيات ربنا بينات
ما يماري بهن الا كفور

(١) غلب الفيل بالمغمس حتى
ظل يجفو كأنه مسحور

(١) المغمس كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة ويرجم قاله المجد اه

وخراجها فنظر يزيد لنفسه وقال ان العراق قد أخربها الحجاج وانا اليوم رجل أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج واعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه ومتى لم آت سليمان بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني فاتى يزيد سليمان وقال ادلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه قال نعم قال صالح بن عبد الرحمن مولى تميم فولاه الخراج وسيره قبل يزيد فنزل واسطا وأقبل يزيد فخرج الناس يتلقونه ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد فخرج صالح في الدراعة بين يديه أربعمائة من أهل الشام فاتى يزيد وسايره فنزل يزيد وضيق عليه صالح فلم يمكنه من شئ واتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فاخذها صالح فقال يزيد اكتب ثمنها على واشتري يزيد متاعا وكتب صكا بثمنه الى صالح فلم يقبله وقال ليزيد ان الخراج لا يقوم بما تريد ولا يرضى بهذا أمير المؤمنين وتؤخذ به فضاحكه يزيد وقال أجر هذا المال هذه المرة ولا أعود ففعل صالح وكان سليمان لم يجعل لخراسان الى يزيد فضجر يزيد من العراق لتضييق صالح عليه فدعا عبد الله ابن الاهيم فقال له اني أريدك لامر قد أهمني فاحب ان تكفينيه قال أفعل قال انا فيما ترى من الضيق وقد ضجرت منه وخراسان شاغرة برجلها فهل من حيلة قال نعم سرحني الى أمير المؤمنين قال فاكتم ما أخبرنك وكتب الى سليمان يخبره بحال العراق وأثنى على ابن الاهيم وذكر علمه بها وسيره ابن الاهيم على البريد فاتى سليمان واجتمع به فقال له سليمان ان يزيد كتب الي يذكر علمك بالعراق وخراسان فكيف علمك بها قال أنا اعلم الناس بها ولدت وبها نشأت ولي بها وباهلها خبر وعلم قال فاشر علي برجل اوليه خراسان قال امير المؤمنين أعلم بمن يريد فان ذكر منهم احدا اخبرته برأيي فيه فسمى رجلا من قريش فقال ليس من رجال خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا يصلح فانه يصبو عن هذا فليس له مكر أبيه ولا شجاعة أخيه حتى عد رجالا وكان آخر من ذكر وكيع بن أبي سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم رئيس مقدام وما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع لقد أدرك بثاري وشفاني من عدوي ولكن أمير المؤمنين أعظم حقا والنصيحة له تلزمني ان وكيعا لم تجتمع له مائة عنان قط الا حدث نفسه بغدره خامل في الجماعة ثابت في الفتنة قال ما هو ممن تستعين به فمن لها ويحك قال رجل أعلمه لم يسمه أمير المؤمنين قال فمن هو قال لا اذكره حتى يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وان يجيرني منه ان علم قال نعم قال يزيد بن المهلب قال العراق أحب اليه من خراسان قال ابن الاهيم قد علمت ولكن تكرهه فيستخلف على العراق ويسير قال أصبنا الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان وسيره مع ابن الاهيم فاتى يزيد به فامر بالجهاز للمسير ساعته وقدم ابنه مخلدا الى خراسان من يومه ثم سار يزيد بعده واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي وجعل أخاه مروان بن المهلب على حوائجه وأموره بالبصرة وكان أوثق اخوته عنده واستخلف بالكوفة حرملة بن عمير للخمي اشهرا ثم عزله وولى بشير بن حيان النهدي وكانت قيس تزعم ان قتيبة لم يخلع فلما سار يزيد الى خراسان امره سليمان أن يسال عن قتيبة فان اقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع قيد وكيعا به ولما وصل مخلد بن يزيد مرو أخذه وكيع فحبسه وعذبه واخذ اصحابه وعذبهم قبل قدوم ابيه وكانت ولايه وكيع خراسان تسعة اشهر أو عشرة اشهر ثم قدم يزيد في هذه السنة خراسان فاذى اهل الشام وقوما من اهل خراسان فقال نهار بن توسعة في ذلك

وما كنا نؤمل من أمير * كما كنا نؤمل من يزيد
فاخطأ ظننا فيه وقدما * زهدنا في معاشرة الزهيد

حوله من شباب كندة فتيا
ن ملاوبث في الحروب صقور
واضما خلفه الجرار كما
قطر صخر من جانب محرور
وقيل ان ملوك اليمن كانوا
اذا قعدوا في هذا البنيان
بالليل واشتعلت الشموع
رأى الناس ذلك من مسيرة
ثلاثة أيام كثيرة (والبيت
السادس) كارشان شاه
بناه كارش الملك بناء عجيبا
على اسم المدبر الاعظم من
الاجسام السماوية وهو
الشمس بمدينة فرغانة من
مدائن خراسان وخربه
المعتصم بالله وهدمه هذا
البيت خبر ظريف قد أتينا
على ذكره في كتاب أخبار
الزمان (والبيت السابع)
بأعالي بلاد الصين بناه ولد
عابور بن يعويل بن يافث
ابن نوح وأفرده للعلة الاولى
اذ كان منشأ هذا الملك
ومدته وباعث الامور اليه
وقيل انما بناه بعض ملوك
الترك في قديم الزمان
وجعله سبعة أبيات في كل
بيت منها سبع كوى يقابل
كل كوة صورة منصوبة
على صورة من الخمسة
والنيرين من أنواع الجواهر
المضافة الى تاثير تلك
الكواكب من ياقوت
أو زمرد على اختلاف
ألوان الجواهر ولهم في
هذا الهيكل سر يسرونه

اذا لم يعطنا نصفا أمير * مشينا نحوه مشى الاسود
فهلا يا يزيد أنب الينا * ودعنا من معاشرة العبيد
نجيب ولا ترى الا صدودا * على انا نسلم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوال * فبئس التجهم والصدود

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة وفيها غزا مسلمة أرض الوضاحية ففتح الحصن الذى فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وفيها غزا عمر بن هبيرة أرض الروم فى البحر فشتى فيها وفيها حج سليمان بن عبد الملك بالناس وفيها عزل داود بن طلحة الحضرمى عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات عطاء بن يسار وقيل سنة ثلاث ومائة وفيها مات موسى بن نصير الذى فتح الاندلس وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك وفيها توفى فيس بن أبى حازم البجلى وقد جاوز مائة سنة وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ليسلم فرآه قد توفى وروى عن العشرة وقيل لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف وذهب عقله فى آخر عمره (حازم بالحاء المهملة والزاى المعجمة) وفيها توفى سالم بن أبى الجعد مولى أشجع واسم أبى الجعد رافع

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

﴿ذكر محاصرة القسطنطينية﴾

فى هذه السنة سار سليمان بن عبد الملك الى دابق وجهز جيشا مع أخيه مسلمة بن عبد الملك ليسير الى القسطنطينية ومات ملك الروم فاتاه أليون من أذربيجان فأخبره فضمن له فتح الروم فوجه مسلمة معه فسارا الى القسطنطينية فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه الى القسطنطينية ففعلوا فلما اتاها أمر بالطعام فالقى أمثال الجبال وقال للمسلمين لا تاكلوا منه شيأ وأغيروا فى أرضهم وازرعوا واعملوا بيوتا من خشب فشتى فيها وصاف وزرع الناس وبقى الطعام فى الصحراء والناس ياكلون ما أصابوا من الغارات ومن الزرع واقام مسلمة قاهرا للروم معه اعيان الناس خالد بن معدان ومجاهد بن جبر وعبد الله بن أبى زكريا الخزاعى وغيرهم فارسل الروم الى مسلمة يعطونه عن كل رأس دينارا فلم يقبل فسالت الروم لاليون ان صرفت عنا المسلمين ملكناك فاستوثق منهم فاتى مسلمة فقال له ان الروم قد علموا انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك فلو احرقته اعطوا الطاعة باديهم فامر به فأحرق فقوى الروم وأصابوا المسلمين حتى كادوا يهلكون وبقوا على ذلك حتى مات سليمان وقيل انما خدع اليون مسلمة بان سأله أن يدخل من الطعام الى الروم بمقدار ما يعيشون به ليلة واحدة ليصدقوا ان أمره وأمر مسلمة واحد وانهم فى أمان من السبى والخروج من بلادهم فاذن له وكان اليون قد أعد السفن والرجال فنقلوا تلك الليلة الطعام فلم يتركوا فى تلك الخنادق الا ما لا يذكر واصبح اليون محاربا وقد خدع مسلمة خديعة لو كانت لامرأة لعيبت بها ولقى الجند ما لم يلقه جيش قط حتى ان كان الرجل ليضاف ان يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود واصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ودخل الشتاء فلم يقدر ان يمدهم حتى مات وفى هذه السنة بايع سليمان لابنه أيوب بولاية العهد فمات أيوب قبل أبيه وفى هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان قد أغار على مسلمة بن عبد الملك وهو فى قفله فكتب الى

سليمان

فى بلاد الصين بما قد زخرف لهم فيه القول وزينه لهم الشيطان ولهم فى هذا الهيكل علوم فى اتصال الاجسام السماوية وأفعالها بعالم الكون الذى تحدثه وما يحدث فيه من الحركات والافعال عند تحرك الاجسام السماوية فى هذا العالم وهو على حسب الذى نسج فيه ينتصب من حركات الطبائع بتلك الخشب والخيوط الابريسم تحدث ضروب من الحركات فاذا اتصلت أفعاله وتواترت حركاته من النسج للثوب الديباج تمت الصورة فيه فيضرب من الحركات يظهر جناح طائر وبآخر رأسه وبآخر رجلاه فلا يزال كذلك حتى تتم الصورة على حسب مراد الصانع فجعلوا هذا المثال واتصال الابريسم بآلة النسج وما يحدثه الصانع فى ذلك من الافعال مثالا لما ذكرنا من الكواكب العلوية وهى الاجسام السماوية فيضرب من الحركات ظهر فى العالم الطائر وبصوت آخر فرخ وكذلك سائر ما يحدث فى العالم ويسكن ويتحرك ويوجد ويعدم ويتصل وينفصل ويجتمع ويفترق ويزيد وينقص من جماد

سليمان يستمده فأمده فكرت بهم الصقالبة ثم انهزموا وفيها غزا الوليد بن هشام رعمرو بن قيس فاصيب ناس من أهل انطاكية واصاب الوليد ناسا من ضواحي الروم وأسر منهم بشرا كثيرا

(ذكر فتح جرجان وطبرستان)

في هذه السنة غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان لما قدم خراسان وسبب غزوهما واهتمامه بهما أنه لما كان عند سليمان بن عبد الملك بالشام فكان سليمان كلما فتح قتيبة فتحا يقول ليزيد ألا ترى الى ما يفتح الله على قتيبة فيقول يزيد ما فعلت جرجان التي قطعت الطريق وافسدت قومس ونيسابور ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان فلما ولاه سليمان خراسان لم يكن له همة غير جرجان فسار اليها في مائة الف من أهل الشام والعراق وخراسان سوى الموالي والمتطوعة ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فابتدأ بقهستان فحاصرها وكان أهلها طائفة من الترك واقام عليها وكان أهلها يخرجون ويقاتلون فيهزمهم المسلمون في كل ذلك فاذا هزموا دخلوا الحصن فخرجوا ذات يوم وخرج اليهم الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبي سبرة على تركي قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركي في بيضة ابن أبي سبرة فضربه ابن ابي سبرة فقتله ورجع وسيفه يقطر دما وسيف التركي في بيضته فنظر الناس الى أحسن منظر رأوه وخرج يزيد بعد ذلك يوما ينظر مكانا يدخل منه عليهم وكان في أربعمائة من وجوه الناس وفرسانهم فلم يشعروا حتى هجم عليهم الترك في نحو أربعة آلاف فقاتلوهم ساعة وقاتل يزيد قتالا شديدا فسلموا وانصرفوا وكانوا قد عطشوا فانتهوا الى الماء فشربوا ورجع عنهم العدو ثم ان يزيد ألح عليهم في القتال وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا فارسل صول دهقان قهستان الى يزيد يطلب منه ان يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع اليه المدينة بما فيها فصالحه ووفى له ودخل المدينة فاخذ مما كان فيها من الاموال والكنوز والسبي ما لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركي صبرا وكتب الى سليمان بن عبد الملك بذلك ثم خرج حتى اتى جرجان وكان اهل جرجان قد صالحهم سعيد بن العاص وكانوا يجبون احيانا مائة الف وأحيانا مائتي الف واحيانا ثلثمائة الف وربما اعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا ولم يأت جرجان بعد سعيد احد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان احد الا على فارس وكرمان واول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وبقي امر جرجان كذلك حتى ولي يزيد وأتاهم فاستقبلوه بالصلح وزادوه وهابوه فاجابهم الى ذلك وصالحهم فلما فتح قهستان وجرجان طمع في طبرستان ان يفتحها فعزم على ان يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على الساسان وقهستان وخلف معه أربعة آلاف ثم أقبل الى أدنى جرجان مما يلي طبرستان فاستعمل على ابرسار اشد ابن عمرو وجعله في أربعة آلاف ودخل بلاد طبرستان فارسل اليه الاصبهبد صاحبها يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ووجه اخاه اباعيينة من وجه وابنه خالد بن يزيد من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال اذا اجتمعتم فابو عيينة على الناس فسار أبو عيينة واقام يزيد معسكرا واستجاش الاصبهبد اهل جيلان والديلم فاتوه فالتقوا في سفح جبل فانهزم المشركون في الجبل فاتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل واتبعهم المسلمون يرمونهم الصعود فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون يركب بعضهم بعضا يتساقطون في الجبل حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف

ونبات أو حيوان ناطق أو غير ناطق فانما يحدث عن حركات الكواكب على حسب ما وصفنا من نسج الديباج وغيره من الصنائع وأهل صناعة النجوم لا يتماكرون أن يقولوا أعطته الزهرة كذا وأعطاه المريخ كذا كالشقرة وصهوبة الشعر وأعطاه عطارد دقة الصنعة وأعطاه المشتري الحياء والعلم والدين وأعطته الشمس كذا وأعطاه القمر كذا وهذا باب يكثر القول فيه ويتسع وصف مذاهب الناس فيه وما قالوه في بابه

(ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين)

البيوت المضاف بناؤها الى من سلف من اليونانيين ثلاث بيوت فبيت منها كان بانطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها وقد جعل المسلمون في موضعه مرقبا لينذرهم من قد تثب فيه من الرجال بالروم اذا وردوا من البر والبحر وكانوا يعظمونه ويقربون فيه القرابين فخرب عند مجيء الاسلام وقد قيل ان قسطنطين الاكبر بن هيلانه الملكة المظهرة لدين النصرانية هو المخرب لهذا

عدوهم عن اتباعهم وخافوهم الاصبهبذ فكانت أهل جرجان وقدمهم المرزبان يسألهم ان يبيتوا من عندهم من المسلمين وان يقطعوا عن يزيد المادة والطريق فيما بينه وبين بلاد الاسلام ويعدهم ان يكافئهم على ذلك فشاوروا بالمسلمين فقتلوهم أجمعين وهم غارون فى ليلة وقتل عبد الله بن المعمر وجميع من معه فلم ينج منهم أحد وكتبوا الى الاصبهبذ باخذ المضايق والطارق وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم وفزع يزيد الى حيان النبطى وقال له لا يخفى عنك ما كان منى اليك عن نصيحة المسلمين وقد جاءنا عن جرجان ما جاءنا فما عمل فى الصلح فقال نعم فاتى حيان الاصبهبذ فقال ان رجل منكم وان كان الدين فرق بينى وبينكم فانا لكم ناصح فانت أحب الى من يزيد وقد بعث يستمد وأمداده منه قريبة وانما اصابوا منه طرفا واست آمن ان يأتيك من لا تقوم له فارح نفسك وصالحه فان صالحته صير حده على اهل جرجان بغدرهم وقتلهم أصحابه فصالحه على سبعمائة ألف وقيل خمسمائة ألف وأربعمائة وقرز عفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل منهم ترس وطيلسان ومع كل رجل جام من فضة وخرقة حرير وكسوة ثم رجع حيان الى يزيد فقال ابعث من يحمل صلحهم فقال من عندهم أو من عندنا فقال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه ان يعطيهم ما سألوا ويرجع الى جرجان فارسل يزيد من يقبض ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان وكان يزيد قد أغرم حيان مائتى الف درهم وسبب ذلك ان حيان كتب الى مخلد بن يزيد فبدأ بنفسه فقال له ابنه مقاتل بن حيان تكتب الى مخلد وتبدأ بنفسك قال نعم وان لم يرض اتى ما اتى قتيبة فبعث مخلد الكتاب الى ابيه يزيد فاغرمه مائتى ألف درهم وقيل ان سبب مسير يزيد الى جرجان ان صولا التركى كان ينزل قهستان والبحيرة وهى جزيرة فى البحر بينها وبين قهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلى خوارزم وكان يغير على فيروز قول مرزبان جرجان فيصيب من بلاده فخافه فيروز فسار الى يزيد بخراسان وقدم عليه فسأله عن سبب قدومه فقال خفت صولا فهربت منه وأخذ صول جرجان فقال يزيد لفيروز هل من حيلة لقتاله قال نعم شئ واحد ان ظفرت به قتلته وأعطى بيده قال ما هو قال تكتب الى الاصبهبذ كتابا تسأله فيه ان يحمال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلا فانه يبعث كتابك الى صول يتقرب اليه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة وان تحول عن جرجان وحاصرته ظفرت به ففعل يزيد ذلك وضمن للاصبهبذ خمسين ألف دينار ان هو حبس صولا عن البحيرة ليحاصره بجرجان فارسل الاصبهبذ الكتاب الى صول فلما أتاه الكتاب رحل الى البحيرة ليحصر بها وبلغ يزيد مسيره فخرج الى جرجان ومعه فيروز واستعمل على خراسان ابنه مخلدا وعلى سمرقند رجاء بن نشف وبخارا ابنه معاوية وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب واقبل حتى اتى جرجان فدخلها ولم يمنعه منها احد وسار منها الى البحيرة فحصر صولا بها فكان يخرج اليه صول فيقاتله ثم يرجع فمكثوا بذلك ستة أشهر فاصابهم مرض وموت فارسل صول يطلب الصلح على نفسه وماله وثلثمائة من اهله وخاصته ويسلم اليه البحيرة فاجابه يزيد فخرج بماله وثلثمائة ممن احب وقتل يزيد من الاتراك أربعة عشر ألفا فاصبروا واطاق الباقين وطلب الجند ارزاقهم فقال لادريس ابن حنظلة العمى أحص لنا ما فى البحيرة حتى نعطى الجند فدخلها ادريس فلم يقدر على احصاء ما فيها فقال ليزيد لا أستطيع ذلك وهو فى ظروف فتحصى الجواليق ويعلم ما فيها ويعطى الجند فمن أخذ شيأ عرفناه ما أخذ من الحنطة والشعير والارز والسمسم والعسل ففعلوا ذلك وأخذوا شيأ كثيرا وكان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا اليه أنه أخذ خريطة فسأله يزيد

البيت وكانت فيه الاصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر وقد قيل ان هذا البيت هو بيت بمدينة انطاكية على يسرة الجامع الى اليوم وكان هيكلا عظيما والصابئة تزعم أن الذى بناه سنلانيوس وهو فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بسوق الجزارين وقد كان ثابت بن قرة بن كرايا الصابئ الحرانى - بن وافى المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين فى طالب وصيف الخادم بن ثابت أتى هذا الهيكل وعظمه وأخبر من شأنه ما وصفنا (والبيت الثانى) من بيوت اليونانيين هو بعض تلك الاهرام التى ببلاد مصر وهو برى من الفسطاط على أميال منها (والبيت الثالث) هو بيت المقدس على مازعم القوم والشريعة انما تخبر أن داود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أن الذى بناه الضحاك وأنه سيكون له فى المستقبل من الزمان خطب طويل ويقعد فيه ملك عظيم وذلك عند ظهور موسى على بقرة من صفتها كذا ومعه من الناس كذا

عنها فاتاها فاعطاها شهرا فقال بعضهم

لقد باع شهر دينه بخريدة * فمن يأمن القراء بعدك ياشهر

وقال مرة الحنفي

يا ابن المهلب ما اردت الى امرئ * لولاك كان كصالح القراء

واصاب يزيد بجرجان تاجا فيه جوهر فقال اترون احدا يزهد في هذا فقالوا لا فدعا محمد بن واسع الازدي فقال خذ هذا التاج قال لا حاجة لي فيه قال عزمت عليك فاخذه فامر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فوقى سائلا فدفعه اليه فاخذ الرجل السائل وأتى به يزيد فاخبره فاخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا

﴿(ذكر فتح جرجان الفتح الثاني)﴾

قد ذكرنا فتح جرجان وقهستان وغدر أهل جرجان فلما صالح يزيد اصبهبذ طبرستان سار الى جرجان وعاهد الله تعالى ان ظفر بهم لا يرفع السيف حتى يطحن بدمائهم ويأكل من ذلك الطحين فاتاها وحصر أهلها بحصن جناه ومن يكون بها لا يحتاج الى مدة من طعام وشراب فحصرهم يزيد فيها سبعة أشهر وهم يخرجون اليه في الايام فيقاتلونه ويرجعون فيناهم على ذلك اذ خرج رجل من عجم خراسان يتصيد وقيل رجل من طيئ فابصر وعلا في الجبل فتبعه ولم يشعر حتى هجم على عسكرهم فرجع كانه يريد اصحابه وجعل يخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات فاتى يزيد فاخبره فضمن له يزيد دية ان دلهم على الحصن فانتخب معه ثلثمائة رجل واستعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له ان غلبت على الحياة فلا تغلبن عن الموت واياك ان أراك عندي مهزوما وضم اليه جهم ابن زحر وقال للرجل متى تصلون قال غدا العصر قال يزيد تناجد على مناهضتهم عند الظهر فساروا فلما كان العدو وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب كان عندهم فصار مثل الجبال من النيران فنظر العدو الى النيران فهالهم ذلك فخرجوا اليهم وتقدم يزيد اليهم فاقتتلوا وهجم أصحاب يزيد الذين ساروا على عسكر الترك قبل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتلهم من هذا الوجه فاشعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فاعطوا بايديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين الى يمين الطريق ويساره وقاد منهم اثني عشر ألفا الى وادي جرجان وقتل من طابهم بثار فلم يقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الاربعة والخمسة وأجرى الماء على الدم وعليه ارحاء ليطحن بدمائهم ليبر يمينه فطحن وخبز وأكل وقيل قتل منهم أربعين ألفا وبنى مدينة جرجان ولم تكن بقيت قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفي وقيل بل قال يزيد لاصحابه لما سار واذا وصلتم الى الحصن فانتظروا فاذا كان السحر فكبروا واقصدوا الباب فستجدونني قد نهضت بالناس اليه فلما دخل ابن زحر اهمل حتى كانت الساعة التي أمره يزيد ان ينهض فيها فكبر ففزع أهل الحصن وكان أصحاب يزيد لا يلقون أحدا الا قتلوه ودهش الترك فبقوا لا يدرون أين يتوجهون وسمع يزيد التكبير فسار في الناس الى الباب فلم يجد عنده أحدا يمنع وهم مشغولون بالمسلمين فدخل الحصن من ساعته وأخرج من فيه وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ وسبى أهلها وغنم ما فيها وكتب الى سليمان بالفتح يعظمه ويخبره انه قد حصل عنده من الخمس ستمائة ألف ألف فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرة مولى بني سدوس لا تكتب تسمية المال فانك من ذلك بين أمرين اما ان تستكثره فامرك بحمله واما ان سمحت نفسه لك به فاعطاكه فتكلف الهدية فلا

من العدد والفاصيص تدعيها المجوس في هذا المعنى واختلاط طويل ننزه كتابنا عن ذكره والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم﴾

البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور النصرانية بيت ببلاد المغرب بمدينة قرطاجنه وهي تونس وراء بلاد القيروان وهي من أرض الافرنجة وبني على اسم الزهرة بأنواع من الرخام والبيت الثاني بافرنجة وهو بيت عظيم عندهم والبيت الثالث عندهم بعقدونة وقد أتينا على أخباره وأخبار غيره فيما سلف من كتبنا والله تعالى أعلم

﴿ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة﴾

كانت في ديار الصقالبة بيوت تعظمها منها بيت كان لهم في هذا الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية وهذا البيت له خبر في كيفية بنائه وترتيب أحجاره واختلاف ألوانه والمخاريق المصنوعة وما أودع فيه من الجواهر والآثار المرسومة فيه الدالة على الكائنات المستقبلة وما تدل به تلك

ياتيه من قبلك شئ الا استقله فكانى بك قد استغرقت ما جمعت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذى جمعت مخلدا فى دواوينهم فان ولى وال بعده أخذك به وان ولى من يتحامل عليك لمرض باضعافه ولكن اكتب فسله القدوم وشافهه بما احببت فهو أسلم فلم يقبل منه وامضى الكتاب وقيل كان المبلغ أربعة آلاف ألف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك وهو ولى عهد وفيها فتحت مدينة الصقالبة وقيل غير ذلك وقد تقدم وفيها غزا داود بن سليمان أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلى ملطية وفيها كانت الزلازل فى الدنيا كثيرة ودامت ستة أشهر وفيها مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبو عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف ويعرف بمولى ابن أزهر وعبد الرحمن بن زيد بن حارثة الانصارى وسعيد بن مرجانة مولى قريش وهى أمه واسم أبيه عبد الله وج بالناس عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو أمير على مكة وكان العمال من تقدم ذكرهم الا البصرة فان يزيد استعمل عليها سفيان بن عبد الله الكندى

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين﴾

﴿ذكر موت سليمان بن عبد الملك﴾

فى هذه السنة توفى سليمان بن عبد الملك بن مروان لعشر بقين من صفر فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقيل توفى فيها لعشر مضين من صفر فتكون ولايته سنتين وثمانية اشهر الاخمسة أيام وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج وولى سليمان فأطلق الاسرى وأخلى السجون واحسن الى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز وكان موته بدابق من أرض قنسرين لبس يوما عمامة خضراء وحلة خضراء ونظر فى المرآة فقال انا الملك الفتى فعاش جمعة ونظرت اليه جارية فقال ما تنظرين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب * كان فى الناس غير أنك فان

قيل وشهد سليمان جنازة بدابق فدفنت فى حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة ويقول ما أحسن هذه وأطيبها فما أتى عليه جمعة حتى دفن الى جنب القبر قيل حج سليمان وحج الشعراء فلما كان بالمدينة قافلا تلقوه بنحو أربعمائة أسير من الروم فقعد سليمان وأقربهم منه مجلسا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقدم بطريقهم فقال يا عبد الله اضرب عنقه فأخذ سيفا من حرسى فضربه فابان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل ودفع البقية الى الوجوه يقتلونهم ودفع الى جرير رجلا منهم فاعطاه بنو عبس سيفا جيدا فضربه فابان رأسه ودفع الى الفرزدق أسيرا فأعطوه سيفا رديئا لا يقطع فضرب به الاسير ضربات فلم يصنع شيأ فضحك سليمان والقوم وشمتت به بنو عبس اخوال سليمان فالقى السيف وأنشأ يقول

وان يك سيف خان أوة رأتى * بتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * فما بيدى ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وخالد قد اكب على زهير وضربه بالسيف فصرعه فاقبل ورقاء فضرب خالدا ضربات فلم يصنع شيأ فقال ورقاء بن زهير

الجواهر من الاحداث قبل كونها وظهور أصوات من أعاليهم وما كان يلحقهم من سماع ذلك (وبيت) اتخذه ملوكهم على الجبل الاسود تحيط به مياه عجيبة ذوات ألوان وطعوم مختلفة عامة المنافع وكان لهم فيه صنم عظيم على صورة رجل قد انحنى على نفسه وهو شيخ بيده عصا يحرك بها عظام الموتى من النواويس وتحت رجله اليمنى صور أنواع من النمل وتحت الاخرى غرابيب سود من صور الغداف (١) وغيرها وصور عجيبة لانواع من الاحابيش والزنج (وبيت آخر) على جبل لهم يحيط به خليج من البحر قد بنى بأحجار المرجان الاحمر وأحجار الزمرذ الاخضر فى وسطه قبة عظيمة تحتها صنم عظيم أعضاؤه من جواهر أربعة زمرذ أخضر وياقوت أحمر وعقيق أصفر وبلور أبيض ورأسه من الذهب الاحمر وبازائه صنم آخر على صورة جارية وكان يقرب له قرابين ودخن وكان ينسب هذا

(١) الغداف كغراب غراب القيظ والنسر الكثير الريش جمعه غدفان اه قاله المجد

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر

﴿ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز﴾

في هذه السنة استخلف عمر بن عبد العزيز وسبب ذلك ان سليمان بن عبد الملك كان بدابق ومرض على ما وصفنا فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقال له رجاء بن حيوة ما تصنع يا أمير المؤمنين ان عمك يحفظ الخليفة في قبره ان يستخلف على الناس الرجل الصالح فقال سليمان أنا استخير الله وأنظر ولم أعزم فمكث سليمان يوما أو يومين ثم خرقه ودعا رجاء فقال ما ترى في ولدي داود فقال رجاء هو غائب عند القسطنطينية ولا ندري أحي أم لا قال فمن ترى قال رجاء رأيك قال فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز قال رجاء فقلت أعلمه والله خيرا فاضلا فقال سليمان هو على ذلك ولئن وليته ولم أول أحدا سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا يلي عليهم الا ان يجعل أحدهم بعده وكان عبد الملك قد عهد الى الوليد وسليمان ان يجعلا أمرهما يزيد ولي عهد فأمر سليمان أن يجعل يزيد بن عبد الملك بعد عمر وكان يزيد غائبا في الموسم قال رجاء قلت رأيك فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز اني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب ثم أرسل الى كعب بن جابر العبسي صاحب شرطته فقال ادع اهل بيتي فجمعهم كعب ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابي اليهم واخبرهم بكتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فقالوا ندخل ونسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب الذي في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت فيه فبايعوه رجلا رجلا وتفرقوا قال رجاء فأتاني عمر بن عبد العزيز فقال اخشى ان يكون هذا أسند الى شيأ من هذا الامر فانشدك الله وحرمتي ومودتي الا أعلمتني ان كان ذلك حتى استعفيه الآن قبل ان تاتي حال لا أقدر فيها على ذلك قال رجاء ما أنا بمخبرك قال فذهب عمر عني غضبان قال رجاء ولقيني هشام بن عبد الملك فقال ان لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فاعلمني بهذا الامر فان كان الى غيري تكلمت ولله علي ان لا أذكر شيأ من ذلك أبدا قال رجاء فأبيت ان أخبره حرفا فانصرف هشام وهو يضرب باحدى يديه على الاخرى ويقول فالى من اذا انحيت عني أتخرج من بني عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فاذا هو يموت فجعلت اذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته الى القبلة فيقول حين يفيق لم يأن بعد ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء ان كنت تريد شيأ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فحرفه فمات فلما غمضته وسجيته واغلقت الباب ارسلت الى زوجته فقالت كيف أصبح فقلت هو نائم قد تغطى ونظر اليه الرسول متغطيا فرجع فأخبرها فظنت انه نائم قال فأجلست على الباب من اثق به وأوصيته ان لا يبرح ولا يترك أحدا يدخل على الخليفة قال فخرجت فأرسلت الى كعب بن جابر فجمع أهل بيت سليمان فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة قلت وأخرى هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا الثانية فلما بايعوا بعد مونه رأيت اني قد أحكمت الامر فقلت قوموا الى صاحبكم فقدمات قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقرأت الكتاب فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز قال هشام لا نبايعه والله أبدا قلت أضرب

البيت الى حكيم كان لهم في قديم الزمان وقد أتينا على خبره وما كان من أمره بارض الصقالبة وما أحدث فيهم من الذبول والحيل والمخاريق المصطنعة التي اجتذب بها قلوبهم وملك نفوسهم واسترق بها عقولهم مع شراسة أخلاق الصقالبة واختلاف طبائعهم فيما سلف من كتبنا والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر بيوت معظمة وهياكل شريفة للصابئة وغيرها مما الحق بهذا الباب﴾

للصابئة من الحرانيين هياكل على اسم الجواهر العقلية والكواكب (فمن ذلك) هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وما أدري أشاروا الى العقل الاول أم الثاني وقد ذكر صاحب المنطق في كتابه في المقالة الثالثة من كتاب النفس العقل الاول الفعال والعقل الثاني وذكر ذلك مغيطوس في كتابه في شرح كتاب النفس الذي عمله صاحب المنطق وقد ذكر العقل الاول والثاني الاسكندر والافرديس في مقالة أفردها في ذلك قد ترجمها اسحق بن حنين

والله عنفك قم فبايع فقام يجر رجليه قال رجاء فأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فاجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه وهشام يسترجع لما اخطأه فبايعوه وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن فلما دفن أتى عمر بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس فقال ما هذا فقيل مراكب الخلافة قال دابتي اوفق لي وركب دابته وصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقيل له امنزل الخلافة فقال فيه عيال أبي أيوب يعني سليمان وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فاقام في منزله حتى فرغوه قال رجاء فأعجبني ما صنع في الدواب ومنزل سليمان ثم دعا كاتبا فاملى عليه كتابا واحدا وأمره ان ينسخه ويسيره الى كل بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا موت سليمان ولم يعلم ببيعة عمر فعقد لواء ودعا الى نفسه فبلغه بيعة عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل عليه فقال له عمر بلغني انك بايعت من قبلك واردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك انه بلغني ان سليمان لم يكن عهد لاحد فخفت على الاموال ان تنهب فقال عمر لو بايعت وقمت بالامر لم أنازعك فيه ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب انه ولي هذا الامر غيرك وبايعه وكان يرجى لسليمان بتوليته عمر ابن عبد العزيز و ترك ولده فلما استقرت البيعة لعمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ان اردت صحبتي فردي ما معك من مال وحلي وجوهر الى بيت مال المسلمين فانه لهم وانى لا اجتمع أنا وانت وهو في بيت واحد فردته بجميعه فلما توفي عمر وولي اخوها يزيد رده عليها وقال انا أعلم ان عمر ظلمك فقالت كلا والله وامتنعت من أخذه وقالت ما كنت اطيعه حيا وأعصيه ميتا فأخذه يزيد وفرقه على أهله

﴿ذكر ترك سب امير المؤمنين علي عليه السلام﴾

كان بنو أمية يسبون امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الى ان ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال في الآفاق بتركه وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأتيته يوما وهو يصلي فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ من صلاته التفت الي فقال لي متى علمت ان الله غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم قلت لم أسمع ذلك قال فما الذي بلغني عنك في علي فقلت معذرة الى الله والبك وتركت ما كنت عليه وكان أبي اذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج فقلت يا أبت انك تمضي في خطبتك فاذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا قال اوفطنت لذلك قلت نعم فقال يا بني ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم لتفرقوا عنا الى اولاده فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الامر العظيم لاجله فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فجعل هذا الفعل عند الناس محلا حسنا وأكثر ما امدحه بسببه فمن ذلك قول كثير عزة

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين واغما * تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذي قلت بالذي * فعلت فاضحى راضيا كل مسلم
الا انما يكفي الفتى بعد زيغه * من الاود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر افلحنا اذا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفي هذه السنة وجه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة وهو بأرض الروم يامره بالقفول منها بمن معه

من

(ومن هياكل الصابئة) هيكل السنبلة وهيكل الصورة وهيكل النفس وهذه مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل عطارد مثلث الشكل في جوف مربع مستطيل وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل القمر مثمن الشكل (وقد حكى رجل) من ملكية النصارى من أهل حران يعرف بالحرث بن سنبطاط للصابئة الحرانيين أشياء ذكرها من قرابين يقربونها من الحيوان ودخن للكواكب يبخرون بها وغير ذلك مما امتنعنا عن ذكره مخافة التطويل (والذي بقي) من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بصلينا وهو هيكل آزر أبي ابراهيم الخليل عليه السلام عندهم وللقوم في آزر وابنه ابراهيم كلام كثير ليس في كتابنا هذا ولابن عيسون الحراني القاضي وكان ذا فهم ومعرفة وتوفي بعد الثلثمائة قصيدة طويلة يذكر فيها مذاهب

من المسلمين ووجه له خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم وفيها اغارت الترك على اذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة فوجه عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الترك ولم يفلت منهم الا اليسير وقدم على عمر منهم بخمسين اسيرا وفيها عزل يزيد بن المهلب عن العراق ووجه الى البصرة عدي بن ارطاة الفزاري وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي وضم اليه ابا الزناد وكان كاتبه وبعث عدي في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميري وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل المدينة وكان العامل على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد وعلى الكوفة عبد الحميد وعلى القضاء بها عامر الشعبي وكان على البصرة عدي بن ارطاة وعلى القضاء الحسن بن أبي الحسن البصري ثم استعفى عديا فاعفاه واستقضى اياس بن معاوية وقيل بل شكا الحسن فعزله عدي واستقضى اياسا واستعمل عمر بن عبد العزيز على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي وفي هذه السنة مات نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بالمدينة ومحمود بن الربيع ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طيبان بن حصين بن جندب الجنبي والد قابوس (طيبان بالظاء المعجمة) وفيها توفي أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب من سم سقيه عند عوده من الشام وضع عليه سليمان بن عبد الملك من سقاه فلما احس بذلك عاد الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو بالحميمة فعرفه حاله واعلمه ان الخلافة صائرة الى ولده واعلمه كيف يصنع ثم مات عنده وفي أيام سليمان توفي عبيد الله ابن سريج المغني المشهور وعبد الرحمن بن كعب بن مالك أبو الخطاب

(ثم دخلت سنة مائة)

﴿ذكر خروج شوذب الخارجي﴾

في هذه السنة خرج شوذب واسمه بسطام من بني يشكر في جوخى وكان في ثمانين رجلا فكتب عمر ابن عبد العزيز الى عبد الحميد عامله بالكوفة ان لا يحركهم حتى يسفكوا دما ويفسدوا في الارض فان فعلوا وجه اليهم رجلا صليبا حازما في جند فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في الفين وامره بما كتب به عمر وكتب عمر الى بسطام يسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بازائه لا يتحرك فكان في كتاب عمر بلغني انك خرجت غضبا لله ولرسوله ولست اولى بذلك مني فهلم الي انا ناظرك فان كان الحق بايدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرك فكتب بسطام الى عمر قد انصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك وارسل الى عمر مولى لبني شيبان حبشيا اسمه عاصم ورجلا من بني يشكر فقدما على عمر بخناصرة فدخلا اليه فقال لهما ما اخرجكما هذا المخرج وما الذي نقمتم فقال عاصم ما نقمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان فاخبرنا عن قيامك بهذا الامر أعن رضا من الناس ومشورة ام ابتززتم أمرهم فقال عمر ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها وعهد الى رجل كان قبلي فقمت ولم ينكره علي أحد ولم يكرهه غيركم وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وانصف من كان من الناس فاتركوني ذلك الرجل فان خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم فقالا بيننا وبينك أمر واحد قال ما هو قالا رأيناك خالفت اعمال اهل بيتك وسميتها مظالم فان كنت على هدى وهم على الضلالة فالعنهم وابرأ منهم فقال عمر قد علمت انكم لم تخرجوا طلبا للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ان الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا وقال ابراهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال الله عز وجل أولئك الذين

الحرانيين المعروفين بالصابئة ذكر فيها هذا البيت وما تحته من السراديب الاربعة المتخذة لانواع صور الاصنام التي جعلت مثالا للاجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الاشخاص العلوية وأسرار هذه الاصنام وكيفية ايرادهم لاطنانها لهم الى هذه السراديب وعرضهم لهم على هذه الاصنام وما يحدث ذلك في الوان صبيانهم من الاستحالة الى الصفرة وغيرها لما يسمعون ظهور أنواع الاصوات وفنون اللغات في تلك الاصوات من الاصنام والاشخاص بحيل قد اتخذت ومنافيخ قد عملت تقف السدنة من وراء جدر فتتكلم بانواع من الكلام فتجري الاصوات في تلك المنافيخ والمخاريق والمنافذ الى تلك الصور المجوفة والاصنام المشخصة فيظهر منها نطق على حسب ما قد عمل في قديم الزمان فيصطادون به العقول وتسترق بها الرقاب ويقام بها الملك والممالك ومما ذكر في هذه القصيدة قوله

ان نفيس العجائب
بيت لهم في سراديب

هدى الله فبهداهم اقتده وقد سميت أعمالهم ظلما وكفى بذلك ذما ونقصا وليس لعن أهل الذنوب فريضة لابد منها فان قلتم انها فريضة فاخبرني متى لعنت فرعون قال ما اذكرمتى لعنته قال افيسعك ان لا تلعن فرعون وهو اخبث الخلق واشرهم ولا يسعني ان لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون قال أما هم كفار بظلمهم قال لا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى الايمان فكان من اقر به وبشرائعه قبل منه فان احدث حدثا أقيم عليه الحد فقال الخارجي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى توحيد الله والاقرار بما نزل من عنده قال عمر فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله ولكن القوم اسرفوا على انفسهم على علم منهم انه محرم عليهم ولكن غلب عليهم الشقاء قال عاصم فابرأ مما خالف عملك ورد أحكامهم قال عمر أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا على حق قال بلى قال أتعلمان ان أبا بكر حين قاتل أهل الردة سفك دماءهم وسبى الذراري وأخذ الاموال قال بلى قال أتعلمون ان عمر رد السبايا بعده الى عشائرهم بفدية قال نعم قال فهل برئ عمر من أبي بكر قال لا قال أفتبرؤن أنتم من واحد منهما قال لا قال فاخبراني عن أهل النهر وان وهم اسلافكم هل تعلمان ان أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا وان من خرج اليهم من أهل البصرة قتلوا عبد الله بن خباب وجاريته وهي حامل قال لا نعم قال فهل برئ من لم يقتل ممن قتل واستعرض قال لا قال أفتبرؤن أنتم من أحد من الطائفتين قال لا قال أفيسعكم ان تتولوا أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف اعمالهم ولا يسعني الا البراءة من أهل بيتي والدين واحد فاتقوا الله فانكم جهال تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردون عليهم ما قبل ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده فانكم يخاف عندكم من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكان من فعل ذلك عند رسول الله آمنا وحقن دمه وماله وانتم تقتلونه وياءمن عندكم سائر أهل الاديان فتحرمون دماءهم واموالهم فقال البشكري ارأيت رجلا ولى قوما وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير مامون اتراه ادى الحق الذي يلزمه لله عز وجل او تراه قد سلم قال عمر لا قال افتسلم هذا الامر الى يزيد من بعدك وانت تعرف انه لا يقوم فيه بالحق قال اغما ولاه غيري والمسلمون اولى بما يكون منهم فيه بعدي قال افترى ذلك من صنع من ولاه حقا فبكى عمر وقال أنظراني ثلاثا فخرج من عنده ثم عاد اليه فقال عاصم اشهد انك على حق فقال عمر للبشكري ما تقول أنت قال ما احسن ما وصفت ولكني لا افتات على المسلمين بامر اعرض عليهم ما قلت واعلم ما حجتهم فاما عاصم فأقام عند عمر فامر له عمر بالعطاء فتوفي بعد خمسة عشر يوما فكان عمر بن عبد العزيز يقول اهلكني امر يزيد وخصمت فيه فاستغفر الله فخاف بنو أمية ان يخرج ما بايديهم من الاموال وان يخلع يزيد من ولاية العهد فوضعوا على عمر من سقاه سما فلم يلبث بعد ذلك الا ثلاثا حتى مرض ومات ومحمد بن جرير مقابل الخوارج لا يتعرض اليهم ولا يتعرضون اليه كل منهم ينتظر عود الرسل من عند عمر ابن عبد العزيز فتوفي والامر على ذلك

﴿ذكر القبض على يزيد بن المهلب واستعمال الجراح على خراسان﴾

قيل وفي هذه السنة كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة يأمره بانفاذ يزيد بن المهلب اليه موثوقا وكان عمر قد كتب اليه ان يستخلف على عمله ويقبل اليه فاستخلف مخلد ابنه وقدم من خراسان ونزل واسط ثم ركب السفن يريد البصرة فبعث عدي بن ارطاة موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر فأوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز فدعا به عمر وكان

تعبد فيه الكواكب
اصنامهم خلف غائب
وهذه الطائفة المعروفة
بالحرانيين والصابئة
فلاسفة الا انهم من
حشوية الفلاسفة وعوامهم
مضافون لخواص حكمائهم
اضافة سبب لا اضافة
حكمة لانهم يونانية وليس
كل اليونانيين فلاسفة انما
الفلاسفة حكماؤهم (ورأيت)
على باب مجمع الصابئة بمدينة
حران مكتوبا بالسريانية
قولا لافلاطون فسره
مالك بن عفنون منهم وهو
من عرف ذاته تاله وقد قال
أفلاطون الانسان نبات
سماوي والدليل على هذا
أنه شبيه شجرة منكوسة
أصلها الى السماء وفروعها
في الارض ولافلاطون
كلام كثير في هل النفس
في البدن أو البدن في
النفس كالشمس أهي في
الدار أو الدار في الشمس
وهذا قول تغافل بنا
الكلام فيه كالكلام
في تنقل الارواح في أنواع
الصور (وقد تنازع)
أهل هذه الآراء ممن قصد
هذه المقالة في النقلة على
وجهين وطائفة من
الفلاسفة القدماء
اليونانيين والهند ممن لم
يثبت كلاما منزلا ولا نبيا
مرسلا منهم افلاطون

يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد يبغض عمر ويقول انه مرائي فلما ولي عمر عرف يزيد انه بعيد من الرياء وأراد عمر يزيد سأله عن الاموال التي كتب بها الى سليمان فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس به وقد علمت ان سليمان لم يكن ليأخذني به فقال له لا أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب وبعث الجراح ابن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان أميرا عليها وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالا عظيمة ثم قدم على عمر فقال له يا أمير المؤمنين ان الله منع هذه الامة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر لا الا ان تحمل الجميع فقال يا أمير المؤمنين ان كانت لك بينة فخذ بها والا فصدق مقالة يزيد واستحلفه فان لم يفعل فصالحه فقال عمر ما آخذه الا بجميع المال فخرج مخلد من عنده فقال عمر هذا خير من أبيه ثم لم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات فصلى عليه عمر ابن عبد العزيز وقال اليوم مات فتى العرب وأنشد

بكوا حذيفة لم يبكوا مثله * حتى تبيد خلائق لم تخلق

فلما أبى يزيد ان يؤدي الى عمر شيأ البسه جبة صوف وحمله على جمل وقال سيروا به الى دهلك فلما خرج ومروا به على الناس اخذ يقول أما لي عشيرة اما يذهب الى دهلك الفاسق واللص فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر فقال يا أمير المؤمنين ان رد يزيد الى محبسه فاني اخاف ان امضيته ان ينتزعه قومه فانهم قد عصوا له فرده الى محبسه فبقي فيه حتى بلغه مرض عمر

﴿ ذكر عزل الجراح واستعمال عبد الرحمن بن نعيم القشيري وعبد الرحمن بن عبد الله ﴾

قيل في هذه السنة عزل عمر الجراح بن عبد الله الحكمي عن خراسان واستعمل عليها عبد الرحمن ابن نعيم القشيري وكان عزل الجراح في رمضان وكان سبب ذلك ان يزيد لما عزل عن خراسان ارسل عامل العراق عاملا على جرجان فاخذه جهم بن زحر الجعفي وكان على جرجان عاملا ليزيد بن المهلب فحبسه وقيده وحبس رهطا قد موا معه ثم خرج الى الجراح بخراسان فاطلق أهل جرجان عاملهم وقال الجراح لجهم لولا انك ابن عمي لم اسوغك هذا فقال جهم لولا انك ابن عمي لما أمنتك وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي الحصين بن الحرث واما كونه ابن عمه فلان الحكم وجفنة ابنا سعد العشيرة فقال له الجراح خالفت امامك فاغز لعلك تظفر فيصلح أمرك عنده فوجهه الى الختل فغنم منهم ورجع وأوفد الجراح الى عمر وفدا رجلين من العرب ورجلا من الموالي يكنى أبا الصيد فتكلم العربيان والمولى ساكت فقال عمر ما أتى من الوفد قال بلى قال فما يمنعك من الكلام فقال يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق وصلهم قد أسلموا من الذمة يؤخذون بالخراج فأمر بنا عصبي خاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم خفيا وان اليوم عصبي والله لرجل من قومي احب الي من مائة من غيرهم وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمر بالظلم والعدوان قال عمر احر بمثلك ان يوفد فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قبلك فضع عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فقيل للجراح ان الناس قد سارعوا الى الاسلام نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك الى عمر فكتب عمر اليه ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه خاتنا وقال ائتوني برجل صدوق اسأله عن خراسان فقيل له عليك بابي مجلز فكتب الى الجراح ان اقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم

ومن يمم طريقهم فانه
حكي عنهم أنهم زعموا أن
النفس جوهر ليست
بجسم وانها حية عالمة مميزة
لاجل ذاتها وجوهرها
وانها هي المدبرة للاجسام
المركبة من طبائع الارض
المتضادة وغرضها في ذلك
أن تقيمها مقام العدل وما
تتم به السياسة المستقيمة
والنظام غير المفسد
وتردها عن الحركة المضطر
به الى المنتظمة (وزعموا)
أنها تلذ وتألم وتموت وموتها
عندهم انتقالها من جسد
الى جسد بتدبير وبطلان
ذلك الشخص الذي فسد
ووصف بالموت لان
شخصها يفسد ولان
جوهرها ينتقل (وزعموا)
أنها عالمة بذاتها وجوهرها
وفيها قبول علم المحسوسات
من جهة الحس ولا فلاطون
وغيره في هذه المعاني كلام
يطول ذكره ويعجز عن
وصفه واظهاره لاعتياصه
وغموضه وكذلك صاحب
المنطق وفيثاغورس
وغيرهما من الفلاسفة
ممن تقدم وتأخر لان
الطالب لعلم هذه الاشياء
والاحاطة بفهمها وبلوغ
غايتها لا يدرك ذلك لما
نصبوا من الكتب ورتبوا
من التصنيف للعلوم
المؤدية الى معرفة الالفاظ

القشيري فخطب الجراح وقال يا أهل خراسان جئتكم في ثيابي هذه التي على وعلى فرسي لم أصب من مالكم الا حماية سيفي ولم يكن عنده الا فرس وبغلة فسار عنهم فلما قدم على عمر قال متى خرجت قال في شهر رمضان قال صدق من وصفك بالجفاء ما أقمت حتى تفطر ثم تخرج وكان الجراح كتب الى عمر اني قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فاحب الامور اليهم ان يعودوا لما عهدوا حول الله عليهم فليس يكفهم الا السيف والسوط فكرهت الاقدام على ذلك الا باذنك فكتب اليه عمر يا ابن أم الجراح انت أحرص على الفتنة منهم لا تضرب مؤمنا معاهدا سوطا الا في الحق واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم المعنى وهو خائنة الاعين وما تخفي الصدور وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فلما قدم الجراح على عمر وقدم أبو مجلز قال له عمر أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله فقال يكافئ الا كفاء ويعادي الاعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم ان وجد من يساعده قال فعبد الرحمن بن نعيم قال يحب العافية والتأني قال هو أحب الى فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيري الخراج وكتب الى أهل خراسان اني استعملت عبد الرحمن وعبد الرحمن على حربكم وعلى خراجكم وكتب اليهما يأمرهما بالمعروف والاحسان فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ووجه مسلمة بن عبد العزيز الحرث بن الحكم فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف

﴿ذكر ابتداء الدعوة العباسية﴾

في هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الدعاة في الآفاق وكان سبب ذلك ان محمدا كان ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فسار أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الى الشام الى سليمان بن عبد الملك فاجتمع به محمد بن علي فاحسن صحبته واجتمع أبو هاشم بسليمان فاكرمه ووفى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه وخافه فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه في لبن فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد الحميمة من أرض الشراة وبها محمد فنزل عليه واعلمه ان هذا الامر صائر الى ولده وعرفه ما يعمل وكان أبو هاشم قد اعلم شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم اليه ان الامر صائر الى ولد محمد بن علي وأمرهم بقصده بعده فلما مات أبو هاشم قصدوا محمدا وبايعوه وعادوا فدعوا الناس اليه فاجابوهم وكان الذين سيرهم الى الآفاق جماعة فوجه ميسرة الى العراق ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة الى خراسان وعليها الجراح الحكمي وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته فلقوا من لقوا ثم انصرفوا وكتب من استجاب لهم الى محمد بن علي فدفعوها الى ميسرة فبعث بها ميسرة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فاختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلا نقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم أبو داود من بني شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسمعيل أبو النجم مولى آل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زريق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة وشبل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة وعيسى بن اعين مولى خزاعة واختار سبعين رجلا وكتب اليهم محمد بن علي كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها (الحميمة بضم الحاء المهملة والشراة بالشين المعجمة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة أمر عمر بن عبد العزيز أهل طرندة بالقفول عنها الى ملطية وطرندة واغلة في البلاد

الرومية

الجنس وهي الفصل والنوع والخاصة والعرض ثم معرفة المقولات وهي عشرة الجوهر والكمية والكيفية والاضافة وهي النسبة وهذه أربع بسائط والست الاخر مركبات وهي الزمان والمكان والجدة وهي الملك والوضع والفاعل والمنفعل ثم ما بعد ذلك مما يترقى فيه الطالب الى أن ينتهي الى علم ما بعد الطبيعة من معرفة الاول والثاني (ثم رجع) بنا الاخبار عن مذاهب الصابئة من الحرانيين وذكر من أخبر عن مذاهبهم وكشف عن أحوالهم (في ذلك) كتاب رأيته لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره ذكر فيه مذاهب الصابئة الحرانيين منهم دون من خالفهم من الصابئة وهم الكنيارايون وذكر أشياء يطول ذكرها ويقبح عند كثير من الناس وصفها أعرضنا عن حكايتها اذ كان في ذلك خروج عن حد الغرض في كتابنا الى وصف الآراء والديانات

الرومية من ملطية بثلاث مراحل وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد ان غزاها سنة ثلاث وثمانين وملطية يومئذ خراب وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم الى ان ينزل الثلج ويعودون الى بلادهم فلم يزالوا كذلك الى ان ولى عمر فأمرهم بالعود الى ملطية واخلى طرندة خوفا على المسلمين من العدو وأخرب طرندة واستعمل على ملطية جعونة بن الحرث احد بنى عامر بن صعصعة وفيها كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام على ان يملكهم بلادهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وقد كانت سيرته بلغتهم فاسلم جيشية بن زاهر والملوك تسموا له باسماء العرب وكان عمر قد استعمل على ذلك الثغر عمرو بن مسلم أخا قتيبة بن مسلم ففزا بعض الهند فظفر وبقى ملوك السند مسلمين على بلادهم أيام عمر ويزيد بن عبد الملك فلما كان أيام هشام ارتدوا عن الاسلام وكان سببه ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها غزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطى وعمرو بن قيس الكندى الصائفة وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الفزارى على الجزيرة عاملا عليها وحج بالناس هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو وكان العمال من تقدم ذكرهم الا عامل خراسان وكان على حربها عبد الرحمن بن نعيم وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبد الله فى آخرها وفيها استعمل عمر بن عبد العزيز اسمعيل بن عبد الله مولى بنى مخزوم على افريقية واستعمل السمح بن مالك الخولانى على الاندلس وكان قد رأى منه امانة وديانة عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله وفى هذه السنة مات أبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة وهو آخر من مات من الصحابة وفيها مات شهر بن حوشب وقيل سنة اثنتى عشرة ومائة وفيها توفى القاسم ابن مخيمرة الهمدانى وفيها توفى مسلم بن يسار الفقيه وقيل سنة احدى ومائة وفيها توفى أبو امامة أسعد ابن سهل بن حنيف وكان ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فسماه وكناه بجده لامه أبى امامة أسعد بن زرارة وكان قد مات قبل بدر وفيها توفى بسر بن سعد مولى الحضرميين (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة) وعيسى بن طلحة بن عبد الله التيمى ومحمد بن جبير بن مطعم وربعى بن حراش الكوفى (حراش بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة) وقيل سنة أربع ومائة وحنش بن عبد الله الصنعانى كان من أصحاب على فلما قتل انتقل الى مصر وهو أول من اختط جامع سرقسطة بالاندلس (حنش بالحاء المهملة والنون المفتوحتين والشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة احدى ومائة﴾

﴿(ذكر هرب ابن المهلب)﴾

قد ذكرنا حبس يزيد بن المهلب وانه لم يزل محبوسا حتى اشتد مرض عمر بن عبد العزيز فعمل فى الهرب فخاف يزيد بن عبد الملك لانه قد عذب اصهاره آل أبى عقيل وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى ابنة أخى الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك وكان سبب تعذيبهم ان سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة طلب آل أبى عقيل فأخذهم وسلمهم الى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم وبعث ابن المهلب الى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم اليه وكان فيمن أتى به أم الحجاج زوجة يزيد بن عبد الملك وقيل بل أخت لها فعذبها فأتى يزيد بن عبد الملك الى ابن المهلب فى منزله فشفع فيها فلم يشفعه فقال الذى قررتم عليها أنا أحمله فلم يقبل منه فقال لابن المهلب أما والله لئن وليت من الامر شيأ لاقطعن منك عضوا فقال ابن المهلب وانا والله لئن كان ذلك لارمينك بمائة ألف سيف فحمل يزيد بن عبد الملك ما كان عليها وكان مائة ألف دينار وقيل أكثر من ذلك فلما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز خاف ابن المهلب

وقد خاطب مالك بن عفنون وغيره منهم بشئ مما ذكرنا وغيره مما عنه كتبنا فمنهم من اعترف ببعضه وأنكر بعضا من ذكر القرابين وغيره مثل فعلهم بالثور الاسود فانه يضرب وجهه بالملح اذا استدت عيناه ثم يذبح ويدعى كل عضو من أعضائه ومايظهر منه من الحركات والاختلاج على مايدل ذلك من أحوال السنة وغير ذلك من أسرارهم ومحالاتهم وأحوال قرابينهم (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة ممن له تأمل بشأن أمور هذا العالم والبحث عن الاخبار بأن بأقاصى بلاد الصين هيكلا مدور له سبعة أبواب فى داخله قبة مسبعة عظيمة لشأن اعالية السمك فى أعالى القبة شبه الجوهر يزيد على رأس الجمل تضئ منه جميع أقطار ذلك الهيكل وأن جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة فلم يدن أحد منها على مقدار عشرة أذرع شيأ وان حاول أحد منهم أخذ هذه الجوهرة بشئ من الآلات الطوال كالرماح وغيرها وانتهت الى هذا المقدار من الذرع انعكست وعطبت وان رميت بشئ

من يزيد بن عبد الملك فأرسل الى مواليه فأعدوا له ابلا وخيلا وواعدهم مكانا يأتيهم فيه فأرسل الى عامل حلب مالا والى الحرس الذين يحفظونه وقال ان أمير المومنين قد نقل وليس برجاء وان ولى يزيد يسفك دمى فاخرجوه فهرب الى المكان الذى واعد أصحابه فيه فركب الدواب وقصد البصرة وكتب الى عمر بن عبد العزيز كتابا يقول انى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت أن يلى يزيد فيقتلنى شر قتلة فورد الكتاب وبه رمق فقال اللهم ان كان يريد بالمسلمين سوأ فالحقه به وهضه فقد هاضنى ومر يزيد فى طريقه بالهذيل بن زفر بن الحرث وكان يخافه فلم يشعر الهذيل الا وقد دخل يزيد منزله ودعا بابن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيأ وقيل فى سبب خوف ابن المهلب من يزيد بن عبد الملك ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾

قيل توفى عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة احدى ومائة وكانت شكواه عشرين يوما ولما مرض قيل له لو تداويت قال لو كان دوائى فى مسح أذنى ما مسحتها نعم المذهوب اليه ربى وكان موته بدير سمعان وقيل بخناصرة ودفن بدير سمعان وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وأشهرا وقيل كان عمره أربعين سنة واشهرا وكانت كنيته أبا حفص وكان يقال له أشج بنى أمية وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام فدخل على أمه فضمته اليها وعذلت أباه ولامته حيث لم يحمل معه حاضنا فقال لها عبد العزيز اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بنى أمية قال ميمون بن مهران قال عمر بن عبد العزيز لما وضعت الوليد فى حفرته نظرت فاذا وجهه قد اسود فاذا مت ودفنت فاكشف عن وجهى ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه وقيل كان ابن عمر يقول ياليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الارض عدلا وكانت أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ورثاه الشعراء فاكثروا فقال كثير عزة

أقول لمن أتانى ثم مهلكه * لا تبعدن قوام الحق والدين
قد غادروا فى ضريح اللحد منجدلا * بدير سمعان قسطاس الموازين

ورثاه جرير والفرزدق وغيرهما

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

قيل لما ولى الخلافة كتب الى يزيد بن المهلب اما بعد فان سليمان كان عبدا من عباد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد بن عبد الملك من بعدى ان كان وان الذى ولانى الله من ذلك وقد ولى ليس على بهين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج أو اعتقال أموال لكان فى الذى اعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلافة وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة الا ما عفا الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك فلما قرأ الكتاب قيل له لست من عماله لان كلامه ليس ككلام من مضى من أهله فدعا يزيد الناس الى البيعة فبايعوا قال مقاتل بن حيان كتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم اما بعد فاعمل عمل من يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال طفيل بن مرداس كتب عمر الى سليمان بن ابى السرى ان اعمل خانات لمن مر بك من المسلمين فأقروه يوما وليلة وتعهدوا دوابهم ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين وان كان منقطعا به فابلغه بلده فلما أتاه كتاب عمر قال له أهل سمرقند قتيبة ظلمنا وغدر بنا فاخذ

كان كذلك فليس شئ من الحيل يؤدى الى تناولها ولا يتسبب وان تعرض لشئ من هدم هذا الهيكل مات من يروم ذلك من أهل الخبرة القوة دافعة منفردة قد عملت فى أنواع الاحجار المغناطيسية وفى هذا الهيكل بئر مسبعة الرأس متى أكب الانسان على رأس البئر اكبابا ما تمكنا تهور فى البئر فصار فى أسفلها على أم رأسه وعلى رأس هذه البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم أراه بقلم السند هند هذه بئر تؤدى الى مخزان الكتب وتاريخ الدنيا وعلوم السماء وما كان فيما مضى من الدهر وما يكون فيما يأتى منه وتؤدى هذه البئر أيضا الى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل الى الوصول اليها والاقتباس منها الا من وازنت قدرته قدرتنا واتصل علمه بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا فمن قدر على الوصول الى هذا المخزن فليعلم أنه قد وازنا ومن عجز عن الوصول الى ما وصفنا فليعلم أنا اشد منه بأسا وأقوى حكمة وأكثر علما وأبعث درايه وأتم عناية والارض التى عليها هذا الهيكل والقبة وفيها البئر أرض

بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فاذن لنا فليقدم منا وفد على أمير المؤمنين فاذن لهم فوجهوا وفدا الى عمر فكتب لهم الى سليمان ان أهل سمرقند شكوا ظلما وتحاملا من قتيبة عليهم حتى اخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابي فاجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فان قضى لهم فاخرج لعرب الى معسكرهم كما كانوا قبل ان يظهر عليهم قتيبة قال فاجلس لهم سليمان جميع من حاضر القاضي فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وبنا بذهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة فقال أهل الصغد بلى نرضى بما كان ولا نحدث حربا وتراضوا بذلك قال داود بن سليمان الجعفي كتب عمر الى عبد الحميد اما بعد فان أهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في احكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال السوء وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكون شيء اهم اليك من نفسك فلا تحملها قليلا من الاثم ولا تحمل خرابا على عامر وخذ منه ما أطاق واصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لاهل الارض ولا تأخذ من أجور الضرابين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجور البيوت ولا درهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض فاتبع في ذلك أمري فاني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ولا تحجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه وانظر من أراد من الذرية ان يحج فحمل له مائة ايحج بها والسلام قال عثمان بن عبد الحميد حدثني أبي قال قالت فاطمة بنت عبد الملك رحمها الله امرأة عمر لما مرض عمر اشتد قلقه ليلة فسهرنا معه فلما اصبحنا امرت وصيفا له يقال له مرثد ليكون عنده فان كانت له حاجة كنت قريبا منه ثم نمنا فلما انتفخ النهار استيقظت فوجهت اليه فرأيت مرثدا خارجا من البيت ناعا فقلت له ما أخرجك قال هو آخرجني وقال لي اني أرى شيأ ما هو بانس ولا جن فخرجت فسمعته يتلو تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين قالت فدخلت فوجدته بعد ما دخلت قد وجه نفسه للقبلة وهو ميت قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر اعوده فاذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة اغسلوا ثياب أمير المسلمين فقالت نفعل ثم عدت فاذا القميص على حاله فقلت ألم آمركم ان تغسلوا قميصه فقالت والله ماله غيره قميل وكانت نفقته كل يوم درهمين قميل وكان عبد العزيز قد بعث ابنه الى المدينة للتأدب بها فكتب الى صالح بن كيسان ان يتعاهده فأبطأ عمر يوما عن الصلاة فقال ما حبسك فقال كانت مرجلتي تصلح شعري فكتب الى ابيه بذلك فارسل اليه رسولا فلم يزل حتى حلق شعره وقال محمد بن علي الباقر ان لكل قوم نجيبة وان نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز وانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وقال مجاهد أتينا عمر نعلمه فلم نبرح حتى تعلمنا منه وقال ميمون كانت العلماء عند عمر تلامذة وقيل لعمر ما كان بدء انابتك قال أردت ضرب غلام لي فقال اذكر ليلة صيحتها يوم القيامة وقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يضر أهله وقال رياح بن عبيدة خرج عمر بن عبد العزيز شيخ متوكئ على يده فلما فرغ ودخل قلت أصلح الله لامير من الشيخ الذي كان متوكئا على يدك قال أرأيته قلت نعم قال ذاك أخي الخضر اعلمني اني سأتلي امر هذه الامة واني سأعدل فيها قال واتاه اصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها فامر بها فبيعت وجعل اثمانها في بيت المال وقال تكفيني بغلتي هذه قال ولما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتما فساله فقال ليس أحد من امة محمد في شرق الارض ولا غربها الا وانا اريد ان أؤدي اليه حقه من غير طلب منه قال ولما ولي الخلافة قال لامرأته وجواريه انه قد شغلني عما في عنقه عن النساء وخيرهن بين ان يقمن عنده او يفارقنه فبكين واخترن المقام معه قال

حجرية صلبة عالية من الارض كالجبل الشامخ لا ترام قلعته ولا يتأتى نقب ما هو تحته فاذا أدرك البصر ذلك الهيكل والقبة والبئر وقع للرائي عند رؤيته ذلك جزع وحزن واجتذاب للقلب اليه وحريق على بنيته وتأسف على افساد شيء منه أو هدمه والله أعلم بذلك

ذكر الاخبار عن بيوت النيران وغيرها

فأما بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس الاولى والثانية فأول ما يحكى ذلك عنه افريدون الملك وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها فاخبروه أنها واسطة بين الله وبين خلقه وأنها من جنس الالهة النورية وأشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها وذلك أنهم جعلوا للنور مراتب وفرقوا بين طبع النار والنور وأن الحيوان يجتذب فيحرق نفسه كالفراش الطائر فالطف يطرح نفسه في السراج فيحرقها وغير ذلك مما يقع في صيد الليالي من الغزلان والطير والوحوش وظهور

ولما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وكانت أول خطبة خطبها ثم قال أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فلا يقربنا يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما نهتدي اليه ولا يغتابن احدا ولا يتعرض فيما لا يعنيه فانتشع الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد وقالوا ما يسعنا نفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله قال فلما ولى الخلافة أحضر قريشا ووجوه الناس فقال لهم ان فدك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها حيث اراه الله ثم وليها ابو بكر كذلك وعمر كذلك ثم أقطعها مروان ثم انها صارت الي ولم تكن من مالي اعود منها علي وانى اشهدكم انى قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانقطعت ظهور الناس ويئسوا من الظلم قال وقال عمر بن عبد العزيز لولاه مزاحم ان اهلي اقطعوني ما لم يكن لي ان آخذه ولا لهم ان يعطونيه وانى قد هممت برده على اربابه قال فكيف نصنع بولدك فجرت دموعه وقال اتكالهم الى الله قال وجد لولده ما يجد الناس فخرج مزاحم حتى دخل على عبد الملك ابن عمر فقال له ان أمير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا وهذا أمر يضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك بئس وزير الخليفة انت ثم قام فدخل على أبيه وقال له ان مزاحما اخبرني بكذا وكذا فما رأيك قال انى اريد ان اقوم به العشية قال عجله فما يؤمنك ان يحدث لك حدث او يحدث بقلبك حدث فرفع عمر يديه وقال الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على ديني ثم قام به من ساعته في الناس ورد ها قال ولما ولى عمر الخلافة اخذ من اهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم ففزع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأتته فقالت له تكلم انت يا أمير المؤمنين فقال ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء ثم ولى ابو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عملهما ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى افضى الامر الي وقد يبس النهر الاعظم فلم ير وأصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد اردت كلامك فاما اذا كانت مقاليد هذه فلا اذكر شيئا ابدا فرجعت اليهم فاخبرتهم كلامه وقد قيل انها قالت له ان بني أمية يقولون كذا وكذا فلما قال لها هذا الكلام قالت له انهم يحذرونك يوما من أيامهم فغضب وقال كل يوم اخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره فرجعت اليهم فاخبرتهم وقالت أنتم فعلتم هذا بأنفسكم تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جدته فسكتوا قال وقال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وما كان سواهم فهم ملتزون قال وقال الشافعي مثله قال وكان يكتب الى عماله بخلال فهي تدور بينهم باحياء سنة او اطفاء بدعة او قسم في مسكنة او رد مظلمة قال وكانت فاطمة بنت الحسين بن علي تثني عليه وتقول لو كان بقي لنا عمر بن عبد العزيز ما احتجنا بعده الى احد قالت فاطمة امرأته دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجري على لحيته فقلت احدث شيء فقال انى تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والغازي والمظلوم المقهور والغريب الاسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل واشباههم في اقطار الارض فعلمت ان ربي سيسألني عنهم يوم القيامة وان خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم الى الله فخشيت ان لا تثبت حجتي عند الخصومة فرحمت نفسي فبكيت قيل ولما مرض ابنه عبد الملك مرض موته وكان من اشداء عوانه على العدل دخل عليه عمر فقال له يا بني كيف تجدك قال اجدني في الحق قال يا بني ان تكون في ميزاني احب الي من ان أكون في ميزانك فقال ابنه يا أباه لان يكون ما تحب

احب

الحيتان من الماء اذا قربت من السراج في الزوارق كما يصطاد ببلاد البصرة السمك في الليل يظهر من الماء طافيا حتى يقع في جوف المركب والسرج قد جعلت حواليه وأن بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادته على النار بلطافته ومضادته لها وأنه أصل لكل شيء ومبدأ لكل شيء ومبدأ لكل تمام فلما اخبر افريدون بما ذكرنا أمر بحمل جزء منها الى خراسان فاتخذ لها بيتا بطوس وبنى آخر من بيوت النار بسجستان كراكر كان اتخذه بهمن بن استيذاباذ ابن يستاسف وبيت آخر ببلاد السيروان والري وكان فيه أصنام فاخرجها أنوشروان وقيل ان انوشروان صادف هذا البيت وفيه نار معظمة فنقلها الى الموضع المعروف بالبركة وبيت آخر للنار يقال له كوسجه بناه كيجاوه الملك وقد كان بقومس بيت للنار معظم لا يدري من بناه يقال له جريس ويقال ان الاسكندر لما غلب عليها تركها ولم يطفئها ويقال

احب الى من ان يكون ما أحصفات فى مرضه وله سبع عشرة سنة قيل وقال عبد الملك لابيه عمر يا امير المؤمنين ما تقول لربك اذا أتيته وقد تركت حقا لم تحيه وباطلا لم تمته فقال يا بنى ان اجدادك قد دعوا الناس عن الحق فانتهت الامور الى وقد أقبل شرها وادبر خيرها ولكن أليس حسنا وجميلا أن لا تطلع الشمس على فى يوم الا احييت فيه حقا وأمت فيه باطلا حتى يأتينى الموت فانا على ذلك وقال له أيضا يا أمير المؤمنين انقد لامر الله وان جاشت بى وبك القدور فقال يا بنى ان ارادهت الناس بما تقول احوجونى الى السيف ولا خير فى خير لا يحيا الا بالسيف فكر ذلك قيل كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله نسخة واحدة أما بعد فان الله عز وجل أكرم بالاسلام اهله وشرفهم واعزهم وضرب الذلة والصغار على من خالفهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فلا تواين امور المسلمين احد من اهل ذمتهم وخراجهم فتنبسط عليهم ايديهم والسنتهم فتذلهم بعد أن اعزهم الله وتهينهم بعد ان اكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطالة عليهم ومع هذا فلا يؤمن غشهم اياهم فان الله عز وجل يقول لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم ولا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض والسلام فهذا القدر كاف فى التنبيه على فضله وعدله وفى هذه السنة مات محمد بن مروان فى قول وأبو صالح ذكوان

﴿ ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك ﴾

وفيها تولى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة وكنيته أبو خالد بعهد من أخيه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز ولما احتضر عمر قيل له اكتب الى يزيد فاوصه بالامة قال بماذا أوصيه انه من بنى عبد الملك ثم كتب اليه أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة انك تترك ما تتركه لمن لا يحمدك وتصير الى من لا يعذرك والسلام فلما ولى يزيد نزع أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن المدينة واستعمل عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى عليها واستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وأراد معارضة ابن حزم فلم يجد عليه سبيلا حتى شكا عثمان بن حيان الى يزيد بن عبد الملك من ابن حزم وانه ضربه حدين وطلب منه أن يقيده منه فكتب يزيد الى عبد الرحمن بن الضحاك كتابا أما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فان كان ضربه فى امرين او أمر يختلف فيه فلا تلتفت اليه فارسل ابن الضحاك فاحضر ابن حزم وضربه حدين فى مقام واحد ولم يسأله عن شئ وعمد يزيد الى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا فمن ذلك أن محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف كان على اليمن فجعل عليهم خراجا مجددا فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله يأمره لا تقتصر على العشر ونصف العشر وترك ما جدده محمد بن يوسف وقال لان يأتينى من اليمن حصة ذرة احب الى من تقرير هذه الوضيعة فلما ولى يزيد بعد عمر أمر بردها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حرضا والسلام

﴿ ذكر مقتل شوذب الخارجى ﴾

قد ذكرنا خروجه ومراسلته عمر بن عبد العزيز لما ناظرته فلما مات عمر احب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو الامير على الكوفة ان يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شوذب واسمه بسطام ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأوا محمدا يستعد للحرب ارسل اليه شوذب ما أعجلكم قبل انقضاء المدة أليس قد تواعدنا الى أن يرجع الرسولان فارسل محمد انه لا يسعنا تركهم على هذه الحال فقالت الخوارج ما فعل

انه كان فى ذلك الموضع فيما مضى مدينة عظيمة عجيبة البناء فيها بيت كبير عجيب الهيئة فيه أصنام فاخربت تلك المدينة بما فيها من البيوت ثم بنى بعد ذلك بيت وجعلت فيه تلك النار وبيت آخر بناه فارس بن كاوش الجبار وذلك زمان ابتدئ بعشرق الصين مما يلى البركة وبيت نار بمدينة ارجان من أرض فارس اتخذه فى آخرة جهراسف وهذه البيوت العشرة كانت قبل ظهور زرادشت بن استبجان نبى المجوس ثم اتخذ زرادشت ابن استبجان بعد ذلك بيوت لنيران وكان مما اتخذ بيت بمدينة نيسابور من بلاد خراسان وبيت آخر بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس وقد كان زرادشت يستاسف الملك بطالب نارا معظمها جمر فوجدت بمدينة خوارزم فقلها بعد ذلك يستاسف الى مدينة دارابجرد من أرض فارس وكورها بهذا البيت وهذه النار تسمى فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة آذر وحواء وتفسير ذلك نار النهر وذلك ان آذر احد أسماء النار بالفارسية الاولى والمجوس تعظم هذه

هؤلاء هذا الا وقدمات الرجل الصالح فاقتتلوا فأصيب من الخوارج نفر وقتل الكثير من اهل الكوفة وانهزموا وجرح محمد بن جرير فى استه فدخل الكوفة وتبعهم الخوارج حتى بلغوا الكوفة ثم رجعوا الى مكانهم وأقام شوذب ينتظر صاحبيه فقدما عليه واخبراه بموت عمر ووجه يزيد من مسمع بن الحباب فى الفين قد أرسلهم وأخبرهم ان يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد معه وحاربوه فقتلوه وقتلوا أصحابه ونجا بعضهم الى الكوفة وبعضهم الى يزيد فارسل اليهم يزيد نجدة بن الحكم الازدى فى جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه اليهم يزيد الضحاج ابن وداع فى الفين فقتلوه وهزموا أصحابه وقتل منهم نفر منهم هدبة ابن عم شوذب فقال أيوب بن خولى يرثيهم

تركنا تميما فى الغبار ملحبا * تبكى عليه عرسه وقرائبه
وقد اسلمت قيس تميما ومالكا * كما اسلم الضحاج أمس أقاربه
واقبل من حران يحمل راية * يغالب أمر الله والله غالبه
فيا هدب للهيجا ويا هدب للندى * ويا هدب للخصم الالد يحاربه
ويا هدب كم من ملجم قد اجبته * وقد أسلمته للرماح جوالبه
وكان أبو تيبان خير مقاتل * يرجى ويخشى حربه من يحاربه
ففاز ولاقى الله فى الخير كله * وجذبه بالسيف فى الله ضاربه
تزود من دنياه درعا ومغفرا * وعضبا حساما لم تخنه مضاربه
واجرد محبوك السراة كانه * اذا انتفض وافى الريش حين يخالبه

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسلمة بن عبد الملك الكوفة فشكا اليه أهل الكوفة مكان شوذب وخوفوه منه فارسل اليه مسلمة سعيد بن عمرو الحرشى وكان فارسا فى عشرة آلاف فاتاه وهو بمكانه فرأى شوذب وأصحابه مالا قبل لهم به فقال لاصحابه من كان يريد الشهادة فقد جاءته ومن كان يريد الدنيا فقد ذهبت فكسروا اغماد سيوفهم وحملوا فكشفوا سعيدا وأصحابه مرارا حتى خاف سعيد الفضيحة فوبخ اصحابه وقال من هذه الشرذمة لا أب لكم تفرون يا أهل الشام يوما كاملا فحملوا عليهم فطحنوهم طحنا وقتلوا بسطاما وهو شوذب وأصحابه

﴿ذكر موت محمد بن مروان﴾

وفى هذه السنة توفى محمد بن مروان بن الحكم اخو عبد الملك وكان قد ولى الجزيرة وارمينية واذربيجان وغزا الروم وأهل ارمينية عدة دفعات وكان شجاعا قويا وكان عبد الملك يحسده لذلك فلما انتظمت لامور لعبد الملك اظهر ما فى نفسه له فتجهز محمد ليسير الى ارمينية فلما ودع عبد الملك سأله عن سبب مسيره فقال

وانك لا ترى طرد الحمر * كالصاق به بعض الهوان
فلو كنا بمنزلة جميعا * جريت وأنت مضطرب العنان

فقال له عبد الملك أقسمت عليك لتقيمن فوالله لا رأيت منى ما تكره وصلح له ولما أراد الوليد عزله طلب من يسد مكانه فلم يقدم احد عليه الا مسلمة بن عبد الملك

﴿ذكر دخول يزيد بن المهلب البصرة وخلعه يزيد بن عبد الملك﴾

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز على ما تقدم فلما مات عمر وبويع يزيد بن عبد الملك كتب الى مسلمة بن عبد الحميد بن عبد الرحمن والى عدى بن ارطاة يأمرهما بالتحرز

من

النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت (وذكرت) الفرس ان كيخسرو لما خرج غازيا الى الترك سار الى خوارزم فمر على تلك الديار فلما وجدها عظيمة وسجد لها ويقال ان أفريدون هو الذى نقلها الى الكارياه فلما ظهر الاسلام تخوفت المجوس ان تطفئها المسلمون فتركوا بعضها بالكارياه ونقلوا بعضها الى نسا والبيضاء من كورة فارس لتبقى احداهما ان طفئت الاخرى (وللفرس) بيت نار باصطخر فارس تعظمه المجوس كان فى قديم الزمان فاخرجته جانى بنت بهمن ابن استيذابان وجعلته بيت نار ثم نقلت عنه النار فتخرب والناس فى وقتنا هذا يذكرون أنه مسجد سليمان بن داود وبه يعرف وقد دخلته وهو على فرسخ من مدينة اصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما وأساطين صخر عجيبة على اعلاها صور من الصخر ظريفة ومن الحلى وغيره كالحيوان عظيمة القدر والاشكال محيط بذلك جبل عظيم وسور منيع من الحجر وفيه صور لاشخاص قد تشكلت وأبقيت صورها فزعم من جاور هذا

من يزيد ويعرفهما هربه وأمر عديا أن يأخذ من بالبصرة من آل المهلب فاخذهم وحبسهم فيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وأقبل يزيد حتى ارتفع الى القطقطانة وبعث عبد الحميد جندا اليهم عليهم هشام بن مساحق العامري عامر بني لؤي فساروا حتى نزلوا العذيب ومر يزيد قريبا منهم فلم يقدموا عليه ومضى يزيد نحو البصرة وقد جمع عدي بن ارطاة اهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي وجاء يزيد في اصحابه الذين معه فالتقاه أخوه محمد بن المهلب فيمن اجتمع اليه من أهله وقومه ومواليه فبعث عدي على كل خمس من اخماس البصرة رجلا فبعث الى الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي وبعث على تميم محرز بن حمران السعدي وعلى خمس بكر مفرج بن شيبان بن مالك بن مسمع وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود وعلى أهل العالية عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر وأهل العالية قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية والكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة فاقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم الا تنحوا له عن طريقه وأقبل يزيد حتى نزل داره فاختلف الناس اليه فارسل الى عدي أن ابعث الى اخوتي واني أصالحك على البصرة واخليك واياها حتى آخذ لنفسي من يزيد ما أحب فلم يقبل منه فسار حميد ابن عبد الملك بن المهلب الى يزيد بن عبد الملك فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالدا القسري وعمر بن يزيد الحكمي بامان يزيد بن المهلب وأهله وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه قطع الذهب والفضة فمال الناس اليه وكان عدي لا يعطي الا درهمين درهمين ويقول لا يحل لي ان أعطيكم من بيت المال درهما الا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذه حتى يأتي الامر في ذلك وفي ذلك يقول الفرزدق

اظن رجال الدرهمين تقودهم * الى الموت آجال لهم ومصارع
وأكيسهم من فر في قعر بيته * وأيقن ان الموت لابد واقع

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي فنزلوا المربد وبعث اليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم وخرج يزيد حين اجتمع الناس له حتى نزل جبانة بني يشكر وهي النصف فيما بينه وبين القصر فلقيه قيس وتميم وأهل الشام وافتتلوا هنيهة وحمل عليهم أصحاب يزيد فانهزموا وتبعهم ابن المهلب حتى دنا من القصر فخرج اليهم عدي بنفسه فقتل من أصحابه موسى بن الوجيه الحميري والحرث بن المصرف الاودي وكان من فرسان الحجاج واشراف أهل الشام وانهزم أصحاب عدي وسمع اخوة يزيد وهم في مجلس عدي الاصوات تدنو والنشاب تقع في القصر فقال لهم عبد الملك اني أرى أن يزيد قد ظهر ولا آمن من مع عدي من مضر والشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل الينا يزيد فأغلقوا الباب وألقوا عليه الرجل فعملوا فلم يلبثوا ان جاءهم عبد الله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عدي فجاء يشتد الى الباب هو وأصحابه وأخذوا يعالجون الباب فلم يطيقوا اقامه وأعجلهم الناس فخلوا عنهم وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار السليمان بن زياد ابن أبيه الى جنب القصر وأتى بالسلالم وفتح القصر وأتى بعدي بن ارطاة فحبسه وقال له لولا حبسك اخوتي لما حبستك فلما ظهر يزيد هرب رؤس أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر فلحقوا بالكوفة ولحق بعضهم بالشام وخرج المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي نحو الشام فلقي خالدا القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا بامان يزيد بن المهلب وكل شئ أراده فسالاه عن الخبر فخلا بهما سرا من حميد

الموضع انها صور الانبياء وهو في سفح الجبل والريح غير خارجة من ذلك الهيكل في ليل ولا نهار لها هبوب ودوي يذكر من هنالك ان سليمان بن داود عليهما السلام حبس الريح في ذلك الموضع وانه كان يتغدى ببعلبك من ارض الشام ويتعشى في هذا المسجد وينزل بمدينة تدمر وقلعتها المتخذة فيها ومدينة تدمر في البرية بين العراق ودمشق وحمص من أرض الشام يكون منها من الشام نحو خمسة أميال او ستة وهي بنيان عجيب من الحجر وكذلك الملعب الذي فيها وفيها خلق من الناس من العرب من قحطان (وفي مدينة) سابور من أرض فارس بيت للنار معظم عندهم اتخذه دارابن دارا (وفي مدينة جور) من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري واليه يضاف بيت النار بناه اردشير بن بابك قد رأيته وهو على ساعة منها على عين هنالك عجيبة وله عيد وهو أحد متنزهات فارس وفي وسط مدينة جور بنيان كانت تعظمه الفرس يقال له البرمال أخربه المسلمون وبين جور

واخبرهما وقال اين تريدان فاخبراه بامان يزيد فقال ان يزيد قد ظهر على البصرة وقتل القتلى وحبس عديا فارجعا فرجعا وأخذ حميدا معهما فقال لهما حميد انشد كما الله أن تخالفا ما بعثتما به فان ابن المهلب قابل منكما وان هذا وأهل بيته لم يزالوا اعداءه فلا تسمعا مقالته فلم يقبلا قوله ورجعا به وأخذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة خالد بن يزيد بن المهلب وحمال بن زحر ولم يكونا في شئ من الامر فأوثقهما وسيرهما الى الشام فحبسهما يزيد بن عبد الملك فلم يفارقا السجن حتى هلكا فيه وأرسل يزيد بن عبد الملك الى الكوفة شيأ يفرق على أهلها ويمنهم الزيادة وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة وقيل كانوا ثمانين ألفا فساروا الى العراق وكان مسلمة يعيب العباس ويذمه فوقع بينهما اختلاف فكتب اليه العباس

الا نفسي فداك أبا سعيد * وتقصر عن ملاحاتي وعذلي
فلولا ان أصلك حين ينمي * وفرعك منتهى فرعي وأصلي
واني ان رميتك هضت عظمي * ونالتني اذا نالتك نبلي
لقد أنكرتني انكار خوف * يقصر مسك عن شتمي وأكلي
كقول المرء عمرو في القوافي * أريد حياته ويريد قتلي

قيل ان هذه الابيات للعباس وقيل انما تمثل بها فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فارسل اليهما وأصلح بينهما وقدما الكوفة ونزلا بالنخيلة فقال مسلمة ليت هذا المزوني يعني ابن المهلب لا كلفنا اتباعه في هذا البرد فقال حيان النبطي مولى لشيبان انا اضمن لك انه لا يبرح الارضنة يزيد واضمن انه لا يبرح العرضنة فقال له العباس لا أم لك أنت بالنبطية ابصر منك بهذا فقال حيان انبط الله وجهك أسقر أهمر ليس اليه طابق الخلافة يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة قال مسلمة يا أبا سفيان لا يهولنك كلام العباس فقال انه أهمق يريد أحمق ولما سمع أصحاب ابن المهلب وصول مسلمة وأهل الشام راعهم ذلك فبلغ ابن المهلب فخطب الناس وقال قد رأيت أهل العسكر وخوفهم يقولون جاء أهل الشام ومسلمة وما أهل الشام هل هم الا تسعة اسياف سبعة منها الى وسيفان على ومامسلمة الا جرادة صفراء اتاكم في برابره وجراميقه وجراجمه وانباط وانباه فلاحين وأوباش واخلاط أوليسوا بشرا يأكلون كما تأكلون وترجون من الله ما لا يرجون أعيروني سواعدكم تصفقون بها وجوههم وقدولوا الادبار واستوثقوا أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الاهواز وفارس وكرمان وبعث الى خراسان مدرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم فقال لاهلها هذا مدرك قد أتاكم لباقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة فسار بنو تميم ليمنعوه وبلغ الازد بخراسان ذلك فخرج منهم نحو ألفي فارس فلقوا مدركا على رأس المفازة فقالوا له انك أحب الناس الينا وقد خرج أخوك فان يظهر فانا ذلك لنا ونحن أسرع الناس اليكم وأحقهم بذلك وان تكن الاخرى فذلك في أن نغشينا البلاء راحة فانصرف عنهم فلما استجمع أهل البصرة ليزيد خطبهم وأخبرهم انه يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه ويحثهم على الجهاد ويزعم ان جهاد أهل الشام أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم وكان الحسن البصري يسمع فرفع صوته يقول والله لقد رأيناك واليا ومولى عليك فما ينبغي لك ذلك وثب أصحابه فاخذوا بفمه واجلسوه ثم خرجوا من المسجد وعلى باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول يا عباد الله ما تنقمون من ان تجيبوا الى كتاب الله وسنة نبيه فوالله ما رأينا ذلك مذ ولوا

ومدينة كوار عشرة فراسخ وبها يعمل ماء الورد الكوازي واليها يضاف وهذا الماء الورد المعمول بجور وكوار أطيب ماء ورد يعمل في العالم لصحة البرية وصفاء الهواء وألوان سكان هذه البلاد حمرة في بياض ليست لغيرهم من الامصار ومن كوار الى مدينة شيراز وهي قصبة فارس عشرة فراسخ (وجور وكوار وشيراز وغيرها) من كور فارس أخبار ولما فيها من البنيان أقاصيص يطول ذكرها قد دونتها الفرس وكذلك ما كان بارض فارس من الموضع المعروف بماء النار وقد بني عليه هيكل وكان كورش الملك حين ولد المسيح عليه السلام بعث ثلاثة نفس دفع الى أحدهم صرة من لبان والى آخر صرة من مر والى آخر صرة من تبر وسيرهم يهتدون بنجم وصفه لهم فساروا حتى انتهوا الى السيد المسيح وأمه بارض الشام والنصارى تعلو في قصة هؤلاء النفر وهذا الخبر موجود في الانجيل وأن هذا الملك كورش نظر الى نجم قد طلع بمولد المسيح عيسى فكنوا اذا سار وسار معهم ذلك النجم واذا

علينا الا أيام عمر بن عبد العزيز فقال الحسن والنضر أيضا قد شهد ومر الحسن بالناس وقد نصبوا الرايات وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون تدعونا الى سنة العمرين فقال الحسن كان يزيد بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون ثم يرسلها الى بني مروان يريد رضاهم فلما غضب نهب قصبا ثم وضع عليها خرقا ثم قال اني قد خالفتهم فخلفوهم فقال هؤلاء نعم ثم قال اني ادعوهم الى سنة العمرين وان من سنة العمرين ان يوضع في رجله قيد ثم يرد الى محبسه فقال ناس من أصحابه لكانك راض عن أهل الشام فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله ورحمهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون أهله ثلاثا قد أباحوها الا نباطهم واقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا ينتهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا الى مال بيت الله الحرام فهدموا الكعبة واوقدوا النيران بين احجارها واستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار ثم ان يزيد سار من البصرة واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب وأتى واسطا وكان قد استشار من أصحابه حين توجه نحو واسط فقال له اخوه حبيب وغيره نرى ان تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب والعقاب وتدنو من خراسان وتطاول أهل الشام فان أهل الجبال يأتون اليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأي تريدون ان تجعلوني طائرا على رأس جبل فقال حبيب ان الرأي الذي كان ينبغي ان يكون أول الامر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة ان توجه خيلا عليها بعض اهلك الى الكوفة وانما بها عبد الحميد مر رت به في سبعين رجلا فحجز عنك فهو من خيلك أعجز فسبق اليها أهل الشام وأكثر اهلها يرون رأيك ولان تلي عليهم احب اليهم من ان يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني وأنا أشير الآن برأي سرح مع بعض اهلك خيلا كثيرة من خيلك فتأتي الجزيرة ويسير واليها حتى ينزلوا حصنا من حصونهم وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشام يريدونك ليدعوهم جندك بالجزيرة يقبلون اليك فيقيموا عليهم فيحبسوهم عنك حتى تأتيهم ويأتيك من بالموصل من قومك وينقض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في ارض رخيصة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك قال أكره ان أقطع جيشي فلما نزل واسطا اقام بها أيام يسيرة وخرجت السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس وكان عامل المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد وكان على الكوفة عبد الحميد وعلى قضائها الشعبي وكانت البصرة قد غلب عليها ابن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم وفيها عزل اسمعيل بن عبيد الله عن افريقية واستعمل مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فبقي عليها الى ان قتل على ما ذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفي مجاهد بن جبر وقيل سنة ثلاث وقيل سنة أربع وقيل سبع ومائة وله ثلاث وثمانون سنة وفيها توفي عمار بن جبر قيل وفيها توفي أبو صالح ذكوان وفيها توفي عامر بن اكثمة الليثي وأبو صالح السمان وقيل له الزيات أيضا لانه كان يبيعهما وأبو عمر وسعيد بن اياس الشيباني وكان عمره سبعا وعشرين ومائة سنة وليست له صحبة وفي خلافة عمر توفي عبيدة بن ابي لبابة أبو القاسم العامري

﴿ثم دخلت سنة اثنتين ومائة﴾

﴿ذكر مقتل يزيد بن المهلب﴾

ثم ان يزيد بن المهلب سار عن واسط واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والاسراء وسار على فم النيل حتى نزل العقر وقدم اخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله العباس بن

وقفوا وقف بوقوفهم وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان على شرح هذا الخبر وما قالت فيه المجوس والنصارى وخبر الرغفان التي دفعتها اليهم مريم وما كان من الرسل وجعل الخبر تحت الصخرة وغوصها في الارض وذلك بفارس وكيف حضر عليها الماء وأنها وجدت وقد صارت شعلتي نار على وجه الارض تتقدان وغير ذلك مما قيل في هذا الخبر (وقد كان اردشير) بنى بيتا آخر يقال له بار بو في اليوم الثاني من غلبة فارس وبيت نار على خليج القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك الى خلافة المهدي فخرب وله خبر عجيب وقد كان سابور الجنود اشترط على الروم بناء هذا البيت وعمارته عند حصاره القسطنطينية وكان مسيره في جيوش فارس وغيرها من الترك وملوك الامم فسمي سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجنود (وقد كان سابور) لما سار الى بلاد الحيرة عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف بالحضر وقد كان هذا الحصن للساطرون بن استطرون ملك السريانيين في رستاق يقال له أباحرمن

الوليد بسورا فاقتتلوا فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم فيها ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة فنادوا يا أهل الشام الله الله أن تسلمونا وقد اضطرهم اصحاب عبد الملك الى النهر فقال اهل الشام لا بأس عليكم ان لنا جولة في اول القتال ثم كروا عليهم فانكشف اصحاب عبد الملك فانهزموا وعادوا الى يزيد واقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات الى الانبار وعقد عليها الجسر فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب واتى الى ابن المهلب ناس من اهل الكوفة كثير ومن الثغور فبعث على من خرج اليه من اهل الكوفة وربع اهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الازدي وعلى ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الاشتر وعلى كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث وعلى تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي وجمعهم جميعا المفضل بن المهلب واحصى ديوان ابن المهلب مائة الف وعشرين الفا فقال لوددت ان لي بهم من بخراسان من قومي ثم قام في اصحابه فحرضهم على القتال وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وشق المياه وجعل على اهل الكوفة الارصاد لئلا يخرجوا الى ابن المهلب وبعث بعثا الى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وبعث مسلمة فعزل عبد الحميد عن الكوفة واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد ابن عقبة وهو ذو الشامة فجمع يزيد رؤس أصحابه فقال قد رأيت ان أجمع اثني عشر الفا فأبعثهم مع اخي محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحمل معهم البراذع والاكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته وامده بالرجال حتى اصبح فاذا اصبحت نهضت اليهم في الناس فاناجزهم فاني ارجو عند ذلك ان ينصرني الله عليهم فقال السميذع انا قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد زعموا انهم قبلوا هذا منا فليس لنا ان نكر ولا نفر حتى يردوا علينا وقال ابو روبة وهو رأس الطائفة المرجئة ومعه اصحاب له صدق هكذا ينبغي فقال يزيد ويحكم أتصدقون بني أمية أنهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا انهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم اليه اني لاقيت بني مروان فالقيت منهم امكر ولا ابعد غورا من هذه الجرادة الصفراء يعني مسلمة قالوا لا نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا انهم قبلوه منا وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام والحسن البصري يثبطهم فلما بلغ ذلك مروان قام في الناس يأمرهم بالجد والاجتهاد ثم قال بلغني ان هذا الشيخ الضال المرائي ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه وايم الله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه اليه سقاط الابلة وعلوج فرات البصرة أولا خين عليه مربد اخشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال والله ليكفن الله بهم وانه فقل ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم فعد خالفتكم اذ ذاك مانعتكم عنه آمركم ان لا يقتل بعضكم بعضا مع غيري وآمركم أن يقتل بعضكم بعضا دوني فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطأبهم وتفرقوا وكف عن الحسن وكان اجتماع يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية ايام فلما كان يوم الجمعة لاربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة الى الوضاح ان يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فبيّ جنود أهل الشام ثم قرب من ابن المهلب وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانئ الهمداني وعلى ميسرته سويد ابن القعقاع التميمي وكان مسلمة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب وعلى ميسرته المفضل بن المهلب فخرج رجل من أهل الشام فدعا الى المبارزة فبرز اليه محمد بن المهلب فضربه محمد فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع الكف

بلاد الموصل (وقد ذكرته الشعراء) لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه بهذا الحصن المعروف بالحضر فمن ذكره منهم أبو دواد بن حارثة بن حجاج الايادي بقوله

وأرى الموت قد تدلى من الحض
ر على رب أهله الساطرون
ولقد كان آمنا للدواهي
ذا ثواء وجوهر مكنون

وقد قيل ان النعمان بن المنذر من ولد الساطرون ابن استطرون والساطرون واستطرون هذه أنقاب وهم ملوك كانوا على السريانيين ثم تملك تلك الديار بعد من ذكرنا من أفناهم الدهر الضيزن بن جهلة وجهلة أمه وهو الضيزن بن تيت بن معاوية ابن العبيد بن حرام بن سعد ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان كثير الجنود مهادنا للروم متحيزا اليهم يعبر رجاله على العراق والسواد وكان في نفسه سابور عليهم ذلك فلما نزل على حصنه تحصن الضيزن في الحصن فأقام سابور عليه شهرا لا يجد سبيلا الى فتحه ولا يتأتى له حيلة في دخوله فنظرت النظيرة بنت الضيزن يوما وقد أشرفت من الحصن الى سابور فهويته

الحديد واسرع السيف فى كفه واعتنق فرسه فانهزم فلما دنا الوضاح من الجسر الهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقبل الناس وتشبث الحرب ولم يشتد القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احرق الجسر انهزموا وقيل ليزيد قد انهزم الناس. قال هم انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقيل له قالوا أحرق الجسر فلم يثبت احد فقال قبحهم الله بقى دخن عليه فطار ثم خرج ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه واستقبله امثال الجبال فقال دعوهم فوالله انى لارجو ان لا يجمعنى واياهم مكان ابدا دعوهم يرحمهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وكان قد اتاه يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى وهو ابن أخى عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الحكم بن أبى العاص والد مروان نسب وهو بواسط فقال له ان بنى مروان قد باد ملكهم فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر فقال ما شعرت فقال ابن الحكم

فعش ملكا أو مت كريما فان تمت * وسيفك مشهور بكفك تعذر

فقال اما هذا فعسى فلما رأى يزيد انهزام اصحابه قال يا سميدع أرأيى أجود أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى فنزل سميدع ونزل يزيد فى أصحابهما وقيل كان على فرس أشهب فاتاه آت فقال ان أخاك خبيبا قد قتل فقال لا خير فى العيش بعده قد كنت والله أبغض للحياة بعد الهزيمة وقد ازددت لها بغضا اما ضوا قدما فعلموا أنه قد استقتل فتسلل عنه من يكره القتال وبقى معه جماعة جنسه وهو يتقدم فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب وكان رجل من كلب يقال له القعل بن عياش فلما نظر الى يزيد قال هذا والله يزيد والله لاقتلنه أو ليقتلنى فمن يحمل معى يكفينى أصحابه حتى أصل اليه فحمل معه ناس فاقتتلوا ساعة وانفرج الغبار فاذا يزيد قتيل وعن القعل بأخر رمقه فاومأ الى أصحابه بريهم مكان يزيد وانه هو قاتله وأن يزيد قتله وأتى برأس يزيد مولى لبنى مرة فقيل له انت قتلته قال لا فلما اتى مسلمة سيره الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن ابى معيط وقيل بل قتله الهذيل ابن زفر بن الحرث الكلابى ولم ينزل يأخذ رأسه انفة ولما قتل يزيد كان المفضل بن المهلب يقاتل اهل الشام وما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس وكان كلما حمل على الناس انكشفوا ثم يحمل حتى يخالطهم وكان معه عامر بن العميثل الازدى يضرب بسيفه ويقول

قد علمت أم الصبى المولود * انى بنصل السيف غير رعديد

فاقتتلوا ساعة فانهزمت ربيعة فاستقبلهم المفضل يناديهم يا معشر ربيعة الكرة الكرة والله ما كنتم بكشف ولا لئام ولا لكم هذه بعادة فلا يؤتين اهل العراق من قبلكم فدتكم نفسى فرجعوا اليه يريدون الحملة فأتى وقيل له ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد وخبيب ومحمد وانهزم الناس منذ طويل فتفرق الناس عنه ومضى المفضل الى واسط فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبية للحرب ولا اغشى للناس منه وقيل بل اتاه أخوه عبد الملك وكره ان يخبره بقتل يزيد فيستقتل فقال له ان الامير قد انحدر الى واسط فانحدر المفضل بمن بقى من ولد المهلب الى واسط فلما علم بقتل يزيد حلف انه لا يكلم عبد الملك أبدا فما كلمه حتى قتل بقندابيل وكانت عينه اصيبت فى الحرب فقال فضحنى عبد الملك ما عذرى اذا رآنى الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم الا صدقنى فقتلت ثم قال

وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لى أن تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فأرسلت اليه انك السربار وهو نهر فى أعلاه فانثر فيه تبنا ثم أتبعه النظر أين يدخل فادخل الرجال منه فان ذلك المكان يفضى الى الحصن ففعل ذلك سابور فلم يشعر أهل الحصن الا وأصحاب سابور معهم فى الحصن وقد عمدت الظبيرة فسقت أباها حتى أسكرته طمعا فى تزويج سابور اياها وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ومن معه وعرس سابور بالظبيرة بنت الضيزن فبقيت مسهرة فقال لها سابور مالك لا تنامين قالت ان جنبى يتجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر فاذا ورقة آس بين عكمها فتناولها فكاد بطنها أن يدمى فقال لها ويحك بما كان أبوك يغذيك فقالت بالزبد والمح والقمح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجد بر أن

ولا خير في طعن الصناديد بالقنا * ولا في لقاء الحرب بعد يزيد

فلما فارق المفضل المعركة جاء عسكر الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أورؤبة صاحب المرجئة ساعة من النهار وأسر مسلمة نحو ثلثمائة أسير فسرحهم الى الكوفة فحبسوا بها فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك الى محمد بن عمرو بن الوليد يأمره بضرب رقاب الاسرى فامر العريان بن الهيثم وكان على شرطته ان يخرج عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين فقام نحو ثلاثين رجلا من تميم فقالوا نحن انهزمنا بالناس فابدؤا بنا قبل الناس فاخرجهم العريان فضرب رقابهم وهم يقولون انهزمنا بالناس فكان هذا جزاءنا فلما فرغوا منهم جاء رسول بكتاب من عند مسلمة يامره بترك قتل الاسرى واقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ولما أتت هزيمة يزيد الى واسط أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين أسيرا كانوا عنده فضرب اعناقهم منهم عدي بن أرطاة ومحمد بن عدي بن ارطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وغيرهم ثم اقبل حتى اتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضل بن المهلب واجتمع اهل المهلب بالبصرة فاعدوا السفن وتجهزوا للركوب في البحر وكان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الازدي على قنابيل أميرا وقال له اني سائر الى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى يكون لي أولهم فان ظفرت أكرمتك وان كانت الاخرى كنت بقنابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا أمانا وقد احترتك لهم من بين قومي فكن عند أحسن ظني وأخذ عليه العهود ليناصحن أهل بيته ان هم لجؤا اليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ثم لججوا في البحر حتى اذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان المقدم عليهم المفضل بن المهلب وكان بكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبي في طلبهم وفي اثر الفل فادرك مدرك المفضل ومعه الفلول في عقبة فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم فقتل من أصحاب المفضل النعمان بن ابراهيم بن الاشتر النخعي ومحمد بن اسحق بن محمد بن الاشعث وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيرا وجرح عثمان بن اسحق بن محمد بن الاشعث وهرب حتى انتهى الى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب ابن المهلب فطلبوا الامان فأمنوا منهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي التميمي ومضى آل المهلب ومن معهم الى قنابيل وبعث مسلمة الى مدرك بن ضب فردّه وسير في أثرهم هلال بن أحوز التميمي فلحقهم بقنابيل فأراد اهل المهلب دخولها فمنعهم وداع بن حميد وكان هلال بن أحوز لم يبايع آل المهلب فلما التقوا كان وداع على الميمنة وعبد الله بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدي فرفع هلال بن أحوز راية أمان فمال اليه وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرق الناس عن آل المهلب فلما رأى ذلك مروان بن المهلب أراد ان ينصرف الى النساء فيقتلهن لئلا يصرن الى أولئك فنهاه المفضل عن ذلك وقال انا لا نخاف عليهم من هؤلاء فتركهن وتقدموا باسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم وهم المفضل وعبد الملك وزياد ومروان بنو المهلب ومعاوية ابن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وحملت رؤسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه الا اباعيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان ابن المفضل بن المهلب فانهم لحقوا بقنابيل وبعث هلال بن أحوز بنسائهم ورؤسهم والاسرى من آل المهلب الى مسلمة بالحيرة فبعثهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك فسيرهم يزيد الى العباس ابن الوليد وهو على حلب فنصب الرؤس وأراد مسلمة ان يبيع الذرية فاشتراهم منه الجراح

لا أستبقيك بعد اهلاك
أبويك وقومك وكانت
حالتك عندهم الحالة التي
تصفين فامر بها فربطت
بغدائرها الى فرسين
جموحين ثم خلي سبيلهما
فقطعاها فني هذا المقتول
ومن كان معه يقول جدي
ابن الدهمي العبسي
ألم يحزنك والانباء تنمي
بما لاقت سراة بني العبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه
وأحلاف الكتائب من يزيد
أتاهم بالفيول مجللات
وبالابطال سابور الجنود
فهدم من بروج الحصن صخرا
كأن بناءه زبر الحديد
وفي قتل سابور للنظيرة بنت
الضيزن وما كان منها من
الغدر بابيها وقومها وارشاد
سابور الى دخول الحصن
يقول عدي بن زيد العبادي
والحصن صبت عليه داهية
من قصره قد أبدسا كنها
أتته اذ لم يوف والدها
محبها اذ أضاع راقبها
وأسلمت أهلها لليلتها
تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس اذ
حشر الصـ
بح وما تجدين سباسبها
والشعر في هذه القصة
كثير (وبارض العراق)
بيت للنار في مدينة السلام
بنته بوران بنت كسرى
ابرويز الملكة في الموضع

ابن عبد الله الحكمي بمائة ألف وخلى سبيلهم ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيأ ولما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر بقتل يزيد سره لانتصاره ولما في نفسه منه قبل الخلافة وكان سبب العداوة بينهما ان ابن المهلب خرج من الحمام ايام سليمان بن عبد الملك وقد تضمخ بالغالية فاجتاز بيزيد بن عبد الملك وهو الى جانب عمر بن عبد العزيز فقال قبح الله الدنيا ودت ان مثقال غالية بالف دينار فلا ينالها الا كل شريف فسمع ابن المهلب فقال له بل وددت ان الغالية لو كانت في جبهة الاسد فلا ينالها الا مثلي فقال له يزيد بن عبد الملك والله لئن وليت يوما لاقتلنك فقال له ابن المهلب والله لئن وليت هذا الامر وأنا حي لاضربن وجهك بخمسين الف سيف فهذا كان سبب البغض بينهما وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكره وأما الاسرى فكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما قدم بهم على يزيد بن عبد الملك وعنده كثير عزة أنشد

حليم اذا ما نال عاقب مجملا * أشد العقاب أو عفا لم يثرب
فعفو أمير المؤمنين وحسبة * فما تأته من صالح لك يكتب
اساؤا فان تصفح فانك قادر * وأفضل حلم حسبة حلم مغضب

فقال يزيد بن عبد الملك هيهات يا أبا صخر طف بك الرحم لا سبيل الى ذلك ان الله عز وجل أفادنيهم باعمالهم الخبيثة ثم أمر بهم فقتلوا وبقي غلام صغير فقال اقتلوني قبل أن أبلغ صغير فقال انظروا أنبت فقال أنا أعلم بنفسي قد احتلمت و وطئت النساء فأمر به يزيد فقتل وأعفاه الاسرى الذين قتلوا المعارك وعبد الله والمغيرة والمفضل ومنجاب أولاد يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل أولاد المفضل بن المهلب والمفضل بن قبيصة بن المهلب وقال ثابت قطنة يرثي يزيد بن المهلب

أياطول هذا الليل ان يتصرما * وهاج لك الهم الفؤاد المتيما
أرقت ولم تأرق معي أم خالد * وقد أرقت عيناي حولا محرما
على هالك هذا العشيرة فقده * دعته المنايا فاستجاب وسلما
على ملك بالعقر ياصاح جبنت * كتائبه واستورد الموت معلما
أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا * لسلبت ان لم يجمع الحي مأتما
وفي غير الايام ياهند فاعلمي * لطالب ترة نطرة ان تسلموا
فعسى ان مالت بي الريح ميلة * على ابن أبي ذبان ان يتندما
أمسلم ان تقدر عليك رماحنا * نذقك بها قي الاساود مسلما
وان تلق للعباس في الدهر عثرة * نكافئه باليوم الذي كان قدما
قصاصا ولم نعد الذي كان قد أتى * الينا وان كان ابن مروان أظلما
ستعلم ان زلت بك النعل زلة * وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجاني على أهل بيته * اذا أحضرت أسباب أمر وأبهما
وانا لعطافون بالحلم بعدما * نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وانا لحلالون بالثغر لا نرى * به ساكنا الا الخميس العرمرما
نرى ان للجيران حقا وذمة * اذا الناس لم يرعوا الذي الجار محرما
وانا لنقري الضيف من قمع الذرى * اذا كان وفد الوافدين تجشما

وله فيه مراثي كثيرة وأما أبو عيينة بن المهلب فارسلت هند بنت المهلب الى يزيد بن عبد الملك في أمانه فأمنه وبقي عمرو وعثمان حتى ولي أسد بن عبد الله القسري خراسان فكتب اليه

المعروف باسبيا وبيوت النيران كثيرة مما بقيته المجوس بالعراق وأرض فارس وكرمان وسجستان وخراسان وطبرستان والجبال وأذربيجان والران وفي الهند والسند والصين أعرضنا عن ذكرها وانما ذكرنا ما اشتهر منها (والهياكل) المعظمة عند اليونانيين وغيرهم كثيرة مثل بيت بعل وهو الصنم الذي ذكره الله عز وجل بقوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وهو بمدينة بعلبك من أعمال دمشق من كورة سنير وقد كانت اليونانية اختارت لهذا الهيكل قطعة من الارض من حسبان وجبل تستر فاحدثته موضعا للاصنام وهما بيتان عظيمان أحدهما أقدم من الآخر فيهما من النقوش العجيبة المحفورة في الحجر الذي لا يتأتى حفر مثله في الخشب مع علو سمكهما وعظم أحجارهما وطول أساطينهما ووسع فتحهما وعجيب بنيانهما وقد أتينا على خبر هذه الهياكل وما كان من خبر القتل على رأس ابنة الملك وما نال أهل هذه المدينة من سفك الدماء (وهيكل عظيم البنيان) في مدينة

بأمانهما فقدما خراسان (قطنة بالنون وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الازدي اصيبت عينه بخراسان فجعل عليها قطنة فعرف بذلك وهو يشتبه بثابت بن قطبة بالباء الموحدة وهو خزاعي وذاك عتكي)

﴿ذكر استعمال مسلمة على العراق وخراسان﴾

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب ابن المهلب جمع له اخوه يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فاقر محمد بن عمرو بن الوليد على الكوفة وكان قد قام بامر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحرث التميمي فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليمان الكلبي وعلى شرطتها وأحداثها عمرو بن يزيد التميمي فاراد عبد الرحمن ان يستعرض أهل البصرة فيقتلهم فنهاه عمرو واستمهله عشرة أيام وكتب الى مسلمة بالخبر فعزله وولى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وأقر عمرو بن يزيد على الشرطة والاحداث

﴿ذكر استعمال سعيد خذينة على خراسان لمسلمة﴾

استعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو الذي يقال له سعيد خذينة وانما لقب بذلك لانه كان رجلا ليناً تعماً فدخل عليه ملك ابغر وسعيد في ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة فلما خرج من عنده قالوا كيف رأيت الامير قال خذينة فلقب خذينة وخذينة هي الدهقانة ربة البيت وكان سعيد تزوج ابنة مسلمة فلهذا استعمله على خراسان فلما استعمل مسلمة سعيداً على خراسان سار اليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند فسار اليها فقدم الصغد وكان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم ثم عادوا الى الصلح فخطب شعبة أهل الصغد ووبخ سكانها من العرب وغيرهم بالجبن وقال ما أرى فيكم حريحا ولا أسمع أنة فاعتذروا اليه بانهم جبنهم أميرهم علباء بن حبيب العبدي وأخذ سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ثم اطلقهم ثم رفع الى سعيد أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الازدي ولوا يزيد بن المهلب في ثمانية نفر وعندهم أموال قد أخفوها فحبسهم بقهندز مرو وحمل جهم ابن زحر على حمار وأطاف به فضرب بمائتي سوط وامر به وبالثمانية الذين حبسوا معه فسلموا الى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فاعفاه فسلمهم الى عبد الحميد بن دثار وعبد الملك بن دثار والزبير ابن نشيط مولى باهلة فقتلوا في العذاب جهم بن زحر وعبد العزيز والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوما حتى اشفوا على الموت فلم يزالوا في السجن حتى غزاهم الترك والصغد فامر سعيد باخراجهم وكان يقول قبح الله الزبير فانه قتل جهما

﴿ذكر البيعة بولاية العهد لهشام والوليد﴾

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب على ما ذكرناه واستعمل على الجيش مسلمة ابن عبد الملك أتاه والعباس بن الوليد بن عبد الملك وهو ابن أخيه قالوا له يا أمير المؤمنين ان أهل العراق اهل غدر وارجاف وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولا نأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين فيفت ذلك في اعضادنا ولو عهدت الى عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صوابا فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فاتى أخاه يزيد فقال يا أمير المؤمنين ايما احب اليك أخوك أم ابن أخيك فقال بل أخي فقال فاخوك أحق بالخلافة فقال يزيد اذا لم تكن في ولدي فاخي أحق بها من ابن أخي كما ذكرت قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه

دمشق وهو المعروف بجيرون وقد ذكرنا خبره فيما سلف من هذا الكتاب وان بانيه جيرون بن أسعد العادي ونقل اليه عمد الرخام وأنه ارم ذات العماد المذكورة في القرآن لا ما ذكر عن كعب الاحبار أنه دخل على معاوية بن أبي سفيان وسأله عن خبرها وذكر عجيب بنيانها من الذهب والفضة والمسك والزعفران وأنه يدخلها رجل من العرب يتيه له جملان فيخرج في طلبهما فيقع اليها وذكر حلية الرجل ثم التفت في مجلس معاوية فقال هذا هو الرجل وكان الاعرابي قد دخلها يطلب ما نذ من ابله فاجاز معاوية كعبا وتبين صدق مقالته وايضاح برهانه فان كان هذا الخبر عن كعب حقا في هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من جهات من النقل وغيره وهو من صنعة القصاص (وقد تنازع الناس) في هذه المدينة وأين هي ولم يصح عند كثير من الاخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية باخبار الماضين وسنن الغابرين من

وبعده لابنه الوليد بن يزيد ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك

﴿ذكر غزو الترك﴾

لما ولي سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خذينة وكان قد استعمل شعبة على سمرقند ثم عزله فطمعت الترك فجمعهم خاقان ووجههم الى الصغد وعلى الترك كورصول فاقبلوا حتى نزلوا بقصر الباهلي وقيل أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة كانت في ذلك القصر فأبت فاستجاش ورجوا أن يسبوا من في القصر فاقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم وكان على سمرقند عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير قد استعمله سعيد بعد شعبة فكتبوا اليه وخافوا ان يبطئ عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل وفيهم شعبة بن ظهير وثابت قطنة وغيرهما من الفرسان فلما عسكروا قال لهم المسيب انكم تقدمون على حلبة الترك عليهم خاقان والعوض ان صبرتم الجنة والعقاب ان فررتم النار فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فرجع عنه ألف وثلثمائة فلما سار فرسخا رجع بمثل مقالته الاولى فاعتزله ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزله ألف ثم سار فلما كان على فرسخين منهم نزل فاتاهم ترك خاقان ملك فقال لم يبق ههنا دهقان الا وقد بايع الترك غيري وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك وعندي الخبر قد كانوا صالحوهم وأعطوهم سبعة عشر رجلا يكونون رهينة في أيديهم حتى ياخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم اليهم قتلوا الرهائن وميعادهم ان يقاتلوا غدا ويفتحوا لهم القصر فبعث المسيب رجلين رجلا من العرب ورجلا من العجم ليعلما علم القوم فاقبلا في ليلة مظلمة وقد أخذت الترك الماء في نواحي القصر فليس يصل اليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا له اسكت وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فاعلماه بقرب المسيب منهم وقالا هل عندكم امتناع الليلة وغدا قالوا قد أجمعنا على تقديم نسائنا للموت أمامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فاخبراه فقال لمن معه اني سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه أحد وبايعوه على الموت فاصبح وسار وقد ازداد القصر تحصينا بالماء الذي أجراه الترك فلما صار بينه وبين الترك نصف فرسخ نزل وقد أجمع على بياتهم فلما أمسى أمر أصحابه بالصبر وحثهم عليه وقال ليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب فاعقروها فانها اذا عقرت كانت أشد عليهم منكم وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله وجعل على ميمنته كثيرا الدبوسي وعلى ميسرته ثابت قطنة وهو من الازد فلما دنوا منهم كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالطهم المسلمون فعقروا الدواب وترجل المسيب في رجال معه فقاتلوا قتالا شديدا وانقطعت يمين البحتري المرائي فاخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد وضرب ثابت قطنة عظيما من عظماء الترك فقتله وانهزمت الترك ونادى منادي المسيب لا تتبعوهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا الا الماء ولا تحملوا الا من يقدر على المشي ومن حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا فاجره على الله ومن أبى فله أربعون درهما وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه فحملوا من في القصر وأتى ترك خاقان فانزلهم قصره وأتاهم بطعام ثم ساروا الى سمرقند ورجعت الترك من الغد فلم يروا في القصر احدا ورأوا قلالهم فقالوا لم يكن الذي جاءنا من الانس

العرب وغيرهم من المتقدمين وما كان فيها من الكوائن والحوادث وتشعب الانساب وكتاب عبيد بن شرية متداول في أيدي الناس مشهور (وقد ذكر كثير) من الناس ممن له معرفة باخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها وأن سبيلها لسبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية وسبيل تاليفها مما ذكرنا مثل كتاب اقسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له اقشايه والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته ودايتها شيرزاد ورسا زاده ومثل كتاب وزره وشماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى (وقد كان) مسجد دمشق قبل ظهور النصرانية هيكلا عظيما فيه التماثيل والاصنام على رأس منابره تماثيل منصوبة وقد كان بني على المشتري وطالع سعد ثم ظهرت النصرانية

فقال ثابت قطنة

فدت نفسي فوارس من تميم * عداة الروع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس اكتفوني * على الاعداء في رهج القتام
بقصر الباهلي وقد رأوني * أحامي حيث ضرّبه المحامي
بسيفي بعد حطم الرمح قدما * أذودهم بذي شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى * تجلت لا يضيق به مقامي
فلولا الله ليس له شريك * وضربي تونس الملك الهمام
اذا السعت نساء بني دثار * أمام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيب في تميم * أبي بشر كقادمة الحمام

وعور تلك الليلة معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يده وكان قد ولي ولاية من قبل سعيد فاخذه سعيد بشيء بقي عليه فدفعه الى شداد بن خليد الباهلي ليستأديه فضيق عليه شداد فقال معاوية يا معشر قيس سرت الى قصر الباهلي وأنا شديد البطش حديد البصر فعورت وشلت يدي وقاتلت حتى استنقذناهم بعدما أشرفوا على القتل والاسر والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عني فخلاه قال بعض من كان بالقصر لما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل

﴿ذكر غزو الصغد﴾

وفي هذه السنة عبر سعيد خذينة النهر وغزا الصغد وكانوا قد نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين فقال الناس لسعيد انك قد تركت الغزو وقد أغار الترك وأعانهم أهل الصغد فقطع النهر وقصد الصغد فلقيه الترك وطائفة من الصغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فان الصغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبادوكم وقال سورة بن الحر لحيان النبطي ارجع عنهم يا حيان قال عقيرة الله لا أدعها قال انصرف بانبطي قال أنبط الله وجهك وسار المسلمون فانتهوا الى واد بينهم وبين المرج فقطعه بعضهم وقد أكمن لهم الترك فلما جاءهم المسلمون خرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا الى الوادي فصبر واحتى انكشفوا لهم وقيل بل كان المنهزمون مسلحة للمسلمين فاشعروا الا والترك قد خرجوا عليهم من غيضة وعلى الخيل شعبة بن ظهير فاعجلهم الترك عن الركوب فقاتلهم شعبة فقتل وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة وأتى المسلمين الخبر فركب الخليل بن أوس العبشمي أحد بني ظالم ونادى يا بني تميم الى أنا الخليل فاجتمع معه جماعة فحمل بهم على العدو وكشفوهم حتى جاء الامير والناس فانهزم العدو وصار الخليل على خيل بني تميم حتى ولي نصر بن سيار ثم صارت رياستهم لاخيه الحكم بن أوس فلما كان العام المقبل بعث رجالا من تميم الى وزغيش فقالوا لليتماناتي العدو فطاردهم وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا رد السبي وعاقب السرية فقال الهجري الشاعر

سريت الى الاعداء تلهو بلعبة * وابرك مسلول وسيفك مغمد
وأنت لمن غاديت عرس خفية * وأنت علينا كالحسام المهند

فثقل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بني أسد يقال له اسمعيل منقطعا الى مروان بن محمد

فذكر

فجعلته كنيسة وظهر الاسلام وأحكم بناءه الوليد بن عبد الملك والصوامع لم تغير وهي منائر الاذان الى هذا الوقت (وقد كان) بدمشق أيضا بناء عجيب يقال له البريض وهو مبني الى هذا الوقت في وسطها وكان يجري فيه الخمر في قديم الزمان وقد ذكرته الشعراء في مدحهم الملوك غسان من مأرب وغيرهم (وهيكل) بانطاكية يعرف بالدياس على يمين مسجدها الجامع مبني بالآجر العادي والحجر عظيم البنيان وفي كل سنة يدحل القمر عند طلوعه من باب من أبوابه من أعاليه في بعض الاهلة الصيفية وقد ذكر أن هذا الدياس من بناء الفرس حين ملكت انطاكية وأنه بيت نارها (قال المسعودي) وقد ذكر أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بكتاب الالوف الهياكل والبنيان العظيم الذي يحدث بناؤه في العالم في كل ألف عام وكذلك ذكره ابن المارباز تلميذ أبي معشر في كتابه المنتخب من كتاب الالوف وقد ذكر غيرهما ممن تقدم عصرهما وممن تأخر عنهما كثيرا من البنيان والعجائب في الارض وقد أعرضنا عن

فذكرا سعيد عند خذينة ومودته لمروان فقال خذينة وماذاك الساط فقال اسعيد

زعمت خذينة أنني ساط * لخذينة المرآة والمشط
ومجامر ومكاحل جعلت * ومعازف وبخدها نقط
افذاك ام زغف مضاعفة * ومهند من شأنه القط
لمقرس ذكر اخي ثقة * لم يغذه التأنيث واللغط

في أبيات غيرها

﴿ ذكر موت حيان النبطي ﴾

وقد ذكر من أمر حيان فيما تقدم عند قتل قتيبة وانه سادو تقدم بخراسان فلما قال له سورة بن الحر يانبطي" وأجابه حيان فقال انبط الله وجهك على ما تقدم آنفا حقدها عليه سورة فقال اسعيد خذينة ان هذا العبد أعدى الناس للعرب والوالي وهو أفسد خراسان على قتيبة وهو واثب بك يفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه القلاع فقال سعيد لا اسمعن هذا احدا ثم دعا في مجلسه بابن وقد أمر بذهب فسحق وألقي في اللبن الذي في اناء حيان فشربه حيان ثم ركض سعيد والناس معه أربعة فراسخ ثم رجع فعاش حيان أربعة ايام ومات وقيل انه لم يمت هذه السنة وسيرد ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عزل مسلمة عن العراق وخراسان وولاية ابن هبيرة ﴾

وكان سبب ذلك أنه ولي العراق وخراسان فلم يدفع من الخراج شيأ واستحيا يزيد بن عبد الملك أن يعزله فكتب اليه استخلف على عملك وأقبل وقيل ان مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص الى يزيد ليزوره قال أمن شوق اليه ان عهدك منه لقريب قال لا بد من ذلك قال اذن لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه فسار مسلمة فلقيه عمر بن هبيرة الفزاري بالعراق على دواب البريد فسأله عن مقدمه فقال عمر وجهني امير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب فلما خرج من عنده احضر مسلمة عبد العزيز بن حاتم واخبره خبر ابن هبيرة فقال قد قلت لك قال مسلمة فانه جاء لحيازة أموال آل المهلب قال هذا أعجب من الاول يكون ابن هبيرة على الجزيرة فيعزل عنها ويبعث لحيازة أموال بني المهلب ولم يكتب معه اليك كتاب فلم يلبث حتى أتاه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعى فزارة لا هناك المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * واخو هراة لمثلها يتوقع

يعني بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو محمدا الشامة وباخي هراة سعيد خذينة وأما ابتداء امر ابن هبيرة حتى ولي العراق فانه قدم من البادية من بني فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب وكان يقول لا رجوأن لا تنقضي الايام حتى أولى العراق وسار مع عمرو بن معاوية العقيلي الى غزو الروم فأتى بفرس رائع الا انه لا يستطاع ركوبه فقال من ركبه فهو له فقام عمر ابن هبيرة وتنحى عن الفرس واقبل حتى اذا كان بحيث تناله رجلا الفرس اذا رمحه وثب فصار على سرجه فاخذ الفرس فلما خلع مطرف بن المغيرة بن شعبة الحجاج سار عمر بن هبيرة في الجيش الذين حاربوه من الري فلما التقى العسكران التحق ابن هبيرة بمطرف مظهرا أنه معه فلما جال الناس كان ممن قتله واخذ رأسه وقيل قتله غيره واخذه ورأسه وأتى به عديا فاعطاه مالا وأوفده الى الحجاج بالرأس فسيره الحجاج الى عبد الملك فاقطعه ببرزمة وهي قرية بدمشق وعاد الى الحجاج فوجهه الى كردم بن مرثد الفزاري ليخلص منه مالا فاخذه منه وهرب الى عبد الملك وقال أنا عائذ بالله

ذكرها وذكر السد الاعظم وهو سد يأجوج ومأجوج وتنازع الناس في كيفية بنائه كتنازعهم في أرم ذات العماد على ما ذكرنا آنفا وكيفية بناء الاهرام بأرض مصر وما عليها من الكتابة المرسومة وما بصعيد مصر من البرابي المصنوعة وبغير أرض الصعيد من أرض مصر وأخبار مدينة العقاب وما ذكر الناس فيها وكونها في وهاد مصر وأنها في جهة الواحات مما يلي المغرب والحبشة وخبر العمود الذي ينزل منه الماء في فصل من السنة بأرض عاد وأخبار النمل الذي على قدر الذئاب والكلاب وقصة ارض الذهب التي حذاء سلجماسة من أرض المغرب ومن هنالك من وراء النهر العظيم وسبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وغدو الناس الى أمتعتهم فيجدون أعمدة الذهب وقد تركب الى جنب كل متاع من تلك الامتعة فان شاء مالك المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء أخذ متاعه وترك الذهب وان أحب

و بامير المؤمنين من الحجاج فانى قتلت ابن عمه مطرف بن المغيرة وأتيت أمير المؤمنين برأسه ثم رجعت فاراد قتلى واست آمن أن ينسبنى الى أمر يكون فيه هلاكى فقال أنت فى جوارى فاقام عنده فكتب فيه الحجاج الى عبد الملك يذكر أخذه المال وهربه فقال له امسك عنه وتزوج بعض ولد عبد الملك بنتا للحجاج فكان ابن هبيرة يهدى لها ويبرها ويتيسر عليها فكتبت الى أبيها تثنى عليه فكتب اليه الحجاج يأمره أن ينزل به حاجاته وعظم شأنه بالشام فلما استخلف عمر بن عبد العزيز استعمله على الجزيرة فلما ولى يزيد بن عبد الملك ورأى ابن هبيرة تحكم حبابة عليه تابع هداياه اليها والى يزيد بن عبد الملك فعملت له فى ولاية العراق فولاه يزيد وكان ابن هبيرة بينه وبين القعقاع بن خليد العبسى تحاسد فقال القعقاع من يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار فلما ماتت حبابة قال القعقاع

هلم فقد ماتت حبابة سامنى * بنفسك يقدمك الذرا والكواهل
اغرك أن كانت حبابة مرة * تميحك فانظر كيف ما أنت فاعل

فى أبيات وكان بينه وبين القعقاع يوما كلام فقال له القعقاع يا ابن اللخناء من قدمك فقال قدمك أنت وأهلك اجحاز الغوانى وقدمى صدور العوالى فسكت القعقاع يعنى ان عبد الملك قدمهم لما تزوج اليهم فان أم الوليد وسليمان ابنى عبد الملك من مروان عبسية

﴿ ذكر بعض الدعاة للدولة العباسية ﴾

وفى هذه السنة وجه ميسرة رسله من العراق الى خراسان فظهر أمر الدعاة بها فجاء عمرو بن بحير ابن ورقاء السعدى الى سعيد خذينة فقال له ان ههنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح وأعلمه حالهم فبعث سعيد اليهم فاتى بهم فقال من أنتم قالوا ناس من التجار قال فما هذا الذى يحكى عنكم قالوا لا ندرى قال جئتم دعاة قالوا ان لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء فجاء ناس من أهل خراسان أكثرهم من ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شئ تكرهه فخلى سبيلهم

﴿ ذكر قتل يزيد بن أبى مسلم ﴾

قيل كان يزيد بن عبد الملك قد استعمل يزيد بن أبى مسلم بافريقية سنة احدى ومائة وقيل هذه السنة وكان سبب قتله أنه عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق فانه ردهم الى قراهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم كفار فلما عزم يزيد على ذلك اجتمع رأيهم على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم وهو محمد بن يزيد فولى الانصار وكان عندهم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع يدينا من طاعة ولكن يزيد بن ابى مسلم سار فينا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه واعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم وأقر محمد بن يزيد على عمله

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق فهزمهم وأسر منهم خلقا كثيرا وقتل سبعمائة أسير وفيها غزا عباس بن الوليد بن عبد الملك الروم ففتح دلسة وحج بالناس هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك وهو عامل المدينة وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد وكان على الكوفة محمد بن عمر وذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن

الزيادة ترك الذهب والمتاع وهذا مشهور بأرض المغرب بسلجماسة ومنها حمل التجار الامتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع الماء وكذلك بأقاصى خراسان مما يلى الترك من أقاصى ديارهم أمة تبايع على هذا الوصف من غير مخاطبة ولا مشاهدة وهم هنالك على نهر عظيم أيضا وخبر البئر المعطلة والقصر المشيد وذلك ببلاد التبر من بلاد الاحقاف بين اليمن وحضرموت والبئر وما فيها من الحرف واصالها بالقرى والفضاء من أعلاها وأسفلها وما قاله الناس فى تأويل هذه الآية فيها وهل المراد بالقصر والبئر هذا القصر والبناء أو غيره وأخبار مخاليف اليمن وهى القلاع والحصون كقلعة نخل وغيرها وأخبار مدينة رومية وكيفية بنائها وما حوته من عجيب الهياكل والكنائس والعمود الذى عليه السودانية من النحاس وما يحمل اليها من الزيتون فى أيامه بالشام وغيره ويحمل ذلك الزيتون المعروف

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى البصرة عبد الله بن بشر بن مروان الى أن عزله عمر بن هبيرة وعلى خراسان سعيد خذينة وعلى مصر أسامة بن زيد

﴿ثم دخلت سنة ثلاث ومائة﴾

﴿(ذكر استعمال سعيد الحرشي على خراسان)﴾

فى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان وكان سبب عزله أن المجشر بن مزاحم السلمى وعبد الله بن عمير الليثى قدما على عمر بن هبيرة فشكوا واه فعزله واستعمل سعيد ابن عمرو الحرشى (بالحاء المهملة والشين المعجمة من بنى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) وكان خذينة بباب سمرقند فبلغه عزله وخلف بسمرقند ألف رجل وقيل ان عمر بن هبيرة كتب الى يزيد بن عبد الملك باسماء من أبلى يوم العقر ولم يذكر سعيدا الحرشى فقال يزيد لم لم يذكر الحرشى وكتب الى عمر بن هبيرة أن ول الحرشى خراسان فولاه فقدم بين يديه المجشر بن مزاحم السلمى فقال نهار بن توسعة

فهل من مبلغ فتيان قومى * بان النبل ريشت كل ريش
وان الله أبدل مر سعيد * سعيدا المخنث من قريش

وقدم سعيد الحرشى خراسان فلم يعرض لعمال خذينة وقر أرجل عهده فلحن فيه فقال صه فهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه برىء ولما قدم الحرشى خراسان كان الناس بازاء العدو وكانوا قد نكبوا الخطيهم وحثهم على الجهاد وقال انكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال

فاست لعامر ان لم ترونى * أمام الخيل نطعن بالعوالى
وأضرب هامة الجبار منهم * بعضب الحد حودث بالصقال
فما أنا فى الحروب بمستكين * ولا أخشى مصاولة الرجال
أبى لى والدى من كل ذم * وخالى فى الحوادث خير خال

فلما سمع أهل الصغد بقدوم الحرشى خافوا على نفوسهم لانهم كانوا قد أعانوا الترك ايام خذينة فاجتمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا خراج ماضى وضمنوا له خراج ما يأتى وعمارة الارض والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا عما كان منكم وأعطوه رهائن فقالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل ذلك منا ولكن نأتى نجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق انه لا يرى أمرا يكرهه فقال أنا رجل منكم والذى أشرت به عليكم خيرا لكم فأبوا وخرجوا الى نجندة وأرسلوا الى ملك فرغانة يسألونه أن يمنعهم وينزلهم مدينته فاراد أن يفعل فقالت أمه لا يدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فارسل اليهم سموا رستاقا يكونون فيه حتى أفرغه لكم وأجلونى أربعين يوما وقيل عشرين يوما فاختاروا شعب عصام بن عبد الله الباهلى وكان قتيبة قد خلفه فيهم فقال نعم ولا أنا على عقد وجوار حتى تدخلوه وان أتتكم قبل أن تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

قيل وفى هذه السنة أغارت الترك على اللان وفيها غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها دسلة وفيها جمعت مكة والمدينة لعبد الرحمن بن الضحاك وفيها ولى عبد الواحد بن عبد الله النضرى الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد عنه وعن مكة وحج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك

بالسودانية طير فى مخالبه ومناقره فيطرحه على السودانية النحاس فيكثر زيتون رومية وزيتها من ذلك على حسب ما ذكرنا فى أخبار الطلسمات عن ما لعباس وغيره فى كتابنا أخبار الزمان ثم أخبار البيوت السبعة التى ببلاد الاندلس وخبر مدينة الصفر وقبة الرصاص التى بمضاوز الاندلس وما كان من خبر الملوك السالفة فيها وتعذر الوصول اليها ثم ما كان من أمر صاحب عبد الملك ابن مروان فى نزوله عليها وما تهافت فيه المسلمون عند الطلوع على سورها واخبارهم عن أنفسهم أنهم وصلوا الى نعيم الدنيا والآخرة وخبر المدينة التى أسوارها من الصفر على ساحل البحر الحبشى فى أطراف مفاوز الهند وما كان من ملوك الهند وعدم وصولهم اليها وما يجرى من وادى الرمل نحوها وما ببلاد الهند من الهياكل المتخذة للاصنام التى على صورة البدر المتقدم ظهورها فى قديم الزمان بارض الهند وخبر الهيكل المعظم الذى ببلاد الهند المعروف ببلاد الرى وهذا عند الهند يقصد من

وكان عامل مكة والمدينة وكان على العراق عمر بن هبيرة وعلى خراسان الحرشي وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وفي هذه السنة مات الشعبي وقيل سنة أربع وقيل خمس وقيل سبع ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة وفيها مات يزيد بن الاصم وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مات سنة اربع ومائة وعمره ثلاث وسبعون سنة وفيها مات أبو بردة بن أبي موسى الاشعري ويزيد بن الحصين بن غير السكوني وفيها توفي عطاء بن يسار وهو أخو سليمان (يسار بالياء المثناة من تحت والسين المهملة) وفيها توفيت عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية وهي ابنة سبع وسبعين سنة وفيها توفي مصعب بن سعد ابن أبي وقاص ويحيى بن وثاب الاسدي المنقري وعبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي وكان عامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة

﴿ثم دخلت سنة أربع ومائة﴾

﴿(ذكر الوقعة بين الحرشي والصغد)﴾

قيل وفي هذه السنة غزا الحرشي فقطع النهر وسار فنزل في قصر الريح على فرسخين من الدبوسية ولم يجتمع اليه جنده فأمر بالرحيل فقال له هلال بن علي الحنظلي ياهناه انك وزير اخير منك أمير لم يجتمع اليك جندك وقد أمرت بالرحيل فعاد وأمر بالنزول وأتاه ابن عم ملك فرغانة فقال له ان أهل الصغد بخجندة وأخبره بخبرهم وقال عاجلهم قبل ان يصلوا الى الشعب فليس لهم جوار علينا حتى يمضي الاجل فوجه معه عبد الرحمن القشيري وزياد بن عبد الرحمن في جماعة ثم ندم بعد ما فصلوا وقال جاءني علج لا أعلم أصدق أم كذب فغررت بجندي من المسلمين فارتحل في أثرهم حتى نزل النمر وسنة فصالحهم بشيء يسير فبينما هو يتعشى اذ قيل له هذا عطاء الدبوسي وكان سمع عبد الرحمن فسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فقال ويلك قاتلتم أحدا قال لا قال لله الحمد وتعشى وأخبره بما قدم له فسار مسرعا حتى لحق القشيري بعد ثلاثة وسار فلما انتهى الى خجندة قال له بعض أصحابه ما ترى قال أرى العاجلة قال لا أرى ذلك ان جرح رجل فالى أين يرجع أو قتل قتيل فالى من يحمل ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب فنزل فأخذ في التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشي وقالوا كان يذكر بشجاعة وديانة فلما صار بالعراق ماق فحمل رجل من العرب فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وكانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقا وغطوه بقصب وتراب مكيدة وأرادوا اذا التقوا ان انهزموا كانوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين ويسقطون في الخندق فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا وأخطأهم الطريق فسقطوا في الخندق وأخرج منهم المسلمون أربعين رجلا وحصرهم الحرشي ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة انك غدرت بنا وسألوه أن ينصرهم فقال قد أتوكم قبل انقضاء الاجل ولستم في جواري فطلبوا الصلح وسألوا الامان وان يردهم الى الصغد واشترط عليهم أن يردوا ما في أيديهم من نساء العرب وذراريهم وان يؤدوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحدا ولا يتخلف منهم بخجندة احد فان أحدث احد ثالثا حلت دماؤهم فخرج اليهم الملوك والتجار من الصغد وترك أهل خجندة على حالهم ونزل عظماء الصغد على الجند الذين يعرفونهم ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان وبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة ممن كان في أيديهم فقال بلغني ان ثابتا قتل امرأة ودفنها فجعد فسأل فاذا الخبر صحيح فدعا بثابت الى خيمته فقتله فلما سمع كارزنج بقتله خاف أن يقتل وارسل الى ابن أخيه ليأتيه بسراويل وكان قد قال لابن أخيه اذا طلبت سراويل

البلدان الشاسعة وله بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار لم تنظر لتعظيم هذا الصنم من الهند وخبر الهيكل الذي فيه الصنم ببلاد المولتان على نهر مهران من أرض السغد وخبر سندار كسري ببلاد مرماسين من أعمال الدينور من ماه الكوفة وكثير من أخبار العالم وخواص بقاعه وأبنيته وجباله وتدافع ما فيه من الخلق وغيره مما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وكذلك ما خص به كل بلد من اللباس والاخلاق دون غيرهم وما انفردوا به من أنواع الاغذية والمآكل والمشارب والشم وعجائب كل بلد وذكرنا أخبار البحار وما قيل في اتصال بعضها ببعض وتغلغل مياهها وما يحدث في كل بحر منها من الآفات وما فيه من الجوهر دون غيره من البحار كتكون المرجان ببحر المغرب وعدمه من غيره ووجود اللؤلؤ في البحر الحبشي دون غيره (وقد كان) بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم وبحر الروم طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم

فاعلم انه القتل فبعث به اليه وخرج واعترض الناس فقتل ناسا وتضعضع العسكر ولقوا منه شرا وانتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود فقتله ثابت وقتل الصغد اسرى عندهم من المسلمين مائة وخمسين رجلا فاخبر الحرشي بذلك فسأل فرأى الخبر صحيحا فامر بقتلهم وعزل التجار عنهم فقاتلوهم الصغد بالخشب ولم يكن لهم سلاح فقتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة آلاف وقيل سبعة آلاف واصطفى اموال الصغد وذراريهم وأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلم بن بديل العدوي عدي الرباب وقال وليتك المقسم. فقال بعد ما عمل فيه عمال الملك ليلة وله غيري فولاه غيره وكتب الحرشي الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب الى عمر بن هبيرة فكان هذا مما أوغر صدره عليه وقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم

اقر العين مصرع كار زنج * وكشكير وما لاقى يباد
وديوشتي ومالا في خلنج * بحصن خجند اذ مروا فبادوا

يقال ان ديوشتي دهقان سمرقند واسمه ديوآشنج فأعربوه وقيل كان على اقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكري فاشترى رجل منهم جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع وقد وضع يده على وجهه كانه رمد فرد الجونة فاخذ الدرهمين فطلب فلم يعرف وسرح الحرشي سليمان بن أبي السري الى حصن يطيف به وادي الصغد الا عن وجه واحد ومعه خوارزمشاه وصاحب أجرون وشومان فسير سليمان على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي فلقوه على فرسخ فهزمهم حتى ردهم الى حصنهم فحصرهم فطلب الديوشتي ان ينزل على حكم الحرشي فسيره اليه فاكرمه وطلب أهل القلعة الصلح على ان لا يتعرض لنسائهم وذراريهم ويسلموا القلعة فبعث سليمان الى الحرشي ليبعث الامناء لقبض ما في القلعة فبعث من قبضه وباعوه وقسموه وسار الحرشي الى كش وصالحوه على عشرة آلاف رأس وقيل ستة آلاف رأس وسار الى زرنج فوافاه كتاب ابن هبيرة باطلاق ديوشنج فقتله وصلبه وولى نصر بن سيار قبض صلح كش واستعمل سليمان بن أبي السري على كش ونسف حربها وخراجها وكانت خزائن منيعة فقال المجشر للحرشي الا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الحريت بن راشد الناجي فوجهه اليها وكان صديقا لملكها واسم الملك سبغرى فاخبر الملك بما صنع الحرشي بأهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال ان تنزل بامان قال فما أصنع بمن لحق بي قال تجعلهم في امانك فصالحهم فامنوه وبلاده ورجع الحرشي الى بلاده ومعه سبغرى فقتل سبغرى وصلب ومعه الامان

﴿ذكر ظفر الخزر بالمسلمين﴾

في هذه السنة دخل جيش للمسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت النهراني فاجتمعت الخزر في جمع كثير وأعانهم قبجاق وغيرهم من أنواع الترك فلقوا المسلمين في مكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا فقتل من المسلمين بشر كثير واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع ما فيه وأقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال يا أمير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء العدو ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد

﴿ذكر ولاية الجراح أرمينية وفتح بالنجر وغيرها﴾

لما تمت الهزيمة المذكورة على المسلمين طمع الخزر في البلاد فجمعوا وحشدوا واستعمل يزيد بن

وان الله عز وجل قد جعل ذلك حاجزا على حسب ما أخبر في كتابه والموضع الذي حفره بحر القلزم يعرف بذنب التمساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر واجرى خليجا من هذا البحر الى موضع يعرف بالحامة صنعه محمد بن علي المحراني من أرض مصر في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فلم يتأت له اتصال ما بين بحر الروم وبحر القلزم (وحفر خليج) آخر مما يلي بلاد تنيس ودمياط وبحيرتهما ويعرف هذا الخليج بالزنير والحسة واستمر الماء في هذا الخليج من بحر القلزم الذي في نحو من هذه القرى ومن بحر القلزم في خليج ذنب التمساح فيتتابع ارباب المراكب وتقرب حمل ما في كل بحر الى آخر ثم ارتدم ذلك على تطاول الدهور وملأته السوافي من الرمل وغيره (وقد رام الرشيد) ان يوصل بين هذين البحرين مما يلي النيل من أعالي مصبه من نحو بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل فرام ذلك مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على أن يكون مصب

عبد الملك الجراح بن عبد الله الحكمي حينئذ على أرمينية وأمده بجيش كثيف وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء وبقصد بلادهم فسار الجراح وتسامع الخزر به فعادوا حتى نزلوا باب والابواب ووصل الجراح الى برذعة فاقام حتى استراح هو ومن معه وسار نحو الخزر فعبر نهر الكر فسمع بان بعض من معه من أهل تلك الجبال قد كاتب ملك الخزر يخبره بسير الجراح اليه فحينئذ أمر الجراح مناديه فنادى فى الناس أن الامير مقيم ههنا عدة أيام فاستكثروا من الميرة فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره أن الجراح مقيم ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه فلما كان الليل أمر الجراح بالرحيل فسار مجدا حتى انتهى الى مدينة الباب والابواب فلم ير الخزر فدخل البلد فبعث سراياه فى النهب والغارة على مايجاوره فغنموا وعادوا من الغد وسار الخزر اليه وعليهم ابن ملكهم فالتقوا عند نهر الران واقتتلوا قتالا شديدا وحرض الجراح أصحابه واشتد القتال فظفروا بالخزر وهزموهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم وسار واحتى نزلوا على حصن يعرف بالحصين فنزل أهله بالامان على مال يحملونه فاجابهم ونقلهم عنها ثم سار الى مدينة يقال لها برغوفاقام عليها ستة أيام وهو مجد فى قتالهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم حصنهم ونقلهم منه ثم سار الجراح الى بلنجر وهو حصن مشهور من حصونهم فنازله وكان اهل الحصن قد جمعوا ثلثمائة عجلة شدوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن وكانت تلك العجل أشد شئ على المسلمين فى قتالهم فلما رأوا الضرر الذى عليهم منها انتدب جماعة منهم نحو ثلاثين رجلا وتعاهدوا على الموت وكسروا جفون سيوفهم وحملوا حملة رجل واحد وتقدموا نحو العجل وجد الكفار فى قتالهم ورموا من النشاب ما كان يحجب الشمس فلم يرجع أولئك حتى وصلوا الى العجل وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذى يمسكها وجذبوها فانحدرت وتبعها سائر العجل لان بعضها كان مشدودا الى بعض وانحدر الجميع الى المسلمين والتحم القتال واشتد وعظم الامر على الجميع حتى بلغت القلوب الحناجر ثم ان الخزر انهزموا واستولى المسلمون على الحصن عنوة وغنموا جميع مافيه فى ربيع الاول فاصاب الفارس ثلثمائة دينار وكانوا بضعة وثلاثين ألفا ثم ان الجراح أخذ أولاد صاحب بلنجر وأهله وأرسل اليه أحضره ورد اليه أمواله واهله وحصنه وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله الكفار ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن الوبندر وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه ثم ان أهل تلك البلاد تجمعوا وأخذوا الطرق على المسلمين فكتب صاحب بلنجر الى الجراح يعلمه بذلك فعاد مجدا حتى وصل الى رستاق ملى وأدركهم الشتاء فاقام المسلمون به وكتب الجراح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه وبما اجتمع من الكفار ويسأله المدد فوعده انفاذ العساكر اليه فادركه أجله قبل انفاذ الجيش فارسل هشام بن عبد الملك الى الجراح أقره على عمله ووعده المدد

﴿ذكر عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة﴾

وفى هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة وكان عامله عليهما ثلاث سنين وولى عبد الواحد النضرى وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن خطب فاطمة بنت الحسين بن على فقالت ما أريد النكاح واقد قعدت على بنى هؤلاء فالح عليها وقال لئن لم تفعلى لاجلدن أكبر بنيك فى الخمر يعنى عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على وكان على الديوان بالمدينة

بحر القلزم الى البحر الرومى فقال يحيى بن خالد يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك أن مراكبهم تنتهى من بحر القلزم الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلى جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة على ماذكرنا فامتنع من ذلك (وقد حـ) عن عمرو بن العاص حين كان بمصر أنه رام ذلك فمنعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما وصفنا من فعل الروم وسراياهم وذلك فى حال ما افتتحها عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وآثار الحفر بين هذين البحرين فيما ذكرنا من المواضع والخلجان على حسب ماشرعت فيه الملوك السالفة طلبا لعمارة الارض وخصب البلاد وعيش الناس بالاقوات وان يحمل الى كل بلد مافيه من الاقوات وغيرها من ضروب المنافع وضروب المرافق والله تعالى أعلم

(ذكر جامع التاريخ من بدء العالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لحق بهذا الباب)

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا جملا من تباين الناس

ابن هرمز رجل من اهل الشام وقد رفع حسابه و يريد أن يسير الى يزيد فدخل على فاطمة يودعها فقالت تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض منى و بعثت رسولا بكتاب الى يزيد يخبره بذلك وقدم ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل من مغربة خبر فأخبره بذكر شأن فاطمة فقال الحاجب ليزيد بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز انها حملتنى رسالة وأخبره بالخبر فنزل من فراشه وقال لا أم لك عندك هذا ولا تخبرنيه فاعتذر بالنسيان وأذن لرسولها فادخله وأخذ الكتاب فقرأه وجعل يضرب بخيزران فى يده و يقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى صوته فى العذاب قيل له عبد الواحد بن عبد الله النضرى فكتب بيده الى عبد الواحد قد وليتك المدينة فاهبط اليها واعزل عنها ابن الضحاك وغرمه اربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى وسار البريد بالكتاب ولم يدخل على ابن الضحاك فاخبر ابن الضحاك فأحضر البريد وأعطاه ألف دينار ليخبره خبره فاخبره فسار ابن الضحاك مجدا فنزل على مسلمة بن عبد الملك فاستجاره فحضر مسلمة عند يزيد فطلب اليه حاجة حالة وقال كل حاجة هى لك الا ابن الضحاك فقال هى والله ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبدا وردده الى المدينة الى عبد الواحد فعذبه واتى شر اتم ابسر جبة صوف يسأل الناس وكان قدوم النضرى فى شوال سنه أربع ومائة وكان ابن الضحاك قد آذى الانصار طرا فهجاه الشعراء وذمه الصالحون ولما وليهم النضرى أحسن السيرة فأحبوه وكان خيرا يشير فيما يريد فعله القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ابن عمر

﴿ ذكر ولادة أبى العباس السفاح ﴾

قيل وفيها ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن محمد بن على فى ربيع الآخر وهو السفاح ووصل الى أبيه محمد بن على أبو محمد الصادق من خراسان فى عدة من أصحابه فأخرج اليهم ابا العباس فى خرقة وله خمسة عشر يوما وقال لهم هذا صاحبكم الذى يتم الامر على يده فقبلوا أطرافه وقال لهم والله ليتمن الله هذا الامر حتى تدركوا ثاركم من عدوكم

﴿ ذكر عزل سعيد الحرشى ﴾

وفى هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيدا الحرشى عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى وكان السبب فى ذلك ما كان كتبه ابن هبيرة الى الحرشى باطلاق الدبوشتى فقتله وكان يستخف بابن هبيرة و يذكره بأبى المثنى فيقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فبلغ ذلك ابن هبيرة فارسل جميل بن عمران ليعلم حال الحرشى وأظهر أنه ينظر فى الدواوين فلما قدم على الحرشى قال كيف أبو المثنى فقيل له ان جميلا لم يقدم لا ليعلم علمك فسم بطيخة وبعث بها اليه فأكلها ومرض وسقط شعره ورجع الى ابن هبيرة وقد عولج فصح فقال له الامر أعظم مما بلغك ما يرى الحرشى الا أنك عامل له فغضب وعزله ونفخ فى بطنه النمل وعذبه حتى أدى الاموال وسمر ليلة ابن هبيرة فقال من سعيد قيس فقالوا الامير قال دعوا هذا سعيد قيس الكوثر بن زفر لو ثور بليل لوفاه عشرون ألفا لا يقولون لم دعوتنا وفارسها هذا الحمار الذى فى الحبس وقد أمرت بقتله يعنى الحرشى فاما خير قيس لها فعسى ان أكونه فقال له اعرابى من بنى فزارة لو كنت كما تقول ما أمرت بقتل فارسها فارسل الى معقل بن عروة أن كف عن قتله وكان قد سلمه اليه ليقتله وكان ابن هبيرة لما ولى مسلم بن سعيد خراسان أمره بأخذ الحرشى وتقييده وانفاذه اليه فقدم مسلم دار الامارة فرأى الباب مغلقا فقيل للحرشى قدم مسلم فأرسل اليه أقدمت أميرا أو وزيرا أو وزيرا وثرا وقال مثلى لا يقدم وزيرا ولا وزيرا فاتاه الحرشى فشتمه وقيده وأمر بحبسه ثم مر صاحب الحبس

فى يده العالم ممن أثبت حدوثه ونفاه وماجرت الآراء بهم فيه الى جهات شتى وقد أخبرنا انهم طوائف وفرق من اليونانيين ومن وافقهم على القول بالقدم من الفلكيين والطبيعيين وما أوردته الفلكية من قولها ان الحركة الصانعة للاشخاص الحالة فيها الارواح متى قطعت المسافة التى بين العقدة التى ابتدأت منها حتى تنتهى اليها راجعة ثم تنفصل عنها اعادت كل ما بدأت أولا كهيئته وأشخاصه وصوره وضروب أشكاله اذ كانت العلة والسبب اللذين بوجودهما توجد الاشياء ووجود الوجود بده فوجب ظهور الاشياء متى عادت الى المبدا الذى كان عند الصدر ثم ما نعقب هذا القول من قول الطبيعيين ان علة كون الاشياء الجسمانية والنفسانية من قبل حركات الطبائع واختلاطها لان الطبيعة عندهم تحركت فى بدوها واختلطت فاظهرت الحيوان والنبات وسائر الموجودات فى العالم وجعلت لها أصلا فى التناسل فحركت عن تبقية الاشخاص وعرت الى

أن يزيده قيدا فاخبر الحرشي بذلك فقال لكاتبه اكتب اليه ان صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدني قيدا فان كان أمر امن فوقك فسمعا وطاعة وان كان رأيا رأيته فسيرك الحقيقة وهي أشد السير وتمثل

فاما تثقفوني فاقتلوني * ومن يثقف فليس له خلود
هم الاعداء ان شهدوا وغابوا * أولوا الاحقاد والاكباد سود

فلما هرب ابن هبيرة عن العراق أرسل خالد القسري في طلب الحرشي فادركه على الفرات فقال ماظنك بي قال ظني بك انك لاتدفع رجلا من قومك الى رجل من قيس فقال هو ذاك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى وفيها مات أبو قلابة الجرمي وقيل سنة سبع ومائة وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري وفيها توفي يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة وفيها مات عامر بن سعد بن أبي وقاص وفيها توفي موسى بن طلحة بن عبيد الله وعمير مولى ابن عباس يكنى أبا عبد الله وخالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي سكن الشام

﴿ثم دخلت سنة خمس ومائة﴾

﴿ذكر خروج عقفان﴾

في أيام يزيد بن عبد الملك خرج حروري اسمه عقفان في ثمانين رجلا فاراد يزيد أن يرسل اليه جندا يقاتلونه فقيل له ان قتل بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة والرأي أن تبعث الى كل رجل من اصحابه رجلا من قومه يكايده ويرده ففعل ذلك فقال لهم أهلوهم انا نخاف أن تؤخذ بكم وأمنوا وبقي عقفان وحده فبعث اليه يزيد أخاه فاستعطفه فرده فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فقدم ابنه من خراسان عاصيا فشده وثاقا وبعث به الى هشام فاطلقه لابيه وقال لولا انا عقفنا لكتم أمر ابنه واستعمل عقفان على الصدقة فبقي عليها الى ان توفي هشام

﴿ذكر خروج مسعود العبدي﴾

وخرج مسعود بن أبي زينب العبدي بالبحرين على الاشعث بن عبد الله بن الجارود ففارق الاشعث البحرين وسار مسعود الى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلي ولاه اياها عمر بن هبيرة فخرج اليه سفيان فاقتتلوا بالخضرمة قتالا شديدا فقتل مسعود وأقام بامر الخوارج بعده هلال ابن مدلج فقاتلهم يومه كله وقتل ناس من الخوارج وقتلت زينب أخت مسعود فلما امسى هلال تفرق عنه أصحابه وبقي في نفر يسير فدخل نصرا فتحصن به فنصبوا عليه السلاليم وصعدوا اليه فقتلوه واستأمن أصحابه فامنهم وقال الفرزدق في هذا اليوم

لعمري لقد سلت حنيفة سلة * سيوفا أبت يوم الوغى أن تغيرا
تركن لمسعود وزينب أخته * رداء وسربالا من الموت أحمرا
أرين الحرور يوم يوم لقائهم * ببرقان يوما تجعل الموت أشقرا

وقيل ان مسعودا غلب على البحرين واليمامة تسع عشرة سنة حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي (الخضرمة بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء)

﴿ذكر مصعب بن محمد الوالبي﴾

النسل وأن الطبائع تنتقل من مركب الى بسيط ومن بسيط الى مركب حتى أرى المركب كيف مافيه وعادت الاشياء الى البسيط وابتدأ الكون على طريقه لان الذي أوجبه أولا قد وجد فحقه أن يوجد منه بوجود المعنى الذي أوجده فظهر ذلك الظهور كالنبات في الربيع وتحرك قوته تحت الثرى وذلك أن الشمس تبلغ في الربيع الى رأس الحمل بادئة في شرفها آخذة في ممرها وهي العلة الكبرى في الاحياء وما حدث من الثمر والزهور في الشجر بادئا كان ظاهرا بالمثال الاول الذي قد بادا في الشتاء ويبسه وبرده لان علة الكون الحرارة والرطوبة وعلة الفساد البرد واليبس فاذا انتقلت الاشياء من الحرارة والرطوبة الى البرد واليبوسة فارقت الكون المتم ودخلت الفساد فاذا انتهى بها الفساد الى غايته وأوصلها الى نهايته عاقبها الكون بوصول الشمس الى رأس الحمل فبدأ بها بعادته في انشائها وأبرزها من خساسة الفساد الى نفاسة الكون ولو كانت الحواس تضبط شأن الاجسام وتحيط بانتقالها

كان مصعب من رؤساء الخوارج وطلبه عمر بن هبيرة وطلب معه مالك بن الصعب وجابر بن سعد فخرجوا واجتمعوا بالخورنق وأقروا عليهم مصعبا ومعه أخته آمنة وساروا عنه فلما ولى هشام بن عبد الملك واستعمل على العراق خالدا القسري سير اليهم جيشا وكانوا قد صاروا بحزة من أعمال الموصل فالتقوا واقتتلوا فقتل الخوارج وقيل كان قتلهم آخر أيام يزيد بن عبد الملك فقال فيهم بعض الشعراء

فتية تعرف التخشع فيهم * كلهم أحكم القرآن اماما
قد برى لحمه التهجد حتى * عاد جلدا مصفرا وعظاما
غادروهم بقاع حزة صرعى * فسقى الغيث أرضهم يا اماما

﴿ ذكر موت يزيد بن عبد الملك ﴾

في هذه السنة توفي يزيد بن عبد الملك لخمس بقين من شعبان وله أربعون سنة وقيل خمس وثلاثون سنة وقيل غير ذلك وكانت ولايته أربع سنين وشهرا وأياما وكنيته أبو خالد وكان مرضه السل وقيل كان سبب موته أن حبابة لما ماتت وجد عليها وجدا شديدا على ما نذكره ان شاء الله تعالى فخرج مشيعا لجنازتها ومعه أخوه مسلمة بن عبد الملك ليسليه ويعزيه فلم يجبه بكلمة وقيل ان يزيد لم يطق الركوب من الجزع وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها وقيل منعه مسلمة عن ذلك لئلا يرى الناس منعه ما يعيبونه به فلما دفنت بقي بعدها خمسة عشر يوما ومات ودفن الى جانبها وقيل بقي بعدها أربعين يوما لم يدخل عليه أحد الا مرة واحدة ولما مات صلى عليه أخوه مسلمة وقيل ابنه الوليد وكان هشام بن عبد الملك بحمص

﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان يزيد من فتيانهم فقال يوما وقد طرب وعنده حبابة وسلامة القس دعوني أطير قالت حبابة على من تدع الامة قال عليك قيل وغمته يوما

وبين التراقي واللهاة حرارة * وما طمئت ماء يسوغ فتبردا

فاهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فقال والله لاطيرن فقالت على من تخاف الامة والملك قال عليك والله وقبل يدها فخرج بعض خدمه وهو يقول سخنت عينك فما أسخفك وخرجت معه الى ناحية الاردن تتنزهان فرماها بحية عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو يشمها ويقبلها وينظر اليها ويبكي فتكلم في أمرها حتى أذن في دفنها وعاد الى قصره كئيبا حزينا وسمع جارية له تتمثل بعدها

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فبكى وبقي يزيد بعد موتها سبعة أيام لا يظهر للناس أشار عليه مسلمة بذلك خاف ان يظهر منه ما يسفه عندهم وكان يزيد قد حج أيام أخيه سليمان فاشترى حبابة بأربعة آلاف دينار وكان اسمها العالية وقال سليمان لقد هممت ان أحجر على يزيد فردها يزيد فاشتراها رجل من أهل مصر فلما افضت الخلافة الى يزيد قالت امرأته سعدة هل بقي من الدنيا شئ تتمناه قال نعم حبابة فأرسلت فاشترتها ثم صيغتها وأتت بها يزيد فأجلستها من وراء الستر وقالت يا أمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شئ تتمناه قال قد أعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وتركتها عنده فحظيت سعدة عنده وأكرمها وسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ولما مات يزيد لم يعلم بموته حتى ناحت سلامة فقالت

من حال الى حال لشاهدت عمرها في دائرة الزمان مبتدئة في رتبها راجعة اليها مشكلة في محيط الدائرة باشكال توافق بعضها والشكول مختلفة باختلاف العلل متفرقة في المرور كاختلاف الاسباب وفي هذا القول من هذه الطائفة ما صرح بالقول وأبان عنه وقضية الفحص توجب أن الاشياء الموجودة غير خالية من احد منزلين اما أن يكون بدأ وانتهاء واما أن يكون بدأ لا انتهاء فواجب أن تكون أجزاؤها وأبعاضها غير متناهية وواجب أن يكون الزمان غير عاد لها ولا حاصر لجميعها وقد وجدنا التناهي والابداء في اجزائها وأبعاضها على الدوام وانا في كل يوم جديد نعاين خلقا حديدا وصورا في العالم لم تكن وصورا بادئة قد كانت متأخلة وفي هذا ما يدل على حصر الاشياء واوقعها في غاية انتهاء صدرها واوجب أن للاشياء بدأ وانتهاء وبطل قسم المتوهم أن الاشياء بلا نهاية وان ليس لها ابتداء ولا غاية وذلك باطل ومحال فاسد ولو وجب أن تكون الاشياء الموجودة بلا بدء ولا نهاية

لوجب ان لا يزول شئ من مركزه ولا يتحول عن رتبته ولبطلت الاستحالة وبسطت المتضادة وهذا مستحيل ولوجب أن تكون الاشياء على غير نهاية ولما كان لقولنا اليوم وأمس وغدا معنى لان هذه الازمان بعد ماهو بالنهاية ويوجد فى حوزتها ايجاد مالم يكن ودخلها فى حوزتها ماهو كائن وفيما ذكرنا ما أوضح عن تنقل شأن المعانى ودل على حدوث الاجسام وهذه الدلالة ماخوذة من الحسن ومستظهرة للعقول والبحث واذ قد وضح ان الاشياء محدثة لكونها بعد ان لم تكن فلابد من محدث هو بخلافها الاشكل له ولا مثل لان العقل لا يقيم شيأ مثلا حتى يعلم له قدرا ووزنا يعادله بمثله وشكله وتعالى وجل وعز من لا تعبر عن ذاته اللغات وتعجز العقول أن تحصره بالصفات وتدركه بالاشارات أو يكون ذا غايات ونهايات (قال المسعودى) فلنرجع الآن الى الكلام فى حصر تاريخ العالم لما ذكرنا قول من قال بقدمه ودل على أزليته وقد تقدم ذكرنا القول الهند فى ذلك

لاتلمها ان خشعنا * أو همت بخشوع
قد لعمرى بت ليلى * كاخى الداء الوجيع
ثم بات الهم منى * دون من لى بضجيع
للذى حل بنا اليو * م من الامر الفظيع
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعى
قد خلا من سيد كا * ن لنا غير مضيع

ثم نادت وا أمير المؤمنيناه فعلموا بموته والشعر لبعض الانصار وأخبار يزيد مع سلامة وحبابة كثيرة ليس هذا موضع ذكرها وانما قيل لسلامة القس لان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار أحد بنى جشم بن معاوية بن بكير كان فقيها عابدا مجتهدا فى العبادة وكان يسمى القس لعبادته مر يوما بمنزل مولاها فسمع غناءها فوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له هل لك ان تنتظر وتسمع فأبى وقال أنا أقعدها بمكان لا تراها وتسمع غناءها فدخل معه فغنته فأعجبه غناؤها ثم أخرجها مولاها اليه فشغف بها وأحبها وأحبته هى أيضا وكان شابا جميلا فقالت له يوما على خلوة أنا والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أقبلك قال وأنا والله قالت وأحب أن أضع بطنى على بطنك قال وأنا والله قالت فما يمنعك قال قول الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره ان تؤول خلتنا الى عداوة ثم قام وانصرف عنها وعاد الى عبادته وله فيها الشعار منها

ألم ترها لا يبعد الله دارها * اذا طربت فى صوتها كيف تصنع
تمد نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وله فيها

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر * وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر
ألا ليت انى حيث صارت بها النوى * جليس لسلمى كلما عج مزهر
اذا أخذت فى الصوت كاد جليسها * يطير اليها قلبه حين ينظر

وقيل لها سلامة القس لذلك (سلامة بتشديد اللام وحبابة بتخفيف الباء الموحدة)

﴿ (ذكر خلافة هشام بن عبد الملك) ﴾

فى هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان وكان عمره يوم استخلف أربعا وثلاثين سنة وأشهرا وكان ولادته عام قتل مصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين وسماه عبد الملك منصورا وسمته أمه باسم أبيها هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلم ينكر عبد الملك ذلك وكانت أمه عائشة بنت هشام حقاه فطلقها عبد الملك وكانت كنية هشام أبا الوليد وأتته الخلافة وهو بالرصافة أتاه البريد بالخاتم والقضيب وسلم عليه بالخلافة فركب منها حتى أتى دمشق

﴿ (ذكر ولاية خالد القسرى العراق) ﴾

فيها عزل هشام عمر بن هبيرة عن العراق واستعمل خالد بن عبد الله القسرى فى شوال قال عمر بن يزيد بن عمير الاسيدى دخلت على هشام وخالد عنده وهو يذكر طاعة أهل اليمن فقلت والله ما رأيت هكذا خطأ وخطلا والله ما فتحت فتنة فى الاسلام الا بأهل اليمن هم قتلوا عثمان وهم خلعوا عبد الملك وان سيوفا لتقطر من دماء أهل المهلب قال فلما قمت تبعنى رجل من آل مروان فقال يا أخا بنى تميم ورت بك زنادى قد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين قد ولى خالدا العراق وليست لك بدار فسار خالد الى العراق من يومه (الاسيدى بضم الهمزة وتشديد الياء هكذا يقوله

المحدثون

المحدثون وأما الصلاة فانهم يخففون الياء وهى عند الجميع نسبة الى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهمزة وتشديد الياء)

﴿(ذكر دعاة بنى العباس)﴾

قيل وفى هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند كان بهامع الجنيد بن عبد الرحمن فلما عزل الجنيد قدم بكير الكوفة ومعه أربع لبنات من فصة ولبنة من ذهب فلقى أبا عكرمة الصادق والمغيرة ومحمد بن خنيس وسالما الاعين وأبا يحيى مولى بنى سلمة فذكر وله أمر دعوة بنى هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق ماصحبه عليهم ودخل الى محمد بن على ومات ميسرة فأقامه مقامه

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة غزا الجراح الحكمى اللان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون وراء بلنجر ففتح بعض ذلك وأصاب غنائم كثيرة وفيها كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية فى نحو ألف مقاتل فأصيبوا جميعا وفيها غزا مسلم بن سعيد الكلابى أمير خراسان الترك بما وراء النهر فلم يفتح شيأ وقفل فتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون جيحون وعلى الساقة عبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم فحاموا حتى عبر الناس وغزا مسلم أفشين فصالح أهلها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة وذلك لتمام خمس ومائة بعد موت يزيد بن عبد الملك وفيها غزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى فافتتح قونية من أرض الروم وكنخ وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك فارسل الى عطاء متى أخطب قال بعد الظهر قبل التروية بيوم فخطب قبل الظهر وقال أخبرنى رسولى عن عطاء فقال عطاء ما أمرته الا بعد الظهر فاستحيا وكان هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد النضرى وكان على العراق وخراسان عمر بن هبيرة وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وفى هذه السنة مات كثير عزة وعكرمة مولى ابن عباس وكان عكرمة زوج أم سعيد بن جبير وفيها مات حميد بن عبد الرحمن بن عوف وقيل سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وفيها توفى الضحاك بن مزاحم وفيها توفى عبيد بن حسين وهو ابن خمس وسبعين سنة وأبو رجاء العطاردى وأبو عبد الرحمن السلمى وله تسعون سنة واسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة وفيها توفى عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أمه صفية أخت المختار وأوصى اليه أبوه وفيها توفى أخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر وهو أخو سالم لامه أمهما أم ولد وفى أيام يزيد بن عبد الملك توفى أبان بن عثمان بن عفان وكان قد فلج وفيها توفى عمارة بن خزيمة بن ثابت الانصارى وله خمس وسبعون سنة وفى أيام يزيد بن عبد الملك مات المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى وعطاء بن يزيد الجندعى الليثى ومولده سنة خمس وعشرين سكن الشام (الجندعى بضم الجيم والدال المهملة المفتوحة والنون) وعراك بن مالك الغفارى والد خثيم بن عراك ومورق العجلى

﴿ثم دخلت سنة ست ومائة﴾

﴿(ذكر الوقعة بين مضر واليمن بخراسان)﴾

قيل وفى هذه السنة كانت الوقعة بين المضرية واليمانية بالبروقان من أرض بلخ وكان سبب ذلك ان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة غزا قبط الناس عنه وكان ممن تبط أعنه البختري بن درهم فرد مسلم نصر بن سيار وبلعاء بن مجاهد وغيرهما الى بلخ فامرهم ان يخرجوا الناس اليه فاحرق نصر باب البختري وزياد بن طريف الباهلى فهم عمرو بن مسلم أخو قتيبة دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم

فيما سلف من هذا الكتاب وأما اليهود فانهم زعموا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأخذوا فى ذلك مأخذا سريعا وذهبت النصارى الى أن عمر العالم ماذهبت اليه اليهود واما الصابئة من الحرانيين والكاذبين فقد ذكرنا قولهم فى ذلك فى جملة قول اليونانيين وأما المجوس فانهم ذهبوا فى ذلك الى حد معلوم من تفاد قوة الهرميد وكيده وهو الشيطان ومنهم من ذهب فى ذلك الى نحو ماذهب اليه أصحاب الانيس والجلاس وأن العالم سيعود بدأ مختصا من الشرور والآفات وزعمت المجوس ان من وقت زرادشت بن سيمان نبيهم الى الاسكندر مائتين وثمانين سنة وملك الاسكندر ست سنين ومن ملك الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وأربع وستون سنة فذلك من هبوط آدم الى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وستة وعشرون سنة منها من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفان ومائتان وست وخمسون سنة ومن الطوفان الى مولد ابراهيم الخليل عليه

ابن سعيد النهر ونزل نصر بن سيار البروقان واتاه أهل الصغانيان ومسلمة التميمي وحسان بن خالد الاسدي وغيرهما وتجمعت ربيعة والازد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر وخرجت مضر الى نصر وخرجت ربيعة والازد الى عمرو بن مسلم بن عمرو وأرسلت تغلب الى عمرو بن مسلم انك منا وانشدوه شعرا قاله رجل من باهلة الى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فلم يقبل عمرو ذلك وسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحدانى فى الصلح وكلما انصرافا انصرف فحمل أصحاب عمرو ابن مسلم والبحترى على نصر وكر نصر عليهم فكان أول قتيل رجل من باهلة من أصحاب عمرو بن مسلم فى ثمانية عشر رجلا وانهزم عمرو وأرسل يطلب الامان من نصر فامنه وقيل أصابوا عمرا فى طاحونة فاتوا به نصرا وفى عنقه حبل فأمنه وضرب به مائة وضرب البحترى وزياد بن طريف مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل ان الهزيمة كانت أولا على نصر ومن معه من مضر فقال عمرو بن مسلم لرجل معه من تميم كيف ترى استاه قومك يا أخا تميم يعيره بذلك ثم كرت تميم فهزمت أصحاب عمرو فقال التميمى لعمرو هذه استاه قومى وقيل كان سبب انهزام عمرو ان ربيعة كانت مع عمرو فقتل منهم ومن الازد جماعة فقالت ربيعة علام نقاتل أخواننا وأميرنا وقد تقربنا الى عمرو فانكر قرابتنا فانزلوا فانهزمت الازد وعمرو ثم أمنهم نصر وأمرهم ان يلحقوا مسلم بن سعيد

﴿ذكر غزوة مسلم الترك﴾

ثم قطع مسلم النهر ولحق به من لحق من أصحابه فلما بلغ بخارا أتاه كتاب خالد بن عبد الله بولايته العراق ويأمره باتمام غزاته فسار الى فرغانة فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل اليه وأنه فى موضع ذكروه فارتحل فسار ثلاث مراحل فى يوم وأقبل اليهم خاقان فاتى طائفة من المسلمين وأصاب دواب لمسلم وقتل جماعة من المسلمين وقتل المسيب بن بشر الرياحى والبراء وكان من فرسان المهلب وقتل أخو غوزك وثار الناس فى وجوههم فاخرجوهم من العسكر ورحل مسلم بالناس فسار ثمانية أيام وهم مطيفون بهم فلما كانت التاسعة أرادوا النزول فشاوروا الناس فاشاروا به وقالوا اذا أصبحنا وردنا الماء صناغير بعيد فنزلوا ولم يرفعوا بناء فى العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الاثاث والامتعة فحرقوا ما قيمته ألف ألف وأصبح الناس فساروا فوردوا النهر وأهل فرغانه والشاش دونه فقال مسلم بن سعيد أعزم على كل رجل الا اخترط سيفه فسلوا وصارت الدنيا كلها سيوفا فتركوا الماء وعبروا فاقام يوما ثم قطع من غد واتبعهم ابن خاقان فارسل اليه حميد بن عبد الله وهو على الساقة قف لى فان خلفى مائتى رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو منقل جراحة فوقف الناس وعطف على الترك فقاتلهم وأسر أهل الصغد وقائدهم وقائد الترك فى سبعة ومضى البقية ورجع حميد فرمى بنشابة فى ركبته فمات وعاش الناس وكان عبد الرحمن العامرى حمل عشرين قربة على ابله فسقاها الناس جرعا جرعا واستسقى مسلم بن سعيد فاتوه باناء فاخذه جابر وحارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فما نازعنى شربتى الا من حر دخله وأتوا الجندة وقد أصابهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فاذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فاتياه بعهده على خراسان من اسد بن عبد الله أخى خالد فاقرأه عبد الرحمن مسلما فقال سمعا وطاعة وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام فى مغازة آمل قال الخزرج التغلبى قاتلنا الترك فاحاطوا بنا حتى أيقنا بالهلاك فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر بن الخنيف على الترك فى أربعة آلاف فقاتلهم

السلام ألف وتسع وسبعون سنة ومن مولد ابراهيم الى ظهور موسى بعد ثمانين سنة خلت من عمر موسى بن عمران وهو وقت خروجه ببنى اسرائيل من مصر الى التيه خمسمائة وخمس وستون سنة ومن خروجهم الى سنة أربع من ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك وقت ابتدائه فى بناء بيت المقدس سبعمائة وست وثلاثون سنة ومن بناء بيت المقدس الى ملك الاسكندر سبعمائة وسبع عشرة سنة ومن ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ومن مولد المسيح الى مولد النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة واحدى وعشرون سنة وبين أن رفع الله المسيح وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وست وأربعون سنة وبين مبعث المسيح وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة وأربعة وتسعون سنة (وكانت وفاة نبينا) صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعمائة وخمس وثلاثين سنة من سنى ذى القرنين ومن داود الى محمد صلى الله عليه وسلم ألف سنة

ساعة ثم رجع وأقبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم فحمل عليهم الناس فانهزم الترك وحوثرة وهو ابن أخى رقبة بن الحر قيل وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولاه ليكن حاجبك من صالح مواليك فانه لسانك والمعبر عنك وعليك بعمال العذر قال وما عمال العذر قال تامر أهل كل بلد ان يختاروا لانفسهم فان كان خيرا كان لك وان كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا وكان على خاتم مسلم بن سعيد توبة بن أبى سعيد فلما ولى اسد بن عبد الله خراسان جعله على خاتمه أيضا

﴿ذكر حج هشام بن عبد الملك﴾

وحج بالناس هذه السنة هشام بن عبد الملك وكتب له ابو الزناد سنن الحج قال ابو الزناد لقيت هشاما فانى انى الموكب اذ لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان فسار الى جنبه فسمعه يقول يا امير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على اهل بيت امير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون فى هذه المواطن اباتراب فانها مواطن صالحة وامير المؤمنين ينبغى له ان يلعنه فيها فشق على هشام قوله وقال لا قدمنا الشتم أحدولا للعنه قدمنا حاجا ثم قطع كلامه واقبل على فسالنى عن الحج فاخبرته بما كتبت له قال وشق على سعيد انى سمعته تكلم بذلك وكان منكسرا كلما رآنى

﴿ذكر ولاية اسد خراسان﴾

قيل وفى هذه السنة استعمل خالد بن عبد الله اخاه اسدا على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد بفرغانة فلما أتى اسد النهر ليقطعه منعه الاشهب بن عبيد التميمى وكان على السفن بآمل وقال قد نهيت عن ذلك فاعطاه ولاطفه فأبى قال فانى اميرفاذن له فقال اسد اعرفوا هذا حتى نشكره فى امانتنا واتى الصغد فنزل بالمرج وعلى سمرقند هانئ بن هانئ فخرج فى الناس يلقى اسدا فرآه على حمار فتفاءل الناس وقالوا ما عند هذا خير اسد على حمار ودخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند فقدما وسألا عنه وسلما اليه العهد فأتى به مسلما فقال سمعا وطاعة وقفل عبد الرحمن بالناس ومعه مسلم فقدموا على أسد بسمرقند فعزل هانئا عنها واستعمل عليها الحسن بن أبى العمرطة الكندى وقيل للحسن ان الاتراك قد أتوك فى سبعة آلاف فقال ما أتونا نحن أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ومع هذا فلا دين بعضكم من بعض ولا قربن نواصى خيلكم بخيلهم ثم سبهم ودعا عليهم ثم خرج اليهم متباطئا فاغاروا ورجعوا سالمين واستخلف على سمرقند ثابت قطنة فخطب الناس فارتج عليه وقال ومن يطع الله ورسوله فقد ضل فسكت ولم ينطق بكلمة وقال

ان لم أكن فيكم خطيبا فانني * بسيفى اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فقال حاجب الفيل البشكرى يعيره بحضرته

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة * يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان اذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شاهق النيق
لما رمتك عيون الناس صاحية * أنشأت تحرض لما قت بالريق
أما القران فلا تهدى لحكمة * من القرآن ولا تهدى لتوفيق

﴿ذكر استعمال الحرعلى الموصل﴾

فى هذه السنة استعمل هشام الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية على الموصل وهو الذى بنى المنقوشة دارا يسكنها وانما سميت المنقوشة لانها كانت منقوشة بالساج والرخام

وسبعمائة سنة وسنتان وستة أشهر وعشرة أيام ومن ابراهيم الى محمد صلى الله عليه وسلم ألفا سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وستة أشهر وعشرة أيام ومن نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وعشرون سنة وعشرة أيام فعلى هذا القول ان جميع جملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى مبعث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة واحدى عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام فجملة التاريخ من هبوط آدم الى الارض الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى بالله ونزوله الرقة من ديار مضر خمسة آلاف سنة ومائة وست وخمسون سنة (وقد ذكرنا) جملا من التاريخ فيما سلف من هذا الكتاب فلم نعد منه ما تقدم (وللمجوس) فى التواريخ أقاصيص يطول ذكرها وعود الملك اليهم والى غيرهم من الطوائف السالفة فى بدو العالم وفنائه ومن قال منهم ببقائه وأن لا بدء له ولا نهاية ومن ذهب منهم الى أن له انتهاء ولا بدء له قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا فاغنى ذلك عن الاعادة فى هذا الكتاب لاشتراطنا

والفصوص الملونة وماشاكلها وكانت عند سوق القتابين والشعارين وسوق الاربعاء وأما الآن فهي خربة تجاور سوق الاربعاء وهذا الحر الذي عمل النهر الذي كان بالموصل وسبب ذلك انه رأى امرأة تحمل جرة ماء وهي تحملها قليلا ثم تستريح قليلا لبعد الماء فكتب الى هشام بذلك فامر بحفر نهر الى البلد فحفره فكان أكثر شرب أهل البلد منه وعليه كان الشارع المعروف بشارع النهر وبقي العمل فيه عدة سنين ومات الحر سنة ثلاث عشرة ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كلم ابراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك وهو في الحجر فقال له أسألك بالله وبحرمة هذا البيت الذي خرجت معظما له الا رددت علي ظلامتي قال أي ظلامة قال داري قال فاين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمني قال فالوليد وسليمان قال ظلماني قال فعمر قال يرحمه الله رد ها علي قال فيزيد بن عبد الملك قال ظلمني وقبضها مني بعد قبضي لها وهي في يدك فقال هشام لو كان فيك ضرب لضربتك فقال في والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام وقال كيف سمعت هذا الانسان قال ما أجوده قال هي قريش والسنتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا * وفيها عزل هشام عبد الواحد النضري عن مكة والمدينة والطائف وولى ذلك خاله ابراهيم بن هشام بن اسمعيل فقدم المدينة في جمادى الآخرة فكانت ولاية النضري سنة وثمانية أشهر * وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي فصالح أهلها فادوا الجزية * وفيها ولد عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس في رجب * وفيها استقضى ابراهيم بن هشام على المدينة محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي وكان العامل على مكة والمدينة والطائف ابراهيم بن هشام المخزومي وكان على العراق وخراسان خالد ابن عبد الله القسري البجلي وكان عامل خالد على البصرة على صلاتها عقبة بن عبد الاعلى وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وحج بالناس هشام بن عبد الله * وفيها مات يوسف بن مالك مولى الحضرميين وبكر بن عبد الله المزني

﴿ثم دخلت سنة سبع ومائة﴾

﴿ذكر ملك الجنيد بعض بلاد السند وقتل صاحبه جيشبه﴾

في هذه السنة استعمل خالد القسري الجنيد بن عبد الرحمن على السند فنزل شط مهران فمنعه جيشبه بن ذاهر العبور وقال انا مسلمون فقد استعملني الرجل الصالح يعني عمر بن عبد العزيز على بلادي ولست آمنك فاعطاه رهنا وأخذ منه رهنا على بلاده من الخراج ثم انهما تراديا لرهن وكفر جيشبه وحاربه وقيل لم يحاربه ولكن الجنيد تجنى عليه فاتى الهند فجمع وأخذ السفن واستعد للحرب فسار الجنيد اليه في السفن أيضا فالتقوا فاخذ جيشبه أسيرا وقد جنحت سفينته فقتله وهرب أخوه صصه الى العراق ليشكو غدر الجنيد فخدعه الجنيد حتى جاء اليه فقتله وغزا الجنيد الكرج وكانوا قد نقضوا ففتحها عنوة وفتح أزين والمالية وغيرهما من ذلك الثغر

﴿ذكر غزوة عنبسة الفرغ بالاندلس﴾

في هذه السنة غزا عنبسة بن سحيم الكلبي عامل الاندلس بلد الفرنج في جمع كثير ونازل مدينة قرمونة وحصر أهلها فصالحوه على نصف أعمالها وعلى جميع ما في المدينة من اسرى المسلمين واسلابهم وان يعطوا الجزية ويلتزموا باحكام الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من

فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز والتنبيه على ما سلف لنا من الكتب (وقد ذهب) جماعة من أهل البحث والنظر من أهل الاسلام أن الدلالة قد قامت على حدوث العالم وكونه بعد أن لم يكن وأن المحدث له الخالق البارئ جل وعز أحدثه لا من شئ وبعثه لا من شئ في الآخرة ليصح بذلك وعده ووعيده اذ كان الصادق في وعده ووعيده لا مبتدل لكلماته وان أول العالم من لدن آدم وقد غاب عنا حصر السنين واحصاؤها وتنازع الناس في بدء التاريخ والكتاب لم يخبر بحصر أوقاته ولا بين عن كيفيته ولا اعداد سنيه فيما مضى وليس علم ذلك مما تهجم عليه الآراء ولا تحصره قضيات العقول وموجبات الفحص وضرورات الحواس عند مذاكرتها لمحسوساتها فكيف توجب أن بوقت عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة والله عز وجل يقول وقد ذكر الاجيال ومن ضمه الهلاك وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا والله تعالى ذكره يقول في الشئ الكثير الشئ الحقير وأعلمنا في كتابه خلق آدم وما كان من أمره وأمر الانبياء

سالموه فعاد عنهم عنبسة وتوفى فى شعبان سنة سبع ومائة أيضا وكانت ولايته اربع سنين وأربعة اشهر ولما مات استعمل عليهم بشر بن صفوان يحيى بن سلمة الكلبى فى ذى القعدة سنة سبع أيضا

﴿ذكر حال الدعاة لبنى العباس﴾

قيل وفيها وجه بكير بن ماهان أباء كرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمارا العبادى وزيادا خال الوليد الازرق فى عدة من شيعتهم دعاة الى خراسان فجاء رجل من كندة الى أسد بن عبد الله فوشى بهم اليه فاتى بابى عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمار فقطع أسد أيدى من ظفر به منهم وصلبهم وأقبل عمار الى بكير بن ماهان فاخبره فكتب الى محمد بن على بذلك فاجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم ومقالتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل * وفيها قدم مسلم بن سعيد الى خالد بن عبد الله فكان أسد يكرمه بخراسان ولم يعرض له فقدم مسلم وابن هبيرة يريد الهرب فنهاه عن ذلك وقال ان القوم فينا أحسن رأيا فيكم منهم * وفيها غزا أسد جبال غرون ملك غرشتان مما يلى جبال الطالقان فصالحه غرون وأسلم على يده وهم يتولون الغمر

﴿ذكر الخبر عن غزوة الغور﴾

قيل وفى هذه السنة غزا أسد الغور وهو جبال هراة فعمد أهلها الى اثقالهم فصيروها فى كهف يمين اليه طريق فامر اسدا باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بسلاسل فاستخرجوا ماقدروا عليه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عزل هشام الجراح بن عبد الله الحكمى عن أرمينية واذربيجان واستعمل عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك فاستعمل عليها مسلمة الحرث بن عمرو الطائى فافتتح من بلاد الترك رستاقا وقرى كثيرة وأثر فيها اثرا حسنا وفيها نقل أسد من كان بالبروقان الى بلخ من الجند وأقطع كل من كان له بالبروقان بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن اقطعه مسكنا وأراد ان ينزلهم على الاخماس فقيل له انهم يتعصبون فخلى بينهم وتولى بناء المدينة مدينة بلخ برمك أبو خالد بن برمك وبينها وبين البروقان فرسخان وجع بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها * وفيها مات سليمان بن يسار وعمره ثلاث وسبعون سنة وعطاء بن يزيد الليثى وله ثمان وتسعون سنة وقد تقدم ذكر وفاته سنة خمس ومائة (يسار بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة ثمان ومائة﴾

﴿ذكر غزوة الختل والغور﴾

قيل وفى هذه السنة قطع أسد النهر وأتاه خاقان فلم يكن بينهما قتال فى هذه الغزوة وقيل عاد مهزوما من الختل وكان أسد قد أظهر انه يريد يشتو بسرخ دره فامر الناس فارتحلوا ووجه رايته وسار فى ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبر الناس فقال مالهم فقالوا هذه علامتهم اذا اقتتلوا فقال للمنادى نادان الامير يريد الغور بين مضى اليهم فقاتلوهم يوما وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين بين الصفين فقال سالم بن أحوز لنصر بن سيار انا حامل على هذا العلج فلعلى اقتله فيرضى أسد فحمل عليه فطعنه فقتله ورجع سالم فوقف ثم قال لنصر انا حامل حملة أخرى فحمل فقتل رجلا آخر وجرح سالم فقال نصر لسالم قف حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحا وقال أترى ماصنعنا يرضيه لا ارضاه الله قال لا والله قال وأتاهما رسول اسد فقال يقول لكما الامير قد رأيت موقفكما وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين ان عدنا

بعده وأخبر عن شأن بدء الخلق ولم يخبرنا بمقدار ذلك فنقف عليه كوقوفنا عندما أخبرنا به ولاسيما مع علمنا أن البدء بيننا وبينه متفاوت وأن الارض كثرت بها المدن والملوك والعجائب فلا نحصر مالم يحصر الله عز وجل ولا يقبل من اليهود ماأوردته لنطق القرآن انهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون الحق وهم يعلمون ونفيهم النبوات وجحدهم ماأتوا به من الآيات مما أظهره الله عز وجل على يدى عيسى ابن مريم من المعجزات وعلى يدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من البراهين الباهرات والدلائل والعلامات والله عز وجل يخبر بما أهلك من الامم لما كان من فعلهم وكفرهم بربهم قال الله عز وجل الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله فهل ترى لهم من باقية ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب النسابون وأمر أن ينسب الى معد (١) ونهى أن

(١) قوله الى معد كذا كرره ولعله الى عدنان وعبارة متن الوهب اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه اه

يتجاوز بالنسب الى مافوق ذلك لعلمه بما مضى من الاعصار الخالية والامم الفانية ولولا ان النفوس الى الطارف أحن وبالنوادر أشغف والى قصار الاحاديث أميل وبها أكلف لذكرنا من اخبار المتقدمين وسير الملوك الغابرين مالم تذكره فى هذا الكتاب ولكن ذكرنا فيه ماقرب تناوله تلويحا بالقول دون الايضاح والشرح اذ كان معولنا فى جميع ذلك على ماسلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا واذ علم الله عز وجل موقع النية ووجه القصد اعان على السلامة من كل مخوف (وقد ذكرنا) فى هذا الكتاب من كل فن من العلوم وكل باب من الآداب على حسب الطاقة ومبلغ الاجتهاد والاختصار والايجاز لما سيعرفه من تأمل وينبه بها من رآها (واذ قد ذكرنا) جوامع مايحتاج اليه المبتدى والمنتهى من علوم العالم واخباره فلنذكر الآن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ووفاته وايام الخلفاء والملوك عصرا فعصرا الى وقتنا هذا ولم نعرض فى كتابنا هذا الكثير من الاخبار بل لوحنا بالقول

لمثل هذا وتحاجزوا ثم عادوا من الغد فاقتتلوا وانهزم المشركون وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد وأسروا وسبوا وغنموا وقد كان أصاب الناس جوع شديد بالختل فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال بعهما بخمسمائة درهم فلما مضى الغلام قال أسد لا يشتريهما الا ابن الشخير وكان فى المسلحة فدخل حين أمسى فرأى الشاتين فى السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح أحدهما وبعث الآخر الى بعض اخوانه فلما اخبر الغلام اسدا بالقصة بعث الى ابن الشخير بالف درهم وهو عثمان بن عبد الله بن الشخير أبو مطرف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم مما يلى الجزيرة ففتح قيسارية وهى مدينة مشهورة وفيها أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح حصنا من حصون الروم وفيها وجه بكير بن ماهان الى خراسان جماعة من شيعة بنى العباس منهم عمار العبادى فسعى بهم رجل الى أسد بن عبد الله أمير خراسان فاخذ عمارا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه فوصلوا الى بكير فاخبروه بذلك فكتب الى محمد ابن على بن عبد الله بن عباس فاجابه الحمد لله الذى صدق دعوتكم ونجى شيعتكم وقد تقدم سنة سبع ومائة ذكر هذه القصة وفيها ان عمارا نجا وفى هذه الرواية ان عمارا قطع فلهذا أعدنا ذكرها والله أعلم * وفيها وقع الحريق بدابق فاحترق المرعى والدواب والرحال وفيها سار ابن خاقان ملك الترك الى اذربيجان فحصر بعض مدنها فسار اليه الحرث بن عمرو الطائى فالتقوا فاقتتلوا فانهزم الترك وتبعهم الحرث حتى عبر نهر ارس فعاد اليه ابن خاقان فعاود الحرب أيضا فانهزم ابن خاقان وقتل من الترك خلق كثير وفيها خرج عباد الرعينى باليمن محكما فقتله أمير هما يوسف ابن عمر وقتل أصحابه وكانوا ثلثمائة وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ومعه ميمون بن مهران على أهل الشام فقطعوا البحر الى قبرس وغزا فى البر مسلمة بن عبد الملك بن مروان وفيها كان بالشام طاعون شديد وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف وكان العمال من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها وفيها مات محمد بن كعب القرظى وقيل سنة سبع عشرة وقيل انه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات موسى بن محمد بن على بن عبد الله والد عيسى بيلاد الروم غازيا وكان عمره سبعا وسبعين سنة وفيها مات القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وكان عمره سبعين سنة وقيل اثنتين وسبعين سنة وكان قد عمى وقيل مات سنة احدى ومائة وفيها توفى أبو المتوكل على بن داود الناجى وأبو الصديق الناجى أيضا واسمه بكر بن قيس الناجى (الناجى بالنون والجيم) وابو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة النضرى (نضرة بالنون والضاد المعجمة) ومحارب بن دثار الكوفى قاضيها * (دثار بكسر الدال المهملة والثاء المثلثة)

﴿ثم دخلت سنة تسع ومائة﴾

﴿ذكر عزل خالد وأخيه اسد عن خراسان وولاية أشرس﴾

قيل وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله وأخاه عن خراسان وسبب ذلك ان أسدا تعصب حتى افسد الناس وضرب نصر بن سيار ونفر امعه بالسياط منهم عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحر والبختري بن أبى درهم وعامر بن مالك الحمانى وحلقهم وسيرهم الى أخيه خالد وكتب اليه انهم أرادوا الوثوب بى فلما قدموا على خالد لام أسدا وعنفه وقال ألا بعث الى برؤسهم فقال نصر

بعثت بالعتاب فى غير ذنب ● فى كتاب تلوم أم تميم

ان أكن موثقا أسير الديهم * في هموم وكربة وسموم
رهن تعس فما وجدت بلاء * كاسار الكرام عند اللئيم
أبلغ المنذرين قسرا وقسرا * هل لعود القناة ذات الوصوم
هل فطمتم عن الخيانة والغدر * أم أنتم كالحاكر المستديم

﴿وقال الفرزدق﴾

اخالد لولا الله لم تعط طاعة * ولولا بنو مروان لم يوتقوا نصرا
اذا اللقيتم عند شد وثاقه * بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

وخطب يوما أسد فقال قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني الى مهاجري ووطني فبلغ فعله هشام بن عبد الملك فكتب الى خالد اعزل أخاك فعزله فرجع الى العراق في رمضان سنة تسع ومائة واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي فأقام الحكم صيفية فلم يغز ثم استعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي على خراسان وأمره أن يكاتب خالدا وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله فلما قدم خراسان ورحوابه واستقضى أبا المنازل الكندي ثم عزله واستقضى محمد بن زيد

﴿(ذكر دعاة بني العباس)﴾

قيل أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية اسد بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقال له انزل في اليمن وألطف مضرونهاه عن رجل من نيسابور يقال له غالب لانه كان مفرطا في حب بني فاطمة ويقال أول من اتى خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ فلما قدم زياد دعا الى بني العباس وذكر سيرة بني أمية وظلمهم وأطعم الناس الطعام وقدم عليه غالب وتناظرا في تفضيل آل علي وآل العباس وافترقا وأقام زياد بمرو شتوة ويختلف اليه من أهلها يحيى بن عقيل الخزاعي وغيره فأخبر به أسد فدعاه وقال له ما هذا الذي بلغني عنك قال الباطل انما قدمت الى تجارة وقد فرقت مالي على الناس فاذا اجتمع خرجت فقال له أسد اخرج عن بلادي فانصرف فعاد الى أمره فرفع أمره الى أسد وخوف من جانبه فأحضره وقتله وقتل معه عشرة من أهل الكوفة ولم ينج منهم الا غلامان استصغرهما وقيل بل امر بزياد أن يوسط بالسيف فضربوه بالسيف فلم يعمل فيه فكبر الناس فقال اسد ما هذا فقيل نبا السيف عنه ثم ضرب أخرى فنبا السيف عنه ثم ضربه الثالثة وقطعه باثنتين وعرض البراءة على أصحابه فمن تبرأ خلى سبيله فتبرأ اثنان فتركا وأبى البراءة ثمانية فقتلوا فلما كان الغد أقبل أحدهما الى أسد فقال أسألك أن تلحقني بأصحابي فقتله وذلك قبل الاضحى بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيرا فنزل على أبي النجم وكان يأتيه الذين لقوا زيادا فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان أميا فقدم عليه خداش واسمه عمارة غلب عليه خداش فغلب كثيرا على أمره وقيل في أمر الدعاة ما تقدم

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة غزا عبد الله بن عقبة الفهري في البحر وغزا معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا يقال له طيبة فأصيب معه قوم من أهل انطاكية وفيها قتل عمر بن يزيد الاسيدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود وسبب قتله انه أبلى في قتال يزيد بن المهلب فقال يزيد بن عبد الملك هذا

بها تخوفا من الاطالة ووقوع الملل اذ ليس ينبغي للعاقل ان يحمل البنية على ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في حيلتها وانما الالفاظ على قدر المعاني وقليلها لقليلها وهذا باب كبير وبعضه ينوب عن بعض والجزء منه يوهمك الكل والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب﴾

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا بدء التاريخ في اخبار العالم واخبار الانبياء والملوك وعجائب البر والبحر وجوامع التاريخ للفرس والروم والقبط وشهور الروم والقبط وما كان من مولد النبي صلى الله عليه وسلم الى مبعثه ومن آمن به قبل رسالته وقد قدمنا في هذا الكتاب من كان بينه وبين المسيح من اهل الفترة فلنذكر الآن مولده اذ كان طاهرا مطهرا الاغر الازهر الذي اتسعت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته ونطقت له السموات قبل بعثته ﴿وهو محمد﴾ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن

رجل العراق فغاظ ذلك خالد بن عبد الله وأمر مالك بن المنذر وهو على شرط البصرة أن يعظمه ولا يعصى له أمرا وأقبل يطلب له عثرة يقتله بها فذكر مالك بن المنذر عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه فقال عمر بن يزيد لا تفتر على مثل عبد الاعلى فأغلظ له مالك وضربه بالسياط حتى قتله (الاسدى بضم الهمزة وتشديد الياء تحتها نقطتان) وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان فغنم وسبى وعاد سالما وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام فخطب الناس فقال سلونى فانكم لا تسألون أحدا أعلم منى فسأله رجل من أهل العراق عن الاضحية أواجبة هى فما درى ما يقول فنزل وكان هو العامل على المدينة ومكة والطائف وكان على البصرة والكوفة خالد بن عبد الله القسرى وكان قد استخلف على الصلاة بالبصرة أبان بن صبارة اليشربى وعلى الشرطة بها بلال بن أبى بردة وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى خراسان أشرس وفى هذه السنة مات أبو مجلز لاحق بن حميد البصرى وفيها غزا بشر بن صفوان عامل أفريقية جزيرة صقلية فغنم شيأ كثيرا ثم رجع من غزاته الى القيروان وتوفى بها من سنتها فاستعمل هشام بعده عبيدة بن عبد الرحمن بن أبى الاغر السلمى فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبى عن الاندلس واستعمل حذيفة بن الاحوص الاشجعى فقدم الاندلس فى ربيع الاول سنة عشر ومائة فبقى واليا عليها ستة أشهر ثم عزل وولى عثمان بن أبى لسعة الخثعمى

﴿ثم دخلت سنة عشر ومائة﴾

﴿(ذكر ما جرى لاشرس مع أهل سمرقند وغيرها)﴾

فى هذه السنة أرسل أشرس الى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية وأرسل فى ذلك أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبة والربيع بن عمران التميمى فقال أبو الصيداء انما أخرج على شريطة ان من أسلم لا تؤخذ منه الجزية وانما خراج خراسان على رؤس الرجال فقال أشرس نعم فقال أبو الصيداء لاصحابه فانى أخرج فان لم يف العمال أعنتمونى عليهم قالوا نعم فشخص الى سمرقند وعليها الحسن بن العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك الى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن العمرطة ان فى الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى ان أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة انما أسلموا تعوذا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه ثم عزل أشرس ابن العمرطة عن الخراج وصيره الى هانئ بن هانئ فمنعهم أبو الصيداء من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ الى أشرس ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فكتب أشرس اليه والى العمال خذوا الخراج ممن كتتم تأخذونه منه فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزلوا فى سبعة آلاف على عدة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التميمى والهيثم الشيبانى وأبو فاطمة الازدى وعامر بن قشير اء وبحير الجندى وبنان العنبرى واسمعيل بن عقبة لينصروهم فعزل أشرس بن العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمى على الحرب وضم اليه عميرة بن سعد الشيبانى فلما قدم المجشر كتب الى أبى الصيداء يسأله ان يقدم عليه هو وأصحاب فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء ثم سيروه الى أشرس واجتمع أصحابه وولوا امرهم أبا

مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن أدبن أددبن ناحور بن يعور بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن ابن تارخ بن آزر بن ماخور ابن ساروغ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ (١) بن خنوخ بن يرد بن مهلايل ابن معسوف بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام هذا ما فى نسخة ابن هشام فى كتاب جمهرة النسب والنسخ مختلفة الاسماء فى النسب من نزار وفى نسخة ان نزارا بن معد بن عدنان بن أدد بن نام بن يشجب بن يعرب بن الهميسع ابن صانوع بن يامث بن فيدر ابن اسمعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ارعواء ابن أسروح بن فالخ بن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن متوشلخ بن خنوخ بن مهلايل بن قينان بن انوش ابن شيث بن آدم (وفى رواية ابن الاعرابى) عن هشام بن محمد الكلبى هو نزار بن معد ابن عدنان بن أد بن أددبن

(١) لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ومتوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة وخنوخ هو ادريس من الزرقانى على المواهب

فاطمة ليقاتلوها ثانيا فقال لهم كفوا حتى نكتب الى أشرس فكتبوا اليه فكتب أشرس ضعوا عنهم الخراج فرجع أصحاب بى الصيداء وضعف امرهم فتبع الرؤساء فأخذوا وحملوا الى مرو وبقى ثابت محبوسا فالح هانئ فى الخراج واستخفوا بعظماء العجم والدهاقين وأقيموا وتخرقت ثيابهم وألقيت مناطقهم فى أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم فكفرت الصغد وبخارا واحتاجوا الترك ولم يزل ثابت قطنة فى حبس الحجير حتى قدم نصر بن سيار الى الحجير والياً فحمله الى أشرس فحبسه وكان نصر قد أحسن اليه فقال ثابت يمدحه بابيات يقول فيها

ماهاج شوقك من نؤى وأحجار * ومن رسوم عفاها صوب امطار
ان كان ظنى بنصر صادقا أبدا * فما أدبر من نقضى و امرارى
لا يصرف الجند حتى يستفى بهم * نهبا عظيما ويحوى ملك جبار
انى وان كنت من جذم الذى نظرت * منه الفروع وزندى الثاقب الوارى
لذا كر منك أمر اقد سبقت به * من كان قبلك يا نصر بن سيار
ناضلت عنى نضال الحر اذ قصرت * دونى العشيرة واستبطأت أنصارى
وصار كل صديق كنت آمله * ألبا على ورث الحبل من جارى
وما تلبست بالامر الذى وقعوا * به على ولا دنست أطمارى
ولا عصيت اماما كان طاعته * حقا على ولا فارقت من عار

وخرج أشرس غازيا فنزل آمل فاقام ثلاثة أشهر وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف فاقبل أهل الصغد وبخارا معهم خاقان والترك فحصروا قطنا فى خندقه فارسل خاقان من أغار على مسرح الناس فاخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام فى خيل فقاتلوا الترك بآمل حتى استنقذوا ما بايديهم ورجع الترك ثم عبر أشرس بالناس الى قطن وبعث أشرس سرية مع مسعود أحد بنى حيان فلقيهم العدو فقاتلوهم فقتل رجال من المسلمين وهزم مسعود فرجع الى أشرس واقبل العدو فلقيهم المسلمون فحالوا جولة فقتل رجال من المسلمين ثم رجع المسلمون وصبروا فانهزم المشركون وسار أشرس بالناس حتى نزل بيكند فقطع العدو عنهم الماء وأقام المسلمون يوما وليلة وعطشوا فرحلوا الى المدينة التى قطع العدو بها وعلى المقدمة قطن بن قتيبة فلقيهم العدو فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة فعجز الناس عن القتال فحرض الحرث بن سريج الناس فقال القتل بالسيف أكرم فى الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا وتقدم الحرث وقطن فى فوارس من تميم فقاتلوا حتى ازالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا واستقوا ثم مر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلى فقال هل لك فى الجهاد فقال أمهلنى حتى أغتسل وأتحنط فوقف له حتى اغتسل ثم مضيا وقال ثابت لاصحابه أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحرضهم فحملوا واشتد القتال فقال ثابت قطنة اللهم انى كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة والله لا ينظر الى بنو أمية مشدودا فى الحديد فحمل وحمل اصحابه فرجع أصحابه وثبت هو فرمى برذونه فشب وضربه فاقدم وضرب ثابت فارتث فقال وهو صريع اللهم انى أصبحت ضيفا لابن بسطام وأمسيت ضيفك فاجعل قراى منك الجنة فقتلوه وقتلوا معه عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى وغيرهما ورجع قطن واسحق بن محمد بن حبان خيلا

الهميسع بن ثبت بن سلامان ابن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل بن تارخ ابن ناخور بن سارو خ بن ارعواء بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ بن يردن بن مهلاييل ابن معسوف بن شيث بن آدم عليه السلام (وفى التوراة) ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة فيجب والله أعلم أن آدم عليه السلام كان عند مولد لمك وهو أبو نوح النبى عليه السلام ابن ثمانمائة سنة وأربع وستين سنة وشيث ابن سبعمائة وأربع وأربعين سنة فيجب على هذا الوصف من الحساب أن مولد نوح عليه السلام كان بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من نهيه أن يتجاوز عن معد فقد ثبت أن نتوقف فى النسب على ماذكرنا فالواجب الوقف عند أمره عليه السلام ونهيه (قال المسعودى) وقد وجدت نسب ابن عدنان فى السفر الذى أثبته تارح ابن باريا كاتب أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن معدا ابن عدنان بن أدد بن الهميسع ابن سلامان بن عوص بن بردبن فسماويل بن أبى العوامر بن ناسك بن حران لمدارم بن بدلان بن كالح بن فاحم بن ناسح بن صاعى

من المسلمين تبايعوا على الموت فحملوا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو وأتى اشرس بخارا فحصرا هلها (الحرث بن سريج بالسين المهملة والجيم)

﴿ذكر وقعة كمرجه﴾

ثم ان خاقان حصر كمرجه وهى من أعظم بلدان خراسان وبها جمع من المسلمين ومع خاقان أهل فرغانة وافشينة ونسف وطوائف من أهل بخارا فاغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التى على الخندق فاتاهم ابن خسرو بن يزدجرد فقال يامعشر العرب لم تقتلون أنفسكم انا الذى جئت بخاقان ليرد على مملكتى وأنا آخذ لكم الامان فشتموه وأتاهم بازغرى فى مائتين وكان داهية وكان خاقان لا يخالفه فدنا من المسلمين بامان وقال لينزل الى رجل منكم أكلمه بما أرسلنى به خاقان فاحذروا يزيد بن سعيد الباهلى وكان يفهم بالتركية يسيرا فقال له ان خاقان أرسلنى وهو يقول انى أجعل من عطاؤه منكم ستمائة ألف ومن عطاؤه ثلثمائة ستمائة وهو يحسن اليكم فقال يزيد كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شياه لا يكون بيننا وبينهم صلح فغضب بازغرى وكان معه تركيان فقالا لا تضرب عنقه فقال انه نزل بامان وفهم يزيد ما قالا فخاف فقال بلى انما تجعلون نصفين فيكون نصفنا مع ثقالنا ويسير النصف معكم فان ظفرتم فنحن معكم وان كان غير ذلك كنا كسائر مدائن الصغد فرضوا بذلك وقال أعرض على أصحابى هذا وصعد فى الجبل فلما صار على السور نادى يا أهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم الى الكفر بعد الايمان فاترون قالوا لا نجيب ولا نرضى قال يدعونكم الى قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت قبل ذلك فرد بازغرى ثم أمر خاقان بقطع الخندق فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويأتى المسلمون الحطب اليابس حتى سوى الخندق فاشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعا من الله فاحترق الحطب وكانوا جمعوه فى سبعة أيام فى ساعة واحدة ثم فرق خاقان على الترك اغناما وأمرهم ان يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها ترابا ويكبسوا خندقها ففعلوا ذلك فارسل الله سحابة فمطرت مطرا شديدا فاحتمل السيل ما فى الخندق والقاه فى النهر الاعظم ورماهم المسلمون بالسهام فاصابت بازغرى نشابة فى سرته فمات من ليلته فدخل عليهم بموته أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى الذين عندهم وهم مائة فيهم أبو العوجاء العنكى والحجاج بن حميد النضرى فقتلوهم ورموا برأس الحجاج وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال ولم يزل أهل كمرجه كذلك حتى أقبلت جنود العرب نزلت فرغانة فعبر خاقان أهل الصغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال زعمتم ان فى هذه خمسين حمارا وانا نفتحها فى خمسة أيام فصارت الخمسة شهرين وأمرهم بالرحيل وشتمهم فقالوا ما ندع جهدا فاحضر ناغدا وانظر ما نصنع فلما كان الغد وقف خاقان وتقدم ملك الطارابندة فقاتل المسلمين فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على تلة الى جنب بيت فيه مريض من تميم فرماه التميمى بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه ورماه رجل بحجر فاصاب أصل أذنه فصرع وطعنه آخر فقتله فاشتد قتله على الترك وأرسل خاقان الى المسلمين انه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة نحاصرها دون افتتاحها فترحلوا أنتم عنها فقالوا له ليس من ديننا أن نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فاعطاهم الترك الامان ان يرحل خاقان عنهم ويرحلوا هم عنها الى سمرقند أو الدبوسية فرأى أهل كمرجه ما هم فيه من الحصار فاجابوا الى ذلك فاخذوا من الترك رهائن أن لا يعرضوا لهم وطلبوا ان كور وصول التركى يكون معهم فى جماعة ليمنعهم الى الدبوسية فسلموا اليهم

الرهائن

ابن عنصى بن عنف بن عبيد ابن الرعى بن حمران بن سبس بن قنرى بن نحرى بن بلخى بن ارعوا بن عنقاء بن حسان بن عيسى بن افياد ابن ايهام بن معصر بن ماحب بن رواح بن سماى ابن مر بن عوص بن عوامر ابن فيدر بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كان لارميا مع معد ابن عدنان أخبار يطول ذكرها وما كان من أمرهما بالشأم وقد أتينا على ذكر ذلك فيما سلف من كتبنا وانما ذكرنا هذا النسب من هذا الوجه ليعلم تنازع الناس فى ذلك (وقد نهى) النبى صلى الله عليه وسلم عن تجاوز معد لعلمه من تباعد الانساب وكثرة الآراء فى طول هذه المدة والاعصار (وكنيته) صلى الله عليه وسلم أبو القاسم وفى ذلك يقول الشاعر

لله عمر قد براصفوة *

وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم *
محمد النور أبو القاسم

وهو محمد وأحمد والماحى الذى يمحو الله به الذنوب والعاقب والحاشر الذى يحشر الناس على عقبه صلى الله عليه وسلم (وكان مولده) عليه السلام عام الفيل وبين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة

الرهائن وأخذوا أيضا هم من المسلمين رهائن وارتحل خاقان عنهم ثم رحلوا هم بعده فقال الاتراك الذين مع كورصول ان بالدبوسية عشرة آلاف مقاتل ولا نأمن أن يخرجوا علينا فقال لهم المسلمون ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فسار وا فلما صار بينهم وبين الدبوسية فرسخ نظر أهلها الى الغرسان فظنوا أن كمرجه فتحت وان خاقان قد قصدهم فتأهبوا للحرب فارسل المسلمون اليهم يخبرونهم خبرهم فلقوهم وحملوا من كان يضعف عن المشى ومن كان مجروحا فلما بلغ المسلمون الدبوسية ارسلوا الى من عنده الرهائن يعلمونه بوصولهم ويأمرونه باطلاقهم فجعلت العرب تطلق رجلا من الرهن والترك رجلا حتى بقى سباع بن النعمان مع الترك ورجل من الترك عند العرب وجعل كل فريق يخاف من صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع مع الترك فقال له كورصول ما حملك على هذا قال وثقت بك وقلت ترفع نفسك عن الغدر فوصله كورصول وأعطاه سلاحه وبرذونا واطلقه وكان مدة حصار كمرجه ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما

﴿ذكر ردة أهل كردر﴾

فى هذه السنة ارتد أهل كردر فارسل اليهم أشرس جندا فظفروا بهم فقال عرفجة

ونحن كفينا أهل مرو وغيرهم * ونحن نفينا الترك عن أهل كردر
فان تجعلوا ما قد غنمنا غنيمة * فقد نظم المرء الكريم فيصبر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة جمع خالد القسرى الصلاة والاحداث والشرط والقضاء بالبصرة لبلال بن أبى بكرة وعزل عن القضاء وفيها غزا مسلمة الترك من باب اللان فلقى خاقان فى جموعه فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فانهزم خاقان وانصرف ورجع مسلمة فسلك على مسلك ذى القرنين وفيها غزا معاوية الروم ففتح صملة وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن حديج (بضم الحاء وفتح الدال المهملتين) وحج بالناس ابراهيم بن اسمعيل فكان العمال على البلاد هذه السنة من تقدم ذكرهم فى السنة التى قبلها وفيها مات الحسن البصرى وله سبع وثمانون سنة ومحمد بن سيرين وهو ابن احدى وثمانين سنة وفيها أعنى سنة عشر ومائة مات الفرزدق الشاعر وله احدى وتسعون سنة وجرير الخطفى الشاعر

﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة﴾

﴿ذكر عزل أشرس عن خراسان واستعمال الجنيد﴾

فى هذه السنة عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان وكان سبب ذلك أن شداد بن خليد الباهلى شكاه الى هشام فعزله واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحرث بن خارجة بن سنان بن أبى حارثة المرى وكان سبب استعماله انه اهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة من جوهر فاعجبت هشاما فاهدى لهشام قلادة أخرى فاستعملة وحمله على ثمانية من البريد فقدم خراسان فى خمسمائة وسار الى ماوراء النهر وسار معه خطاب بن محرز السلمى خليفة أشرس بخراسان وقطعا النهر وأرسل الجنيد الى أشرس وهو يقاتل أهل بخارا والصغد أن أمدنى بخيل وخاف ان يقتطع دونه فوجه اليه أشرس عامر بن مالك الحمانى فلما كان عامر ببعض الطريق عرض له الترك والصغد فدخل حائطا حصينا وقاتلهم على التلمة ومعه وردبن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخى الاسود بن كلثوم

والفجار (١) حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة استحلوا فيها القتال فى الاشهر الحرم فسميت الفجار وكنانة بن خزيمة بن مدركة هو عمرو بن الياس بن مضر ابن نزار وكان ولد الياس (٢) عمرا وعامرا وعميرا

(١) قال الجوهرى الفجار يوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سميت قريش هذه الحرب فجارا لانها كانت فى الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا اه

(٢) قوله وكان ولد الياس الخ قال المجد وولد الياس ابن مضر عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج وهى ليلى بنت حلوان بن عمران وكان الياس خرج فى نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت مازلت أخندف فى أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف اه

و واصل بن عمرو القيسي فخرج واصل وعاصم بن عمير السمرقندي ومعهما غيرهما فاستداروا حتى صاروا من وراء الماء الذي هناك ثم جمعوا قصبا وخشبا وعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا والتكبير من خلفه وحمل المسلمون على الترك فقاتلوهم فقتلوا عظيما من عظمائهم وانهزم الترك وسار عامر الى الجنيد فلقيه واقبل معه وعلى مقدمة الجنيد عمارة بن حريم فلما انتهى الى فرسخين من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد يهلك ومن معه ثم اظهره الله وسار حتى قدم العسكر فظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون رزمان من بلاد سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد فأسر الجنيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة فبعث به الى هشام وكان الجنيد قد استخلف في غزوته هذه مجشر بن مزاحم السلمي على مرو وولى سورة بن الحر التميمي بلخ وأوفد لما اصاب في وجهه هذا وفدا الى هشام ورجع الجنيد الى مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمني العام وأنا مهلكه في قابل واستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل الا مضريا استعمل قطن بن قتيبة على بخارا والوليد بن القعقاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطته وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي وكان عليها نصر بن سيار وكان ما بينه وبين الباهليين متباعدا لما كان بينهم بالبروقان وأرسل مسلم الى نصر فصادفوه نائما فجاؤا به في قميص ليس عليه سراويل ملببا فقال شيخ من مضر جئتم به على هذه الحال فعزل الجنيد مسلما عن بلخ واستعمل يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خليد الباهلي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية وغزا في البحر عبد الله بن أبي مريم واستعمل هشام على عامة الناس من الشام ومصر الحكم بن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف وفيها سارت الترك الى أذربيجان فلقيهم الحرث بن عمرو فهزمهم وفيها استعمل هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على ارمينية وعزل أخاه مسلمة بن عبد الملك فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالما فجمعت الخزر وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام وكان ذلك سبب قتل الجراح على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن لسعة عن الاندلس واستعمل بعده الهيثم بن عبيد الكناني وقدمها في المحرم سنة احدى عشرة ومائة وتوفي في ذي الحجة من السنة فكانت ولايته عشرة أشهر وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي فكان العمال من تقدم ذكرهم الا خراسان كان بها الجنيد وكان بارمينية الجراح بن عبد الله

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائة)

(ذكر قتل الجراح الحكمي)

في هذه السنة قتل الجراح بن عبد الله الحكمي وسبب ذلك ما ذكرناه قبل من دخوله بلاد الخزر وانهزامهم فلما هزمهم اجتمع الخزر والترك من ناحية اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله فيمن معه من أهل الشام فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثرت الخزر والترك على المسلمين فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج اردبيل فكان قد استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على ارمينية ولما قتل الجراح طمع الخزر وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين وكان الجراح خيرا فاضلا من عمال عمر بن عبد العزيز ورثاه كثير من الشعراء وقيل كان قتله ببلنجر ولما بلغ هشاما خبره دعا سعيد الحرشي فقال له بلغني ان الجراح قد انحاز عن

فعمرو وهو مدركة وعامر هو طابخة وعمير هو قمعة وكانت أمهم ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي خندف فغلب على من ذكرنا الالقاب ونسب ولد الياس الى أمهم خندف وفي ذلك يقول قصي بن كلاب بن مرة

انى أرى الحرب لحيي وأبي
عند تناديهم بآل وهب
معترم الصولة على النسب
أمي خندف والياس أبي

(وقريش) خمسة وعشرون بطنا(٣) وهم بنو هاشم بن عبد مناف بنو الحرث بن عبد المطلب بنو أسد بن عبد العزى بنو عبد الدار ابن قصي وهم حجبة الكعبة بنو زهرة بن كلاب بنو تيم ابن مرة بنو مخزوم بنو يقظة بنو مرة بنو عدي ابن كعب بنو سهم بنو جمح والى هنا تنتهي قريش البطاح على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب بنو مالك بن حنبل بنو معيط بن عامر بنو لؤي بنو أسامة بن لؤي بنو الادرم وهم تيم بن غالب بنو محارب ابن فهم بنو الحرث بن عبد الله بن كنانة بنو عائذة وهم خزيمة بن لؤي بنو نباتة وهم سعيد بن لؤي

(٣) قوله خمسة وعشرون لم يذكرها كلها اه

المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من ان ينهزم ولكنه قتل قال فما رأيك قال تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الي كل يوم أربعين رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام وسار الحرشي فكان لا يمر بمدينة الا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد ولم يزل كذلك حتى وصل الى مدينة ارزن فلقيه جماعة من أصحاب الجراح وبكوا وبكى لبكائهم وفرق فيهم نفقة وردهم معه وجعل لا يلقاه احد من أصحاب الجراح الا رده معه ووصل الى خلاط وهي ممتنعة عليه فحصرها أيضا وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه ثم سار عن خلاط وفتح الحصون والقلاع شيأ بعد شيء الى ان وصل الى برذعة فنزلها وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة ورثان فخاف الحرشي أن يملكها فارسل بعض أصحابه الى أهل ورثان سرا يعرفهم وصولهم ويأمرهم بالصبر فسار القاصد ولقيه بعض الخزر فاخذوه وسألوه عن حاله فاخبرهم وصدقهم فقالوا له ان فعلت ما نأمرك به أحسنا اليك واطلقناك والا قتلناك قال فما الذي تريدون قالوا تقول لاهل ورثان انكم ليس لكم مدد ولا من يكشف ما بكم وتأمرهم بتسليم البلد الينا فاجابهم الى ذلك فلما قارب المدينة وقف بحيث يسمع أهلها كلامه وقال لهم أتعرفوني قالوا نعم انت فلان قال فان الحرشي قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة وهو يأمركم بحفظ البلد والصبر فبي هذين اليومين يصل اليكم فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل وقتلت الخزر ذلك الرجل ورحلوا عن مدينة ورثان فوصلها الحرشي في العساكر وليس عندها أحد فارتحل يطلب الخزر الى اردبيل فسار الخزر عنها ونزل الحرشي باجروان فاتاه فارس على فرس أبيض فسلم عليه وقال له هل لك أيها الامير في الجهاد والغنيمة قال كيف لي بذلك قال هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من المسلمين اسارى وسبايا وقد نزلوا على أربعة فراسخ فسار الحرشي ليلا فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق أصحابه في أربع جهات فكبسهم مع الفجر ووضع المسلمون فيهم السيف فما زالت الشمس حتى قتلوا اجمعون غير رجل واحد واطلق الحرشي من معهم من المسلمين وأخذهم الى باجروان فلما دخلها أتاه ذلك الرجل صاحب الفرس الابيض فسلم وقال هذا جيش الخزر ومعهم أموال للمسلمين وحرم الجراح وأولادهم بمكان كذا فسار الحرشي اليهم فاشعروا الا والمسلمون معهم فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا ولم يفلت من الخزر الا الشريد واستنقذوا من معهم من المسلمين والمسلمات وغنموا أموالهم وأخذ أولاد الجراح فاكرمهم وأحسن اليهم وحمل الجميع الى باجروان وبلغ خبر ما فعله الحرشي بعساكر الخزر بابن ملكهم فوبخ عساكره ولامهم ونسبهم الى العجز والوهن فحرض بعضهم بعضا وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود الى قتال الحرشي فجمع أصحابه من نواحي اذربيجان فاجتمع معه عساكر كثيرة وسار الحرشي اليه فالتقيا بارض برزند واقتتل الناس اشد قتال وأعظمه فانحاز المسلمون يسيرا فحرضهم الحرشي فامرهم بالصبر فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة واستغاث من معه الخزر من الاسارى ونادوا بالتكبير والتهليل والدعاء فعندها حرض المسلمون بعضهم بعضا ولم يبق أحد الا وبكى رحمة للاسرى واشتدت نكايتهم في العدو فولوا الادبار منهزمين وتبعهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر ارس وعادوا عنهم وحووا ما في عساكرهم من الاموال والغنائم وأطلقوا الاسرى والسبايا وحملوا الجميع الى جروان ثم ان ابن ملك الخزر جمع من لحق به من عساكره وعاد بهم نحو الحرشي فنزل على نهر البيلقان وبلغ الخبر الحرشي فسار نحوه في عساكر المسلمين فوافاهم وهم على نهر البيلقان فالتقوا

ومن بني مالك الى آخر القبائل من قريش الظواهر على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا للمطيبين وغيرهم من قريش وكان من حرب الفجار ما ذكرنا للمتفاخرين بالعشائر والتكاثر وكان الفجار في شوال وكان حلف الفضول بعد منصرفهم من الفجار فقال بعضهم

نحن كنا الملوك من آل نجد
وحماة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجون من كل حي
ومنعنا الفجار يوم الفجار

وفي ذلك قال خداش بن زهير العامري

فلا توعدني بالفجار فانه
أحل بيطحاء الحجون الحمازيا

(وقد كان) الحلف في ذي القعدة بسبب رجل من زبيد من اليمن وكان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فطله بالثمن حتى يئس فعلا جبل أبي قبيس وقريش في مجالسها حول الكعبة فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته مناديا يقول

يا للرجال لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نادى الحي والنفر
ان الحرام لمن تمت حرامته
ولا حرام لكيوم لابس الغدر

هنالك فصاح الحرشي بالناس فحملوا حملة صادقة ضعضعوا صفوف الخزر وتابع الحملات وصبر الخزر صبرا عظيما ثم كانت الهزيمة عليهم فولوا الادبار منهزمين وكان من غرق منهم في النهر أكثر ممن قتل وجمع الحرشي الغنائم وعاد الى باجروان فقسمها وأرسل الخمس الى هشام بن عبد الملك وعرفه ما فتح الله على المسلمين فكتب اليه هشام يشكره وأقام بباجروان فاتاه كتاب هشام يأمره بالمسير اليه واستعمل أخاه مسلمة بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم

﴿ذكر وقعة الجنيد بالشعب﴾

في هذه السنة خرج الجنيد غازيا يريد طخارستان فوجه عمارة بن حريم الى طخارستان في ثمانية عشر ألفا ووجه ابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف الى وجه آخر وجاشت الترك فاتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش الترك فخرجت اليهم فلم أطق ان أمنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فامر الجنيد الناس بعبور النهر فقام اليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الازدي وغيرهما وقالوا ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت جندك فسلم بن عبد الرحمن بالبيروز كوه والبختري بهراة وعمارة بن حريم غائب بطخارستان وصاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا فاكتب الى عمارة فليأتك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم أكن الا في بني مرة أو من طلع معي من الشام لعبرت وقال شعرا

أليس أحق الناس ان يشهد الوغى * وان يقتل الابطال ضخما على ضخم

وقال

ماعلتي ماعلتي ماعلتي * ان لم أقتلهم فخزوا المني

وعبر الجنيد فنزل كش وتاهب للمسير وبلغ الترك فغوروا الآبار التي في طريق كش فقال الجنيد أي طريق الى سمرقند أصلح فقالوا طريق المحترقة فقال المجشر القتل بالسيف أصلح من القتل بالنار طريق المحترقة كثير الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فان لقينا خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فاخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فاخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا مترفا من قيس يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا ان تكونه فقال ليفرخ روعك قال اما ما كان بيننا مثلك فلا فبات في أصل العقبة ثم سار بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند أربع فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد الله بن التخير فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤهم من كل وجه فجعل الجنيد تميما والازد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيان وعلى المجردة عمرو بن جرقاش المنقري وعلى جماعة بني تميم عامر بن مالك الحماني وعلى الازد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو وعلى المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان فالتقوا وقصد العدو الميمنة لضيق الميسرة فترجل حسان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه فامره أبوه بالركوب فركب وأحاط العدو بالميمنة فامدهم الجنيد بنصر بن سيار فشدوا ومن معه على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم وقتلوا عبيد الله بن زهير وابن جرقاش والفضيل بن هناد وجالت الميمنة

والجنيد

فشت قريش بعضها الى بعض وكان أول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واجتمعت قبائل قريش في دار الندوة وكانت للحل والعقد وكان ممن اجتمع بها من قريش بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فاتفقوا على أيهم ينصفون المظلوم من الظالم فساروا الى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هنالك في ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب حلفت لتعقدي حلفا تميم وان كنا جميعا أهل دار نسميه الفضول اذا عقدنا بباغه القريب لدى الجوار ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار وقد قدمنا في كتابنا الاوسط أخبار الاحلاف والفجارات الاربعة فجار

قال المجد وأيام الفجار بالكسر أربعة أخيرة في الاشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة على قيس فلما فاتلوا قالوا لفجرنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت انبل على عمومتي يوم الفجار ورميت فيه باسهم وما أحب اني لم أكن فعلت اه

والجنيد واقف فى القلب فاقبل الى الميمنة و وقف تحت راية الازد وكان قد جفاهم فقال له صاحب الراية ماهذا كنا نحثك لتكر منا ولكنك علمت أنه لا يوصل اليك ومنا رحل حتى فان ظفرنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل وتداولها ثمانية عشر رجلا فقتلوا وقتل يومئذ من الازد ثمانون رجلا وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة ثم تحاجزوا وقتل من الازد عبد الله بن بسطام ومحمد بن عبد الله بن حوذان والحسن بن شيخ والفضيل صاحب الخيل ويزيد بن الفضل الحدانى وكان قد جح فأنفق فى حجته ثمانين ومائة ألف وقال لامه ادعى الله ان يرزقنى الشهادة فدعت له وغشى عليها فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما وقتل النضر بن راشد العبدى وكان قد دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها كيف أنت اذا أتيت فى لبد مضرجا بالدم فشقت جيبها ودعت بالويل فقال لها حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا الى الحور العين فرجع وقاتل حتى استشهد رحمه الله فبينا الناس كذلك اذ اقبل رهج وطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى ليخندق كل قائد على حياله فخندقوا وتحاجزوا وقد أصيب من الازد مائة وتسعون رجلا وكان قتالهم يوم الجمعة فلما كان يوم السبت قصدهم خافان وقت الظهر فلم يرموضعا للقتل أسهل من موضع بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فقصدهم فلما قربوا حملت بكر عليهم فافرجوا لهم فصمد الجنيد واشتد القتال بينهم

﴿ذكر مقتل سورة بن الحر﴾

فلما اشتد القتال ورأى الجنيد شدة الامر استشار أصحابه فقال له عبيد الله بن حبيب اختر اما أن نهلك أنت أم سورة بن الحر قال هلاك سورة أهون علىّ قال فاكتب اليه فليأتك فى أهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه فقاتلوه فكتب اليه الجنيد يأمره بالقدوم وقال حليس بن عالب الشيبانى ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد انى لا أقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خليد الباهلى وكان عدوه فاخرج والزم الماء ولا تفارقه فاجمع على المسير وقال اذا سرت على النهر لا أصل فى يومين و بينى وبينه فى هذا الوجه ليلة فاذا سكت الرجل سرت فجاءت عيون الاتراك فاخبروهم بمقالة سورة و رحل سورة واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلى وسار فى اثنى عشر ألفا فأصبح على رأس جبل فتلقاه خافان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ و بينه و بين الجنيد فرسخ فقاتلهم واشتد القتال وصبروا فقال غوزك لخافان اليوم حار فلا تقاتلهم حتى يحمى عليهم السلاح فوافقهم وأشعل النار فى الحشيش وحال بينهم و بين الماء فقال سورة لعباده ما ترى يا أبا سليم فقال أرى ان الترك يريدون الغنيمة فاعقر الدواب وأحرق المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق وان منعونا شرعنا الرماح ونزحف زحفا واحدا هو فرسخ حتى نصل الى العسكر فقال لا أقوى على هذا ولا فلان وفلان وعدد رجالا ولكن أجمع الخيل فاصكهم بها سلمت أم عطبت وجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك لهيب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذه وتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينج منهم غير ألفين ويقال ألف وكان ممن نجا منهم عاصم بن عمير السمرقندى واستشهد حليس بن غالب الشيبانى وانحاز المهلب بن زياد العجلى فى سبعمائة الى رستاق يسمى المرغاب فنزلوا قصرا هناك

الرجل وفجار زيد بن معشر وفجار ألف ودّ وفجار المرأة والفجار الرابع هو فجار البراض ومن الفجار الرابع وحضور النبى صلى الله عليه وسلم ومشاهدته الفجار الرابع الى أن خرج الى الشام فى تجارة خديجة ونظر نسطورا الراهب اليه وهو فى صومعته والنبى صلى الله عليه وسلم مع ميسرة وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهذا آخر الانبياء أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام والى أن تزوج خديجة بنت خويلد شهران وأربعة وعشرون يوما والى أن شهد بنيان الكعبة وحضر منازعة قريش فى وضع الحجر الاسود عشر سنين وقد كان السيل هدم الكعبة فبرق منها لما انهدمت غزال من الذهب وحلى وجواهر فنقضها قريش وكان فى حيطانها صور كثيرة بأنواع من الاصابع عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل فى يده الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنه على فرس يخبر الناس مقبضا والعارب قائم على وفد الناس يقسم فيهم وبعد هذه الصورة صور كثيرة من أولادهم الى قصى بن

فأتاهم الاشكند صاحب نسف ومعه غوزك فاعطاهم غوزك الامان فقال قريش بن عبد الله العبدى لا تثقوا بهم ولكن اذا جننا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فعصوه فنزلوا بالامان فساقهم الى خاقان فقال لا أجيز أمان غوزك فقاتلهم الوجف بن خالد والمسلمون فاصيبوا غير سبعة عشر رجلا فقتلوا غير ثلاثة وقتل سورة فى اللهب فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله سر وأسرع فقال له المجشر انزل وأخذ بلجام دابته فنزل ونزل الناس معه فلم يستتم نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر له لو لقوناونحن نسير ألم بهم لكونا فلما أصبحوا تناهضوا فقال الناس فقال الجنيد أيها الناس انها النار فرجعوا ونادى الجنيد أى عبد قاتل فهو حر فقاتل العبيد قتالا عجب منه الناس فسروا بمارأوا من صبرهم وصبر الناس حتى انهزم العدو ومضوا فقال موسى بن التعراء تفرحون بما رأيتم من العبيد ان لكم منهم ليوما ارو زبان ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو وأقام بالصغد أربعة أشهر وكان صاحب رأى خراسان فى الحرب المجشر بن مزاحم وعبد الرحمن بن صبيح الخرقى وعبيد الله بن حبيب الهجرى وكان المجشر ينزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لاحد مثل رأيه فى ذلك وكان عبد الرحمن اذا نزل الامر العظيم فى الحرب لم يكن لاحد مثل رأيه وكان عبيد الله على تعبية القتال وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء فى الرأى والمشورة والعلم بالحرب فنهم الفضل بن بسام مولى ليث وعبد الله بن أبى عبد الله مولى سليم والبختري بن مجاهد مولى شيبان فلما انصرف الترك بعث الجنيد نهار بن توسعة أحد بنى تيم اللات وزبل بن سويد المرى الى هشام وكتب اليه ان سورة عصانى أمرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرق عنه أصحابه فاتتنى طائفة وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند وأصيب سورة فى بقية أصحابه فسأل هشام نهار بن توسعة عن الخبر فاخبره بما شهد وكتب هشام الى الجنيد قد وجهت اليك عشرة آلاف من أهل البصرة وعشرة آلاف من أهل الكوفة ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة فافرض فلا غاية لك فى الفريضة بخمسة عشر ألفا فلما سمع هشام مصاب سورة قال انا لله وانا اليه راجعون مصاب سورة بخراسان ومصاب الجراح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا وأرسل الجنيد ليلة بالشعب رجلا وقال له تسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك قال عبيد بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط بين السماء والارض فقلت لمن هذا فقالوا لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت فى ذلك الموضع بعد ذلك بحين فشممت رائحة المسك وأقام الجنيد بسمرقند ونوجه خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم فخاف الجنيد الترك على قطن بن قتيبة فشاور أصحابه فقال قوم نلزم سمرقند وقال قوم نسير منها فأتى ربنجن ثم كش ثم الى نسف فتنصل منها الى أرض زم ونقطع النهر وننزل آمل فنأخذ عليه بالطريق فاستشار عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وأخبره بما قالوا فاشترط عليه أنه لا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال ونزول وقتال فقال نعم قال فانى أطلب اليك خصالا قال وما هى قال تخندق حيثما نزلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وان تطيعنى فى نزولك وارتحالك قال نعم قال اما ما أشار واعليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطئ عنك وأما ما أشار وا من طريق كش ونسف فانك ان سرت بالناس فى غير الطريق فتتت فى اعضادهم وانكسروا عن عدوهم واجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان أخذت غير الطريق بلغ أهل بخارى ما فعلت فيستسلموا العدو هم وان

كلاب وغيرهم فى نحو من ستين صورة مع كل واحد من تلك الصور آلة صاحبها وكيفية عبادته وما اشتهر من فعله (ولما بنت قريش) الكعبة ورفعت سمكها وتأتى لها ما أرادت فى بنيانها من الخشب الذى ابتاعوه من السفينة التى رمى بها البحر الى ساحلهم التى بعث بها ملك الروم من القلزم من بلاد مصر الى الحبشة لتبنى هنالك له كنيسة وانتهوا الى موضع الحجر وتنازعوا على ماذكرنا أيهم يضعه فاتفقوا على أن يرضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة فكان أول من ظهر لابصارهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الباب وكانوا يعرفونه بالامين لوقاره وهديه وصدق لهجته واجتنابه القاذورات والادناس فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقادوا الى قضائه فبسط ما كان عليه من رداء وقيل كساء وأخذ عليه السلام الحجر فوضعه فى وسطه ثم قال لاربعة رجال من قريش وأهل الرياسة فيهم والزعماء منهم وهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والاسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى وأبو

أخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى عندى أن تأخذ عيال من قتل من سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى أرجو بذلك ان ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا فاخذ برأيه وخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير فى أربعمائة فارس وار بعمائة راجل فشتم الناس عبد الله بن أبى عبد الله وقالوا ما أراد الا هلاكنا فخرج الجنيد وحمل العيال معه وسرح الاشحب بن عبيد الحنظلى ومعه عشرة من الطلائع وقال كلما مضت مرحلة تسرح الى رجلا يعلمنى الخبر وسار الجنيد فأسرع السير فقال له عطاء الدبوسى انظر اضعف شيخ فى العسكر فسلحه سلاحا تاما بسيفه ورمحه وترسه وجعبته ثم سر على قدر مشيه فانا لا نقدر على سرعة المسير والقتال ففعل الجنيد ذلك ولم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس وأقبل اليه خاقان بكرمينية أول يوم من رمضان واقتتلوا فاتاه عبد الله بن أبى عبد الله وهو يضحك فقال الجنيد ليس هذا يوم ضحك قال الحمد لله اذ لم يلقك هؤلاء فى جبال معطشة وعلى ظهر انما أتوك وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا ثم قال للجنيد ارتحل فان خاقان وذانك تقيم فينطوى عليك اذا شاء فسار وعبد الله على الساقة ثم أمره بالنزول فنزل واستقى الناس وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله انى أتوقع ان خاقان يصدم الساقة اليوم فشدوها بالرجال فقواهم الجنيد وجاءت الترك فمالت على الساقة فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وقتل مسلم بن أحوز عظيما من عظماء الترك فتطيروا من ذلك وانصرفوا من الطواويس وسار المسلمون فدخلوا بخارى يوم المهرجان فتلقوهم بالدراهم البخارية فاعطاهم عشرة عشرة قال عبد المؤمن بن خالد رأيت عبد الله بن أبى عبد الله فى المنام بعد موته فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله فيقول زبدة من الزبد صنبور من صنبور قل من قل هيفة من الهيف والهيفة الضبع والقل الفرد والصنبور الذى لا أخ له وقيل الملصق وقدمت الجنود من الكوفة على الجنيد فسرح معهم حوثره ابن زيد العنبرى فيمن انتدب معه وقيل ان وقعة الشعب كانت سنة ثلاث عشرة وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب

انى نشأت وحسادى ذو وعدد * ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان تحسدونى على مثل البلاء لكم * يوما فمثل بلائى جر لى الحسدا
يأبى الاله الذى أعنى بقدرته * كبى عليكم واعطى فوقكم عددا
ارمى العداة بافراس مكلمة * حتى اتخذت على حسادهن يدا
من ذا الذى منكم فى الشعب اذ وردوا * لم يتخذ حومة الاثقال معتمدا
هلا شهدتم دفاعى عن جنيدكم * وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

وقال ابن عرس يمدح نصرا

يانصر أنت فتى نزار كلها * فلك المآثر والفعال الارفع
فرجت عن كل القبائل كربة * بالشعب حين تخاضعوا وتضعضعوا
يوم الجنيد اذ القنا متشاجر * والبحر دام والخوافق تلمع
ما زلت ترميهم بنفس حرة * حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم * ولك المكارم والمعالى أجمع

(ذكر عدة حوادث)

حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم وقيس بن عدى السهمى ليأخذ كل واحد منهم بجنب من جنبات هذا الرداء فشالوه حتى ارتفع من الارض وأدناه من موضعه فأخذ عليه السلام الحجر ووضعه فى مكانه وقريش كلها حضور وكان ذلك أول ما ظهر من فعله وفضائله وأحكامه فقال قائل لمن حضر من قريش متعجبا من فعلهم وانقيادهم الى أصغرهم سنا واعجبا لقوم أهل شرف ورياسة وشيوخ وكهول عمدوا الى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فجعلوه عليهم رئيسا وحاكما أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقا وليقسمن بينهم حظوظا وحدودا وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم (وقد تنوزع) فى هذا القائل فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر فى ذلك اليوم فى جمعهم فى صورة رجل من قريش كان قد مات وزعموا أن اللات والعزى أحيتاه لذلك المشهد ومنهم من رأى أنه بعض رجالهم وحكمائهم ومن كانت له فطنة فلما استقامت قريش ببناء الكعبة كستها أردية الزعماء وهى

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحج بالناس هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي وقيل سليمان بن هشام بن عبد الملك وفيها استعمل أهل الاندلس على أنفسهم بعد موت الهيثم أميرهم محمد بن عبد الملك الاشجعي فبقي شهرين وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وكان عمال الامصار هذه السنة من ذكرناهم في السنة قبلها وفيها مات رجاء بن حيوة بقسين (حيوة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الياء المثناة من تحت) وفيها توفي مكحول أبو عبد الله الشامي الفقيه وعبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي ومات أبوه وأمه حامل به فكفل مايرونه عن أبيه فهو منقطع

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة﴾

﴿ذكر قتل عبد الوهاب﴾

في هذه السنة قتل عبد الوهاب بن بخت وكان قد غزا مع عبد الله البطال أرض الروم فانهزم الناس عن البطال فحمل عبد الوهاب وهو يقول ما رأيت فرسا أجبن منك وسفك الله دمي ان لم اسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم في نحر العدو فقر برجل يقول واعطشاه فقال تقدم الري أمامك فخالط القوم فقتل وقتل فرسه

﴿ذكر غزو مسلمة وعوده﴾

فيها فرق مسلمة الجيوش ببلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى وأحرق ودان له من وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان فاجتمعت تلك الامم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد جاز مسلمة بلنجر فلما بلغه خبرهم أمر أصحابه فأوقدوا النيران ثم ترك خيامهم واثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وأخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل الى الباب والابواب في آخر رمق

﴿ذكر قتل عبد الرحمن أمير الاندلس وولاية عبد الملك بن قطن﴾

في هذه السنة وهي سنة ثلاث عشرة ومائة غزا عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أمير الاندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وكان هشام بن عبد الملك قد استعمل عبيدة على افريقية والاندلس سنة عشر ومائة فلما قدم افريقية رأى المستنير بن الحرث الحربي غازيا بصقلية وأقام هناك حتى هجم عليه الشتاء ثم قفل راجعا ففرق من معه وسلم المستنير في مركبه فحبسه عبيدة عقوبة له وجلده وشهره بالقيروان ثم ان عبيدة استعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله فغزا افرنجة وأوغل في أرضهم وغنم غنائم كثيرة وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزمرذ فكسرها وقسمها في الناس فبلغ ذلك عبيدة ففضب غضبا شديدا فكتب اليه يتهدده فاجابه عبد الرحمن وكان رجلا صالحا أما بعد فان السموات والارض لو كانتا رتقا جعل الله للمتقين منها مخرجا ثم خرج غازيا ببلاد الفرنج هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة وهو الصحيح فقتل هو ومن معه شهداء ثم ان عبيدة سار من افريقية الى الشام ومعه من الهدايا والاماء والعبيد والدواب وغير ذلك شيء كثير واستعفى هشاما فأجابه الى ذلك وعزله وكان قد استعمل على الاندلس بعد قتل عبد الرحمن عبد الملك بن قطن ثم ان هشاما استعمل على افريقية بعد عبيدة عبيد الله بن الحبحاب وكان على مصر فسار عبيد الله الى افريقية سنة ست عشرة ومائة فاخرج المستنير من الحبس وولاه تونس ثم ان عبيد الله جهز حبيش جيشا مع حبيب بن أبي عبيدة وسيرهم الى أرض السودان فظفروا بهم ظفرا لم يظفر أحد مثله وأصاب ماشاء ثم غزا البحر ثم انصرف

﴿ذكر

الوصائل وأعادوا الصور التي كانت مصورة في الكعبة وأبقوا شكل ذلك واحكامه وكان أبو طالب حاضرا فلما سمع هذا الكلام من هذا القائل في النبي صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره في المستقبل أنشأ يقول

ان لنا أوله وآخره
في الحكم العدل الذي لا ينكره
وقد جهدنا جهدنا لنغمره
وقد عهدنا أوله وآخره
* فان يكن حقا فمنا أكثره *

(وكان) من بناء الكعبة الى ان بعثه الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين (ومن مولده) الى يوم مبعثه أربعون سنة ويوم (والذي صح) من مولده عليه السلام أنه كان بعد قدوم أصحاب الفيل بمكة بخمسين يوما وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين من عهد ذي القرنين وكان قدوم ابرهة مكة لسبع عشرة خلت من المحرم لست عشرة ومائتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدة ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان (وكان مولده عليه السلام)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة مات عدى بن ثابت الانصارى ومعاوية بن قرة بن اياس المزنى والد اياس قاضى البصرة الذى يضرب بذكائه المثل وفيها توفى حرام بن سعيد بن محيصة أبو سعيد وعمره سبعون سنة (حرام بفتح الحاء المهملة وبالراء المهملة ومحيصة بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وبالصاد المهملة) وفيها توفى طلحة بن مصرف الايامى وعبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى وعبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ويكنى أبا جعفر وعمره سبع وسبعون سنة ووهب بن منبه الصنعانى وكان أصغر من أخيه همام وكانوا خمسة اخوة همام ووهب وغيلان وعقيل ومعقل وقيل مات سنة عشر ومائة وفيها توفى الحر بن يوسف أمير الموصل ودفن بمقابر قريش بالموصل وكانت داره المعروفة بالمنقوشة فى ذى الحجة واستعمل هشام مكانه لوليد بن تليد العبسى وأمره بالجد فى اتمام حفر النهر فى البلد فشرع فيه واهتم بعمله وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع وفى هذه السنة سار جماعة من دعاة بنى العباس الى خراسان فأخذ الجنيد رجلا منهم فقتله وقال من أصبت منهم فدمه هدر وجاء بالناس هذه السنة سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العمال من تقدم ذكرهم

﴿ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة﴾

﴿ذكر ولاية مروان بن محمد ارمينية واذربيجان﴾

فى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك مروان بن محمد بن مروان وهو ابن عمه على الجزيرة واذربيجان وارمينية وكان سبب ذلك انه كان فى عسكر مسلمة بارمينية حين غزا الخزر فلما عاد مسلمة سار مروان الى هشام فلم يشعر به حتى دخل عليه فسأله عن سبب قدومه فقال ضقت ذرعا لما أذكره ولم أر من يحمله غيرى قال وما هو قال مروان قد كان من دخول الخزر الى بلاد الاسلام وقتل الجراح وغيره من المسلمين ما دخل به الوهن على المسلمين ثم رأى أمير المؤمنين ان يوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك اليهم فوالله ما وطئ من بلادهم الا أدناها ثم انه لما رأى كثرة جمعه أعجبه ذلك وكتب الى الخزر يؤذنهم بالحرب وأقام بعد ذلك ثلاثة أشهر فاستعد القوم وحشدوا فلما دخل بلادهم لم يكن له فيهم نكاية وكان قصاراه السلامة وقد أردت أن تأذن لى فى غزوة أذهب بها عنا العار وأنتقم من العدو قال قد أذنت لك قال وتعدى بمائة وعشرين ألف مقاتل قال قد فعلت قال وتكتم هذا الامر عن كل واحد قال قد فعلت وقد استعملتك على ارمينية فودعه وسار الى ارمينية والياعليها وسير هشام الجنود من الشام والعراق والجزيرة فاجتمع عنده من الجنود والمتطوعة مائة وعشرون ألفا فاظهر انه يريد غزو اللان وقصد بلادهم وأرسل الى ملك الخزر يطلب منه المهادنة فاجابه الى ذلك وأرسل اليه من يقرر الصلح فامسك الرسول عنده الى ان فرغ من جهازه وما يريد ثم أغلظ لهم القول وآذنهم بالحرب وسير الرسول الى صاحبه بذلك ووكل به من يسيره على طريق فيه بعد وسار هو فى أقرب الطرق فاوصل الرسول الى صاحبه الا ومروان قد وافاهم فاعلم صاحبه الخبر وأخبره بما قد جمع له مروان وحشدوا واستعد فاستشار ملك الخزر اصحابه فقالوا ان هذا قد اغتررك ودخل بلادك فان أقمت الى ان تجمع لم يجتمع عندك الى مدة فيبلغ منك ما يريد وان أنت لقيته على حالك هذه هزمك وظفر بك والرأى ان تتأخر الى أقصى بلادك وتدعه وما يريد فقبل رأيهم وسار حيث أمروه ودخل مروان البلاد وأوغل فيها وأخربها وغنم وسبى وانتهى الى آخرها وأقام فيها عدة أيام حتى أذلهم وانتقم منهم ودخل بلاد ملك السرير

لثمان خلون من ربيع الاول من هذه السنة بمكة فى دار ابن يوسف ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجدا وكان أبوه عبد الله غائبا بأرض الشام فانصرف مريضا فمات بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حل وقد تنوزع فى ذلك فمنهم من قال انه مات بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بشهر ومنهم من قال انه مات فى السنة الثانية من مولده (وأمه آمنة) بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب (وفى السنة الاولى) من مولده رفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث ترضعه (وفى السنة الثانية) من كونه فى بنى سعد كان أبوه يقول

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الاردان
قد سادفى المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذى الاركان

(وفى رواية) أن عبد المطلب قال

لاهم رب الراكب المسافر
يحمد قلب بخير طائر
تنجى عن طريقه الفواجر
وحيه برصد الطواهر
واحبس كل حلف فاجر
فى درج الريح والاعاصر

(وفى السنة الثالثة) من مولده شق الملكان بطنه

فاوقع باهله وفتح قلاعا ودان له الملك وصالحه على ألف رأس وخمسمائة غلام وخمسمائة جارية سود الشعور ومائة ألف مدبر تحمل الى الباب وصالح مروان أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مدبر ثم دخل أرض زربكران فصالحه ملكها ثم أتى الى أرض حمزين فابى حمزين أن يصالحه فحصرهم فافتتح حصنهم ثم أتى سغدان فافتتحها صلحا ووظف على طيرشانشاه عشرة آلاف مدبر كل سنة تحمل الى الباب ثم نزل على قلعة صاحب الكزر وقد امتنع من أداء الوظيفة فخرج ملك الكزر يريد ملك الخزر فقتله راع بسهم وهو لا يعرفه فصالح أهل الكزر مروان واستعمل عليهم عاملا وسار الى قلعة شروان وهى على البحر فاذعن أهلها بالطاعة وسار الى الدودانية فاوقع بهم ثم عاد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى فاصاب ربض أقرن وان عبد الله البطال التقى هو وقسطنطين فى جمع فهزمهم البطال وأسر قسطنطين وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى فبلغ قيسارية وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك ابراهيم بن هشام المخزومى عن المدينة واستعمل عليها خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم فى ربيع الاول وكانت امرة ابراهيم على المدينة ثمانى سنين وعزل أيضا ابراهيم عن مكة والطائف واستعمل عليهما محمد بن هشام المخزومى وقيل بل ولى محمدا سنة ثلاث عشرة فلما عزل ابراهيم أقر محمدا عليها وفيها وقع الطاعون بواسط وفيها أقبل مسلمة بن عبد الملك بعد ما هزم خاقان وأحكم ما هناك وبنى الباب وحج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث وقيل محمد بن هشام وكان العمال من تقدم ذكرهم فى السنة قبلها غير ان المدينة كان عاملها خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام وعامل ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وفيها مات عطاء بن أبى رباح وقيل سنة خمس عشرة وعمره ثمان وثمانون سنة وقيل مائة سنة وفيها توفى محمد بن على بن الحسين الباقر وقيل سنة خمس عشرة وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقيل ثمانيا وخمسين سنة والحكم بن عتيبة بن النهاس أبو محمد وهو مولى امرأة من كندة ومولده سنة خمسين وفيها توفى عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمى قاضى مرو وكان مولده لثلاث سنين مضت من خلافة عمر بن الخطاب (عتيبة بضم العين المهملة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء مثناة من تحتها وآخره باء موحدة وبريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء والحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحده)

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام أرض الروم وفيها وقع الطاعون بالشام وفيها وقع بخراسان قحط شديد فكتب الجنيد الى الكور يحمل الطعام الى مرو فاعطى الجنيد رجلا درهما فاشترى به رغيفا فقال لهم أتشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتنى بالهند وان الحفنة من الحبوب تباع عددا بدرهم قال وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومى وكان الامير بخراسان الجنيد وقيل بل كان قدمات الجنيد واستخلف عمارة بن حريم المرى وقيل بل كان موت الجنيد سنة ست عشرة ومائة وفيها غزا عبد الملك بن قطن عامل الاندلس أرض البشكنس وعاد سالما

﴿ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن عبد الملك أرض الروم الصائفة وفيها كان طاعون شديد بالعراق والشام وكان أشد بواسط

واستخرجا قلبه فشقاه وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج وقال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه ثم قال مازال يزيد حتى بلغ الالف فقال والله لو وزنته بأمته لوزنها (وفى السنة الرابعة) ردته الى أمه مرضعته حليمة وقيل فى مستهل السادسة وبين ذلك وبين عام الفيل خمس سنين وشهران وعشرة أيام (وفى السنة السابعة) من مولده خرجت به أمه الى أخواله تزورهم فتوفيت بالأبواء وقدمت به أم أيمن الى مكة بعد خامسة من موت أمه (وفى السنة الثامنة) من مولده توفى جده عبد المطلب وضمه عمه أبو طالب اليه وكان فى حجره وخرج معه عمه الى الشام وله ثلاث عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة بنت خويلد الى الشام مع غلامها ميسرة وهو ابن خمس وعشرين سنة (قال المسعودى) وقد أتينا على مبسوط هذا الباب فى كتابنا أخبار الزمان

﴿ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم وما جاء فى ذلك الى هجرته﴾

ثم بعث الله رسوله وأكرمه

﴿ذكر

﴿ ذكر عزل الجنيد ووفاته وولاية عاصم خراسان ﴾

وفيها عزل هشام بن عبد الملك الجنيد بن عبد الرحمن المرى عن خراسان واستعمل عليها عاصم ابن عبد الله بن يزيد الهلالى وسبب ذلك ان الجنيد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ففضب هشام فولى عاصما خراسان وكان الجنيد قد سقى بطنه فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فأزهق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيد وكان بينهما عداوة فأخذ عمارة بن حريم وكان الجنيد قد استخلفه وهو ابن عمه فعذبه عاصم وعذب عمال الجنيد وعمارة هذا جد أبى الهيذام صاحب العصبية بالشام وسيأتى ذكرها ان شاء الله وكان موت الجنيد بمرو وكان من الاجواد الممدوحين غير محمود فى حروبه

﴿ ذكر خلع الحرث بن سريج بخراسان ﴾

وفى هذه السنة خلع الحرث بن سريج وأقبل الى الفارياب فارسل اليه عاصم بن عبد الله رسلا فيهم مقاتل بن حيان النبطى وخطاب بن محرز السلمى فقالا له معهما لانا تى الحرث الا بامان فابى القوم عليهما فاخذهم الحرث وحبسهم ووكل بهم رجلا فاوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا وعادوا الى عاصم فامرهم فخطبوا وذموا الحرث وذكروا خبث سيرته وغدره وكان الحرث قد لبس السواد ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة للرضا فسار من الفارياب فاتى بلخ وعليها نصر بن سيار التجيبى فلقى الحرث وهو فى عشرة آلاف والحرث فى أربعة آلاف فقاتله فانهزم أهل بلخ وتبعهم الحرث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها وأمر الحرث بالكف عنهم واستعمل عليها رجلا من ولد عبد الله بن خازم وسار الى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ فلما كان بالجوزجان استشار أصحابه فى أى بلد يقصد فقيل له مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ولو لم يلقوك الا بعبيدهم لانتصفوا منك فاقدم فان أنت قاتلتهم وان أقاموا قطعت المادة عنهم فقال لا أرى ذلك وسار الى مرو فقال لاهل الرأى من مرو ان أتى عاصم نيسابور فرق جماعتنا وان أتانا نكب و بلغ عاصما ان أهل مرو يكاتبون الحرث فقال يا أهل مرو قد كاتبتم الحرث بأنه لا يقصد المدينة الا تركتموها له وانى لاحق نيسابور وأكاتب أمير المؤمنين حتى يمدنى بعشرة آلاف من أهل الشام فقال له المجشر بن مزاحم ان أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق على القتال معك والمناصحة لك فلا تفارقهم وأقبل الحرث الى مرو يقال فى ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر الحمانى وداود الاعسر و بشر بن أنيف الرياحى وعطاء الدبوسى ومن الدهاقين دهقان الجوزجان ودهقان الفارياب وملك الطالقان ودهقان مرو الروذ فى اشباههم وخرج عاصم فى أهل مرو وغيرهم فعسكر وقطع عاصم القناطر فاقبل أصحاب الحرث فاصلحوا القناطر فقال محمد بن المثنى الفراهيدى الازدى الى عاصم فى اثنين فاتى الازد ومال حماد بن عامر الحمانى الى عاصم فى بنو تميم والتقى الحرث وعاصم وعلى ميمنة الحرث وابض بن عبد الله بن زارة التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب الحرث فغرق منهم بشر كثير فى أنهار مرو وفى النهر الاعظم ومضت الدهاقين الى بلادهم وغرق خازم بن عبد الله بن خازم وكان مع الحرث وقتل أصحاب الحرث قتلا ذريعا وقطع الحرث وادى مرو فضرب رواقا عند منارل الرهبان وكف عنه عاصم واجتمع الى الحرث زهاء ثلاثة آلاف

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها عزل هشام عبيد الله بن الحباب الموصلى عن ولاية مصر واستعمله على افريقية فسار اليها

بما اختصه به من نبوته بعد بنيان الكعبة بخمس على ما قدمنا آنفا وهو ابن أربعين سنة كاملة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وأخفى أمره ثلاث سنين ونكح خديجة بنت خويلد وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة ونزل تمام بعضها بالمدينة وأول ما نزل عليه من القرآن اقرأ باسم ربك الذى خلق وأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى ليلة السبت ثم فى ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة فى يوم الاثنين وذلك بحراء وهو أول موضع نزل فيه القرآن وخاطبه بأول السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم ونزل تمامها بعد ذلك وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين ثم أمر باتمامها بعد ذلك وأقرت ركعتين فى السفر وزيد فى صلاة الحضر (وكان مبعثه) صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين سنة من ملك كسرى ابرويز وذلك على رأس مائتى سنة من يوم التحالف بالربذة وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام وقد ذكر مثل هذا عن بعض حكماء العرب فى صدر الاسلام ممن قرأ

وفيها سير ابن الحباب جيشا الى صقلية فلقيهم مراكب الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم وكانوا قد أسروا جماعة من المسلمين منهم عبد الرحمن بن زياد فبقي أسيرا الى سنة احدى وعشرين ومائة وفيها سير ابن الحباب أيضا جيشا الى السوس وأرض السودان فغنموا وظفروا وعادوا وفيها استعمل عبد الله بن الحباب عطية بن الحجاج القيسي على الاندلس فسار اليها وليها في شوال من هذه السنة وعزل عبد الملك بن قطن وكان له كل سنة غزاة وهو الذي افتتح جليقية والبنة وغيرها وقيل بل ولي عبد الله بن الحباب افريقية سنة سبع عشرة وسترد أخباره هناك وهذا أصح وحج بالناس هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان ولي عهد وكان العمال على الامصار من تقدم ذكرهم الا خراسان وكان عاملها عاصم بن عبد الله

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ﴾

في هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سرايا في أرض الروم وفيها بعث مروان بن محمد وهو على ارمينية بعثين وافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على ما نشاه فنزل أهلها على الصلح

﴿ ذكر عزل عاصم عن خراسان وولاية أسد ﴾

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وولاها خالد بن عبد الله القسري فاستخلف خالد عليها اخاه أسد بن عبد الله وكان سبب ذلك ان عاصما كتب الى هشام أما بعد فان الوليد لا يكذب أهله وان خراسان لا تصلح الا ان تضم الى العراق وتكون موادها ومعونتها من قريب لساعد أمير المؤمنين وتباطئ عتابه فضم هشام خراسان الى خالد بن عبد الله القسري وكتب اليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فان كان سببه كانت به فسير خالد اليها أخاه أسد فلما بلغ عاصما اقبال أسد وانه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني صالح الحرث بن سريج وكتبا بينهما كتابا على أن ينزل الحرث أي كور خراسان شاء وان يكتبها جميعا الى هشام يسأله بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان أبى اجتمعا عليه فختم الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى ابن حضين بن المنذر أن يختم وقال هذا خلع أمير المؤمنين فانفض ذلك وكان عاصم بقرية بأعلى مرو وأتاه الحرث بن سريج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحرث وأسر من أصحابه أسرى كثيرة منهم عبد الله بن عمرو المازني رأس أهل مرو الروذ فقتل عاصم الاسرى وكان فرس الحرث قد رمى بسهم فنزعه الحرث وألح على الفرس بالضرب والحضر ليشغله عن أثر الجراحة وحمل عليه رجل من أهل الشام فلما قرب منه مال الحرث عن فرسه ثم اتبع الشامي فقال له اسألك بحرمة الاسلام في دمي فقال انزل عن فرسك فنزل عن فرسه فركبه الحرث فقال رجل من عبد القيس في ذلك

تولت قريش لذة العيش وانقت ✽ بنا كل فج من خراسان أغبرا
فليت قريشا اصبحوا ذات ليلة ✽ يعومون في لج من البحر أخضرا

وعظم أهل الشام يحيى بن حضين لما صنع في نقض الكتاب وكتبوا كما بايعا كان وبهزيمة الحرث مع محمد بن مسلم العنبري فلقي أسد بن عبد الله بالري وقيل ببيهق فكتب الى أخيه خالد ينتحل انه هزم الحرث ويخبره بأمر يحيى فاجاز خالد يحيى بعشرة آلاف دينار ومائة من الخيل وكانت ولاية عاصم أقل من سنة فحبسه أسد وحاسبه وطلب منه مائة ألف درهم وقال انك لم تغز واطلق عمارة بن حريم وعمال الجنيد فلما قدم أسد لم يكن لعاصم الا مرو ونيسابور والحرث

الكتب السالفة على حسب ما استخرج من عاد الكبير وفي ذلك يقول الشاعر

في رأس ألف من السنين *
الى ثلاث حصلت يقين
والمائة المعدودة التمام *
الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا *
وكان فينا هادي السبيلا

(وقد تنوزع) في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه واسلامه فذهب كثير من الناس الى أنه لم يشرك بالله شيأ فيستأنف الاسلام بل كان تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وان الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه السلام لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات بل مختارين قادرين فاختارا طاعة الرب وموافقة أمره واجتناب منهياته ومنهم من رأى أنه أول من آمن وان الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله جل وعز وأنذر عشيرتك الاقربين وكان بدؤه بعلي اذ كان أقرب الناس اليه وأتبعهم له ومنهم من رأى غير ما وصفنا وهذا موضع قد تنازع الناس فيه من الشيعة وقد احتج كل فريق لقوله ومنهم من قال

بالنص فى الامامة والاختيار وأرض كل فريق وكيفية اسلامه ومقدار سنيه قد أتينا على الكلام فى ذلك على الشرح والايضاح فى كتابنا المترجم بكتاب الصفوة فى الامامة وفى كتاب الاستنصار وفى كتاب الراهى وغيره من كتبنا فى هذا المعنى ثم أسلم أبو بكر رضى الله عنه ودعا قومه الى الاسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة وعبيد الله فجاءهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا فهؤلاء المفرسبقوا الناس بالايمان وقد قال بعض من تقدم من الشعراء فى صدر الاسلام يذكرهم

فياسائلى عن خيار العباد * صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعا قريش * وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوى الهجره السابقون *
ثمانية وحدهم نصره * على وعثمان ثم الزبير
وطلحة واثنان من زهره * وشيخان قد جاورا أحمدا *
وجاور قبراهما قبره

بمرو الروذ وخالد بن عبد الله الهجرى بآمل موافق للحرث فخاف أسد ان قصد الحرث بمرو الروذ ان يأتى الهجرى من قبل آمل وان قصد الهجرى قصد الحرث بمرو من قبل مرو الروذ فاجمع على توجيه عبد الرحمن بن نعيم فى أهل الكوفة والشام الى الحرث بمرو الروذ وسار أسد بالناس الى آمل فالقيه خيل آمل عليهم زياد القرشى مولى حيان النبطى وغيره فهزموا حتى رجعوا الى المدينة فحصرهم أسد ونصب عليهم المجانيق وعليهم الهجرى من أصحاب الحرث فطلبوا الامان فارسل اليهم أسد ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لا تأخذ أهل المدن بجناياتنا فاجابهم الى ذلك فاستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى وسار يريد بلخ فاخبر ان أهلها قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فسار حتى قدمها واتخذ سفنا وسار منها الى ترمذ فوجد الحرث محاصر الها وبها سبان الاعرابى فنزل أسد دون النهر ولم يطق العبور اليهم ولا ان يمدهم وخرج أهل ترمذ من المدينة فقاتلوا الحرث قتالا شديدا واستطرد الحرث لهم وكان قد وضع كمينا فتبعوه ونصر بن سيار مع أسد جالس ينظر فاظهر الكراهية وعرف ان الحرث قد كادهم وظن أسد ان ذلك شفقة على الحرث حين ولى وأراد معاتبته نصر واذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا ثم ارتحل أسد الى بلخ وخرج أهل ترمذ الى الحرث فهزموه وقتلوا جماعة من أهل البصائر منهم عكرمة وأبو فاطمة ثم سار أسد الى سمرقند فى طريق زم فلما قدم زم بعث الى الهيثم الشيبانى وهو فى حصن من حصونها وهو من أصحاب الحرث فقال له أسد انما أنكرتم ما كان من سوء السيرة ولم يبلغ ذلك السبى واستحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند ولك عهد الله وذمته أن لا ينالك شىء تكرهه ولك المواساة والكرامة والامان ولمن معك وان أبيت ما دعوتك اليه فعلى عهد الله ان أنت رميت بسهم لا أؤمنك بعد وان جعلت لك ألف أمان لا أفى لك به فخرج اليه على الامان وسار معه الى سمرقند ثم ارتفع الى ورغسر وماء سمرقند فنهبها فسكر الوادى وصرفه عن سمرقند ثم رجع الى بلخ وقيل ان أمر أسد وأصحاب الحرث كان سنة ثمان عشرة

﴿ ذكر حال دعاة بنى العباس ﴾

قيل وفى هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بنى العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن زريق فاتى بهم فقال يا فسقة ألم يقل الله تعالى عنا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه فقال له سليمان نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

صدقت والله المقارب بيديك انا ناس من قومك وان المضرية رفعوا اليك هذا الا انا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم فطلبوا بثأرهم فبعث بهم الى الحبس ثم قال لعبد الرحمن بن نعيم ما ترى قال أرى ان تمن بهم على عشائرهم قال افعل فاطلق من كان فيهم من أهل اليمن لانه منهم ومن كان من ربيعة أطلقه أيضا لحلفهم مع اليمن وأراد قتل من كان من مضر فدعا موسى بن كعب فألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت اسنانه ودق وجهه وانفه ودعا لاهز بن قريظ فقال له ما هذا بحق تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيين فضربه ثمانية سوط فشهد له الحسن بن زيد الازدى بالبراءة ولاصحابه فتركهم

﴿ ذكر ولاية عبيد الله بن الحبحاب افريقية والاندلس ﴾

فى هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحبحاب وأمره

بالمسير اليهما وكان واليا على مصر فاستخلف عليها ولده وسار الى افريقية واستعمل على الاندلس عقبة بن الحجاج واستعمل على طنجة ابنه اسمعيل وبعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان فلم يقاتله أحد الا ظهر عليه وأصاب من الغنائم والسبي أمرا عظيما فلما أهل المغرب منه رعبا وأصاب في السبي جاريتين من البربر ليس لكل واحدة منهما غير ثدي واحد ورجع سالما وسير جيشا في البحر سنة سبع عشرة الى جزيرة السردانية ففتحوا منها ونهبوا وغنموا وعادوا ثم سيره غازيا الى جزيرة صقلية سنة اثنتين وعشرين ومائة ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب فلما نزل بارضها وجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد الا هزمه عبد الرحمن فاطفر ظفرا لم يرمثله حتى نزل على مدينة سرقوسة وهي من أعظم مدن صقلية فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية وعاد الى أبيه وعزم حبيب على المقام بصقلية الى ان يملكها جميعا فاتاه كتاب ابن الحجاب يستدعيه الى افريقية وكان سبب ذلك انه استعمل على طنجة ابنه اسمعيل وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي فاساء السيرة وتعدى وأراد أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم في للمسلمين وذلك شيء لم يركبه أحد قبله فلما سمع البربر بسير حبيب ابن عبيدة الى صقلية بالعساكر طمعوا ونقضوا الصلح على ابن الحجاب وتداعت عليه بأسرها فسلمها وكافرها وعظم البلاء وقدم من بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة السقاء ثم المدغوري وكان خارجيا صفريا وسقاء وقصدوا طنجة فقاتلهم عمر بن عبد الله فقتلوه واستولوا على طنجة وبايعوا ميسرة بالخلافة وخوطب بامير المؤمنين وكثر جمعه من البربر وقوي أمره بنواحي طنجة وظهر في ذلك الوقت جماعة بافريقية فاظهروا مقالة الخوارج فارسل ابن الحجاب الى حبيب وهو بصقلية يستدعيه اليه لقتال ميسرة السقاء لان أمره كان قد عظم فعاد الى افريقية وكان ابن الحجاب قد سير خالد بن حبيب في جيش الى ميسرة فلما وصل حبيب بن أبي عبيدة سيره في أثره والتقى خالد وميسرة بنواحي طنجة واقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وعاد ميسرة الى طنجة فانكرت البربر سيرته وكاتبوا بايعوه بالخلافة فقتلوه وولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي ثم التقى خالد بن حميد ومعه البربر بخالد بن حبيب ومعه العرب وعسكر هشام وكان بينهم قتال شديد صبرت فيه العرب وظهر عليهم كمين من البربر فانهزموا وكره خالد بن حبيب ان ينهزم من البربر فصبروا معه فقتلوا جميعهم وقتل في هذه الوقعة حماة العرب وفرسانها فسميت غزوة الاشراف وانتقضت البلاد وخرج أمر الناس وبلغ أهل الاندلس الخبر فثاروا وباميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن فاختلطت الامور على ابن الحجاب وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فقال لاغضبن للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أولهم عندهم وآخرهم عندي ثم كتب الى ابن الحجاب يأمره بالحضور فسار اليه في جمادى سنة ثلاث وعشرين ومائة واستعمل هشام عوضه كلثوم بن عياض القشيري وسير معه جيشا كثيفا وكتب الى سائر البلاد التي على طريقه بالمسير معه فوصل افريقية وعلى مقدمته بلج بن بشر فوصل الى القيروان ولقي أهلها بالجفاء والتكبر عليهم وأراد أن ينزل العسكر الذي معه في منازلهم فكتب أهلها الى حبيب بن أبي عبيدة وهو بتلمسان مواقف البربر يشكون اليه بلجا وكلثوما فكتب حبيب الى كلثوم يقول له ان بلجا فعل كيت وكيت فارحل عن البلد والا رددنا أعنة الخيل اليك فاعتذر كلثوم وسار الى حبيب وعلى مقدمته بلج ابن بشر فاستخف بحبيب وسبه وجرى بينهما منازعة ثم اصطلحوا واجتمعوا على قتال البربر وتقدم اليهم البربر من طنجة فقال لهم حبيب اجعلوا الرجالة للرجالة والخيالة للخيالة فلم يقبلوا منه وتقدم

فمن كان بعدهما فاخرا
فلا تذكروا عندهم فخره
(وقد اختلف) في أول من أسلم فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس اسلاما وأسبقهم ايمانا ثم بلال بن حمامة ثم عمرو بن عنبسة ومنهم من ذهب الى أن أول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال علي ومنهم من رأى أن أول من أسلم زيد ابن حارثة حب النبي صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم علي كرم الله وجهه وقد ذكرنا ما أحببنا من القول في ذلك فيما قدمنا ذكره في هذا المعنى والله تعالى ولي التوفيق

﴿ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه صلى الله عليه وسلم الى وقت وفاته﴾

أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من الهجرة وهي السنة التي نزل فيها الاذان وكانت سنة أربع عشرة من المبعث وكان ابن عباس يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت سنة احدى من الهجرة وهي

سنة اثنتين وثلاثين من ملك كسرى ابرويز وسنة تسع من ملك هرقل ملك النصرانية وسنة تسعمائة وثلاث وثلاثين من ملك الاسكندر المقدونى (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى الكتاب الاوسط كيفية فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ودخوله الغار واستئجاره على له الابل ونومه على فراشه فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط الديلى دليل بهم على الطريق ولم يكن مسلما وكان مقام على بن أبى طالب بعده بمكة ثلاثة أيام الى أن أدى ما أمر بأدائه ثم لحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان دخوله عليه السلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فاقام بها عشر سنين كوامل وكان نزوله عليه السلام فى حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة وكان مقامه بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة ارتفاع النهار وأتته الانصار حيا

المهم كلثوم بالخيل فقاتله رجالة البربر فهزموه فعاد كلثوم منهزما وهن الناس ذلك ونشب القتال وانكشفت خيالة البربر وثبتت رجالتها واشتد القتال وكثر البربر عليهم فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبى عبيدة ووجوه العرب وانهزمت العرب وتفرقوا فمضى أهل الشام الى الاندلس ومعهم بلج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة وعاد بعضهم الى القيروان فلما ضعفت العرب بهذه الوقعة ظهر انسان يقال له عكاشة بن أيوب الفزارى بمدينة قابس وهو على رأى الخوارج الصفرية فسار اليه جيش من القيروان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر القيروان فخرج اليه عسكر آخر فانهزم عكاشة بعد قتال شديد وقتل كثير من أصحابه ولحق عكاشة ببلاد الرمل فلما بلغ هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بعث أميرا على افريقية حنظلة بن صفوان الكلبى فوصلها فى ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فلم يمكث بالقيروان الا يسيرا حتى زحف اليه عكاشة الخارجى فى جمع عظيم من البربر وكان حين انهزم حشدهم ليأخذ بثاره وأعانه عبد الواحد بن يزيد الهوارى ثم المدغمى وكان صفريا فى عدد كثير وافترقا ليقصدا القيروان من جهتين فلما قرب عكاشة خرج اليه حنظلة ولقيه منفردا واقتتلوا قتالا شديدا وانهزم عكاشة وقتل من البربر ما لا يحصى وعاد حنظلة الى القيروان خوفا عليها من عبد الواحد وسير اليه جيشا كثيفا عدتهم أربعون ألفا فساروا اليه فلما قاربوه لم يجدوا شيئا يطعمونه دوابهم فاطعموها حنطة ثم لقوه من الغد فانهزموا من عبد الواحد وعادوا الى القيروان وهلكت دوابهم بسبب الحنطة فلما وصلوها نظروا واذا قد هلك منهم عشرون ألف فرس وسار عبد الواحد فنزل على ثلاثة أميال من القيروان بموضع يعرف بالاصنام وقد اجتمع معه ثلثمائة ألف مقاتل فحشد حنظلة كل من بالقيروان وفرق فيهم السلاح والمال فكثر جمعه فلما دنا الخوارج مع عبد الواحد خرج اليهم حنظلة من القيروان واصطفوا للقتال وقام العلماء فى أهل القيروان يحثونهم على الجهاد وقتال الخوارج ويذكرونهم ما يعاملونه النساء من السبى وبالابناء من الاسترقاق وبالرجال من القتل فكسروا لنساء أجفان سيوفهم وخرج اليهم نساؤهم يحرضنهم فحمى الناس وحملوا على الخوارج حملة واحدة وثبت بعضهم لبعض فاشتد اللزام وكثر الزحام وصبر الفريقان ثم ان الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب وكثر القتل فى البربر وتبعوهم الى جبل لا يقتتلون ولم يعلموا ان عبد الواحد قد قتل حتى حمل رأسه الى حنظلة فخر الناس لله سجدا فقيل لم يقتل بالمغرب أكثر من هذه القتلة فان حنظلة أمر باحصاء القتلى فعجز الناس عن ذلك حتى عدوهم بالقصب فكانت عدة القتلى مائة ألف وثمانين ألفا ثم أسر عكاشة مع طائفة أخرى بمكان آخر وحمل الى حنظلة فقتله وكتب حنظلة الى هشام بن عبد الملك بالفتح وكان الليث بن سعد يقول ما غزوة الى الآن أشد بعد غزوة بدر من غزوة العرب بالاصنام

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزا سليمان بن هشام الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه فى أرض الروم وحج بالناس هذه السنة خالد بن عبد الملك وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى وعلى ارمينية وأذربيجان مروان ابن محمد * وفيها توفيت فاطمة بنت الحسن بن على بن أبى طالب وسكينة بنت الحسين وفيها مات عبد الرحمن بن هرمز الاعرج بالاسكندرية وفيها توفى ابن أبى مليكة واسمه عبد الله بن عبيد الله ابن مليكة وأبو رجاء العطاردى وأبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك وفيها توفى ميمون بن مهران

الفقيه وقيل سنة ثمان عشرة وفيه توفي نافع مولى ابن عمر وقيل سنة عشرين وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وقيل سنة عشرين وقيل سنة ست وعشرين وقيل سنة ثلاثين وفيها ماتت عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص وسعيد بن يسار وقتادة بن دعامة البصري وكان ضريرا ومولده سنة ستين

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة﴾

في هذه السنة غزا معاوية وسليمان ابنا هشام بن عبد الملك أرض الروم

﴿(ذكر دعاة بني العباس)﴾

في هذه السنة وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد الى خراسان والياعلى شيعة بني العباس فنزل مرو وغير اسمه وتسمى بخداش ودعا الى محمد بن علي فسارع اليه الناس وأطاعوه ثم غير مادعاهم اليه وتكذب وأظهر دين الخرمية ورخص لبعضهم في نساء بعض وقال لهم انه لا صوم ولا صلاة ولا حج وان تأويل الصوم ان يصام عن ذكر الامام فلا يباح باسمه والصلاة الدعاء له والحج القصد اليه وكان يتأول من القرآن قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وكان خداش نصرانيا بالكوفة فأسلم ولحق بخراسان وكان ممن اتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم الاعجمي وغيرهما وأخبرهم ان محمد بن علي أمر بذلك فبلغ خبره أسد بن عبد الله فظفر به فأغلظ القول لاسد فقطع لسانه وسمل عينيه وقال الحمد لله الذي انتقم لابي بكر وعمر منك وأمر يحيى بن نعيم الشيباني فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بجرور مولى المهاجر بن دارة الضبي فضرب عنقه بشاطئ النهر

﴿(ذكر ما كان من الحرث وأصحابه)﴾

وفي هذه السنة نزل أسد بلخ وسرح جديعا الكرماني الى القلعة التي فيها أهل الحرث وأصحابه واسمها التبوشكان من طخارستان العليا وفيها بنو برزى التغلبيون أصهار الحرث فحصرهم الكرماني حتى فتحها وقتل بني برزى وسبى عامة أهله من العرب والموالي والذراري وباعهم فيمن يريد في سوق بلخ ونقم على الحرث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي فقال لهم الحرث ان كنتم لابد مفارقي فاطلبوا الامان وأنا شاهد فانهم يجيبونكم وان ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الامان فقالوا ارتحل أنت وخلنا وأرسلوا يطلبون الامان فاخبر أسد ان القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرح اليهم أسد جديعا الكرماني في ستة آلاف فحصرهم في القلعة وقد عطش أهلها وجاعوا فسألوا ان ينزلوا على الحكم وترك لهم نساءهم وأولادهم فاجابهم فنزلوا على حكم أسد فارسل الى الكرماني يأمره ان يحمل اليه خمسين رجلا من وجوههم فيهم المهاجر بن ميمون فحملوا اليه وقتلهم وكتب الى الكرماني ان يجعل الذين بقوا عنده اثلاثا فثلث يقتلهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرماني وأخرج أثقالهم فباعها واتخذ أسد مدينة بلخ دارا ونقل اليها الدواوين ثم غزا طخارستان ثم أرض جبوبة فغنم وسبى

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها خاله محمد بن هشام بن اسمعيل وفيها غزا مروان بن محمد بن مروان من ارمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب فهرب منه ورنيس الى الخزر ونزل حصنه فحصره مروان ونصب عليه المجانيق

حيا يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته وهي تجذبه فيقول عليه السلام خلوا عنها فانها مأمورة حتى أدركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت تلك أول جمعة صليت في الاسلام وهذا موضع تمازع الفقهاء في العدد الذي بهم تتم صلاة الجمعة فذهب الشافعي في آخرين معه الى أن الجمعة لا تجب اقامتها حتى يكون عدد المصلين أربعين فصاعدا وأقل من ذلك لا يجزي وخالفه غيره من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وكان في بطن الوادي المعروف بوادي رانونا الى هذه الغاية ثم استوى على ناقته وسارت لا تعرج على شيء ولا يردها راد حتى أتت الى موضع مسجده عليه السلام والموضع يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار فبركت ثم سارت فمضت غير بعيد ثم عادت الى مبركها فبركت واطمأنت والنبي صلى الله عليه وسلم يرامي مكارم الباري منه وتوفيقه له تنزل عنها وسار الى منزل أبي أيوب الانصاري وهو خالد ابن كليب بن ثعلبة بن

فقتل ورئيس قتله بعض من اجتاز به وأرسل رأسه الى مروان فنصبه لاهل حصنه فنزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وفى هذه السنة مات على بن عبد الله بن عباس وكان موته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة وقيل انه ولد فى الليلة التى قتل فيها على بن أبى طالب فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحب الناس الى وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك ابن مروان أكرمه وأجلسه معه على سريره وسأله عن كنيته فاخبره فقال لا يجتمع فى عسكرى هذا الاسم والكنية لاحد وسأله هل ولد لك ولد قال نعم وقد سميته محمدا قال فانت ابو محمد وج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسمعيل وكان أمير المدينة وقيل كان هذه السنة على المدينة خالد بن عبد الملك وكان على العراق والمشرق كله خالد القسرى وعامله على خراسان أخوه أسد وعامله على البصرة بلال بن أبى بردة وكان على أرمينية مروان بن محمد بن مروان وفى هذه السنة مات عبادة بن نمى قاضى الاردن وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العباس ومات بالطائف أبو صخرة جامع بن شداد وأبو عشانة المعافرى وعبد الرحمن بن سليط

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة﴾

﴿(ذكر قتل خاقان)﴾

لما دخل أسد الختل كتب ابن السايجى الى خاقان وهو بنواكث يعلمه دخول أسد الختل وتفرق جنوده فيها وانه يحتال مضيعة فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وسار فلما أحس ابن السايجى بمجىء خاقان بعث الى أسد اخرج عن الختل فان خاقان قد أظلك فشتم الرسول ولم يصدقه فبعث ابن السايجى انى لم أكذبك وأنا الذى أعلمه دخولك وتفرق عسكرك وانها فرصة له وسألته المدد فان لقيك على هذه الحال ظفر بك وعادتنى العرب أبدا ما بقيت واستطال على خاقان واشتدت مؤنته وقال اخرجت العرب من بلادك ورددت اليك ملكك فعرف أسد انه قد صدقه فامر بالاثقال ان تقدم وجعل عليها ابراهيم بن عاصم العقيلى واخرج معه المشيخة فسارت الاثقال ومعها أهل الصغانيان وصغان خذاه أو أقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ وقد قطع ابراهيم بن عاصم بالسبى وما أصابوا وأشرف أسد على النهر فاقام يومه فلما كان الغد عبر النهر فى مخاضة وجعل الناس يعبرون فادركهم خاقان فقتل من لم يقطع النهر وكانت المسلحة على الازد وتميم فقاتلوا خاقان وانكشفوا وأقبل خاقان وظن المسلمون انه لا يعبر اليهم النهر فلما نظر خاقان الى النهر أمر الترك بعبوره فعبروه ودخل المسلمون عسكرهم وأخذ الترك ما رأوه خارجا وخرج الغلمان فضاربوهم بالعمد فعادوا وابات أسد والمسلمون وعبى أصحابه من الليل فلما أصبح لم ير خاقان فاستشار أصحابه فقالوا له اقبل العافية قال ما هذه عافية هذه بلية ان خاقان أصاب أمس من الجند والسلاح وما منعه اليوم منا الا انه قد أخبره بعض من أخذه من الاسرى بموضع الاثقال اما منافسا رطمعا فيها فارتحل وبعث الطلائع فلما امسى استشار الناس فى النزول أو المسير فقال الناس اقبل العافية وما عسى ان يكون ذهاب الاموال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيار مطرق فقال له أسد مالك لا تتكلم قال أيها الامير خلتان كلتاهما لك ان تسر تغنمت وتنجد من مع الاثقال وتخلصهم فان انتهيت اليهم وقد هلكوا فقد قطعت مشقة لا بد من قطعها فقبل رأيه وسار بقية يومه ودعا أسد سعيدا الصغير مولى باهلة وكان فارسا بارض الختل وكتب معه كتابا الى ابراهيم يأمره بالاستعداد ويخبره بمسير خاقان اليه وقال له لتجد السير فطلب منه فرسه الذنوب فقال أسد لعمرى لئن جدت بنفسك وبخلت عليك بالفرس انى اذا للئيم

عوف بن سحيم بن مالك بن النجار فاقام فى منزله شهرا حتى ابتنى المسجد من بعد ابتياعه الموضع وأحدقت به الانصار واشتد سرورهم به وأظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته وفى ذلك يقول صرمة بن أنس أحد بنى عدى بن النجار من قصيدة ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لا يلقى صديقا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه
فلم ر من يوفى ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى من الناس واحدا
بعيدا ولا يخشى من الناس دانيا
بذلنا له الاموال فى كل ملكنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا رب غيره
وأن رسول الله للحق راثيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم
جميعا وان كان الحبيب المصافيا
فافترض شهر رمضان وحولت القبلة الى الكعبة بعد قدومه بثمانية عشر شهرا وقد قيل انه أنزل عليه

بالمدينة من القرآن اثنتان وثلاثون سورة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة في منزل عائشة رضي الله عنها وكانت علته اثني عشر يوما وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة ومنهم من رأى أنها سبع وعشرون الاولون جعلوا منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادي القرى غزوة واحدة والذين جعلوها سبعا وعشرين جعلوا غزوة خيبر مفردة ووادي القرى منصرفه اليها غزوة أخرى غير خيبر فوقع التنازع في اعداد الغزوات من هذا الوجه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح الله خيبر انصرف منها الى وادي القرى من غير أن يأتي المدينة وكان أول غزواته صلى الله عليه وسلم من المدينة بنفسه الى ودان وهي المعروفة بغزوة الابواء ثم غزوة بواط الى ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى وكان خروجه طلبا لكرز بن جابر ثم غزوة بدر الكبرى وهي

فدفعه اليه فاخذ معه جنيبا وسار فلما حاذى الترك وقد سار وا نحو الاثقال طلبته طلائعهم فركب الذنوب فلم يلحقوه فاتى ابراهيم بالكتاب وسار خاقان الى الاثقال وقد خندق ابراهيم خندقا فاتاهم وهم قيام عليه فامر الصغد بقتالهم فهزمهم المسلمون وصعد خاقان تلا فجعل ينظر ليرى عورة يأتي منها وهكذا كان يفعل فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فامرهم ان يقطعوا فوق العسكر حتى يصيروا الى الجزيرة ثم ينحدروا حتى يأتوا عسكر المسلمين من خلفهم وان يبدؤا بالاعاجم وأهل الصغانيان وقال لهم ان رجعوا اليكم دخلنا نحن ففعلوا ودخلوا من ناحية الاعاجم فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه وأخذوا أموالهم ودخلوا عسكر ابراهيم فاخذوا جميع ما فيه وترك المسلمون التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك واذا رهج قد ارتفع واذا أسد في جنده قد أتاهم فارتفعت الترك عنهم الى الموضع الذي كان فيه خاقان وابراهيم يعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وهو لا يطمع في أسد وكان أسد قد أغذ المسير وأقبل حتى وقف على التل الذي كان عليه خاقان وتنحى خاقان الى ناحية الجبل فخرج الى أسد من كان بقي مع الاثقال وقد قتل منهم بشرا كثيرا ومضى خاقان بالاسرى والجمال الموقرة والجواري وأمر خاقان رجلا كان معه من أصحاب الحرث بن سريج فنادى أسد قد كان لك فيما وراء النهر مغزى انك لشديد الحرص وقد كان عن الحتل مندوحة وهي أرض آبائي وأجدادي فقال أسد لعل الله ان ينتقم منك وسار أسد الى بلخ فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء ثم فرق الناس في الدور ودخل المدينة وكان الحرث بن سريج بناحية طخارستان فانضم الى خاقان فلما كان وسط الشتاء أقبل خاقان وكان لما فارق أسدا أتى طخارستان فاقام عند جبوية فاقبل فاتى الجوزجان وبث الغارات وسبب مجيئه ان الحرث أخبره انه لا نهوض بأسد فلم يبق معه كثير جند ونزل حزة فاتى الخبر الى أسد بنزول خاقان بحزة فامر بالنيران فرفعت بالمدينة فجاء الناس من الرساتيق اليها فاصبح أسد وصلى صلاة العيد عيد الاضحى وخطب الناس وقال ان عدو الله الحرث استجلب الطاغية ليطفئ نور الله ويبدل دينه والله مذله ان شاء الله وان عدوكم قد أصاب من اخوانكم من أصاب وان يرد الله نصركم لن يضركم قلتكم وكثرتهم فاستنصروا الله وان أقرب ما يكون العبد من ربه اذا وضع جبهته له واني نازل واضع جبهتي فاسجدوا له وادعوه مخلصين فسجدوا ورفعوا رؤسهم ولا يشكون في الفتح ثم نزل وضحى وشاور الناس في المسير الى خاقان فقال قوم تحفظ مدينة بلخ وتكتب الى خالد والخليفة تستمده وقال قوم تأخذ في طريق زم فتسبق خاقان الى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم فوافق هذا رأي أسد وكان عزم على لقائهم فخرج بالناس وهو في سبعة آلاف من أهل خراسان والشام واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وأمره ان لا يدع أحدا يخرج من مدينتها وان ضرب الترك بابها ونزل بابا من أبواب بلخ وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى في الناس ادعوا الله تعالى وأطال الدعاء فلما فرغ قال نصرتم ورب الكعبة ان شاء الله تعالى ثم سار فلما جاز قنطرة عطا نزل وأراد المقام حتى يتلاحق به الناس ثم أمر بالرحيل وقال لا حاجة بنا الى المخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلي في ثلثمائة فلقي ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان فاسر قائدهم وسبعة معه وهرب بقيتهم فاتى به أسدا فبكى التركي فقال ما يبكيك قال لست أبكي لنفسي ولكني أبكي لهلاك خاقان انه قد فرق جنوده بينه وبين مرو فسار أسد حتى شارف مدينة الجوزجان فنزل عليها على فرسخين من خاقان وكان قد استباحها خاقان فلما أصبحوا تراءى العسكران فقال خاقان للحرث بن

سريج ألم تكن أخبرتني ان أسد الاحرالك به وهذه العساكر قد أقبلت من هذا قال هذا محمد بن المثنى و رايته فمعث خاقان طليعة وقال انظروا هل ترون على الابل سريرا وكراسي فعادوا اليه فاخبروه انهم رأوها فقال خاقان هذا أسد وسار أسد قد غلوة فالقيه سالم بن جناح فقال أبشر أيها الامير قد حزتم ولا يبلغون أربعة آلاف وأرجو ان يكون خاقان عقيرة الله فصف أسد أصحابه وعبى خاقان أصحابه فلما التقوا حمل الحرث ومن معه من الصغد وغيرهم وكانوا ميمنة خاقان على ميسرة أسد فهزمهم فلم يردهم شئ دون رواق أسد وحملت ميمنة أسد وهم الجوزجان والازد وتميم عليهم فانهزم الحرث ومن معه وانهزمت الترك جميعها وحمل الناس جميعا فتفرق الترك في الارض لا يلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون حتى انتهوا الى آغنامهم وأخذوا منها أكثر من مائة ألف رأس وخمسين ألف رأس ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا في الجبل والحرث بجميعه وسار منهزما فقال الجوزجاني لعثمان بن عبد الله بن الشخير اني لاعلم ببلادي و بطرقها فهل تتبعني لعلنا نهلك خاقان قال نعم فاخذا طريقا وسارا ومن معهما حتى أشرفوا على خاقان فاوقعوا به فولى منهزما فخوى المسلمون عسكر الترك وما فيه من الاموال و وجدوا فيه من نساء العرب والمولدات من نساء الترك من كل شئ ووجد بخاقان برذونه فحماه الحرث بن سريج ولم يعلم الناس أنه خاقان وأراد الخصي الذي لخاقان ان يحمل امرأة خاقان فاعجلوه فقتلها واستنقذوا من كان مع خاقان من المسلمين وتتبع أسد خيل الترك التي فرقها في الغارة الى مرو الروذ وغيرها فقتل من قدر عليه منهم ولم ينج منهم غير القليل و رجع الى بلخ وكان بشير الكرماني في السرايا فيصيبون من الترك الرجل والرجلين وأكثر ومضى خاقان الى طخارستان وأقام عند حيوية الجزلي ثم ارتحل الى بلاده فلما ورد آشر وسنة تلتاه خراب غره أبو خاناجزه حد كاوس أبي أفشين بكل ما قدر عليه وكان ما بينهما متباعدا الا انه أحب ان يتخذ عنده يدا ثم أتى خاقان بلاده واستعد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحرث وأصحابه على خمسة آلاف برذون فلاعب خاقان يوما كور رصول بالنرد على خطرة فازما فضرب كور رصول يد خاقان فكسرها وتنحى وجمع جمعا وبلغه ان خاقان قد حلف ليكسرن يده فبيت خاقان فقتله وتفرقت الترك وتركوه مجردا فاتاه نفر من الترك فدفنوه واشتغلت الترك بغير بعضها على بعض فعند ذلك طمع أهل الصغد في الرجعة اليها وأرسل أسد مبشرا الى هشام بن عبد الملك بما فتح الله عليهم و بقتل خاقان فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه لا أظن هذا صادقا فاذهب فعده ثم سله عما يقول ففعل ما أمره به فاخبره بما أخبر به هشام ثم أرسل أسد مبشرا آخر فوقف على باب هشام وكبر فاجابه هشام بالتكبير فلما انتهى اليه أخبره بالفتح فسجد شكرا لله تعالى فحسدت القيسية أسدا وقالوا لهشام اكتب بطلب مقاتل بن حيان النبطي ففعل فسيره أسد الى هشام فلما دخل عليه أخبره بما كان فقال له هشام حاجتك قال ان يزيد بن المهلب أخذ مني أبي مائة الف درهم بغير حق فاستحلفه على ذلك فكتب الى اسد فردها عليه وقسمها مقاتل بين ورثة حيان على كتاب الله تعالى وقال أبو الهندي يذكر هذه الوقعة

أبا منذر رمت الامور وقستها * وسالت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأي من الناس قسته * برأيك الامثل رأي البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن * عراق ولا انقادت ملوك الاعاجم
ولا حج بيت الله من حج راكبا * ولا عمر البطحاء بعد المواسم

بدر الثانية التي قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الموضع المعروف بالكدر ماء لبني سليم ثم غزوة السويق طلبا لابي سفيان ابن حرب فبلغ فيها الموضع المعروف بقرقرة الكدر ثم غزوة غطفان الى نجد وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي أمر ثم غزوة بحران وهو موضع بالحجاز من فوق الفرع ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نجد ثم غزوة بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان بن هذيل بن مدركة ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم اعتمر عليه السلام عمرة القضاء ثم غزوة مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر وأحد والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وتبوك هذا قول محمد بن اسحق فأما ما ذهب اليه الواقدي

وكم من قتيل بين شان وجزة * كسير الايادى من مماليك قائم
تركت بأرض الجوزجان نزوره * سباع وعقبان لحزان الغلاصم
وذى سوقة فيه من السيف خبطة * به رمق ملقى لحوم الحوائم
فمن هارب منا ومن دائن لنا * أسيرا يقاسى مهمهات الاداهم
فدتك نفوس من تميم وعامر * ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم أطعموا خافان فينا فأصبحت * حلائبه ترجوخ لوا المغانم

وكان ابن السايجى الذى اخبر أسد العجمى خافان قد استخلفه السبل على مملكته عند موته وأوصاه بثلاث خصال قال لا تستطل على أهل الختل استطالتى عليهم فانى ملك وأنت لست بملك انما أنت رجل منهم وقال له اطلب الحنيش حتى تردّه الى بلادكم فانه الملك بعدى وكان الحنيش قد هرب الى الصين وقال له لا تحاربوا العرب وادفعوها عنكم بكل حيلة فقال له ابن السايجى أما تركى استطالتى عليهم وردى الحنيش فهو الرأى وأما قولك لا تحاربوا العرب فكيف وقد كنت أكثر الملوك محاربة لهم قال السبل قد جربت قوتكم بقوتى فما رأيتكم تقومون منى موقعا وكنت اذا حاربتهم لم أفلت الا حرضا وانكم اذا حاربتموهم هلكتم فهذا الذى أكره الى ابن السايجى محاربة العرب

﴿ذكر قتل المغيرة بن سعيد وبيان﴾

فى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى ستة نفر وكانوا يسمون الوصفاء وكان المغيرة ساحرا وكان يقول لو أردت أن أحيى عادا وثمود او قرونا بين ذلك كثيرا لفعلت و بلغ خالد بن عبد الله القسرى خروجهم بظهر الكوفة وهو يخطب فقال أطعمونى ماء فقال يحيى بن نوفل فى ذلك

أخالد لا جزاك الله خيرا * وأبرفى حرارتك من أمير
وكنت لدى المغيرة عبد سوء * تبول من المخافة للزئير
وقلت لما أصابك اطعمونى * شرابا ثم بلت على السرير
لاعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ليس بذى نصير

فأرسل خالد فاخذهم وأمر بسريره فاخرج الى المسجد الجامع وأمر بالقصب والنفط فاحضر فاحرقهم وأرسل الى مالك بن أعين الجرمى فسأله فصدقه فتركه وكان رأى المغيرة التجسيم يقول ان الله على صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاءه على عدد حروف الهجاء و يقول ما لا ينطق به لسان تعالى الله عن ذلك ويقول ان الله تعالى لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الاعظم فطار فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه على كفه اعمال عباده من المعاصى والطاعات فلما رأى المعاصى ارفض عرقا فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم والآخر عذب نير ثم اطلع فى البحر فرأى ظله فذهب ليأخذه فطار فأدركه فقلع عينى ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس والقمر وسماء أخرى وخلق من البحر الملح الكفار ومن البحر العذب المؤمنين وكان يقول بالهيصة على وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة الا من ثبت مع على وكان يقول ان الانبياء لم يختلفوا فى شئ من الشرائع وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة وكان يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى أمثال الجراد على القبور وجاء المغيرة الى محمد الباقر فقال له أقر أنك تعلم الغيب حتى أجيء لك العراق فنهره وطرده وجاء الى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك فقال أعوذ بالله وكان الشعبى يقول للمغيرة ما فعل الامام فيقول اتهزأ به فيقول لا انما أهزأ بك وأما بيان فانه كان يقول بالهية على وان الحسن والحسين الهان ومحمد بن الحنفية بعدهم ثم بعده ابنه أبو هاشم بن

فانه وافق ابن اسحق فى قتال النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه التسع الغزوات وزاد أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل فى غزوات وادى القرى وذلك أن غلامه المعروف بمدعم رمى بسهم فقتل وقاتل فى يوم الغابة فقتل من المشركين ستة نفر وقتل يومئذ محرز بن نضلة ففى قول الواقدى انه قاتل فى احدى عشرة غزوة وفى قول ابن اسحق فى تسع فقتاله فى التسع باتفاق منهما وزاد الواقدى على ما ذكر وقد قيل ان أول غزوة غزاها عليه السلام ذات العشيرة (وقد تنازع) من سلف من أهل السير والاخبار فى عدة سراياه و بعوثه فقال قوم ان عدة سراياه و بعوثه بين أن قدم المدينة و بين أن قبضه الله خمس وثلاثون بعثا وسرية وذكر محمد بن جرير الطبرى فى كتابه فى التاريخ قال حدثنى الحرث قال حدثنا ابن أسعد قال قال محمد بن عمر والواقدى كانت سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ثمانيا وأربعين سرية وقيل ان سراياه عليه السلام و بعوثه كانت ستة وستين (وقبض صلى الله عليه وسلم)

محمد بنوع من التناسخ وكان يقول ان الله تعالى يفنى جميعه الا وجهه ويحتج بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وادعى النبوة وزعم انه المراد بقوله تعالى هذا بيان للناس

﴿ذكر خبر الخوارج هذه السنة﴾

وفى هذه السنة خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة وهو من الموصل من شيبان فقتل وكان سبب خروجه انه خرج يريد الحج فأمر غلامه يبتاع له خلا بدرهم فاتاه بخمر فأمره برده وأخذ الدرهم ولم يجبه صاحب الخمر الى ذلك فجاء بهلول الى عامل القرية وهى من السواد فكلمه فقال العامل الخمر خير منك ومن قولك فمضى فى حجه وقد عزم على الخروج فلقى بمكة من كان على مثل رأيه فانعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمعوا بها وهم اربعون رجلا وأمروا عليهم بهلولا وكتموا أمرهم وجعلوا لا يمرون بعامل الا أخبروه انهم قدموا من عند هشام على بعض الاعمال وأخذوا دواب البريد فلما انتهوا الى القرية التى ابتاع الغلام بها الخمر قال بهلول نبدأ بهذا العامل فنقتله فقال أصحابه نحن نريد قتل خالد فان بدأنا بهذا اشهر أمرنا وحذرنا خالدا وغيره فنشدناك الله ان لا نقتل هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ويبنى البيع والكنائس ويولى المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات فاذهب بنا اليه لعلنا نقتله فيريح الله منه فقال والله لا أدع ما يلزمنى لما بعده وأرجو أن أقتل هذا وخالدا فقتله فعلم بهم الناس أنهم خوارج فهربوا وخرجت البرد الى خالد فاعلموه بهم ولا يدرون من رئيسهم فخرج خالد من واسط وأتى الحيرة وكان بها جند قد قدموا من الشام مدد العامل الهند فأمرهم خالد بقتاله وقال من قتل منهم رجلا أعطيته عطاءه سوى ما أخذ فى الشام وأعفيته من الخروج الى الهند فسارعوا الى ذلك فتوجه قدمهم وهو من بنى القين ومعه ستمائة منهم فضم اليه خالد مائتين من الشرط فالتقوا على الفرات فقال القينى لمن معه من الشرط لا تكونوا معنا ليكون الظفر له ولاصحابه وخرج اليهم بهلول فحمل على القينى فطعنه فانفذه وانهزم اهل الشام والشرط وتبعهم بهلول وأصحابه يقتلونهم حتى بلغوا الكوفة وأما أهل الشام فكانوا على خيل جياد ففاتوهم وأما شرط الكوفة فأدركهم فقالوا اتق الله فينا فانا مكرهون مظهرون لخلعه فجعل يقرع رؤسهم بالرمح ويقول النجاء النجاء ووجد بهلول مع القينى بدرة فأخذها وكان فى الكوفة ستة نرون رأى بهلول فخرجوا اليه فقتلوا بصريفين فخرج بهلول ومعه البدرة فقال من قتل هؤلاء حتى أعطيه هذه البدرة فجاء قوم فقالوا نحن قتلناهم وهم يظنونه من عند خالد فقال بهلول لاهل القرية أصدق هؤلاء قالوا نعم فقتلهم وترك أهل القرية وبلغت الهزيمة خالدا وما فعل بصريفين فوجه اليه قائدا من شيبان أحد بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقيه فيما بين الموصل والكوفة فانهزم أهل الكوفة فاتوا خالدا فارتحل بهلول من يومه يريد الموصل فكتب عامل الموصل الى هشام بن عبد الملك يخبره بهم ويسأله جندا فكتب اليه هشام ووجه اليه كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف بهلولا الا بلقبه فكتب اليه العامل ان الخارج هو كثارة ثم قال بهلول لاصحابه انا والله ما نصنع بابن النصرانية شيأ يعنى خالدا فلم نطلب الرأس الذى سلط خالدا فسار يريد هشاما بالشام فخاف عمال هشام من هشام ان تركوه يجوز الى بلادهم فسير خالد جندا من العراق وسير عامل الجزيرة جندا من الجزيرة ووجه هشام جندا من الشام واجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول اليهم وقيل التقوا بكحيل دون الموصل فنزل بهلول على باب الدير وهو فى سبعين وحمل عليهم فقتل منهم نفرا وقاتلهم عامة نهاره وكانوا

وهو ابن ثلاث وستين سنة على حسب ما تقدم فى صدر هذا الكتاب من قول ابن عباس ولم يخلف من الولد الا فاطمة عليها السلام وتوفيت بعده بأربعين يوما وقيل سبعين يوما وقيل غير ذلك (وكان تزويج على) بن أبى طالب لفاطمة عليهما السلام بعد سنة مضت من الهجرة وقيل أقل من ذلك (وكانت) أول امرأة تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وكانت وفاتها فى شوال بعد مبعثه بثلاث سنين (وأسرى به) وهو ابن احدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوما (وكانت) وفاة عمه أبى طالب واسمه عبد مناف بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد قيل ان أبا طالب اسم له (وتزوج) بعد وفاة خديجة بسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل (وتزوج) بعائشة رضى الله عنها بعد الهجرة بسبعة أشهر وتسعة أيام وقد أتينا على ذكر سائر أزواجه فى الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته (روى جعفر)

عشرين ألفا فكثر فيهم القتل والجراح ثم ان بهلولا وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا فقاتلوا قتالا شديدا فقتل كثير من أصحاب بهلول فطعن بهلول فصرع فقال له أصحابه ول أمرنا فقال ان هلكت فأمير المؤمنين دعامة الشيباني وان هلك فامروا اليشكري ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم فقال الضحاك بن قيس يرثي بهلولا

بدلت بعد أبي بشر وصحبته * قوما على مع الاحزاب اعوانا
كانهم لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا لنا بالامس خلانا
ياعين أذري دموعا منك تهتانا * وابكي لنا صحبة بانوا واخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

فلما قتل بهلول خرج عمرو اليشكري فلم يلبث ان قتل وخرج البحتري صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف على خالد في ستين فوجه اليه خالد الشمط بن مسلم البجلي في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم ثم خرج وزير السختياني على خالد بالحيرة في نفر فجعل لا يمر بقرية الا أحرقها ولا يلقى أحدا الا قتله وغلب على ماهنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد جندا فقاتلوا عامة أصحابه وأثخن بالجراح وأتي به خالد وأقبل على خالد فوعظه فاعجب خالدا ما سمع منه فلم يقتله وحبسه عنده وكان يؤتى به في الليل فيحادثه فسعى بخالد الى هشام وقيل أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الاموال فجعله سميرا فغضب هشام وكتب اليه يأمره بقتله وكان خالد يقول اني أنفس به عن الموت فأخر قتله فكتب اليه هشام ثانيا يذمه ويأمره بقتله واحراقه فقتله وأحرقه ونفر امعه ولم يزل يتلو القرآن حتى مات وهو يقرأ قول نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون

﴿ذكر خروج الحصاري بن شبيب﴾

وفي هذه السنة خرج الحصاري بن شبيب بن يزيد بناحية جبل وكان قد أتى خالدا يسأله الفريضة فقال خالد وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فمضى يندم خالد وخاف ان يفتق عليه فطلبه فلم يرجع اليه وسار حتى أتى جبل وبها نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة فأخبرهم فقالوا وما ترجو من ابن النصرانية كنت أولى ان تسير اليه بالسيف فتضربه به فقال والله ما أردت الفريضة وما أردت الا التوصل اليه لئلا ينكرني ثم أقتله بفلان يعني بفلان رجلا من قعدة الصفرية وكان خالد قتله صبرا ثم دعاهم الى الخروج معه فتبعه منهم ثلاثون رجلا وخرج بهم فبلغ خبره خالدا فقال قد كنت خفتها منه ثم وجه اليه خالد جندا فلقوه بناحية المناذر فقاتلهم قتالا شديدا فقتلوه وجميع أصحابه

﴿ذكر غزوة أسد الختل﴾

وفيها غزا أسد الختل فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي اليها فسار حتى نزل بقرب بدر طرخان فطلب الامان ليخرج الى أسد فأمنه مصعب وسيره الى أسد فسأله أن يقبل منه ألف ألف درهم فأبى أسد وقال انك دخلتها وأنت غريب من أهل الباميان اخرج من الختل كما دخلت فقال بدر طرخان فانت دخلت الى خراسان على عشرة من الدواب ولو خرجت منها لم تحتمل على خمسمائة بعير وغير ذلك اني دخلت الختل شابا فارددعلي شبابي وخذ ما كسبت منها فغضب أسد ورده الى مصعب ليمكنه من العود الى حصنه فوصل بدر طرخان مع مولى لاسد الى مصعب فاخذه سلمة بن عبيد الله وهو من الموالي وقال ان الامير يندم على تركه وحبسه عنده وأقبل أسد بالناس فقال لحشر بن مزاحم كيف أنت قال لحشر كنت أمس أحسن حالا مني اليوم كان بدر طرخان في

ابن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ان الله عز وجل أدب محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما كان كذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فلما قبل من الله فوض اليه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكان يضمن على الله الجنة فاجيز له ذلك (وكان عدده) من تزوج من النساء خمس عشرة دخل باحدى عشرة منهن ولم يدخل باربع وقبض عليه السلام عن تسع (قال المسعودي) وقد تنوزع في مقدار عمره عليه السلام وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن عباس وهو ما ذكره حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس وقد روي عن أبي هريرة مثل قول ابن عباس وذكر عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وأقام بمكة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وكذلك

أيدينا وعرض ما عرض فلا الامير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه ولكنه خلى سبيله وأمر بادخاله حصنه فندم أسد عند ذلك وأرسل الى مصعب يسأله هل دخل بدر طرخان حصنه أم لا فجاء الرسول فوجده عند سلمة بن عبيد الله فحوله أسد اليه وأمره به فقطعت يده وقال من ههنا من أولياء أبي فديك رجل من الازد كان بدر طرخان قد قتله فقام رجل من الازد فقال انا فقال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة وفيها ولده وأمواله فلم يصل اليها وفرق أسد العسكر في أودية الختل فلا أيديهم من الغنائم والسبي وهرب أهله الى الصين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة غزا الوليد بن القعقاع أرض الروم وحج بالناس هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام ابن عبد الملك وحج معه ابن شهاب وكان العامل على مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام المخزومي وعلى العراق والمشرق كله خالد القسري وعلى خراسان أخوه أسد وقيل كان أسد قد هلك في هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهراني وقيل انما هلك أسد سنة عشرين ومائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها غزا مروان بن محمد ارمينية فدخل بلاد اللان وسار فيها حتى خرج منها الى بلاد الخزر فمر ببلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء التي يكون فيها خاقان فهرب منه وفيها توفي حبيب بن أبي ثابت وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي وقيس بن سعد المكي وسليمان بن موسى الاشدق واياس بن مسلمة بن الاكوع

﴿ثم دخلت سنة عشرين ومائة﴾

﴿ذكر وفاة أسد بن عبد الله﴾

في هذه السنة في ربيع الاول توفي أسد بن عبد الله القسري بمدينة بلخ وكان سبب موته انه كان به دبيلة فأصابه مرض ثم أفاق منه فخرج بوما فأتي بكمثرى أول ما جاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كمثراة فرمى بها الى خراسان دهقان هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني فعمل أربعة أشهر ثم جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب وكان هذا خراسان دهقان هراة خصيصا بأسد فقدم عليه في المهرجان ومعه من الهدايا والتحف مالم يحمل غيره مثله وكانت قيمة الهدايا ألف ألف وقال لاسد انا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة بالحلم والعقل والوقار وكان الرجال فينا ثلاثة ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله عليه والذي يليه رجل تمت مروأته في بيت فان كان كذلك رحب وجبا و رجل رحب صدره وبسط يده فاذا كان كذلك قدم وقود وقد جعل الله صفات هؤلاء فيك فما يلم من هو أتم كيخدائية منك انك عزيز ضابط أهل بيتك وحشمك وموالك فليس منهم من يستطيع ان يعتدي على صغير ولا كبير ثم بنيت الايوانات في المفاوز من أحسن ما عمل ومن يمن نقيبتك انك لقيت خاقان وهو في مائة ألف ومعه الحرث بن سريج فهزمته وقتلته وقتلت اصحابه وأبحت عسكره وأمار حب صدرك وبسط يدك فانا لا ندري أي المالين احب اليك أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقر عينا فضحك أسد وقال أنت خيرد هاقينا وفرق جميع الهدية بين أصحابه ولما مات أسد رثاه ابن عرس العبدي فقال

نعى أسد بن عبد الله ناع * قريع القاب للملك المطاع
ببلخ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودي عين بالعبرات سحا * ألم يحزنك تفريق الجماع

ذكر عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد روي عن ابن عباس من وجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن خمس وستين سنة وكذلك ذكر ابن هشام قال حدثنا علي ابن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وذكر قتادة عن الحسن عن دحيل يعني ابن حنظلة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن خمس وستين وقد قيل انه قبض وهو ابن ستين وذكر ذلك عن ابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وذكر حماد قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ومات وهو ابن ستين وذكر شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال حدثتني عائشة رضي الله عنها وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وقبض وهو ابن ستين صلى الله عليه وسلم (وانما حكينا) هذا الخلاف ليعلم من نظر في كتابنا هذا انا لم نغفل شيأ مما قالوه ولا تركنا شيأ مما ذكروه

الاذكرنا منه ما يتأتى لنا ذكره وأشرنا اليه ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز والذى وجدنا عليه آل محمد عليه الصلاة والسلام أنه ابن ثلاث وستين سنة ولما غسل عليه السلام كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين محاريين وثوبين حبرة أدرج فيها ادراجا ونزل فى قبره على ابن أبى طالب والفضل وقثم ابن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى مقدار الثياب للكفن غير ماذكرنا والله أعلم بكيفية ذلك وانرجع الآن الى ذكر لمع من أموره وأخباركانت من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

﴿ذكر أمور وأحوال من مولده الى وفاته صلى الله عليه وسلم﴾

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكر مولده عليه السلام ومبعثه ووفاته جوامع يكتفى بها العالم المستبصر ويتنبه بها الطالب المسترشد وذكرنا جملا من الكوائن والاحداث فى تضاعيف ذلك وأفردنا هذا الباب لذكر ترتيب جمل من السنين من مولده الى وفاته وجمل أحداث وكوائن كانت فى أيامه ليقرب تناول ذلك

فى أبيات غيرها ولما مات أسد كتب مسلمة بن هشام بن عبد الملك وهو أبو شاكر الى خالد القسرى

أراح من خالد فاهلكه * رب أراح العباد من أسد
أما أبوه فكان مؤتشبا * عبدا لئيما لا عبد فقد
يرى الزنا والصليب والخمر والـ * ـخنزير حلا والغى كالرشد
وأمه همـ * ـها وبغيتها * هم الاماء العواهر الشرد
كافرة بالنبى مؤمنة * بقسها والصليب والعمد

يعنى المعمودية فلما قرأ خالد الكتاب قال ياعباد الله من رأى كهذه تعزية رجل من أخيه وكان مابين خالد وأبى شاكر مباعدة وسببها ان هشاما ير شح ابنه أباشاكر للخلافة فقال الكميت

ان الخلافة كانت أوتادها * بعد الوليد الى ابن أم حكيم

يعنى أباشاكر وأمه أم حكيم فبلغ الشعر خالدا فقال أنا كافر بكل خليفة يكنى أباشاكر فسمها أبو شاكر فحقدها عليه

﴿ذكر شيعة بنى العباس بخراسان﴾

وفى هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس سليمان ان كثيرا ليعلمه امرهم ومأتهم عليه وكان سبب ذلك ان محمدا ترك مكاتبتهم ومراسلتهم بطاعتهم التى كانت لخداش الذى تقدم ذكره وقبولهم منه ما روى عنه من الكذب فلما ايطأت كتبه ورسله عليهم ارسلوا سليمان ليعلم الخبر فقدم عليه فعنفه محمد فى ذلك ثم صرف سليمان الى خراسان ومعه كتاب مختوم ففضوه فلم يرفيه الا بسم الله الرحمن الرحيم فعظم ذلك عليهم وعلموا مخالفة خداش لامره ثم وجه محمد بن على اليهم بكير بن ماهان بعد عود سليمان من عنده وكتب معه اليهم بعلمهم كذب خداش فلم يصدقوه واستخفوا به فانصرف بكير الى محمد فبعث معه بعصى مضببة بعضها بحديد وبعضها بنحاس فجمع بكير النقباء والشيعة ودفع الى كل واحد منهم عصا فعلموا أنهم محالون لسيرته فتابوا ورجعوا

﴿ذكر عزل خالد بن عبد الله القسرى وولاية يوسف بن عمر الثقفى﴾

وفى هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالدا عن أعماله جميعها وقد اختلفوا فى ذلك وسببه قيل ان فروخا أبا المثنى كان على ضياع هشام بنهر الرمان فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحيان النبطى اخرج الى هشام وردّ على فروخ ففعل حيان ذلك وتولاها فصار حيان أثقل على خالد من فروخ فجعل يؤذيه فيقول حيان لا تؤذنى وأنا صنيعتك فابى الا أذاه فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ثم خرج الى هشام فقال له ان خالدا بثق البثوق على ضياعك فوجه هشام من ينظر اليها فقال حيان لخادم من خدم هشام انى تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ولك ألف دينار قال فجعلها فاعطاه ألفا وقال له تبكى صبيانا من صبيان هشام فاذا بكى فقل له أبكيت ولك ابن خالك الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف ففعل الخادم فسمعها هشام فسأل حيان عن غلة خالد فقال ثلاثة عشر ألف ألف فوقرت فى نفس هشام وقيل كانت غلته عشرين ألفا وانه حفر بالعراق الانهار منها نهر خالد وباجرى وتارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح وكان كثيرا ما يقول انى مظلوم ما تحت قدمى شئ الا هولى يعنى ان عمر جعل الجملة ربع السواد وأشار عليه العريان بن الهيثم وبلال بن أبى بردة بعرض املاكه على هشام ليأخذ منها ما أراد ويضمنان له الرضا فانهما قد بغضهما بغير هشام عليه فلم يفعل ولم يجبهما الى شئ وقيل لهشام ان خالدا قال لولده ما أنت بدون

مسلمة بن هشام ودخل رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص على خالد في مجلسه فأغلظ له في القول فكتب الى هشام يشكو خالدا فكتب هشام الى خالد يذمه ويلومه ويوبخه ويأمره ان يمشي راجلا الى بابه ويترضاه فقد جعل عزله وولايته اليه وكان يذكر هشاما فيقول ابن الحمقى وكان خالد يخطب فيقول زعمتم اني أغلي أسعاركم فعلى من يغلبها لعنة الله وكان هشام كتب اليه ان لا تبيعن من الغلات شيأ حتى تباع غلات أمير المؤمنين فبلغت كيلجتها درهم وكان يقول لابنه كيف أنت اذا احتاج اليك أمير المؤمنين فبلغ هذه جميعه أمير المؤمنين هشاما فتنكره وبلغه أيضا انه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد بلغني انك تقول ما ولاية العراق لي بشرف يا ابن اللخناء كيف لا تكون امرة العراق لك شرفا فأين أنت من بجيلة القليلة الذليلة اما والله اني لاظن ان أول ما يأتيك صغير من قريش يشد يديك الى عنقك ولم يزل يبلغه عنه ما يكره فعزم على عزله فكتم ذلك وكتب الى يوسف بن عمر وهو باليمن يأمره ان يقدم في ثلاثين من أصحابه الى العراق فقدم ولاه ذلك فصار يوسف الى الكوفة فمر بس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده فاهدى اليه ألف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب فمر بيوسف بعض أهل العراق فسألوه ما أنتم وأين تريدون قالوا ببعض المواضع فأوطارقا فأخبروه خبرهم وأمروه بقتلهم وقالوا انهم خوارج فسار يوسف الى دورقيف فقيل لهم ما أنتم فكتموا حالهم وأمر يوسف فجمع اليه من هناك من مضر فلما اجتمعوا دخل المسجد مع الفجر وأمر المؤذن وأقام الصلاة فصلى وأرسل الى طارق وخالد فأخذهما وان القدور لتغلي وقيل لما أراد هشام ان يولي يوسف بن عمر العراق كتم ذلك فقدم جندب مولى يوسف بكتاب يوسف الى هشام فقرأه ثم قال لسالم بن عنبسة وهو على الديوان ان أجبه عن لسانك وأمني بالكتاب وكتب هشام بخطه كتابا صغيرا الى يوسف يأمره بالمسير الى العراق فكتب سالم الكتاب وأتى به هشاما فجعل كتابه في وسطه وختمه ثم دعا رسول يوسف فأمر به فضرب ومزقت ثيابه ودفع الكتاب اليه فسار فارتاب بشير بن أبي طلحة وكان خليفة سالم فقال هذه حيلة وقد ولي يوسف العراق فكتب الى عياض وهو نائب سالم بالعراق ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليماني فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى واعلم ذلك طارقا فاعلم عياض طارق بن أبي زياد بالكتاب له ثم ندم بشير على كتابه فكتب الى عياض ان أهلك قد بدا لهم في ارسال الثوب فاتى عياض بالكتاب الثاني الى طارق فقال طارق الخبر في الكتاب الاول ولكن بشيرا ندم وخاف ان يظهر الخبر وركب طارق من الكوفة الى خالد وهو بواسط فرآه داود البريدي وكان على حجابة خالد وديوانه فاعلم خالدا فاذن له فلما رآه قال ما أقدمك بغير اذن قال أمر كنت أخطأت فيه كنت قد كتبت الى الامير اعزيه بأخيه أسد وانما كان يجب ان آتيه ماشيا فرق خالد ودمعت عيناه وقال ارجع الى عملك فاخبره الخبر بما ناب داود قال فما الرأي قال تركب الى أمير المؤمنين فتعتذر اليه مما بلغه عنك قال لا أفعل ذلك بغير اذن قال فترسلني اليه حتى آتيك باذنه قال ولا هذا قال فاذهب فاضمن لامير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهده قال وكم مبلغه قال مائة ألف ألف قال ومن أين أجدها والله ما أجد عشرة آلاف ألف درهم قال اتحمل أنا وفلان وفلان قال اني اذا للئيم ان كنت أعطيتهم شيأ وأعود فيه فقال طارق انما نقيك ونقي أنفسنا باموالنا وتستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من ان يجبى من يطالبنا بالاموال وهي عند أهل الكوفة فيتربصون فنقتل ويأكلون تلك الاموال فابى خالد فودعه طارق وبكى وقال هذا آخر ما التقى في الدنيا ومضى الى الكوفة وخرج خالد الى الجفة وقدم

على مزيده ويسهل مأخذه على الطالب له وان كنا قد أتينا على لمع من مبسوط هذا الباب فيما تقدمه من الابواب ان شاء الله تعالى (ففي أول) سنة من مولده دفع الى حليمة بنت عبد الله ابن الحرث بن سحنة بن جابر بن رزام بن نصر بن معد بن عدنان (وفي السنة الخامسة) من مولده ردته حليمة الى أمه على حسب ماذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب (وفي السنة السادسة) أخرجته أمه الى اخواله زائرة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة ونمى ذلك الى أم أيمن فخرجت اليه وقدمت به الى مكة وكانت مولاة له قد ورثها عن أمه (وفي السنة التاسعة) خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وقيل انه خرج مع عمه أبي طالب الى الشام وله ثلاث عشرة سنة وقد كان أبو طالب أخا عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه ولذلك كفل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم من بين سائر اخوته وهم العباس وحمزة والزبير وجحل والمقوم وضرار والحرث وأبو لهب وهم عشرة بنو عبد المطلب وكان لعبد المطلب ستة عشر ولدا عشرة ذكور وهم من سميناوستة اناث وهم عاتكة وصفية وأسمية والبيضاء وبرة وأروى ولم

رسول يوسف عليه اليمن فقال أمير المؤمنين ساخط وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب الديوان فقرأه فلما انتهى الى آخره قرأ كتاب هشام بخطه وولاية العراق ويأمره ان يأخذ ابن النصرانية يعني خالدا وعماله ويعذبهم حتى يستقصي فأخذ ليلا وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت فقدم الكوفة في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة فنزل النجف وأرسل مولاه كيسان وقال انطلق فأتني بخالد فان اقبل فاحمله على اكاف وان لم يقبل فأت به سحبا فأتى كيسان الحيرة فأخذ معه عبد المسيح سيد أهلها الى طارق فقال له ان يوسف قد قدم على العراق وهو يستدعيك فقال طارق لكيسان ان أراد الامير المال أعطيته ما سأل وأقبلوا به الى يوسف بن عمر فتوانوا بالحيرة وضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء بن مقدم الى خالد بالحمة فأتى الرسول حاجبه وقال استأذن على أبي الهيثم فدخل على خالد متغير اللون فقال خالد مالك قال خير قال ما عندك خير فقال له عطاء قد استأذن لي على أبي الهيثم فقال ائذن لي فدخل عليه فقال ويل أمها لحظة ثم أخذه فحبسه وصالحه عنه ابان بن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف فقيل ليوسف لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف فندم وقال قد رهنت لساني معه ولا آمن ولا أرجع وأخبر أصحاب خالد خالدا فقال قد أخطأتم ولا آمن أن يأخذها ثم يعود ارجعوا فرجعوا فأخبروه ان خالدا لم يرض فقال قد رجعتم قالوا نعم قال والله لا أرضى بمثلها ولا مثليها فأخذ أكثر من ذلك وقبل أخذ مائة ألف فأرسل يوسف الى بلال بن أبي بردة فقبضه وكان قد اتخذ بلال بالكوفة دارا لم ينزلها فأحضره يوسف مقيدا فأنزله الدار ثم جعلت سجنا وكان خالد يصل الهاشميين ويبرهم فأتاه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ليستميحه فلم يرضه ما يحب فقال اما الصلة فللهاشميين وليس لنا منه الا انه يلعن عليا فبلغت خالدا فقال ان أحب نلنا عثمان بشيء وكان خالد مع هذا يبالغ في سب علي فقيل كان يفعل ذلك نفيا للتهمة وتقربا الى القوم وكانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومائة وعزل في جمادى الاولى سنة عشرين ومائة ولما ولي يوسف العراق كان الاسلام ذليلا والحكم فيه الى أهل الذمة فقال يحيى بن نوفل فيه

أتانا واهل الشرك أهل زكاتنا * وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت * له الارض حتى كل وادمنور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهرا * وما كان من قبل العقيلي يظهر

في أبيات ثم قال بعد ذلك

أرانا والخليفة اذ رمانا * مع الاخلاص بالرجل الجديد
كأهل النار حين دعوا أغيثوا * جميعا بالجحيم وبالصديد

وكان في يوسف أشياء متباينة متناقضة كان طويل الصلاة ملازما للمسجد ضابطا لحشمه وأهله عن الناس لين الكلام متواضعا حسن الملكة كثير التضرع والدعاء فكان يصلي الصبح ولا يكلم أحدا حتى يصلي الضحى يقرأ القرآن ويتضرع وكان بصيرا بالشعر والادب وكان شديد العقوبة مسرفا في ضرب الاشارة كان يأخذ الثوب الجديد فيمر ظفره عليه فان تعلق به طاقه ضرب صاحبه وربما قطع يده وكان أحمق أتي بوما بثوب فقال لكاتبه ما تقول في هذا الثوب فقال كان ينبغي ان تكون بيوته أصغر مما هي فقال للحائك صدق يا ابن اللخناء فقال الحائك نحن أعلم بهذا فقال لكاتبه صدق يا ابن اللخناء فقال الكاتب هذا يعمل في السنة ثوبا أو ثوبين وانا يمر

يسلم منهن الاصفية أم الزبير بن العوام وقد تنوزع في أروى فمنهم من قال انها أسلمت وفي خروجه عليه السلام مع عمه في هذه السنة نظر اليه بحيرى الراهب وأوصاهم بمراعاته من اليهود فانهم أعداؤه لعلمهم بما يكون من نبوته على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لخبر بحيرا الراهب وما كان من اخباره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في باب أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد عليهما السلام وقد قدمنا انه عليه السلام شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة احدى وعشرين وأنها حرب كانت بين قريش وقيس عيلان فيما سلف من هذا الكتاب وغيره وأنها انما سميت بهذا الاسم الذي هو الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم وكانت لقيس على قريش وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس وكان على قريش يومئذ عبد الله ابن جدعان التيمي وكان نخاسا للجاهلية بياعا للجواري وكانت هذه احدى الدلائل المنذرة بنبوته عليه السلام والتيمن بحضوره (وفي سنة ست وعشرين) كان تزويجه بخديجة بنت خويلد وهي يومئذ بنت أربعين وقيل في

على يدى فى كل سنة مائة ثوب مثل هذا فقال للحائك صدق يا ابن اللخناء فلم يزل يكذب هذا مرة وهذا مرة حتى عد أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتا من احد جانبى الثوب فضرب الحائك مائة سوط وقيل ان يوسف أراد السفر فدعا جواريه فقال لاحداهن تخرجين معى قالت نعم قال ياخبيثة كل هذا من حب النكاح ياخادم اضرب رأسها وقال لاخرى ماتقولين فقالت اقيم على ولدى فقال ياخبيثة أكل هذا زهادة فى اضرب رأسها وقال لثالثة ماتقولين قالت ما أدرى ما أقول ان قلت ما قالت احداهما لم آمن عقوبتك فقال ياالخناء أو تناقضين وتحجبين اضرب رأسها فضرب الجميع وكان قصيرا عظيم اللحية وكان يحضر الثوب الطويل ليفصله ليلبسه فان قال الخياط انه يفضل منه ضربه فان قال له الخياط لا يكفينا الا بعد التصرف فى التفصيل سره فكانوا يفصلون له ثيابا طوالا ويأخذون ما ينبغى من الثوب ويهونه أن الثوب لم يكفه فيرضى بذلك وله فى هذا الباب أشياء نوادر منها أنه قال يوما لكاتب له ما حبسك قال اشتكيت ضرسى فدعا بحجام فقلعه ومعه ضرس آخر

﴿ذكر ولاية نصر بن سيار الكنانى خراسان﴾

لما مات أسد بن عبد الله استشار هشام بن عبد الملك عبد الكريم بن سليط الحنفى وكان عالما فيمن يوليه خراسان فقال عبد الكريم يا أمير المؤمنين امار جل خراسان حزما ونجدة فالكرمانى فاعرض عنه وقال ما اسمه قال جديع بن على قال لا حاجة لى فيه وتطير قال فالمسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى قال ربيعة لا تسدبها الثغور قال عبد الكريم فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فارمه بضر فقلت عقيل بن معقل الليثى ان غفرت هنته قال ما هى قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لى فيه قلت منصور بن ابى الخرقاء السلمى ان غفرت نكره فانه مشؤم قال غيره قلت فالجشر بن مزاحم السلمى عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير فى الكذب قلت يحيى بن الحضين قال ألم أخبرك ان ربيعة لا تسدبها الثغور قال فقلت نصر بن سيار قال هو لها قلت ان غفرت واحدة فانه عفيف مجرب عاقل قال ما هى قلت عشيرته بها قليلة قال لا أبالك أكثر منى أنا عشيرته فكتب عهده وبعثه مع عبد الكريم وقد قيل عرض عليها عثمان بن الشخير وقيل له انه صاحب شراب وقيل له عن يحيى بن الحضين انه كثير التيه وقيل له عن قطن بن قتيبة انه مأثور فلم يولهم فاستعمل نصرا وكان جعفر بن حنظله الذى استخلفه أسد على خراسان عند موته قد عرض على نصر أن يوليه بخارى فاستشار البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان فقال له لا تقبلها لانك شيخ مضر بخراسان وكانك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما أتاه عهده بعث الى البخترى ليأتيه فقال البخترى لاصحابه قد ولى نصر خراسان فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له من أين علمت قال كنت تأتينى فلما بعثت الى علمت انك قد وليت واعطى نصر عبد الكريم لما أتاه بعهده عشرة آلاف درهم واستعمل على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل على مرو الروذ وساج بن بكير بن وساج وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيرى وعلى خوارزم أبا حفص بن على خته وعلى الصغد قطن بن قتيبة قال رجل من اليمانية ما رأيت عصبية مثل هذا قال بلى التى كانت قبلها فلم يستعمل أربع سنين الا مضريا وعمرت خراسان عماره لم تعمر قبلها واحسن الولاية والجباية فقال سوار بن الاشعر

اضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا أخبار مالفيت * اختار نصرا لها نصر بن سيار

سنها غير هذا (وفى سنة ست وثلاثين) بنت قريش الكعبة وتراضت به فوضع الحجر على حسب ما قدمنا (وفى سنة احدى وأربعين) بعثه الله نبيا ورسولا الى كافة الناس وذلك لعشر خلون من ربيع الاول على حسب تنازع الناس فى تاريخ مبعثه عليه السلام (وفى سنة) ست وأربعين كان حصار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الشعب (وفى سنة خمسين) كان خروجه عليه السلام ومن تبعه الى الطائف (وفى هذه السنة) كانت وفاة خديجة زوجه على حسب ما ذكرنا على غير هذا التفصيل (وفى سنة احدى وخمسين) كان الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس على حسب ما نطق به التنزيل (وفى سنة) أربع وخمسين كانت هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة (وفيها) بنى صلى الله عليه وسلم مسجده (وفيها) دخل بعائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها وهى ابنة تسع تزوج بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وقيل عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهى بنت ثمان عشرة سنة وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة

وأتى نصر اعهده فى رجب سنة عشرين ومائة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتح سندرة وفيها غزا اسحق بن مسلم العقيلى تومانشاه وافتتح قلاعها وخرب أرضها وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى وقيل حج بهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وقيل أخوه يزيد بن هشام وكان العامل على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام المخزومى وعلى العراق والمشرق يوسف بن عمر وعلى خراسان نصر بن سيار وقد أمره هشام ان يكاتب يوسف بن عمر وقيل كان عليها جعفر بن حنظلة وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمى استعمله يوسف وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى ارمينية واذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابو شبرمة وفيها مات عاصم بن عمر بن قتادة فى أصح الاقوال وفيها مات مسلمة بن عبد الملك بن مروان وقيل سنة احدى وعشرين بالشام وفيها مات قيس بن مسلم ومحمد بن ابراهيم بن الحرث التميمى وحماد بن سليمان الفقيه وواقد بن عمرو بن سعد بن معاذ وعلى بن مدرك النخعى الكوفى والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفى

﴿ ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائة ﴾

فى هذه السنه غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح بها مطامير

﴿ ذكر ظهور زيد بن على بن الحسين ﴾

قيل ان زيد بن على بن الحسين قتل هذه السنة وقيل سنة اثنتين وعشرين ومائة ونحن نذكر الآن سبب خلافه على هشام وبيعته ونذكر قتله سنة اثنتين وعشرين وقد اختلفوا فى سبب خلافه فقيل ان زيدا وداود بن على بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسرى بالعراق فاجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف بن عمر كتب الى هشام بذلك وذكر له ان خالدا ابتاع من زيد أرضا بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم ردّ الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة ان يسيرهم اليه ففعل فسألهم هشام عن ذلك فاقروا بالجائزة وأنكروا ماسوى ذلك وحلفوا فصدقهم وأمرهم بالمسير الى العراق ليقابلوا خالدا فساروا على كره وقابلوا خالدا فصدقهم فعادوا نحو المدينة فلما نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد اليهم وقيل بل ادعى خالد القسرى انه أودع زيدا وداود بن على ونفرا من قريش مالا فكتب يوسف بذلك الى هشام فاحضرهم هشام من المدينة وسيرهم الى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد فقدموا عليه فقال يوسف لزيد ان خالدا زعم انه أودعك مالا قال كيف يودعنى وهو يشتم آبائى على منبره فارسل الى خالد فاحضره فى عباءة فقال هذا زيد قد أنكر انك قد أودعته شيأ فنظر خالد اليه والى داود وقال ليوسف أتريدان تجمع مع اثمك فى اتمانى فى هذا كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر فقالوا لخالد ما دعاك الى ماصنعت قال شدد على العذاب فاديت ذلك وأملت أن يأتى الله بفرج قبل قدومكم فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة قيل ان يزيد بن خالد القسرى هو الذى ادعى المال وديعة عند زيد فلما أمرهم هشام بالمسير الى العراق الى يوسف استقالوه خوفا من شر يوسف وظلمه فقال أنا أكتب اليه بالكف عنكم وألزمهم بذلك فساروا على كره وجمع يوسف بينهم وبين يزيد فقال يزيد مالى عندهم قليل ولا كثير قال يوسف أبى تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذبه يومئذ عذابا كاد يهلكه ثم أمر بالفراشين فضربوا وترك زيدا ثم استحلفهم وأطلقهم فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بالكوفة وكان زيد قد قال لهشام لما أمره بالمسير الى يوسف ما آمن ان بعثتنى

(وفيها) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان وأرى عبد الله بن زيد كيفية الاذان فى منامه (وفيها) كان تزوج على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من التنازع فى التاريخ (وفى سنة اثنتين) من الهجرة افترض على المؤمنين صوم شهر رمضان (وفى هذه السنة) أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى الكعبة (وفيها) توفيت ابنته رقية (وفى آخر هذه السنة) وهى سنة اثنتين من الهجرة كان دخول على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كانت وقعة بدر وذلك فى يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (وفى سنة ثلاث) كان تزويجه بزينب بنت خزيمة وكانت وفاتها بعد شهرين (وفى هذه السنة) كان تزويجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب (وفيها) كان تزويج عثمان ابن عفان بأم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيها) كان مولد الحسن بن على بن أبى طالب على مافى ذلك من التنازع فى التاريخ (وفيها) كانت غزوة أحد (وفى هذه السنة) استشهد حمزة

اليه ان لانجتمع أنا وأنت حينين أبدا قال لابد من المسير اليه فساروا اليه وقيل كان السبب فى ذلك ان زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن الحسن بن على فى وقوف على زيد يخاصم عن بنى الحسين وجعفر يخاصم عن بنى الحسن فكانا يتبالغان كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهم حرفا فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن فتنازعا يوما بين يدى خالد بن عبد الملك بن الحرث بالمدينة فاغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن السندية فضحك زيد وقال قد كان اسمعيل لامة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها اذلم يصبر غيرها يعنى فاطمة ابنة الحسين أم عبد الله فانها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن ثم ندم زيد واستحيا من فاطمة وهى عمته فلم يدخل عليها زمانا فارسلت اليه يا ابن أخى انى لاعلم ان أمك عندك كام عبد الله عنده وقالت لعبد الله بئسما قلت لام زيد أما والله لنعم دخيلة القوم كانت قال فذكر ان خالدا قال لهما اغدوا علينا غدا فلست لعبد الملك ان لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل قال زيد كذا ويقول قائل قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد فى المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعاهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تجعل يا أبا محمد اعتق زيد ما يملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال أجمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر فقال خالد ما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبى تراب وابن حسين السفيه اما ترى للوالى عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القهطانى فانا لانجيب مثلك قال ولم ترغب عنى فوالله انى لخير منك وأبى خير من أبيك وأمى خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب فذهبت الاحساب فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب احسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القهطانى فوالله لهو خير منك نفسا وأما وأبا ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من حصباء وضرب بها الارض ثم قال انه والله ما الناعلى هذا من صبر وشخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيدفع اليه القصص فكلما دفع قصة يكتب هشام فى أسفلها ارجع الى منزلك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا ثم أذن له يوما بعد طول حبس ورقى علية طويلة وأمر خادما ان يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول فصعد زيد وكان بدينا فوقف فى بعض الدرجة فسمعه يقول والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل ثم صعد الى هشام فخلف له على شئ فقال لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لا يرفع أحدا عن ان يرضى بالله ولم يضع أحدا عن ان لا يرضى بذلك منه فقال هشام لقد بلغنى يا زيد انك تذكر الخلافة وتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمة قال زيد ان لك جوابا قال فتكلم قال انه ليس احد أولى بالله ولا ارفع درجة عنده من نبى ابتعثه وقد كان اسمعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختاره الله عليه واخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك اذ كان جده رسول الله وأبوه على بن أبى طالب ما كانت أمه قال له هشام اخرج قال أخرج ثم لا أكون الا بحيث تكره فقال له سالم يا أبا الحسين لا تظهرن هذا منك فخرج من عنده وسار الى الكوفة فقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب أذكرك الله يا زيد لما لحقت باهلك ولا تأت اهل الكوفة فانهم لا يفون لك فلم يقبل فقال له خرج بنا أسرى على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق الى قيس ثقيف يلعب بنا وقال

بكرت تخوفنى المنون كانى * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل

ابن عبد المطلب (وفى سنة أربع) كانت غزوته المعروفة بذات الرقاع وفى هذه الغزاة صلى صلاة الخوف بالناس على حسب ما ذكرنا فى كيفية ذلك من التنازع (وفيها) كان تزويجه بام سلمة بنت أمية (وفيها) كانت غزوته الى اليهود من بنى النضير وامتنعوا منه بحصونهم فقطعوا نخلهم وشجرهم وأضرموا النار عليهم فلما رأى ذلك صالحهم (وفيها) كانت غزوته الى بنى المصطلق (وفيها) وهى سنة أربع كان مولد الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد قيل ان مولد فاطمة رضى الله تعالى عنها قبل الهجرة بثمان سنين (وفى سنة خمس) كانت غزوة الخندق وما كان من حفر الخندق (وفيها) غزا اليهود من بنى قريظة وكان من أمرهم ما قد شهر (وفيها) كان تزويجه بزينب بنت جحش (وفيها) كان يقول أهل الافك على عائشة رضى الله تعالى عنها (وفى سنة ست) كان استسقاؤه عليه السلام لما لحق الناس من الضر والجدب (وفيها) اعتمر عمرته المعروفة بعمرة الحديبية وواعد المشركين (وفيها) أخذ فدك (وفيها) تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان

فاجبتها ان المنية منهل * لابد ان أسقى بكاس المنهل
ان المنية لو تمثل مثلت * مثلى اذا نزلوا ضيق المنزل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي * انى امرؤ سأموت ان لم أقتل

استودعك الله وانى أعطى الله عهدا ان دخلت يدى فى طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل الى الكوفة فاقام بها مستخفيا يتنقل فى المنازل وأقبلت الشيعة تختلف اليه تبايعه فبايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الانصارى وناس من وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفى بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصر أهل البيت اتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ويقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم لتفين ببيعتى ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لى فى السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد فبايعه خمسة عشر ألفا وقيل أربعون ألفا فامر أصحابه بالاستعداد فاقبل من يريد أن يفى له ويخرج معه ويستعد ويتهيأ فشاع أمره فى الناس هذا على قول من زعم أنه أتى الكوفة من الشام واختفى بها يبايع الناس وأما على قول من زعم انه أتى الى يوسف بن عمر لموافقة خالد بن عبد الله القسرى أو ابنه يزيد ابن خالد فان زيدا أقام بالكوفة ظاهرا ومعه داود بن على بن عبد الله بن عباس وأقبلت الشيعة تختلف الى زيد وتأمره بالخروج ويقولون انا نرجو ان تكون أنت المنصور وان هذا الزمان هو الذى تهلك فيه بنو امية فأقام بالكوفة وجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ههنا ويبعث اليه ليسير فيقول نعم ويعتل بالوجع فمكث ما شاء الله ثم ارسل اليه يوسف ليسير فاحتج بانه يبتاع أشياء يريدها ثم أرسل اليه يوسف بالمسير عن الكوفة فاحتج بانه يحاكم بعض آل طلحة بن عبيد الله علك بينهما بالمدينة فأرسل اليه ليوكل وكيلا ويرحل عنها فلما رأى جد يوسف فى أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة وقالوا له نحن أربعون ألفا لم يختلف عنك أحد نضرب عنك باسيافنا وليس هو نا من اهل الشام الاعدة يسيرة بعض قبائلنا يكفيكهم باذن الله تعالى وحلفوا له بالايمان المغلظة فجعل يقول انى أخاف ان تخذلونى وتسلمونى كنعلكم بأبى وجدى فيحلفون له فقال له داود بن على يا ابن عم ان هؤلاء يغرونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان اعز عليهم منك جدك على بن ابى طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له وخذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع معهم فقالوا ان هذا لا يريد ان تظهر أنت ويزعم انه وأهل بيته أولى بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا يقاتله معاوية بداهية وبكراهية وان الحسين قاتله يزيد والامر مقبل عليهم فقال داود انى خائف ان رجعت معهم ان لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة فلما رجع زيد أتاه سلمة بن كهيل فذكر له قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فاحسن ثم قال له ننشدك الله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال أنشدتك الله أنت خير أم جدك قال جدى قال فهذا القرن خير أم ذلك القرن قال ذلك القرن قال أفتطمع ان يفى لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال قد بايعونى ووجبت البيعة فى عنقى وأعناقهم قال أفتاذن لى ان أخرج من هذا البلد فلا آمن ان يحدث حدث فلا

املاك

ووجه بالرسل الى كسرى وقيصر وكان فيها أداؤه لكتابة جويرية بنت الحرث وتزويجه بها (وفى سنة سبع) غزا خيبر فافتتحها واصطفى صفية بنت حيى بن أخطب لنفسه (وفيها) تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية خالة عبد الله بن عباس فى سفره حين اعتمر فى عمرة القضاء على ما ذكرنا من التنازع فى نكاحه لها أفى حال حله نكحها أم فى حال احرامه وما قال الفقهاء فى ذلك وتنازع الناس فى نكاح المحرم (وفيها) كان قدوم حاطب بن أبى بلتعة من مصر من عند المقوقس ملكها ومعه مارية القبطية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس اليه (وفيها) كان قدوم جعفر ابن أبى طالب من أرض الحبشة وركوبهم البحر وفى سنة ثمان استشهد جعفر ابن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم (وفيها) كانت وفاة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك من التاريخ (وفى سنة ثمان) كان افتتاح النبى

أملك نفسي فأذن له فخرج الى اليمامة وقد تقدم ذكر مبايعة سلمة وكتب عبد الله بن الحسن بن الحسن الى زيد اما بعد فان أهل الكوفة نفخ في العلانية خور السريرة هرج في الرخاء جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ولقد تواترت الى كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبي غشاوة عن ذكرهم بأسامتهم واطراحاهم ومالهم مثل الا ما قال علي بن أبي طالب ان أمهلتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان أجبتم الى مشقة نكصتم فلم يصغ زيد الى شيء من ذلك فاقام على حاله يبايع الناس ويتجهز للخروج وتزوج بالكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي وتزوج أيضا ابنة عبد الله بن أبي العنبسي الازدي وكان سبب تزوجه اياها ان أمها ام عمرو بنت الصلت كانت تتشيع فأتت زيدا تسلم عليه وكانت جميلة حسناء قد دخلت في السن ولم يظهر عليها فخطبها زيد الى نفسه فاعتذرت بالسن وقالت له لي ابنة هي أجمل مني وأبيض وأحسن دلا وشكلا فصمك زيد ثم تزوجها وكان ينتقل بالكوفة تارة عند هاوتارة عند زوجته الاخرى وتارة في بني عبس وتارة في بني هند وتارة في بني تغلب وغيرهم الى ان ظهر

﴿ ذكر غزوات نصر بن سيار ما وراء النهر ﴾

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين احداهما من نحو الباب الجديد فسار من بلخ من تلك الناحية ثم رجع الى مرو فخطب الناس وأخبرهم انه قد أقام منصور بن عمر بن أبي الخرقاء على كشف المظالم وانه قد وضع الجزية عمن قد أسلم وجعلها على من كان يخفف عنه من المشركين فلم تمض جمعة حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم ثمانين ألفا من المشركين كانت قد ألقيت عنهم فحول ما كان على المسلمين اليهم ووضعه عن المسلمين ثم ضيف الخراج ووضعه مواضعه ثم غزا الثانية الى زرشغر وسمرقند ثم رجع ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كور صول في خمسة عشر ألفا وكان معهم الحرث بن سريج وعبر كور صول في أربعين رجلا فبيت أهل العسكر في ليلة مظلمة ومع نصر بخاري خذاه في أهل بخارا ومعه أهل سمرقند وكش ونسف وهم عشرون ألفا فنادى نصر ان لا يخرجن أحد واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير وهو على جند سمرقند فمرت به خيل الترك فحمل على رجل في آخرهم فاسره فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة فأتى به الى نصر فقال له نصر من أنت قال كور صول فقال نصر الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله قال ما ترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من أبل الترك وألف برذون تقوي به جندك وتطلق سبيلي فاستشار نصر أصحابه فاشاروا باطلاقه فسأله عن عمره قال لا أدري قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدي بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدي قم الى سلبه فخذه فقال من أسرني قال نصر وهو يضحك اسرك يزيد بن قران الحنظلي وأشار اليه قال هذا لا يستطيع ان يغسل استه أولا يستطيع أن يتم له بوله فكيف بأسرني أخبرني من أسرني قال أسرك عاصم بن عمير قال لست أجد ألم القتل اذا كان اسرني فارس من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر وعاصم بن عمير هو الهزارمرد قتل بنهاوند أيام قطبة فلما قتل كور صول أحرقت الترك ابنيته وقطعوا آذانهم وقطعوا شعورهم وأذناب خيلهم فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه فكان ذلك أشد عليهم من قتله وارتفع الى فرغانة فسبى بها ألف رأس وكتب يوسف بن عمر الى نصر سر الى هذا الغادر دينه في الشاش يعني الحرث بن سريج فان أظفرك الله به وباهل الشاش فخرب بلادهم واسب

صلى الله عليه وسلم مكة وقد تنازع الناس في فتحها أصلحا كان أم غيره (وفيها) كسرت الاصنام وهدمت العرائم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء (وفيها) غزا غزوة حنين وكان على هوازن مالك بن عوف النضري ومعه دريد بن الصمة (وفيها) كانت غزوة الطائف (وفيها) كان اعطاؤه للمؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية (وفيها) كان مولد ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية (وفي سنة تسع) حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس وقرأ على ابن أبي طالب عليهم سورة براءة وأمر أن لا يحج مشرك وأنه لا يطوف بالبيت عريان (وفيها) كانت وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي سنة عشر) حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض (وفيها) كانت وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه

ذراريهم واياك وورطة المسلمين فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم فقال يحيى بن الحصين انظر أمن أمير المؤمنين أو من الامير فقال نصر يا يحيى تكلمت بكلمة أيام عاصم بلغت الخليفة فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثلها سر يا يحيى فقد وليتك مقدمتي فلام الناس يحيى فسار الى الشاش فاتاهم الحرث فنصب عليهم عرادتين وأغار الاخرم وهو فارس الترك على المسلمين فقتلوه والقوا رأسه الى الترك فصاحوا وانهزموا وسار نصر الى الشاش فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه نصر اخراج الحرث بن سريج عن بلده فاخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ثم سار حتى نزل قباء من أرض فرغانة وكانوا أحسوا بجيشه فاحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة فوجه نصر الى ولى صاحب فرغانة فحاصره فى حصن وغفلوا عنه فخرج وغنم دواب المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان المسلمون ودوابهم كنوا لهم فخرجوا واستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم وأسروا ابن الدهقان فقتله نصر وأرسل نصر سليمان بن صول بكتاب الصلح الى صاحب فرغانة فامر به فادخل الخزائن ليراها ثم رجع اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قال سهلا كثير الماء والمرعى فكره ذلك وقال ما أعلمك فقال سليمان قد غزوت غرشستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعددنا قال عدة حسنة ولكن ما علمت ان المحصور لا يسلم من خصال لا يأمن أقرب الناس اليه وأوثقهم فى نفسه أو يفنى ماجمع فيسلم برمته أو يصيبه داء فيموت فذكر ما قال له وأمره فاحضر كتاب الصلح فاجاب اليه وسير أمه معه وكانت صاحبة أمره فقدمت على نصر فاذن لها وجعل يكلمها وكان مما قالت له كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك وزير يبث اليه ما فى نفسه ويشاوره ويثق بنصيحته وطباخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشهى وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمه وحصن اذا فزع أتاه فانجاه تعنى البرذون وسيف اذا قاتل لا يخشى خيانته وذخيرة اذا احملها اعاش بها أين كان من الارض ثم دخل تميم بن نصر فى جماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان تميم ابن نصر قالت ماله نبل الكبير ولا حلاوة الصغير ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة فاحبته وسألت عنه وقالت يا معشر العرب ما لكم وفاء ولا يصلح بعضكم بعضا قتيبة الذى ذل لكم ما أرى وهذا ابنه تقعده دونك فحقه ان تجلسه أنت هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه

﴿ذكر غزو مروان بن محمد بن مروان﴾

وفى سنة احدى وعشرين غزا مروان بن محمد بن مروان بارمينية وهو واليها فاتى قلعة بيت السرير فقتل وسبى ثم أتى قلعة ثانية فقتل وسبى ودخل غوميك وهو حصن فيه بيت الملك وسريره فهرب الملك منه حتى أتى حصنا يقال له خيزج فيه السرير الذهب فسار اليه مروان ونازله صيفيته وشتويته فصالح الملك على ألف رأس كل سنة ومائة ألف مدى وسار مروان فدخل أرض ازروبطران فصالحه ملكها ثم سار فى أرض تومان فصالحه وسار حتى أتى حمزين فاخرب بلاده وحصر حصنا له شهرا فصالحه ثم أتى مروان أرض مسدارة فافتتحها الى صلح ثم نزل مروان كيران فصالحه طبرسران وفيلان وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية الى طبرستان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة غزا مسلمة بن هشام الروم ففتح بها مطامير وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام ابن اسمعيل المخزومى وهو كان عامل المدينة ومكة والطائف وعلى العراق يوسف بن عمر وعلى

وسلم وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام وقيل غير ذلك (وفيها) كان بعثه عليه السلام يعلى الى اليمن وأحرم كاحرام النبى صلى الله عليه وسلم على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب قبل هذا الباب من ذكر وفاته ومقدار عمره وما قاله الناس فى ذلك وفى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسب ماذكرنا من تنازع الناس فى مقدار عمرها ومدة بقائها بعد أبيها ومن الذى صلى عليها العباس بن عبد المطلب أم بعلها على ولما قبضت جزع عليها جزعا شديدا واشتد بكاؤه وظهر أنينه وحنينه وقال فى ذلك لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادى فاطما بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليل
(وكان أولاده) صلى الله عليه وسلم من خديجة خلا ابراهيم ولده صلى الله عليه وسلم القاسم وبه يكنى وكان أكبر بنيه سنا ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب فطلقاها لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وزينب

خراسان نصر بن سيار وعلى أرمينية واذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة وفيها فرغ الوليد بن بكير عامل الموصل من حفر النهر الذى أدخله البلد وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم وجعل عليه ثمانية أحجار تطحن ووقف هشام هذه الارحاء على عمل النهر وفيها مات سلمة بن سهيل وقيل سنة اثنتين وعشرين وفيها مات عامر بن عبد الله بن الزبير وقيل سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين بالشام وفيها مات محمد بن يحيى بن حبان وهو ابن أربع وسبعين سنة بالمدينة (حبان بفتح الحاء وبالباء الموحدة) وقتل يعقوب بن عبد الله بن الاشج شهيدا بارض الروم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب﴾

فى هذه السنة قتل زيد بن علي بن الحسين قد ذكر سبب مقامه بالكوفة وبيعته بها فلما أمر أصحابه بالاستعداد للخروج وأخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة يتجهز انطلق سليمان بن سراقه البارقى الى يوسف بن عمر فاخبره فبعث يوسف فى طلب زيد فلم يوجد وخاف زيد ان يؤخذ فيتعجل قبل الاجل الذى جعله بينه وبين أهل الكوفة وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت وعلى شرطته عمر بن عبد الرحمن بن القارة ومعه عبيد الله بن العباس الكندى فى ناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي من يوسف بن عمر انه قد بلغه أمره وانه يبحث عن أمره اجتمع اليه جماعة من رؤسهم وقالوا رحمك الله ما قولك فى أبى بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتى يقول فيهما الا خيرا وان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان ما ذكرتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس أجمعين فدفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا وقد ولوا وعدلوا فى الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتالهم فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون لى ولكم ولانفسهم وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن ان تحيا والى البدع ان تطفأ فان أجبتمونا سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل فمارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام يعنون محمد الباقر وكان قد مات وقالوا جعفر ابنه امامنا اليوم بعد أبيه فسماهم زيد الرافضة وهم يزعمون ان المغيرة سماهم الرافضة - يث فارقوه وكان طائفة أتت جعفر بن محمد الصادق قبل خروج زيد فاخبروه ببيعة زيد فقال بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا فعادوا وكتموا ذلك وكان زيد واعد أصحابه أول ليلة من صفر وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الى الحكم يأمره ان يجمع أهل الكوفة فى المسجد الاعظم يحصرهم فيه ففعل وطلبوا زيدا فى دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الانصارى فخرج منها ليلا ورفعوا الهراوى فيها النيران وناداوا يا منصور حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد القاسم التيمى ثم الحضرمى وآخر من أصحابه بنادبان شعارهم فلما كانا بصحراء عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندى فحملا عليه وعلى أصحابه فقتل الذى كان مع القاسم التيمى وارتث القاسم وأتى به الحكم فضرب عنقه فكانا أول من قتل من أصحاب زيد وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس وبعث الحكم الى يوسف بالحيرة فاخبره الخبر فارسل جعفر بن العباس ليأتيه بالخبر فسار فى خمسين فارسا حتى بلغ جبانة سالم فسأل ثم رجع الى يوسف فاخبره فسار يوسف الى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه أشراف الناس فبعث الريان بن سلمة الارانى فى ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالة

وزينب وكانت تحت أبى العاص بن الربيع وفرق الاسلام بينهما ثم أسلم فردها عليه بالنكاح الاول وهذا موضع خلاف بين أهل العلم فى كيفية رده عليه السلام لزينب على أبى العاص وولدت من أبى العاص أمامة وتزوجها علي بعد موت فاطمة عليها السلام وولد له عليه الصلاة والسلام بعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر الثلاثة الاسماء له لانه ولد فى الاسلام وفاطمة وابراهيم وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط على ما كان من سنة مولده عليه السلام الى مبعثه ومن مبعثه الى هجرته ومن هجرته الى وفاته ومن وفاته الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من ذلك من المغازى والسرايات والبعوث والطرائق والاحداث وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعانا منها بذلك على ما سلف من كتبنا ومذكرين لما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

﴿ذكر ما بدأ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام﴾

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومبشرا للناس أجمعين وقربه الله بالآيات والبراهين النيرات وأتى بالقرآن المعجز فتحدى به قوما وهم الغاية في الفصاحة والنهاية في البلاغة وأولو العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطاب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والاشعار في المكارم وفي الحب والزجر والتحريض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به ديانتهم وأبطل سننهم ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مع كونه عربيا مبينا (وقد تنازع الناس) في نظم القرآن واعجازه وليس الغرض من هذا وصف أقاويل المختلفين والاخبار عن كلام المتنازعين اذ كان كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر (ثبت) عنه عليه السلام بالعلم الموروث ونقل الينا الباقي عن

معهم النشاب وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل انهم في المسجد الاعظم محصورون فقال والله ما هذا بعذرلن بايعنا وسمع نصر بن خزيمة العبسي النداء فاقبل اليه فلقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم في خيله من جهينة في الطريق فحمل عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو وانهزم من كان معه وأقبل زيد على جبانة سالم حتى انتهى الى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد فيمن معه وهزمهم فانتهى زيد الى دار أنس بن عمرو الازدي وكان فيمن بايعه وهو في الدار فنودي فلم يجبهم وناداه زيد فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم ثم انتهى زيد الى الكناسة فحمل على من بها من أهل الشام فهزمهم ثم سار زيد ويوسف ينظر اليه في مائتي رجل فلما قصده لقتله والريان يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام فأخذ زيد على مصلى خالد حتى دخل الكوفة وسار بعض أصحابه نحو جبانة مخنف بن سليم فلقوا أهل الشام فقاتلوهم فاسر أهل الشام منهم رجلا فامر به يوسف بن عمر فقتل فلما رأى زيد خذلان الناس اياه قال لنصر بن خزيمة أنا أخاف أن يكونوا قد فعلوها حسينية قال أما أنا والله لا قاتلن معك حتى أموت وآب الناس في المسجد فامض بنا نحوهم فلقيهم عبيد الله بن العباس الكندي عند دار عمر ابن سعد فاقتتلوا فانهزم عبيد الله وأصحابه وجاء زيد حتى انتهى الى باب المسجد فجعل أصحابه يدخلون رايانهم من فوق الابواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد وانصرف الريان عند المساء الى الحيرة وانصرف زيد فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فاتاه الريان بن سلمة فقاتله عند دار الرزق وجرح أهل الشام ومعهم ناس كثير ورجع أهل الشام مساء يوم الاربعاء أسوأ شيء ظنا فلما كان الغد أرسل يوسف بن عمر العباس بن سعيد المرني في أهل الشام فانتهى الى زيد في دار الرزق فلقيه زيد وعلى مجنبته نصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق بن زيد بن ثابت فاقتتلوا قتالا شديدا وحمل نائل بن فروة العبسي من أهل الشام على نصر ابن خزيمة فضربه بالسيف فقطع فخذه وضربه نصر فقتله ولم يلبث نصر أن مات واشتد قتالهم فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين رجلا فلما كان العشاء عباهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فالتقوا هم وأصحاب زيد في أصحابه فكشفهم وتبعهم حتى أخرجوهم الى السبخة ثم حمل عليهم بالسبخة حتى أخرجهم الى بني سليم وجعلت خيلهم لا تثبت لخيله فبعث العباس الى يوسف يعلمه ذلك وقال له ابعث الى الناشئة فبعثهم اليه فجعلوا يرمون أصحاب زيد فقاتل معاوية بن اسحق الانصاري بين يدي زيد قتالا شديدا فقتل وثبت زيد بن علي ومن معه الى الليل فرمي زيد بسهم فاصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام انهم رجعوا الا للمساء والليل ونزل زيد في دار من دور أرحب وأحصر أصحابه طبيبا فانتزع النصل فضج زيد فلما انتزع النصل مات زيد فقال أصحابه أين ندفنه قال بعضهم نلقيه في الماء وقال بعضهم بل نحتز رأسه ونلقيه في القتلى فقال ابنه يحيى والله لا تأكل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم ندفنه في الحفر التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا فلما دفنوه أجروا عليه الماء وقيل دفن بنهر يعقوب سكر أصحابه الماء ودفنوه وأجروا الماء وكان معهم مولى لزيد سندي وقيل رآهم فسار فدل عليه وتفرق الناس عنه وسار ابنه يحيى نحو كربلاء فنزل بنينوى على سابق مولى بشر بن عبد الملك ابن بشر ثم ان يوسف بن عمر تتبع الجرحى في الدور فدله السندي مولى زيد يوم الجمعة على زيد

فاستخرجه

فاستخرجه من قبره وقطع رأسه وسير الى يوسف بن عمر وهو بالحيرة سيره الحكم بن الصلت فامر يوسف ان يصلب زيدا بالكناسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق وزياد النهدى وأمر بحراستهم وبعث الرأس الى هشام فصلب على باب مدينة دمشق ثم أرسل الى المدينة وبقى البدن مصلوبا الى ان مات هشام وولى الوليد فامر بانزاله واحراقه وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيبانى على شرطة زيد وهو الذى نبش زيدا وصلبه فقال السيد الحموى

بت ليلا مسهدا * ساهر العين مقصدا
ولقد قلت قولة * وأطلت التبلدا
لعن الله حوشبا * وخراشا ومزيدا
* ويزيدا فانه * كان أعتى واعتدا
ألف ألف والف الـ * ـف من اللعن سرمدا
انهم حاربوا الا * ـه وآذوا محمدا
شركوا فى دم الحسين وزيد تعبدا
ثم عالوه فوق جذ * ع صريعا مجردا
يا خراش بن حوشب * أنت أشقى الورى غدا

وقيل فى أمر يحيى بن زيد غير ما تقدم وذلك ان أباه زيدا لما قتل قال له رجل من بنى أسد ان أهل خراسان لكم شيعة والرأى ان تخرج اليها قال وكيف لى بذلك قال تتوارى حتى يسكن الطلب ثم تخرج فوارى عنده ثم خاف فاتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال أجل ولقد كان الدفع عنه أقرب للتقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلام حدث لا ذنب له فان علم يوسف به قتله أفتجيره قال نعم فاتاه به فاقام عنده فلما سكن الطلب سار فى نفر من الزيدية الى خراسان فغضب يوسف بن عمر بعد قتل زيد فقال يا أهل العراق ان يحيى بن زيد ينتقل فى حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لى لعرفت خصيه كما عرفت خصى أبيه ولم دمهم ودمهم وترك

﴿ ذكر قتل البطال ﴾

فى هذه السنة قتل البطال واسمه عبد الله أبو الحسين الانطاكى فى جماعة من المسلمين ببلاد الروم وقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة وكان كثير الغزاة الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم وخوف شديد حكى انه دخل بلادهم فى بعض غزاته هو وأصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكى تسكت والا سلمتك الى البطال ثم رفعته بيدها وقالت خذه يا بطال فتناوله من يدها وسيره عبد الملك مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وأمره على رؤساء أهل الجزيرة والشام وأمر ابنه ان يجعله على مقدمته وطلائعه وقال انه ثقة شجاع مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان بينه وبين الروم وكان الملافة والسابلة يسيرون آمنين وسار مرة مع عسكر للمسلمين فلما صار باطراف الروم سار وحده فدخل بلادهم فرأى مبقلة فنزل فاكل من ذلك البقل فجاءت جوفه وكثر اسهاله فخاف ان يضعف عن الركوب فركب وصار تجيء جوفه فى سرجه ولا يجسر ينزل لئلا يضعف عن الركوب فاستولى عليه الضعف فاعتنق رقبة فرسه وسار عليه ولا يعلم أين هو ففتح عينه فاذا هو فى دير فيه نساء فاجتمعن عليه وأنزلنه احداهن عن فرسه وغسلنه وسقينه دواء فانقطع عنه ما به من القيام وأقام فى الدير ثلاثة أيام ثم ان بطريقا حضر الدير

الماضى من بعد قيام الادلة على صدقه وما أورد من المعجزات والدلائل والعلامات التى أظهر الله على يديه ليؤدى رسالات ربه الى خلقه أنه قال أوتيت جوامع الكلم وقال اختصر لى الكلام اختصارا أوتيه من الحكمة والنطق اليسير والكلام القصير البعيد المعانى الكثيرة الوجوه المتفرقة مع ما فيه من الحكمة وتمام المصلحة (وكان كلامه) صلى الله عليه وسلم أحسن المقال وأوجزه لقلة ألفاظه وكثرة معانيه (فمن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم عند عرضه لنفسه على القبائل بمكة وأبو بكر وقومه على بكر ابن وائل وتقدم أبى بكر اليهم وما جرى بينه وبين دغفل من الكلام فى النسب البلاء موكل بالمنطق وهذا مما سبق اليه من الكلام ولم يضف الى غيره من الانام ثم اخباره عن الحرب وقوله الحرب خدعة فعلم بهذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز أن آخر مكايد الحرب القتال بالسيف اذ كان بدؤها خدعة كما قال عليه السلام وهذا يعرفه كل ذى رأى صحيح وذى رياسة وسياسة (ثم

فخطب تلك المرأة وبلغه خبر البطال وكانت المرأة قد جعلته فى بيت مختفيا فمنعته منه ثم سار البطريق عن الدير فركب البطال وتبعه فقتله وانهزم أصحاب البطريق وعاد الى الدير وألقى الرأس الى النساء وأخذهن وساقهن الى العسكر فقيل له أمير العسكر تلك المرأة فهى أم أولاد البطال

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفى هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيرى الذى كان هشام بعثه فى أهل الشام الى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن على وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان فاستقضى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وحج بالناس هذه السنة محمد بن هشام المخزومى وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم قيل وكان على الموصل أبو قتادة ابن أخى الوليد بن تليد العبسى وفيها مات اياس بن معاوية بن قرة قاضى البصرة وهو الموصوف بالذكاء وزيد بن الحرث اليمامى ومحمد بن المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمى تيم قريش وقيل مات سنة ثلاثين وقيل احدى وثلاثين وكنيته أبو بكر ويزيد بن عبد الله بن قسط ويعقوب ابن عبد الله بن الاشج

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر صلح نصر بن سيار مع الصغد﴾

فى هذه السنة صالح نصر بن سيار الصغد وسبب ذلك ان خاقان لما قتل فى ولاية أسد تفرقت الترك فى غارة بعضها على بعض فطمع أهل الصغد فى الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار أرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع الى بلادهم واعطاهم ما أرادوا وكانوا يسألون شروطا انكرها امراء خراسان منها ان لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم فى دين لاحد من الناس ولا يؤخذ اسراء المسلمين من أيديهم الا بقضية قاض وشهادة عدول فعاب الناس ذلك على نصر بن سيار وقالوا له فيه فقال لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين مثل ما عاينت ما انكرتم ذلك وأرسل رسولا الى هشام بن عبد الملك فى ذلك فاجابه اليه

﴿ذكر رفاة عقبة بن الحجاج ودخول بلج الاندلس﴾

فى هذه السنة توفى عقبة بن الحجاج السلولى أمير الاندلس فقيل بل ثار به أهل الاندلس فخلعوه وولوا بعده عبد الملك بن قطن وهى ولايته الثانية وكانت ولايته فى صفر من هذه السنة وكانت البربر قد فعلت بافريقية ما ذكرناه سنة سبع عشرة ومائة وقد حصروا بلج بن بشر العبسى حتى ضاق عليه وعلى من معه الامر واشتد الحصر وهم صابرون الى هذه السنة فارسل الى عبد الملك ابن قطن يطلب منه ان يرسل اليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه الى الاندلس وذكر ما أنزل عليه من الشدة وانهم أكلوا دوابهم فامتنع عبد الملك من ادخالهم الاندلس ووعدهم ارسال المدد اليهم فلم يفعل فاتفق ان البربر قويت بالاندلس فاضطر عبد الملك الى ادخال بلج ومن معه وقيل ان عبد الملك استشار أصحابه فى جواز بلج فخوفوه من ذلك فقال أخاف أمير المؤمنين ان يقول أهلكت جندى فاجازهم وشرط عليهم ان يقيموا سنة ويرجعوا الى افريقية فاجابوه الى ذلك وأخذ رهائنهم واجازهم فلما وصلوا اليه رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال والفقر والعرى لشدة الحصار عليهم فكسوهم وأحسنوا اليهم وقصدوا جماعة من البربر يشدونه فقاتلوهم فظفروا بالبربر فاهلكوهم وغنموا مالهم ودوابهم وسلاحهم فصلحت أحوال اصحاب بلج وصار لهم

(قال) العائد فى هيئته كالعائد فى قيئه وزاجرا بهذا القول للواهب أن لا يسترجع شيأ وهبه اذ كان الذى لا يرجع فيه من قاءه (وللناس) فى هذا المعنى كلام كثير وخطب طويل وانما الغرض فيما نذكر ايراد كلامه صلى الله عليه وسلم ووصف قوله الذى لم يتقدمه به أحد من الناس وقوله احثوا فى وجوه المداحين التراب المراد من ذلك اذا كذب المادح ولم يرد عليه السلام اذا شكر الانسان غيره بما أولاه أو وصفه بما هو فيه أو قال ماله أن يقول أن يحثى فى وجهه التراب ولو كان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذن ما مدح أحد أحدا اذا كان هذا النهى عموما للصادق والكاذب وأن يحثى فى وجه الجميع التراب وهذا خلاف ما جاء به التنزيل حيث يقول عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف وقوله للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فقدم مدح نفسه ووصف حاله وجميع ما يذكر فى هذا مستفيض فى السير والاخبار متقارب عند العلماء متداول بين الحكماء يتمثل به كثير من الناس

دواب يركبونها ورجع عبد الملك بن قطن الى قرطبة وقال لبلج ومن معه ليخرجوا من الاندلس فاجابوه الى ذلك فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البربر الذين حصروهم فامتنع عبد الملك وقال ليس لى مراكب الا فى الجزيرة فقالوا اننا لا نرجع نتعرض الى البربر ولا نقصد الجهة التى هم فيها لانا نخاف ان يقتلونا فى بلادهم فالح عليهم فى العود فلما رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه فظفروا به واخرجوه من القصر وذلك أوائل ذى القعدة من هذه السنة فلما ظفر بلج بعبد الملك اشار عليه أصحابه بقتل عبد الملك فاخرجه من داره وكانه فرخ لكبر سنه فقتله وصلبه وولى الاندلس وكان عمر عبد الملك تسعين سنة وهرب ابناه قطن وأمية فلحق احدهما بمارده والآخر بسرقسطة وكان هربهما قبل قتل ابيهما فلما قتل فعلا ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أو فد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت الى هشام يطلب اليه أن يستعمله على خراسان ويذكر أنه خبير بها وانه عمل بها الاعمال الكثيرة ويقع فى نصر بن سيار فتوجه هشام الى دار الضيافة فاحضر مقاتل بن على السعدى وقد قدم من خراسان ومعه مائة وخمسون من الترك يسأله عن الحكم وما ولى بخراسان فقال ولى قرية يقال لها الغار باب سبعون ألفا خراجها فاسره الحرث بن سريج فمرك اذنه واطلقه وقال أنت أهون من ان أقتلك فلم يعزل هشام نصر بن سيار عن خراسان وفى هذه السنة غزا نصر بن سيار فرغانة غزوته الثانية فاوفد وفدا الى العراق عليهم معن بن أحمر اليمرى ثم الى هشام فاجتاز بيوسف بن عمر وقال له يا ابن أحمر أيغلبكم الافطع على سلطانكم يا معشر قريش قال قد كان ذلك فامره أن يعيبه عند هشام فقال كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندى وعند قومى فلم يزل به قال فهم اعيبه أعيب بحربته أم طاعته ام يمن نقيبته أو سياسته قال عيبه بالكبر فلما دخل على هشام ذكر جند خراسان وبجدتهم وطاعتهم فقال الا انهم ليس لهم قائد قال ويحك فما فعل الكنانى يعنى نصرا قال له بأس ورأى الا انه لا يعرف الرجل ولا يسمع صوته حتى يدنى منه وما يكاد يفهم منه من الضعف لاجل كبره فقال شبيل بن عبد الرحمن المازنى كذب والله انه ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه بل هو المجرب وقد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولا يتهه فعلم هشام ان قول معن بوضع يوسف فلم يلتفت الى قوله ورجع معن الى يوسف فسأله أن يحول ابنه من خراسان ففعل فارسل احضر اهله وكان نصر لما قدم خراسان قد أثر فغزا وأعلى منزلته وشفعه فى حوائجه فلما فعل هذا أجفى القيسية فحضروا عنده واعتذروا اليه وحج بالناس هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك وكان العمال فى الامصار هم العمال فى السنة التى قبلها وفيها مات محمد بن واسع الازدى البصرى وقيل سنة سبع وعشرين وفيها توفى جعفر بن اياس وفيها مات ثابت البنانى وقيل سنة سبع وعشرين وله ست وثمانون سنة وفيها توفى سعيد بن أبى سعيد المقبرى واسم أبى سعيد كيسان وقيل مات سنة خمس وعشرين وقيل ست وعشرين ومالك بن دينار الزاهد

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى﴾

قد اختلف الناس فى أبى مسلم فقيل كان حرا واسمه ابراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جودزده من ولد بزرجمهر ويكنى أبا اسحق ولد باصبهان ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى الى عيسى

ونستعمل العوام كثيرا منه فى ألفاظها وتورده فى أمثالها وخطابها وانا كثير منهم لا يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله وقال عليه الصلاة والسلام مطل الغنى ظلم ومن أتبع على ملىء فليتبع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رأس الحكمة معرفة الله يا خيل الله اركبى وبشرى بالجنة الآن حمى الوطيس لا ينقطع فيها عنزان لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يجنى على المرء الا يده ليس الخبر كالمعاينة الشديد من غلب نفسه بورك لامتى فى بكورها ساقى القوم آخرهم شربا المجالس بالامانات لو بغى جبل على جبل لدك الباغى منهما ابدا أجن ذو مال حتف أنفه يريد بذلك الفجأة وأنه مات من غير علة ولا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والزكاة مغرما قيدوا العلم بالكتابة خير المال عين ساهرة لعين نائمة المسلم مرآة المسلم رحم الله من قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم المرء كثير بأخيه اليد العليا خير من اليد السفلى ترك الشر صدقة فضل العلم خير من فضل العبادة

ابا موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين فلما اتصل بابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الامام قال له غير اسمك فانه لا يتم لنا الامر الا بتغيير اسمك على ما وجدته في الكتب فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم ويكنى أبا مسلم فمضى لشأنه وله ذؤابة وهو على حمار ما كاف وله تسع عشرة سنة وزوجه ابراهيم الامام ابنة عمران بن اسمعيل الطائي المعروف بابي النجم وهي بخراسان مع أبيها فبنى بها أبو مسلم بخراسان وزوج أبو مسلم ابنته فاطمة من محرز بن ابراهيم وابنته الاخرى اسماء من فهم بن محرز فاعقبت اسماء ولم تعقب فاطمة وفاطمة هي التي تذكرها الخرمية ثم ان سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب توجهوا من خراسان يريدون مكة سنة أربع وعشرين ومائة فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد اتهم بالدعاء الى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل العجليان وهذا ادريس هو جد أبي دلف العجلي وكان حبسهما يوسف بن عمر مع من حبس من عمال خالد القسري ومعهما أبو مسلم يخدمهما فاتصل بهما فرأوا في وجهه العلامات فقالوا لمن هذا الفتى فقالا غلام معنا من السراجين يخدمنا وكان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأي فاذا سمعهما بكى فلما رأوا ذلك منه دعوه الى رأيهم فاجاب وقيل انه من أهل ضياع بني معقل العجلية باصبهان أو غيرها من الجبل وكان اسمه ابراهيم ويلقب حيكان وانما سماه عبد الرحمن وكناه أبا مسلم ابراهيم الامام وكان مع أبي موسى السراج صاحبه يخرز الاعنة ويعمل السروج وله معرفة بصناعة الادم والسروج فكان يحملها الى اصبهان والجبال والجزيرة والموصل ونصيبين وآمد وغيرها يتجر فيها وكان عاصم بن يونس العجلي وادريس وعيسى ابنا معقل محبوسين فكان أبو مسلم يخدمهم في الحبس بتلك العلامة فقدم سليمان بن كثير ولاهز وقحطبة الكوفة فدخلوا على عاصم فرأوا أبا مسلم عنده فاعجبهم فاخذوه وكتب أبو موسى السراج معه كتابا الى ابراهيم الامام فلقوه بمكة فاخذ أبا مسلم فكان يخدمه ثم ان هؤلاء النقباء قدموا على ابراهيم الامام مرة أخرى يطلبون رجلا يتوجه معهم الى خراسان فكان هذا نسب أبي مسلم على قول من يزعم انه حر فلما تمكن وقوى أمره ادعى انه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس وكان من حديث سليط بن عبد الله بن عباس انه كانت له جارية مولدة صفراء تخدمه فواقعها مرة ولم يطلب ولدها ثم تركها دهرا فاغتمت ذلك فاستنكحت عبدا من عبيد المدينة فوقع عليها فحبلت وولدت غلاما فاخذها عبد الله بن عباس واستعبد ولدها وسماه سليطا فنشأ جلدا ظريفا يخدم ابن عباس وكان له من الوليد بن عبد الملك منزلة فادعى انه ولد عبد الله بن عباس ووضعه على أمر الوليد لما كان في نفسه من علي بن عبد الله بن عباس وأمره بمخاصمة علي فخاصمه واحتال في شهود على اقرار عبد الله بن عباس بانه ابنه فشهدوا بذلك عند قاضي دمشق فتحامل القاضي اتباعا لرأي الوليد فاثبت نسبه ثم ان سليطا خاصم عليا عبد الله في الميراث حتى لقي منه على اذى شديدا وكان مع علي رجل من ولد أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعا اليه يقال له عمر الدن فقال لعلي يوما لاقتلن هذا الكلب واريحك منه فنهاه علي عن ذلك وتهدده بالقطيعة ورفق على سليط حتى كف عنه ثم ان سليطا دخل مع علي بستانا له بظاهر دمشق فنام علي فجرى بين عمر الدن وسليط كلام فقتله عمر ودفنه في البستان واعانه عليه مولى لعلي وهرب وكان لسليط صاحب قد عرف دخوله البستان ففقده فاتى أم سليط فاخبرها وفقد علي أيضا عمر الدن ومولاه فسأل عنهما وعن سليط فلم يخبره أحد وغدت أم سليط الى باب

الوليد

الغنى غنى النفس الاعمال بالنيات أي داء أدوأ من البخل الخيل معقود بنواصيها الخير السعيد من وعظ بغيره عدة المؤمن كأخذ باليد ان من الشعر لحكمة ومن البيان لسحرا عفو الملوك بقاء للملك ارحم من في الارض يرحمك من في السماء المكر والخديعة في النار المرء مع من أحب وله ما اكتسب ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا المستشار مؤتمن من قتل دون ماله فهو شهيد لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث الدال على الخير كفاعله الندم توبة الولد للفراش وللعاهر الحجر كل معروف صدقة لا يشكر الله من لا يشكر الناس لا يؤدي الضالة الاضال حبك الشيء يعمي ويصم السفر قطعة من العذاب (وقوله للانصار) انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقوله المسلمون عند شروطهم الاشرطا أحل حراما أو حرم حلالا الرجل أحق بصدر مجلسه وصدر دابته الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الظلم ظلمات يوم القيامة تمام التحية

الوليد فاستغاثت على علي فاتى الوليد من ذلك ما أحب فاحضر عليا وسأله عن سليط فحلف انه لم يعرف خبره وانه لم يأمر فيه بامر فامره باحضار عمر الدن فحلف بالله انه لم يعرف موضعه فامر الوليد بارسال الماء في أرض البستان فلما انتهى الى موضع الحفرة التي فيها سليط انخسفت وأخرج منها سليط فامر الوليد بعلي فضرب وأقيم في الشمس وألبس جبة صوف ليخبره خبر سليط ويدله على عمر الدن فلم يكن عنده علم ثم شفع فيه عباس بن زياد فاخرج الى الحيمة وقيل الى الحجر فاقام به حتى هلك الوليد وولي سليمان رده الى دمشق وكان هذا مما عده المنصور على أبي مسلم حين قتله وقال له زعمت انك ابن سليط ولم ترض حتى نسبت الى عبد الله غير ولده لقد ارتقيت مرتقى صعبا وكان سبب موجدة الوليد على علي بن عبد الله ان أباه عبد الملك بن مروان طلق امرأته أم ابنها ابنة عبد الله بن جعفر فتزوجها علي فتغير له عبد الملك وأطلق لسانه فيه وقال انه صلاته رياء وسمع الوليد ذلك من أبيه فبقي في نفسه وقيل ان أبا مسلم كان عبدا وكان سبب انتقاله الى بني العباس ان بكير بن ماهان كان كاتبا لبعض عمال السند فقدم الكوفة فاجتمع هو وشيعة بني العباس فغمز بهم فأخذوا فحبس بكير وخلي عن الباقين وكان في الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي رمعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير الى رأيه فاجابوه فقال لعيسى بن معقل ما هذا الغلام منك قال مملوك قال أتبيعه قال هو لك قال أحب ان تأخذ ثمنه قال هو لك عاشت فاعطاه أربعمائة درهم ثم خرجوا من السجن فبعث به بكير الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى أبي موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم سار مترددا الى خراسان وقيل انه كان لبعض أهل هراة أو بوشنج فقدم مولاه على ابراهيم الامام وأبو مسلم معه فاعجبه عقله فابتاعه منه واعتقه ومكث عنده عدة سنين وكان يتردد بكتب الى خراسان على حمار له ثم وجهه أميرا على شيعتهم بخراسان وكتب الى من بها منهم بالسمع والطاعة وكتب الى أبي سلمة الخلال داعيتهم ووزيرهم بالكوفة يعلمه انه قد أرسل أبا مسلم ويامره بانفاذه الى خراسان فسار اليها فنزل على سليمان بن كثير وكان من أمره ما نذكره سنة سبع وعشرين ومائة ان شاء الله تعالى وقد كان أبو مسلم رأى رؤيا قبل ذلك استدل بها على ملك خراسان فظهر أمرها فلما ورد نيسابور نزل بونا باذ وكانت عامرة فتحدث صاحب الخان الذي نزله أبو مسلم بذلك وقال ان هذا يزعم انه يلي خراسان فخرج أبو مسلم لبعض حاجته فعمد بعض الجان فقطع ذنب حماره فلما عاد قال لصاحب الخان من فعل هذا بحماري قال لا أدري قال ما اسم هذه المحلة قال بونا باذ قال ان لم أصيرها كندا باذ فلست بابي مسلم فلما ولي خراسان أخربها

﴿ذكر الحرب بين بلج وابني عبد الملك ووفاة بلج وولاية ثعلبة بن سلامة الاندلس﴾

في هذه السنة كان بالاندلس حرب شديدة بين بلج وأمية وقطن ابني عبد الملك بن قطن وكان سببها انهما لما هربا من قرطبة كما ذكرناه فلما قتل أبوهما استنجدا باهل البلاد والبربر فاجتمع معهما جمع كثير قيل كانوا مائة ألف مقاتل فسمع بهم بلج والذين معه فسار اليهم والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وجرح بلج جراحات ثم ظفر بابني عبد الملك والبربر ومن معهم وقتل منهم فاكثر وعاد الى قرطبة مظفرا منصورا فبقي سبعة أيام ومات من الجراحات التي فيه وكانت وفاته في شوال من هذه السنة وكانت ولايته أحد عشر شهرا فلما مات قدم أصحابه عليهم ثعلبة بن سلامة العاملي لابن هشام بن عبد الملك عهد اليهم ان حدث ببلج وكلثوم حدث فالامير ثعلبة فقام بالامر وثارت في أيامه البربر بناحية ماردة ففزاهم فقتل فيهم فاكثر واسر منهم ألف رجل وأتى بهم الى قرطبة

المصافحة جلبت القلوب
على حب من أحسن اليها
اصنك من اعتبك ما نقص
مال من صدقة التائب من
الذنب كمن لا ذنب له
الشاهد يرى مالا يرى
الغائب خذ حقك في
عفاف واف أو غير واف
أعطوا الاجير أجرته قبل
أن يجف عرقه أهل
المعروف في الدنيا أهل
المعروف يوم القيامة
الجنة تحت ظلال السيوف
ليس بمؤمن من خاف جاره
بوائقه اتقوا النار ولو
بشق تمرة أعروا النساء
يلزمن الحجاب الكلمة
الطيبة صدقة لا خير لك في
صحبة من لا يرى لك ما يرى
لنفسه الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر ما أملق تاجر
صدق الدعاء سلاح المؤمن
خير الامور أوسطها اذا
أتاكم الزائر فاكرموه
اشفعوا تحمدوا وتؤجروا
الايمان الصبر والسماحة
أفضلكم أفضلكم معرفة
ما هلك امرؤ عن مشورة
ما عال امرؤ اقتصد ما هلك
امرؤ عرف قدره شر العمى
عمى القلب الكذب
مجانب للايمان ما قل
وكفى خير مما كثر وألهى
من أنى فقد كفى قلة الحياء
كفر المؤمنون هينون
لينون شر الندامة يوم

القيامة شر المعذرة عند الموت أقيلوا عثرات الكرام اطلبوا الخير عند صباح الوجوه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فينظر كيف تعملون انتظار الفرج عبادة وكادت الفاقة أن تكون كفرا لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة في كل عام ترذلون زرغبا تزددوا حبا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس أو قال جميع الناس (وقوله) لا يبلى الله أحدا الا ندامة من عمل خيرا قال ياليتني ازددت ومن عمل غير ذلك قال ياليتني قصرت وهذا مثل قوله اياكم والتسويف وطول الامل فانه كان سببا لهلاك الامم وقوله ليس منا من غشنا وهذا القول يحتمل معاني كثيرة منها أن يكون اخبارا أن من غش المسلمين على حسب الحال في الوقت أن بعض أهل الكتاب أو المنافقين أخبر عنه بما كان من فعله ويحتمل أن يكون على طريق الزجر والنهي عن الغش وقد قيل غير ذلك والله أعلم مثل ما روى عنه أبو مسعود البدري قال لا يبقى على وجه الارض بعد مائة أحد الا مات

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

وفيها غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقي أليون ملك الروم فغنم وفيها مات محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في قول بعضهم ووصى الى ابنه ابراهيم بالقيام بامر الدعوة اليهم وحج بالناس هذه السنة محمد ابن هشام بن اسمعيل وفيها مات محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وكان مولده سنة ثمان وخمسين وقيل سنة خمسين

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة﴾

﴿(ذكر وفاة هشام بن عبد الملك)﴾

وفيها مات هشام بن عبد الملك بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر واحدا وعشرين يوما وقيل وثمانية أشهر ونصفا وكان مرضه الذبحة وعمره خمس وخمسون سنة وقيل ست وخمسون سنة فلما مات طلبوا لقمانا من بعض الخزان يسخن فيه الماء لغسله فما أعطاهم عياض كاتب الوليد على ما ذكره فاستعاروا لقمانا وصلى عليه ابنه مسلمة ودفن بالرصافة

﴿(ذكر بعض سيرته)﴾

قال عقال بن شبة دخلت على هشام وعليه قباء فقلت أخضر وجهني الى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر الى القباء فقطن فقال مالك فقلت رأيت عليك قبل ان تلي الخلافة قباء مثل هذا فجعلت أتأمل أهو هذا أم غيره فقال هو والله ذاك واما ما ترون من جمعي المال وصونه فهو لكم قال وكان محشوا عقلا وقيل ضرب رجل نصراني غلاما لمحمد بن هشام فشجه فذهب خصي لمحمد فضرب النصراني وبلغ هشاما الخبر وطلب الخصي فعاذ بمحمد فقال له محمد ألم آمرك فقال الخصي بلى والله قد أمرتني فضرب هشام الخصي وشتم ابنه قال عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس جمعت دواوين بني أمية فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام وقيل أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ لما ضربه فقال عليك بالصبر فقال أترى أبكي للضرب انما أبكي لاحتقاره البربط اذ عماه طنبورا قال واغلظ رجل لهشام فقال له ليس لك ان تغلظ لامامك قيل وتعقد هشام بعض ولده فلم يحضر الجمعة فقال ما منعك من الصلاة قال نفقت دابتي قال أفجزعت عن المشي فمنعه الدابة سنة قيل وكتب اليه بعض عماله قد بعثت الى أمير المؤمنين بسلة دراقن وكتب اليه قد وصل الدراقن فاعجب أمير المؤمنين فزد منه واستوثق من الدعاء وكتب الى عامل له قد بعث بكماة قد وصلت الكماة وهي أربعون وقد نعم بعضها من حشوها فادا بعثت شيأ فاجد حشوها في الطرق بالرمل حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضا وقيل له أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أطمع فيها وانا حليم عفيف قيل وكان هشام ينزل الرصافة وهي من أعمال قنسرين وكان الخلفاء قبله وابناء الخلفاء يبتدرون هربا من الطاعون فينزلون البرية فلما أراد هشام ان ينزل الرصافة قيل له لا تخرج فان الخلفاء لا يطعنون ولم نر خليفة طعن قال اتريدون ان تجربوا في فنزلها وهي مدينة رومية قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن ايام هشام بن عبد الملك فاخذه هشام وأرسله الى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله فحبسه خالد ولم يقتله فبلغ الخبر هشاما فكتب الى خالد يلومه ويعزم عليه ان يقتله فاخرجه خالد من الحبس في وثاقه فلما صلى العيد يوم الاضحى قال في آخر خطبته انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم فاني اريد ان أضحي اليوم بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله

موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل وذبحه قيل ان غيلان بن يونس وقيل ابن مسلم ابا مروان أظهر القول بالقدر في أيام عمر بن عبد العزيز فاحضره عمر واستتابه فتاب ثم عاد الى الكلام فيه أيام هشام فاحضره من ناصرة ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم أمر به وصلب قيل وجاء محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الى هشام فقال ليس لك عندي صلة ثم قال اياك ان يغرك أحد فيقول لم يعرفك أمير المؤمنين اني قد عرفتك أنت محمد بن زيد فلا تقيمن وتنفق ما معك فليس لك عندي صلة الحق باهلك قال مجمع بن يعقوب الانصاري شتم هشام رجلا من الاشراف فوبخه الرجل وقال أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الارض فاستحيا منه وقال اقتص مني قال اذا أناسفيه مثلك قال فخذ مني عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام رأسه واستحيا وقال والله لا اعود الى مثلها أبدا

﴿ ذكر بيعة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

قيل وكانت بيعته لست مضين من شهر ربيع الآخر من السنة وقد تقدم عقد أبيه ولاية العهد له بعد اخيه هشام بن عبد الملك وكان الوليد حين جعل ولي عهد بعد هشام ابن احدى عشرة سنة ثم عاش من بعد ذلك فبلغ الوليد خمس عشرة فكان يزيد يقول الله بيني و بين من جعل هشاما بيني و بينك فلما ولي هشام اكرم الوليد بن يزيد حتى ظهر من الوليد مجون وشرب الشراب وكان يحمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدبه واتخذ له ندماء فاراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ست عشرة ومائة فحمل معه كلابا في صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه الخمر وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويشرب فيها الخمر فخوفه أصحابه وقالوا لا نامن الناس عليك وعلينا معك فلم يفعل وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف فطمع هشام في البيعة لابنه مسلمة وخلع الوليد وأراد الوليد على ذلك فابى فقال له اجعله بعدك فابى فتنكر له هشام واضربه وعمل سرا في البيعة لابنه مسلمة فاجابه قوم وكان ممن أجابه خالاه محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل و بنو القمقاع بن خليد العبسي وغيرهم من خاصته فافرط الوليد في الشراب وطلب اللذات فقال له هشام يا وليد والله ما أدري اعلى الاسلام انت ام لا ما تدع شيأ من المنكر الا اتيته غير متحاش فكتب اليه الوليد

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن احيانا و بالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أبا شاكر وقال له يعيرني الوليد بك وانا أرشحك للخلافة فالزمه الادب واحضره الجماعة وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة فاظهر النسك واللين ثم انه قسم بمكة والمدينة أموالا فقال مولى لاهل المدينة

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بارسانها * ليس بزنديق ولا كافر

يعرض بالوليد وكان هشام يعيب الوليد وينقصه و يقصر به فخرج الوليد ومعه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالازرق على ماء له بالاردن وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه وكاتبه الوليد فلم يجبه الى رده وامره باخراج عبد الصمد من عنده فاخرجه وسأله ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليه فضرب هشام ابن سهيل وسيره واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه وحبسه فقال الوليد من يثق بالناس ومن يصنع

فاستفاضت هذه الرواية عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فجزع الاكثر فافضى ذلك الى علي رضي الله عنه فقال صدق أبو مسعود فيما قال وذهب عنه المراد بذلك وانما مراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى على وجه الارض أحد بعد رأس مائة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم الامات وقوله استعينوا على أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار (قال المسعودي) وقد جمع كثير ممن تقدم ومن شاهدناه كثيرا من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر أبو اسحق الزجاجي النحوي صاحب أبي العباس المبرد وأبو عبد الله نفطويه وجعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وغيرهؤلاء ممن تقدمهم وتأخر عنهم أوردنا من ذلك في هذا الكتاب ما سهل ايراده وتأتى لنا ذكره على حسب الحاجة اليه واستحقاق الموضع له وان كنا قد أتينا على جميع ما يحتاج اليه في هذه المعاني فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا فاغنى ذلك عن اعادتها والله تعالى ولي التوفيق

(باب ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

(قال المسعودي) ثم بايع الناس أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري في يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة مستوفيا لعمر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اتفاق في سائر الروايات على ماذكرنا وكان مولد أبي بكر بعد الفيل بثلاث سنين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ودفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك قالت عائشة وقد قيل ان أبا بكر كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ايامهم ومقادير ولايتهم وكذلك نفرد بعد ما نورده في هذا الكتاب بعد ذكرنا ايام بني أمية وبني العباس بابا نذكر فيه جميع لتاريخ الثاني من الهجرة الى هذا المعروف هذا الاحول المشؤم قدمه ابي على اهل بيته وميزه ولي عهده ثم يصنع بي ماترون لا يعلم ان لي في احد هوى الا عبث به وكتب الى هشام في ذلك يعاتبه ويسأله ان يرد عليه كاتبه فلم يرده فكتب اليه الوليد

رأيتك تبني دائما في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبني
تثير على الباقين مجني ضغينة * فويل لهم ان مت من شر ماتجني
كأني بهم والليت افضل قولهم * الا ليتنا والليت اذ ذاك لا يغني
كفرت يدا من منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

فلم يزل الوليد مقيما في تلك البرية حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة قال لابي الزبير المنذر بن أبي عمرو مابت على ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت لي هموم وحدثت نفسي فيها بامور هذا الرجل يعني هشاما قد اولع بي فاركب بنا نتنفس فركبا وسارا ميلين ووقف على كثيب فنظر الى رهج فقال هؤلاء رسل هشام فسأل الله من خيرهم فبينما هما كذلك اذ بدا رجلان على البريد احدهما مولى لابي محمد السفياني فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم ثم قال أمات هشام قال نعم والكتاب معنا من سالم ابن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأه وسأل مولى أبي محمد السفياني عن كاتبه عياض فقال لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام الموت فارسل الى الخزان وقال احتفظوا ما في أيديكم فافاق هشام فطلب شيأ فمنعوه فقال انا لله كنا خزانا للوليد ومات من ساعته وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وانزل هشاما من فرشه وما وجدوا له فقمايسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولاه فقال

هلك الاحول المشؤم * وقد أرسل المطر
وملكنا من بعد ذا * لك فقد أورق الشجر
فاشكر الله انه * زائد كل من شكر

وقيل ان هذا الشعر لغير الوليد فلما سمع الوليد موته كتب الى العباس بن عبد الملك بن مروان ان يأتي الرصافة فيحمي مافيها من اموال هشام وولده وعياله وحشمه الا مسلمة بن هشام فانه كلم اباه في الرفق بالوليد فقدم العباس الرصافة ففعل ما كتب به الوليد اليه وكتب به الى الوليد فقال الوليد

ليت هشاما كان حيا يرى * مكلبه الا وفر قد انزعا
ليت هشاما عاش حتى يرى * مكاله الا وفر قد طبعا
كلناه بالصاع الذي كاله * وما ظلمناه به اصبعا
وما ألفنا ذاك عن بدعة * أحله الفرقان لي اجمعا

وضيق على اهل الشام واصحابه فجاء خادم لهشام فوقف عند قبره وبكى وقال يا أمير المؤمنين لو رأيت ما يصنع بنا الوليد فقال بعض من هناك لو رأيت ما صنع بهشام لعلمت انك في نعمة لا تقوم بشكرها ان هشاما في شغل عما هو فيه عنكم واستعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة فجاءته بيعتهم وكتب اليه مروان بن محمد ببيعته واستأذنه في القدوم عليه فلما ولي الوليد اجرى على زمني اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ثم زاد أهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ولم يسئل في شيء الا وقال

ضمنت لكم ان لم يعقني عائق * بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معاوزيادة * وأعطية مني عليكم تبرع
فيجمعكم ديوانكم وعطاؤكم * به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

قال حلم الوادي المغني كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهني بولاية الخلافة واتاه القضيب والخاتم ثم قال فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة فقال غنوني

طاب يومي ولذ شرب السلافه * وأتانا نعي من بالرصافه
وأتانا البريد ينعى هشاما * وأتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحنا من خمر عانة صرفا * ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغني في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني الى الليل ثم ان الوليد هذه السنة عقد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما ولي عهده احدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدما وكتب بذلك الى الامصار والعراق وخراسان

﴿ذكر ولاية نصر بن سيار خراسان للوليد﴾

في هذه السنة ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصرا وعماله فرد اليه الوليد ولاية خراسان وكتب يوسف الى نصر يأمره بالقدوم ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والاموال وان يقدم معه بعياله أجمعين وكتب الوليد الى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وان يجمع له كل صناجة بخراسان وكل بازي وبرذون فاره ثم يسير بكل ذلك بنفسه في وجوه أهل خراسان وكان المنجمون قد أخبروا نصرا ان فتنة تكون وألح يوسف على نصر بالقدوم وأرسل اليه رسولا في ذلك وأمره أن يستحثه أو ينادي في الناس انه قد خلع فارضى نصر الرسول واجازه فلم يمض لذلك الا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول الى قصره بماجان واستخلف عصمة بن عبد الله الاسدي على خراسان وموسى بن ورقاء بالشاش وحسان من أهل الصغانيان بسمرقند ومقاتل بن علي السعدي بأصل وأمرهم اذا بلغهم خروجه من مرو ان يستحلبوا الترك ليعبروا على ماوراء النهر ليرجع اليهم وسار الى العراق فبينا هو يسير الى العراق طرقه مولى لبني ليث واعلمه بقتل الوليد فلما أصبح اذن للناس واحضر رسل الوليد وقال لهم قد كان من مسيري ما علمتم وبعثي بالهدايا ما رأيتم وكان قد قدم الهدايا فبلغت بهق وطرقني فلان ليلا فاخبرني ان الوليد قد قتل ووقعت الفتنة بالشام وقدم منصور بن جمهور العراق وهرب يوسف بن عمر ونحن بالبلاد التي قد علمتم حالها وكثرة عدونا فقال سالم بن احوز ايها الامير انه بعض مكايد قريش أرادوا تهجين طاعتك فسر ولا تمتحنا فقال يا سالم أنت رجل لك علم بالحرب وحسن طاعة لبني أمية فما ما مثل هذه الامور فرأيك فيها رأي أمية ورجع بالناس

﴿ذكر قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين﴾

في هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان وسبب قتله انه سار بعد قتل أبيه الى خراسان كما سبق ذكره فاتى بلخ فاقام بها عند الحريش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام وولي الوليد بن يزيد فكتب يوسف بن عمر الى نصر يسير يحيى بن زيد وينزله عند الحريش وقال له خذه أشد الاخذ فاخذ نصر الحريش فطالبه بيحيى فقال لا علم لي به فامر به فجلد ستمائة سوط فقال الحريش والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش قال لا تقتل ابي وانا ادلك على يحيى فدله عليه فاخذه نصر وكتب الى الوليد يخبره فكتب الوليد يأمره

الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة أبي اسحق المتقي بالله أو بعد ذلك من الاوقات الى حيث ينتهي بنا التصنيف وما ذكره أصحاب الزيجات في النجوم وما ارخوه في مقادير السنين والشهور والايام ونبين تاريخ أصحاب السير والاخبار بين وغيرهم اذا كان التفاوت بين الفريقين ومعولنا في ذلك على ما ذكره أصحاب الزيجات

(ذكر نسبه ولمع من أخباره وسيره)

كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان وهو أبو قحافة بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب وفي مرة يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه عتيق لبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عتيق الله من النار فسمي يومئذ عتيقا وقيل انما سمي عتيقا لعتق أمهاته واستخلف وأبوه في الحياة وكان أزهد الناس وأكثرهم تواضعا في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لبسه في خلافته الشملة والعباءة وقدم اليه زعماء العرب وأشرافهم وملوك اليمن وعليهم الحلل وبرد الوشي

أن يؤمنه ويخلى سبيله وسبيل أصحابه فاطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بالفي درهم فسار الى سرخس فاقام بها فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عباد يأمره أن يسيره عنها فسيره عنها فسار حتى انتهى الى بيهق وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد الى نيسابور وبها عمرو بن زرارة وكان مع يحيى سبعون رجلا فرأى يحيى تجارا فاخذهو وأصحابه دوابهم وقالوا علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة الى نصر يخبره فكتب نصر يأمره بحاربته فقاتله عمرو وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلا فهزمهم يحيى وقتل عمرا وأصاب دواب كثيرة وسار حتى مر بهراة فلم يعرض لمن بها وسار عنها وسرح نصر بن سيار سالم بن أحوز في طلب يحيى فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالا شديدا فرمى يحيى بسهم فاصاب جبهته رماه رجل من عنزة يقال له عيسى فقتل أصحاب يحيى عن آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب الى يوسف بن عمر خذ جميل أهل العراق فانزله من جذعه يعني زيدا وأحرقه بالنار ثم انسفه بالميم نسفا فامر يوسف به فاحرق ثم رضه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات واما يحيى فانه لما قتل صلب بالجوزجان فلم يزل مصلوبا حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان فانزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه في خراسان وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى فمن كان حيا قتله ومن كان ميتا خلفه في أهله بسوء وكانت أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة المخففة)

﴿ذكر ولاية حنظلة افريقية وأبي الخطار الاندلس﴾

في هذه السنة قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الاندلس أميرا في رجب وكان أبو الخطار لما تبايع ولاة الاندلس من قيس قد قال شعرا وعرض فيه بيوم مرج راهط وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان بن الحكم وقيام القيسيين مع الضحاك بن قيس الفهري على مروان ومن الشعر

أفادت بنو مروان قيسا دماءنا * وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
كانكم لم تشهدوا مرج راهط * ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حر القنا بنحورنا * وليس لكم خيل تعد ولا رجل

فلما بلغ شعره هشام بن عبد الملك سأل عنه فاعلم انه رجل من كلب وكان هشام قد استعمل على افريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة أربع وعشرين ومائة فكتب اليه هشام ان يولي ابا الخطار الاندلس فولاه وسيره اليها فدخل قرطبة يوم جمعة فرأى ثعلبة بن سلامة اميرها قد احضر الاسارى الالف من البربر الذين تقدم ذكر اسرهم ليقتلهم فلما دخل أبو الخطار دفع الاسرى اليه فكانت ولايته سببا لحياتهم وكان أهل الشام الذين بالاندلس قد أرادوا الخروج مع ثعلبة ابن سلامة الى الشام فلم يزل أبو الخطار يحسن اليهم ويستميلهم حتى اقاموا فانزل كل قوم على شبه منازلهم بالشام فصار أوابدا يشبه بلدانهم أقاموا وقيل انه انما فرقهم في البلاد لان قرطبة ضاقت عليهم ففرقهم وقد ذكرنا بعض اخباره سنة تسع وثلاثين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

قيل وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة والطائف ودفع اليه محمدا وابراهيم ابني هشام بن اسمعيل المخزومي موثوقين في عباءتين فقدم بهما المدينة في شعبان فاقامهما للناس ثم حملا الى الشام فاحضرا عند الوليد فامر بجلدهما فقال محمد أسألك بالقرابة قال وأي قرابة بيننا قال فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب بسوط

المثقل بالذهب والتيجان والحبرة فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهد والتواضع والنسك وما هو عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم (وكان ممن وفد عليه) من ملوك اليمن ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج وما وصفنا من البرود والحلى فلما شاهد من أبي بكر ما وصفنا ألقى ما كان عليه وتزيا بزيه حتى انه رؤي يوما في سوق من أسواق المدينة على كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار قال فأردتم أن أكون ملكا جبارا في الجاهلية جبارا في الاسلام لا ها الله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع لله والزهد في هذه الدنيا وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر وتذللوا بعد التجبر (وبلغ) أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان صخر بن حرب أمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده على من يصيح ابني

الا فى حد قال ففى حد أضربك وقود أنت أول من فعل بالعرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان وكان محمد قد اخذه وقيده واقامه للناس وجلده وسجنه الى ان مات بعد تسع سنين لهمجاء العرجى اياه ثم أمر به الوليد فجلد هو وأخوه ابراهيم ثم أوثقهما حديدا وامر ان يبعث بهما الى يوسف بن عمر وهو على العراق فلما قدم بهما عذبهما حتى ماتا وفى هذه السنة عزل الوليد سعد بن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاه يحيى بن سعيد الانصارى وفيها خرجت الروم الى زبطرة وهو حصن قديم كان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهرى فاخربته الروم الآن فبنى بناء غير محكم فعاد الروم وأخربوه أيام مروان بن محمد الحمار ثم بناه الرشيد وشحنه بالرجال فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه فامر المأمون بمرمته وتحصينه ثم قصده الروم أيام المعتصم على ما نذكره ان شاء الله تعالى فاغاسقت خبره ههنا لانى لم أعلم تواريخ حوادثه وفيها غزا الوليد أخاه العمر بن يزيد وأمر على جيوش البحر الاسود بن بلال المحاذى وسيره الى قبرس ليخبر أهلها بين المسير الى الشام أو الى الروم فاختارت طائفة جوار المسلمين فسيرهم الى الشام واختار آخرون الروم فسيرهم اليهم وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا فى قول بعض أهل السير محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاخبروه بقصة أبى مسلم وما رأوا منه فقال أحر هو أم عبد قالوا أما عيسى فيزعم انه عبد وأما هو فيزعم انه حر قال فاشتروه واعتقوه واعطوا محمد بن على مائتى ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما أظنكم تلقونى بعد عامى هذا فان حدث بى حدث فصاحبكم ابنى ابراهيم فانى أثق به وأوصيكم به خيرا فرجعوا من عنده وقال بعضهم فى هذه السنة توفى محمد بن على بن عباس فى شهر ذى القعدة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكان بين موته وموت أبيه سبع سنين وحج بالناس هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف وفيها غزا النعمان بن يزيد ابن عبد الملك الصائفة وفى هذه السنة مات أبو حازم الاعرج وقيل سنة أربعين وقيل سنة أربع وأربعين ومائة وفى آخر أيام هشام بن عبد الملك توفى سماك بن حرب وفى هذه السنة توفى القاسم بن أبى برة واسم أبى برة يسار وهو من المشهورين بالقراءة واشعث بن أبى الشعثاء سليم بن أسود المحاربى وسعيد بن أبى أنيسة الجزرى مولى بنى كلاب وقيل مولى يزيد بن الخطاب وقيل مولى غنى وكان عمره ستا وأربعين سنة وكان فقيها عابدا وكان له أخ اسمه يحيى كان ضعيفا فى الحديث وفى أيام هشام مات العرجى الشاعر فى حبس محمد بن هشام المخزومى عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة وكان سبب حبسه انه هجاه فتتبعه حتى بلغه انه أخذ مولى له فضربه وقتله وأمر عبيده أن يطؤا امراة المولى المقتول فاخذه محمد فضربه وأقامه للناس وحبسه تسع سنين فمات فى السجن (العرجى بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم) وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة﴾

﴿(ذكر قتل خالد بن عبد الله القسرى)﴾

فى هذه السنة قتل خالد بن عبد الله وقد تقدم ذكر عزله عن العراق وخراسان وكان عمله خمس عشرة سنة فيما قيل ولما عزله هشام قدم عليه يوسف بن عمر واسط فحبسه بها ثم سار يوسف الى الحيرة وأخذ خالدا فحبسه بها تمام ثمانية عشر شهرا مع أخيه اسمعيل وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن اسد استأذن يوسف هشاما فى تعذيبه فاذن له مرة واحدة واقسم لئن هلك ليقتلنه فعذبه يوسف ثم رده الى حبسه وقيل بل عذبه عذابا كثيرا وكتب هشام الى يوسف يامره باطلاقه فى شوال سنة احدى وعشرين فاطلقه فسار فاتى القرية التى بازاء الرصافة فاقام بها الى صفر سنة

فقال له على أبى سفيان فدنا من ابى بكر وقال له أعلى أبى سفيان ترفع صوتك ياعتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والانصار وقال له ما أبت ان الله قد رفع بالاسلام قوما وأذل به آخرين (ولم يتقلد) الخلافة وأبوه باق غير أبى بكر (وأم ابى بكر) سلمى وتكنى ام الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن أسعد ابن تيم بن مرة (وارتدت العرب) بعد استخلافه بعشرة أيام (وكان له) من الولد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد فاما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبى صلى الله عليه وسلم فلحقه جراحة وبقى الى خلافة أبى بكر ومات فى خلافته وخلف سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب لعبد الله وأما عبد الرحمن بن أبى بكر فانه شهد مع المشركين ثم أسلم فحسن اسلامه ولعبد الرحمن أخبار وله عقب كثير بدو وحضر من ناحية الحجاز مما يلى الجادة من طريق العراق فى الموضع المعروف بالصفيسان والمسح ومحمد ابن أبى بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ومنها

عقب جعفر بن أبي طالب وخلف عليها حين استشهد عبد الله وعونا ومحمدا ابني جعفر فقتل عون ومحمد ابنا جعفر بالطف مع الحسين ابن علي ولا عقب لهما وعقب عبد الله بن جعفر علي واسمعيل واسحق ومعاوية وتزوجها بعده أبو بكر الصديق فخلف منها محمدا ثم تزوجها علي بن أبي طالب فاولدها أولادا درجوا ولا عقب له منها وأم أسماء العجوز الحرشية كان لها أربع بنات وهذه العجوز أكثر الناس أصهارا كانت ميمونة الهلالية تحت النبي صلى الله عليه وسلم وأم الفضل تحت العباس ابن عبد المطلب وسلمى تحت حمزة بن عبد المطلب وخلف منها بنتا وأسماء تحت من ذكرنا وأم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر وكان محمد بن أبي بكر يدعى عابد قريش لنسكه وزهده ورباه علي بن أبي طالب وسنذكر خبره فيما يرد من هذا الكتاب ومقتله في أيام معاوية بن أبي سفيان (ومات أبو قحافة) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو ابن تسع

اثنتين وعشرين وخرج زيد فقتل فكتب يوسف بن عمر ان بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا فكانت همة احدهم قوت عياله فلما ولي خالد العراق أعطاهم الاموال فتاقت انفسهم الى الخلافة وما خرج زيد الا عن رأي خالد فقال هشام كذب يوسف وضرب رسوله وقال لسنا نتهم خالدا في طاعة وسمع خالد فسار حتى نزل دمشق وسار الى الصائفة وكان على دمشق يومئذ كلثوم ابن عياض القشيري وكان يبغض خالدا فظهر في دور دمشق حريق كل ليلة يفعله رجل من أهل العراق يقال له ابن العمرس فاذا وقع الحريق يسرقون وكان أولاد خالد واخوته بالساحل لحدث كان من الروم فكتب كلثوم الى هشام يخبره ان موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال وأنهم يحرقون البلد كل ليلة لهذا الفعل فكتب اليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد الصغير منهم والكبير وموالي هم فانفذ واحضر أولاد خالد واخوته من الساحل في الجوامع ومعهم موالي هم وحبس بنات خالد والنساء والصبيان ثم ظهر على ابن العمرس ومن كان معه فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج الى هشام يخبره بأخذ ابن العمرس وأصحابه باسمائهم وقبائلهم ولم يذكر فيهم أحدا من موالي خالد فكتب هشام الى كلثوم يشتمه ويأمره باطلاق آل خالد فاطلقهم وترك الموالي رجاء ان يشفع فيهم خالد اذا قدم من الصائفة ثم قدم خالد فنزل منزله في دمشق فاذن للناس فقام بنانه يحتجبن فقال لا تحتجبن فان هشاما كل يوم يسوقكن الى الحبس فدخل الناس فقام اولاده يسترون النساء فقال خالد خرجت غازيا سامعا مطيعا فخلفت في عقبي وأخذ حرمي وأهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين فما منع عصابة منكم ان تقولوا علام حبس حرم هذا السامع المطيع أخفتم ان تقتلوا جميعا أخافكم الله ثم قال مالي ولهشام ليكفن عني أولا دعون الى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الاصل يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقد أذنت لكم ان تبلغوا هشاما فلما بلغه قال قد حرف أبو الهيثم وتتابعت كتب يوسف بن عمر الى هشام يطلب منه يزيد بن خالد بن عبد الله فارسل هشام الى كلثوم يأمره بانفاذ يزيد بن خالد بن عبد الله الى يوسف بن عمر فطلبه فهرب فاستدعى خالدا فحضر عنده فحبسه فسمع هشام فكتب الى كلثوم يلومه ويأمره بتخليته فاطلقه وكان هشام اذا أراد أمرا أمر الابرش الكلبي فكتب به الى خالد فكتب اليه الابرش انه بلغ أمير المؤمنين ان رجلا قال لك يا خالد اني لاحبك لعشر خصال ان الله كريم وأنت كريم والله جواد وأنت جواد والله رحيم وأنت رحيم حتى عد عشرا وأمير المؤمنين يقسم بالله ليحققن ذلك عنده ليقتلنك فكتب اليه خالد ان ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لاحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان به اغا قال لي يا خالد اني لاحبك لعشر خصال ان الله كريم يحب كل كريم والله يحبك وأنا أحبك حتى عد عشر خصال ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميري الى أمير المؤمنين وقوله يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك في حاجتك فقال بل خليفتي في أهلي فقال ابن شقي فانت خليفة الله ومحمد رسوله وضلال رجل من بجيلة يعني نفسه أهون على العامة من ضلال أمير المؤمنين فلما قرأ هشام كتابه قال حرف أبو الهيثم فاقام خالد بدمشق حتى هلك هشام وقام الوليد فكتب اليه الوليد ما حال الخمسين ألف ألف التي تعلم فاقدم على أمير المؤمنين فقدم عليه فارسل اليه الوليد وهو واقف بباب السراديق فقال يقول أمير المؤمنين أين ابنك يزيد فقال كان هرب من هشام وكما نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فلما لم نره ظننا انه بلاد قومه من السراة ورجع الرسول وقال لا ولكنك خلفته طالبا للفتنة فقال قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة فرجع الرسول فقال يقول لك أمير المؤمنين

لتأتين به أو لازهقن نفسك فرفع خالد صوته وقال قل له هذا أردت والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فأمر الوليد بضربه فضرب فلم يتكلم فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر من العراق بالاموال فاشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف فان كنت تضمنها والا دفعتك اليه فقال خالد ما عهدت العرب تباع والله لوسألتني ان أضمن عودا ما ضمنته فدفعه الى يوسف فنزع ثيابه وألبسه عباءة وحمله في محمل بغير وطاء وعذبه عذابا شديدا وهو لا يكلمه كلمة ثم حمله الى الكوفة فعذبه ثم وضع المضرسة على صدره فقتله من الليل ودفنه من وقته بالحيرة في عباءته التي كان فيها وذلك في المحرم سنة ست وعشرين وقيل بل أمر يوسف فوضع على رجليه عود وقام عليه الرجال حتى تكسرت قدماه وما تكلم ولا عبس وكانت أم خالد نصرانية رومية ابتنى بها أبوه في بعض أعيادهم فاولدها خالدا وأسدا ولم تسلم وبنى لها خالد بيعة فذمه الناس والشعراء في ذلك قول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتناتهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد لانه بلغه ان شاعرا قال

ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها ولما بلغه ان الناس يذمونه لبنائه البيعة لامه قام يعتذر اليهم فقال لعن الله دينهم ان كان شرا من دينكم وكان يقول ان خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته يعني ان الخليفة هشاما أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم نبرأ الى الله من هذه المقالة

﴿ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك﴾

في هذه السنة قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي يقال له الناقص في جمادى الآخرة وكان سبب قتله ما تقدم ذكره من خلاعته ومجانته فلما ولي الخلافة لم يزدد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق الا تماديا فثقل ذلك على رعيته وجنده وكرهوا أمره وكان أعظم ما جنى على نفسه افساده بني عميه هشام والوليد فانه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه الى عمان من أرض الشام فحبسه بها فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد وأخذ جارية كانت لابن الوليد فكلمه عثمان بن الوليد في ردها فقال لا أردها فقال اذن تكثر الصواهل حول عسكرك وحبس الاقدم يزيد بن هشام وفرق بين روح بن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد فرماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وقالوا قد اتخذ مائة جامعة لبني أمية وكان أشدهم فيه يزيد بن الوليد وكان الناس الى قوله أميل لانه كان يظهر النسك ويتواضع وكان قد نهاه سعيد بن بيهس بن صهيب عن البيعة لابنيه الحكم وعثمان لصغرهما فحبسه حتى مات في الحبس وأراد خالد بن عبد الله القسري على البيعة لابنيه فأبى فغضب عليه فقيل له لا تخالف أمير المؤمنين فقال كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته فالوا فتقبل شهادة الوليد مع فسقه قال أمير المؤمنين غائب عني وانما هي أخبار الناس ففسدت اليمانية عليه وفسدت عليه قضاعة وهم واليمن أكثر جند أهل الشام فاتى حريث وشبيب ابن أبي مالك الغساني ومنصور بن جمهور الكلبي وابن عمه حبال بن عمرو ويعقوب بن عبد الرحمن

وتسعين سنة وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهي السنة التي استخلف فيها عمر بن الخطاب رضي عنه وقد قيل انه مات في سنة أربع عشرة (ولما بويع) أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقا فقال أبو بكر بلى ولكن خشيت الفتنة وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل ومحادثة في الامامة وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع فصار الى الشام فقتل هناك في سنة خمس عشرة وليس كتابنا هذا موضعا لخبر مقتله ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله تعالى عنها ولما ارتدت العرب الا أهل المسجدين ومن بينهما وأناسا من العرب قدم عدي ابن حاتم بأهل الصدقة الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه ففي ذلك يقول الحرث بن مالك الطائي

وفينا وفاء لم ير الناس مثله
وسير بلنا مجدا عدي بن حاتم

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد سمه اليهود في شيء من الطعام وأكل معه الحرث

وحميد بن منصور اللخمي والاصبغ بن ذؤالة والطفيل بن حارثة والسري زياد الى خالد بن عبد الله القسري فدعوه الى أمرهم فلم يجبهم وأراد الوليد الحج فخاف خالد ان يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحج فقال ولم فاخبره فحبسه وأمر أن يطالب باموال العراق ثم استقدم يوسف بن عمر من العراق وطلب منه أن يحضر معه الاموال وأراد عزله وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فقدم يوسف باموال لم يحمل من العراق مثلها فلقيه حسان النبطي فاخبره ان الوليد يريد أن يولي عبد الملك بن محمد وأشار عليه أن يحمل الرشاء الى وزرائه ففرق فيهم خمسمائة ألف وقال له حسان اكتب على لسان خليفتك بالعراق كتابا اني كتبت اليك ولا أملك الا القصر وادخل على الوليد والكتاب معك مختوما واشترضه خالدا ففعل فامره الوليد بالعود الى العراق واشترى منه خالدا القسري بخمسين ألف الف فدفعه اليه فاخذه معه في محمل بغير وطاه الى العراق فقال بعض أهل اليمن شعرا على لسان الوليد يحرض عليه اليمانية وقيل انها للوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد

ألم تهتج فتذكر الوصالا * وحبلا كان متصلا غزالا
بلى فالدمع منك الى انسجام * كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك اذكارك آل سعدى * فنحن الاكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسرا * نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الاشعري بعز قيس * فيالك وطأة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسير * ألا منعوه ان كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديما * جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز * لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا * يعالج من سلاسلنا الثقالا
وكندة والسكون فاستقاموا * ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سمت البرية كل خسف * وهدمت السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم * وجدتهم وردتهم شلالا
فازالوا لنا بلدا عبيدا * نسومهم المذلة والسفالا
فاصبحت الغداة على تاج * لملك الناس ما يبغي انتقالا

فعظم ذلك عليهم وسعوا في قتله وازدادوا حنقا وقال حمزة بن بيض في الوليد

وصلت سماء الضر بالضر بعدما * زعمت سماء الضر عنا استقلع
فليت هشاما كان حيا يسومنا * وكنا كما كنا نرجي ونطمع

وقال أيضا

ياوليدا لخى تركت الطريقا * واضحا وارتكبت فجا عميقا
وتماديت واعتديت وأسرفت وأغويت وانبعثت فسوقا
أبدا هات ثم هات وهاتي * ثم هاتي حتى تخر صعيقا
أنت سكران ما تفيق فاتر * تق فتقا وقد فتقت فتوقا

فاتت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة فشاور عمر بن يزيد الحكمي فقال له لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس فان بايعك لم يخالفك أحد وان أبى كان الناس له أطوع فان أبيت الا المضي على رأيك فاظهر أن أخاك العباس قد بايعك وكان الشام وبيا فخرجوا

الى

ابن كلدة فعمي وكان السم لسنة ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشر يوما ولما احتضر قال ما آسى الا على ثلاث فعلتها وددت أني تركتها وثلاث تركتها وددت أني فعلتها وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فاما الثلاث التي فعلتها ووددت أني تركتها فوددت أني لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر في ذلك كلاما كثيرا وودت أني لم أكن حرقت الفجاءة وأطلقته نجيحا أو قتلته سريحا ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الامر في عنق أحد الرجلين فكان أميرا وكنت وزيرا والثلاث التي تركتها وددت أني فعلتها وددت أني يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه فانه قد خيل لي أنه لا يرى شرا الا أعانه وودت أني كنت قذفت المشرق لعمر بن الخطاب فكنت قد بسطت يميني وشمالي في سبيل الله ووددت أني يوم جهزت جيش الردة ورجعت فقمت مكاني فان سلم المسلمون سلموا وان كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مددا وكان أبو بكر قد بلغ مع الجيش مرحلة

الى البوادى وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضا بينهما الميال يسيرة فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك فرجع وبايع الناس سرا وبث دعاته فدعوا الناس ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه الى نفسه فزجره وقال ان عدت لمثل هذا لاشدنك وثاقا ولأحملنك الى أمير المؤمنين فخرج من عنده فقال العباس انى لاظنه اشأم مولود فى بنى مروان وبلغ الخبر مروان ابن محمد بارمينية فكتب الى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره ان ينهى الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الامر عنهم فاعظم سعيد ذلك وبعث الكتاب الى العباس ابن الوليد فاستدعى العباس يزيد وتهدده فكتمه يزيد أمره فصدقه وقال العباس لاخيه بشر بن الوليد انى أظن ان الله قد أذن فى هلاكهم يابنى مروان ثم تمثل

انى أعيذكم بالله من فتن * مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد مالت سياستكم * فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم * ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم * فثم لا حسرة تغنى ولا جزع

فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبدأ أقبل الى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال متنكرا فى سبعة نفر على حمير فنزلوا بحرود على مرحلة من دمشق ثم سار فدخل دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سرا وبايع أهل المزة وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج فخاف الوباء فخرج منها فنزل قطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمى فاجمع يزيد على الظهور فقيل للعامل ان يزيد خارج فلم يصدق وارسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة فكمنوا عند باب الفراديس حتى أذن العشاء فدخلوا فصلوا وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس منه بالليل فلما صلى الناس أخرجهم الحرس وتباطأ أصحاب يزيد حتى لم يبق فى المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد فأخذوا الحرس ومضى يزيد بن عنبسة الى يزيد بن الوليد فاعلمه وأخذ بيده فقال قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وعونه فقام وأقبل فى اثنى عشر رجلا فلما كان عند سوق الحمر لقوا أربعين رجلا من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتى رجل فمضوا الى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا ارسل الوليد ففتح لهم الباب خادم فأخذوه ودخلوا فأخذوا أبا العاج وهو سكران وأخذوا خزائن بيت المال وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذوه وقبض محمد بن عبيده وهو على بعلبك وأرسل بنى عذرا الى محمد بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذوه وكان بالمسجد سلاح كثير فاخذوه فلما أصبحوا جاء أهل المزة وتتابع الناس وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريا ويعقوب بن محمد بن هانئ العبسى وأقبل عيسى بن شبيب التغلبى فى أهل دومة وحرستا وأقبل حميد بن حبيب النخعى فى أهل دير مران والارزة وسطرا وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة ودير ذكوا وأقبل ربعى بن هاشم الحرثى فى الجماعة من بنى عزة وسلامان وأقبلت جهينة ومن والاهم ثم وجه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن مصادف فى مائتى فارس ليأخذوا عبد الملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف من قصره فاخذوه بامان وأصاب عبد الرحمن خرجين فى كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار فقيل له خذ أحد هذين الخرجين فقال لا تتحدث العرب عنى انى أول من خان فى هذا الامر ثم جهز يزيد جيشا وسيرهم الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار مولى للوليد اليه فاعلمه الخبر وهو بالاغدف من عمان فضربه الوليد وحبسه وسير أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية الى دمشق

من المدينة وهو الموضع المعروف بذى القصة والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الاخ فان بنفسى منهما حاجة ووددت أنى سألته هل للانصار فى هذا نصيب فنعطيهم اياه وخلف من البنات أسماء ذات النطاقين وهى أم عبد الله ابن الزبير وعمرت مائتى سنة حتى عميت وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم (وقد تنوزع فى بيعة على) بن أبى طالب اياه فمنهم من قال بايعه بعد موت فاطمة بعشرة أيام وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنيف وسبعين يوما وقيل بثلاثة أشهر وقيل ستة وقيل غير ذلك والما نعذ ابو بكر الامراء الى الشام كان فيما وصى به يزيد بن ابى سفيان وهو مشيع له فقال له اذا قدمت على أهل عملك بعدهم الخير وما بعده واذا وعدت فانجز ولا تكثرن عليهم الكلام فان بعضه ينسى بعضا واصلح نفسك تصلح الناس لك واذا قدمت عليك رسل عدوك فاكرم منزلتهم فانه أول خبرك اليهم وأقل جلوسهم حتى يخرجوا

فسار بعض الطريق فأقام فارسل اليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصادف فسأله أبو محمد ثم بايع ليزيد بن الوليد ولما أتى الخبر الى الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الخيول الى يزيد فيقتل أو يؤسر فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ما ينبغي للخليفة ان يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل والله يؤيد امير المؤمنين وينصره فقال يزيد ابن خالد وما نخاف على حرمه وانما أتاه عبد العزيز وهو ابن عمهن فأخذ بقول ابن عنبسة وسار حتى أتى البحراء قصر النعمان بن بشير وسار معه من ولد الضحاك بن قيس أربعون رجلا فقالوا له ليس لنا سلاح فلو أمرت لنا بسلاح فما أعطاهم شيأ ونازله عبد العزيز وكتب العباس بن الوليد ابن عبد الملك الى الوليد اني آتيك فقال الوليد أخرجوا سريرا فاخرجوه فجلس عليه وانتظر العباس فقاتلهم عبد العزيز ومعه منصور بن جمهور فبعث اليهم عبد العزيز زياد بن حصين الكلابي يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه فقتله أصحاب الوليد واقتتلوا قتالا شديدا وكان الوليد قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذي كان عقده بالجابية وبلغ عبد العزيز مسير العباس الى الوليد فأرسل منصور بن جمهور الى طريقه فأخذه قهرا وأتى به عبد العزيز فقال له بايع لاخيك يزيد فبايع ووقف ونصبوا راية وقالوا هذه راية العباس قد بايع لامير المؤمنين يزيد فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك بنو مروان فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس وعبد العزيز وأرسل الوليد الى عبد العزيز يبذل له خمسين ألف دينار وولاية حمص مابقي ويؤمنه من كل حدث على ان ينصرف عن قتاله فأبى ولم يجبه فظاهر الوليد بين درعين وأتوه بفرسيه السندي والراية فقاتلهم قتالا شديدا فناداهم رجل اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارجموه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب وقال

دعوا لي سلمى والطلاء وقينة * وكأسا ألا حسبي بذلك مالا
اذا ما صفا عيشي برملة عالج * وعانقت سلمى ما أريد بدالا
خذوا ملككم لاثبت الله ملككم * ثباتا يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عير وماجرى * ولا تحسدوني أن أموت هزالا

فلما دخل القصر وأغلق الباب أحاط به عبد العزيز فدنا الوليد من الباب وقال اما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه قال يزيد بن عنبسة السكسكي كلني قال يا أخا السكاسك ألم أزد في اعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ألم اعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم فقال انا مانقم عليك في انفسنا انما ننقم عليك في انتهاكك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح امهات الاولاد ابيك واستخفافك بأمر الله قال حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد كثرت واغرقت وان فيما احل الله سعة عما ذكرت ورجع الى الدار وجلس وأخذ مصحفا فنشره يقرأ فيه وقال يوم كيوم عثمان فصعد واعلى الحائط وكان اول من علاه يزيد بن عنبسة فنزل اليه فاخذ بيده وهو يريد ان يحبسه ويؤامر فيه فنزل من الحائط عشرة منهم منصور بن جمهور وعبد السلام اللخمي فضربه عبد السلام على رأسه وضربه السندي بن زياد بن أبي كبشة في وجهه واحتز رأسه وسيروه الى يزيد فأتاه الرأس وهو يتغدى فسجد وحكى له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد قال آخر كلامه الله لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا يجمع كلمتكم فامر يزيد بنصب رأسه فقال له يزيد بن فروة مولى بني مرة انما تنصب رؤس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن ان نصبته ان ترق له قلوب الناس ويغضب له أهل بيته فلم يسمع منه ونصبه على رمح فطاف به بدمشق ثم أمر به ان يدفع الى اخيه سليمان بن يزيد

فلما

وهم جاهلون بما عندك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذي تلي كلامهم ولا تجعل سرك مع علانيتك فيخرج عملك واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك واذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعاينها واستوف عسكرك وأدل حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك واصدق اللقاء اذا لقيت ولا تجبن فيجبن من سواك (وقد أعرضنا) عن ذكر كثير من الاخبار في هذا الكتاب طلبا للاختصار والايجاز (منها) خبر لعيسى الكذاب المعروف بلهيعة وما كان من خبره باليمن وصنعاء وتغلبه ومقتله وما كان من فيروز وغيره من الانباء في أمرهم وخبر طليحة وتغلبه وخبر سجاح بنت الحرث بن سويد وقيل بنت غطفان وتكنى أم صادرة وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

(وفيها يقول الشاعر)

أضل الله سعي بني تميم
كما ضلت بخطبتها سجاح

فلما نظر اليه سليمان قال بعد الله اشهد انه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا والله لقد اراد نى فى نفسى الفاسق وكان سليمان ممن سعى فى أمره وكان مع الوليد مالك بن ابى السمح المغنى وعمرو الوادى المغنى أيضا فلما تفرق عن الوليد أصحابه وحصر قال مالك لعمرو اذهب بنا فقال عمرو ليس هذا من الوفاء نحن لا يعرض لنا الا ناس ممن يقاتل فقال مالك والله لئن ظفر وابك وبى لا يقتل احد قبلى وقبلك فيوضع رأسه بين رأسينا ويقال للناس انظروا من كان معه فى هذه الحال فلا يعيبونه بشئ اشد من هذا فهربا وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر وقيل سنة وشهرين واثنتين وعشرين يوما وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وقيل قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل احدى وأربعين سنة وقيل ست وأربعين سنة

﴿ ذكر نسب الوليد وبعض سيرته ﴾

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى يكنى ابا العباس وامه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفى وهى بنت اخى الحجاج ابن يوسف وام أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وامها ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر ابن كريز وام عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب فلذلك يقول الوليد

نبى الهدى خالى ومن يك خاله * نبى الهدى يفخر به من يفاخره

وكان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم واجوادهم واشدائهم منهمكا فى اللهو والشرب وسماع الغناء فظهر ذلك من أمره فقتل ومن جيد شعره ما قاله لما بلغه ان هشاما يريد خلعه

كفرت يدا من منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

وقد تقدمت الابيات الاربعة واشعاره حسنة فى الغزل والعتاب ووصف الخمر وغير ذلك وقد أخذ الشعراء معانيه فى وصف الخمر فسرقوها وأدخلوها فى أشعارهم وخاصة أبى نواس فانه أكثرهم أخذا لها قال الوليد المحبة للغناء تزيد فى الشهوة وتهدم المروءة وتنوب عن الخمر وتفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء رقية الزنا وانى لا قول ذلك على وانه احب الى من كل لذة وأشهى الى نفسى من الماء الى ذى الغلة ولكن الحق أحق ان يتبع قيل ان يزيد ابن منبه مولى تقيف مدح الوليد وهنأه بالخلافة فامر أن تعد الابيات ويعطى بكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين بيتا فاعطى خمسين ألف درهم وهو أول خليفة عد الشعر وأعطى بكل بيت ألف درهم ومما اشتهر عنه أنه فتح المصحف فخرج واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فألقاه ورماه بالسهام وقال

تهددنى بجبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى قتل ومن حسن الكلام ما قاله الوليد لما مات مسلمة بن عبد الملك فان هشاما قعد للعزاء فاتاه الوليد وهو نشوان يجر مطرف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عقبى من بقى لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى فأعرض هشام ولم يحر جوابا وسكت القوم فلم ينطقوا وقد نزه قوم الوليد عما قيل فيه وانكروه ونفوه عنه وقالوا انه قيل عنه والصق به وليس بصحيح قال المدائنى دخل ابن للعمر بن يزيد اخى الوليد على الرشيد فقال له عمن أنت فقال من قريش قال من ايها فأمسك فقال قل وأنت آمن ولو انك مروان فقال أنا ابن العمر

وقد كانت مع ادعائها النبوة مكذبة بنبوة مسيلمة الكذاب ثم آمنت بنبوته وكانت قبل ادعائها النبوة متكهنة تزعم ان سبيلها سبيل سطيح والمأمون الحارثى وعمرو بن يحيى وغيرهم من الكهان وصارت الى مسيلمة فتكهنها وما كان من خبر مسيلمة كذاب اليمامة وحربه لخالد بن الوليد وقتل وحشى له مع رجل من الانصار وذلك فى سنة احدى عشرة وما كان من أمره مع الانصار فى يوم سقيفة بنى ساعدة والمهاجرين وقول المنذر بن الحباب أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة وقصة سعد بن عبادة وما كان من بشر بن سعد وتخلى الاوس عن معاضدة سعد خوفا ان يفور بها الخزرج وأخبار من قعد عن البيعة ومن بايع وما قالت بنو هاشم وما كان من قصة فدك وما قاله أصحاب النص والاخبار فى الامامة وما قالوه فى امامة المفضول وغيره وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت الى قبر أبيها عليه السلام من قبر صفية بنت عبد المطلب

ابن يزيد فقال رحم الله عمك الوليد ولعن يزيد الناقص فانه قتل خليفة مجمعا عليه ارفع حوائجك فرفعها فقضاها وقال شبيب بن شبة كنا جلوسا عند المهدى فذكروا الوليد فقال المهدى كان زنديقا فقام أبو علاثة الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من ان يولى خلافة النبوة وأمر الامة زنديقا لقد أخبرنى من كان يشهد فى ملاعبه وشربه عنه بمروأة فى طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه المطائب المصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلى فيها فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه فهذا فعال من لا يؤمن بالله فقال المهدى بارك الله عليك يا أبا علاثة

﴿ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص﴾

فى هذه السنة بويع يزيد بن الوليد الذى يقال له الناقص وانما سمى الناقص لانه نقص الزيادة التى كان الوليد زادها فى عطيات الناس وهى عشرة عشرة وردّ العطاء الى ما كان أيام هشام وقيل أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ولما قتل الوليد خطب يزيد الناس فذمه وذكر الحاده وانه قتله لفعله الخبيث وقال ايها الناس ان لكم على ان لا اضع حجرا على حجر ولا لبنة ولا أكتري نهرا ولا أكثر مالا ولا اعطيه زوجة وولدا ولا أنقل مالا عن بلد حتى اسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فافضل نقلته الى البلد الذى يليه ولا أجركم فى ثغوركم فافتنكم ولا أغلق بابى دونكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ولكم اعطياتكم كل سنة وارزاقكم فى كل شهر حتى يكون أقصاكم كادناكم فان وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة وان لم أف فلكم ان تخلعونى الا ان اتوب وان علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم وأردتم أن تبايعوه فانا أول من يبايعه أيها الناس لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

﴿ذكر اضطراب أمر بنى أمية﴾

فى هذه السنة اضطرب امر بنى أمية وهاجت الفتنة فكان من ذلك وثوب سليمان بن هشام ابن عبد الملك بعد قتل الوليد بعمان وكان قد حبسه الوليد بها فخرج من الحبس وأخذ ما كان بها من الاموال واقبل الى دمشق وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر

﴿ذكر خلاف أهل حمص﴾

لما قتل الوليد اغلق أهل حمص ابوابها وأقاموا النوائح والبواكى عليه وقيل لهم ان العباس ابن الوليد بن عبد الملك اعان عبد العزيز على قتله فهدموا داره ونهبوها وسلبوا حرمه وطلبوه فسار الى أخيه يزيد فكاتبوا الاجناد ودعوهم الى الطلب بدم الوليد فأجابوهم واتفقوا أن لا يطيعوا يزيد وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ووافقهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك على ذلك فراسلهم يزيد فلم يسمعوا وجرحوا رسله فسير اليهم أخاه مسرورا فى جمع كثير فنزلوا حوارين ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فردّ عليه يزيد ما كان الوليد أخذه من أموالهم وسيره الى أخيه مسرور ومن معه وأمرهم بالسمع والطاعة له وكان أهل حمص يريدون المسير الى دمشق فقال لهم مروان بن عبد الملك أرى ان تسيروا الى هذا الجيش فتقاتلوهم فان ظفرتم بهم كان ما بعدهم اهون عليكم ولست أرى المسير الى دمشق وترك هؤلاء خلفكم فقال السمط بن ثابت انما يريد خلافكم وهو مائل ليزيد والقدرية فقتلوه وقتلوا ابنه وولوا أبا محمد السفيانى وتركوا عسكر سليمان ذات اليسار وساروا الى دمشق فخرج سليمان مجدا فلحقهم بالسليمانية من رعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء وأرسل يزيد بن الوليد عبد العزيز بن الحجاج فى ثلاثة آلاف

الى

قد كان عندك انباء وهينمة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

الى آخر الشعر الى غير ذلك مما تركنا ذكره من الاخبار فى هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وأغنى ذلك عن ذكره ههنا والله أعلم

﴿ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أن دخلت سنة ثلاث وعشرين خرج حاجا فأقام الحج فى تلك السنة ثم أقبل حتى دخل المدينة فقتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال وقتل فى صلاة الصبح وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان قبورهم مسطرة أبو بكر الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم وعمر الى جنب أبى بكر وج فى خلافته تسع حجج وبعد أن قتل

الى ثنية العقاب وأرسل هشام بن مصاد فى الف وخمسمائة الى عقبة السلامية وأمرهم ان يمد بعضهم بعضا ولحقهم سليمان ومن معه على تعب فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت ميمنة سليمان وميسرته وثبت هو فى القلب ثم حمل أصحابه على أهل حمص حتى ردّهم الى موضعهم وحمل بعضهم على بعض مرارا فبيناهم كذلك اذ اقبل عبد العزيز بن الحجاج من ثنية العقاب فحمل على أهل حمص حتى دخل عسكرهم وقتل فيه من عرض له فانهزموا ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى الله الله فى قومك فكف الناس ودعاهم سليمان بن هشام الى بيعة يزيد بن الوليد وأخذ أبو محمد السفيانى أسيرا ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية أيضا فأتى بهما سليمان فسيرهما الى يزيد فحبسهما واجتمع أمر أهل دمشق ليزيد بن الوليد وبايعه أهل حمص فاعطاهم يزيد العطاء وأجاز الاشراف واستعمل عليهم يزيد بن الوليد معاوية بن يزيد بن الحصين

﴿ذكر خلاف أهل فلسطين﴾

وفى هذه السنة وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه وكان قد استعمله عليهم الوليد وأحضر وا يزيد بن سليمان بن عبد الملك فجعلوه عليهم وقالوا له ان امير المؤمنين قد قتل فقتل أمر نافولهم ودعا الناس الى قتال يزيد فاجابوه وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين وبلغ أهل الاردن أمر أهل فلسطين فولوا عليهم محمد بن عبد الملك واجتمعوا معهم على قتال يزيد بن الوليد وكان أمر أهل فلسطين الى سعيد بن روح وضبعان بن روح وبلغ خبرهم يزيد بن الوليد فسير اليهم سليمان ابن هشام بن عبد الملك فى أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيانى وكانت عدتهم أربعة وثمانين ألفا وأرسل يزيد بن الوليد الى سعيد وضبعان بن روح فوعدهما وبذل لهما الولاية والمال فرحلا فى أهل فلسطين وبقى أهل الاردن فأرسل سليمان خمسة آلاف فنهبوا القرى وساروا الى طبرية فقال أهل طبرية ما نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم فى أهالينا فانتهبوا يزيد ابن سليمان ومحمد بن عبد الملك وأخذوا أدواتهما وسلاحهما ولحقوا بمنازلهم فلما تفرق أهل فلسطين والاردن سار سليمان حتى أتى الصبرة وأتاه أهل الاردن فبايعوا يزيد بن الوليد وسار الى طبرية فصلى بهم الجمعة وبايع من بها وسار الى الرملة فاخذ البيعة على من بها واستعمل ضبعان بن روح على فلسطين وابراهيم بن الوليد بن عبد الملك على الاردن

﴿ذكر عزل يوسف بن عمر عن العراق﴾

ولما قتل الوليد استعمل يزيد على العراق منصور بن جمهور وكان قد ندب قبله الى ولاية العراق عبد العزيز بن هرون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبى فقال لو كان معى جند لقبلت فتركه واستعمل منصورا ولم يكن منصور من أهل الدين وانما صار مع يزيد لرأيه فى الغيلانية وحمية لقتل يوسف خالدا القسرى فشهد لذلك قتل الوليد وقال له لما ولاه العراق اتق الله واعلم انى انما قتلت لوليد لفسقه ولما أظهر من الجور فلا تركب مثل ما قتلناه عليه ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد عمد الى من بحضرته من اليمانية فسجنهم ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضرية فيقول ما عندك ان اضطرب الحبل فيقول المضرى انا رجل من أهل الشام ابايع من بايعوا وافعل ما فعلوا فلم يرعندهم ما يحب فاطلق اليمانية واقبل منصور فلما كان بعين التمر كتب الى من بالحيرة من قواد اهل الشام يخبرهم بقتل الوليد وتأميره على العراق ويأمرهم بأخذ يوسف وعماله وبعث الكتب كلها الى سليمان بن سليم بن كيسان ليفرقها على القواد فحبس الكتب وحمل كتابه فاقرأه يوسف بن عمر فتحير فى أمره وقال لسليمان ما الرأى قال ليس لك امام تقاتل معه ولا يقاتل أهل

صلى بالناس عبد الرحمن ابن عوف وجعلها شورى الى ستة وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وصلى عليه صهيب الرومى وكانت الشورى بعد ثلاثة أيام

﴿ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره﴾

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رباح بن عبد الله ابن رداح بن عدى بن كعب وفى كعب يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت سوداء وانما سمى الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل وكنيته أبو حفص وهو أول من سمى بأمير المؤمنين سماه عدى بن حاتم وقيل غيره والله أعلم وكان أول من سلم عليه بها المغيرة بن شعبة وأول من دعاه بهذا الاسم على المنبر أبو موسى الاشعرى فلما قرئ ذلك على عمر قال انى لعبد الله وانى لأمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين وكان متواضعا خشن الملبس شديدا فى ذات الله وتبعه عماله فى سائر أفعاله وشيمه

الشام معك ولا آمن عليك منصورا وما الرأى الا ان تلحق بشامك قال فكيف الحيلة قال تظهر الطاعة ليزيد وتدعوله فى خطبتك فاذا قرب منصور تستخفى عندى وتدعه والعمل ثم مضى سليمان الى عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص فاخبره بأمره وسأله ان يوارى يوسف بن عمر عنده ففعل فانتقل يوسف اليه قال فلم ير رجل كان مثل همته خاف خوفه وقدم منصور الكوفة فخطبهم وذم الوليد ويوسف وقامت الخطباء فذموهما معه فاتى عمرو بن محمد الى يوسف فاخبره فجعل لا يذكر رجلا ممن ذكره بسوء الا قال لله على ان أضربه كذا وكذا سوطا فجعل عمرو يتعجب من طمعه فى الولاية وتهدده الناس وسار يوسف من الكوفة سرا الى الشام فنزل البلقاء فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه اليه خمسين فارسا فعرض رجل من بنى غير ليوسف فقال يا ابن عمر أتت والله مقتول فأطعنى واستمنع قال لا قال فدعنى أقتلك أنا ولا تقتلك هذه اليمانية فتغيظنا بقتلك قال مالى فيما عرضت جنان قال فانت أعلم فطلبه المسيرون لاخذه فلم يروه فهددوا ابناله فقال انه انطلق الى مزرعة له فساروا فى طلبه فلما حس بهم هرب وترك نعليه ففتشوا عليه فوجدوه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز وجلسن على حواشيها حاسرات فجروا برجله وأخذوه وأقبلوا به الى يزيد فوثب عليه بعض الحرس وأخذ بلحيته ونتف بعضها وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة فلما أدخل على يزيد قبض على لحية نفسه وهى الى سرته فجعل يقول يا أمير المؤمنين نتفت والله لحيتى فما أبقى فيها شعرة فأمر به فحبس بالخضراء فاتاه انسان فقال له أما تخاف ان يطلع عليك بعض من قدوترت فيلقى عليك حجرا فيقتلك فقال ما فطنت لهذا فارسل الى يزيد يطلب منه ان يحول الى حبس غير الخضراء وان كان أضيق منه فعجب من حمقه فنقله وحبسه مع ابنى الوليد فبقى فى الحبس ولاية يزيد وشهرين وعشرة أيام من ولاية ابراهيم فلما قرب مروان من دمشق ولى قتلهم يزيد بن خالد القسرى مولى لابيه خالد يقال له أبو الاسد ودخل منصور بن جمهور لايام خلت من رجب فاخذ بيوت الاموال واخرج العطاء والارزاق واطلق من كان فى السجون من العمال وأهل الخراج وبايع ليزيد بالعراق وأقام بقية رجب وشعبان ورمضان وانصرف لايام بقين منه

﴿ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور﴾

وفى هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور بن جمهور وكان يزيد ولاها منصورا مع العراق وقد ذكرنا فيما تقدم ما كان من كتاب يوسف بن عمر الى نصر بالمسير اليه ومسير نصر وتباطئه وما معه من الهدايا فاتاه قتل الوليد فرجع نصر ورد تلك الهدايا واعتق الرقيق وقسم حسان الجوارى فى ولده وخاصته وقسم تلك الآنية فى عوام الناس ووجه العمال وأمرهم بحسن السيرة واستعمل منصورا خاه منصورا على الرى وخراسان فلم يمكنه نصر من ذلك وحفظ نفسه والبلاد منه ومن أخيه

﴿ذكر الحرب بين أهل اليمامة وعاملهم﴾

لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة على بن المهاجر استعمله عليها يوسف بن عمر فقال له المهير ابن سلمى بن هلال أحد بنى الدول بن حنيفة اترك لنا بلادنا فابى فجمع له المهير وسار اليه وهو فى قصره بقاع هجر فانتقوا بالقاع فانهزم على حتى دخل قصره ثم هرب الى المدينة وقتل المهير ناسا من أصحابه وكان يحيى بن أبى حفص نهى ابن المهاجر عن القتال فعصاه فقال

بذلت نصيحتى لبنى كلاب * فلم تقبل مشاورتى ونصحى

وأخلاقه كل تشبه به ممن غاب أو حضر وكان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالاديم ويشتمل بالعباءة ويحمل القربة: لى كتفه مع هيبة قد رزقها وكان أكثر ركابه الابل ورحله مشدودة بالليف وكذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد وأوسعهم من الاموال (وكان من عماله) سعد بن عامر بن خريم فشكاه أهل حمص اليه وسألوه عزله فقال عمر اللهم لا تقل فراستى فيهم ماذا تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار ولا يجيب أحدا بليل وله يوم فى الشهر لا يخرج الينا فقال عمر على به فلما جمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار فقال ما تقول يا سعد قال يا أمير المؤمنين انه ليس لاهلى خادم فاعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم قال وماذا تنقمون منه قالوا لا يجيب بليل قال قد كنت أكره أن أذكر هذا انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم قال وماذا تنقمون منه قالوا له يوم فى الشهر لا يخرج

فدا لبنى حنيفة من سواهم * فانهم فوارس كل فتح

وقال شقيق بن عمرو السدوسى

اذا أنت سالمت المهير ورهطه * أمنت من الاعداء والحوف والذعر
فتى راح يوم القاع روحة ماجد * أراد بها حسن السماع مع الاجر

وهذا يوم القاع وتأمر المهير على اليمامة ثم انه مات واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بنى قيس بن ثعلبة بن الدؤل فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن ادريس الحنفى على الفلج وهى قرية من قرى بنى عامر بن صعصعة وقيل هى لبنى تميم فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل وأبو الفلج المندلث وقاتلهم فقتل المندلث وأكثر أصحابه ولا يقتل من اصحاب بنى عامر كثير وقتل يومئذ يزيد بن الطثرية وهى أمه نسبت الى طثر عمر بن وائل وهو يزيد بن المنتشر فرثاه أخوه ثور بن الطثرية

أرى الائل من نحو العقيق مجاورى * مقيما وقد غالت يزيد غوائله
وقد كان يحمى الحجرين بسيفه * ويبلغ أقصى بحرة الحى نائله

وهو يوم الفلج الاول فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفاس حنيفة وغيرها وغزا الفلج فلما تصاف الناس انهزم ابو لطيفة بن مسلم العقيلى فقال الراجز

فر أبو لطيفة المنافق * والجفونيان وفر طارق * لما أحاطت بهم البوارق

طارق بن عبد الله القشيرى والجفونيان من بنى قشير وتخلات بنو جعدة البراذع وولوا فقتل أكثرهم وقطعت يد زياد بن حيان الجعدى فقال

أنشد كفا ذهبت وساعدا * أنشدها ولا أرانى واجدا

ثم قتل وقال بعض الربعيين

سمونا لكعب بالصفائح والقنا * وبالخيل شعثا تنحنى فى الشكائم
فما غاب قرن الشمس حتى رأيتنا * نسوق بنى كعب كسوق البهائم
بضرب يزيل الهام عن سكناته * وطعن كافواه المزاد الثواجم

وهذا اليوم هو يوم الفلج الثانى ثم ان بنى عقيل وقشيرا وجعدة وغيرا تجمعوا وعليهم أبو مهلة النميرى فقتلوا من لقوا من بنى حنيفة بعمدان الصخراء وسلبوا نساءهم وكفت بنو غير عن النساء ثم ان عمر بن الوازع الحنفى لما رأى ما فعل عبد الله بن النعمان يوم الفلج الثانى قال لست بدون عبد الله وغيره ممن يغير وهذه فتره يؤمن فيها عقوبة السلطان فجمع خيله وأتى الشريف وبث خيله فاغارت وأغار هو فلئمت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه حتى أتى النشاش وأقبلت بنو عامر وقد حشدت فلم يشعر عمر بن الوازع الا برعاء الابل فجمع النساء فى فسطاط وجعل عليهن حرسا ولقى القوم فقاتلهم فانهزم هو ومن معه وهرب عمر بن الوازع فلحق باليمامة وتساقط من بنى حنيفة خلق كثير فى القلب من العطش وشدة الحر ورجعت بنو عامر بالاسرى والنساء وقال القحيف

وبالنشاش يوم طار فيه * لنا ذكر وعدنا فمال

وقال أيضا

فداء خالتى لبنى عقيل * وكعب حين تزدحم الجدود
هم تركوا على النشاش صرعى * بضرب ثم أهونه شديد

وكفت قيس يوم النشاش عن السلب فجاءت عكل فسلبتهم وهذا يوم النشاش ولم يكن لحنيفة

الينا قال نعم ليس لى خادم فأغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى فقال عمر الحمد لله الذى لم يقل فراستى فيكم يا أهل حمص فاستوصوا بواليكم خيرا قال ثم بعث اليه عمر بألف دينار وقال استعن بها فقالت له امرأته قد أغنانا الله عن خدمتك فقال لها ألا ندفعها الى من يأتينا وأحوج ما كنا اليه فالت بلى فصرها صررا ثم دفعها الى من يثق به وقال انطلق بهذه الى فلان وبهذه الى يتيم بنى فلان ومسكين آل فلان حتى بقى منها شئ يسير فدفعه الى امرأته وقال أنفقى هذه ثم عاد الى خدمته فقالت له امرأته ألا تبعث بذلك المال فتشترى لنا منه خادما فقال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه (ومن عماله على المدائن) سلمان الفارسى وكان يلبس الصوف ويركب الحمار ببرذعته بغيرا كاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكا زاهدا فلما احتضر بالمدائن قال له سعد بن أبى وقاص يا أبا عبد الله قال نعم قال اذكر الله عند همك اذا هممت وعند لسانك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت فجعل سلمان يبكى فقال له يا أبا عبد الله ما

بعده جمع غير أن عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعا وأغار على ماء لقشير يقال له حلبان فقال الشاعر

لقد لاقت قشير يوم لاقت * عبيد الله احدى المنكرات

لقد لاقت على حلبان ليثا * هزبر الاينام عن الترات

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين ألفا ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري واليا على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن عمر بن هبيرة حين ولي العراق لمروان الحمار فوردها وهم سلم فلم يكن حرب وشهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى لانه قيسي أيضا فضرب عدة من بني حنيفة وحلقهم فقال بعضهم

فان تضربونا بالسياط فاننا * ضربناكم بالمرهفات الصوارم

وان تحلقوا منا الرؤس فاننا * قطعنا رؤسا منكم بالغلاصم

ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي مستخفيا حتى قدم السري بن عبد الله الهاشمي واليا على اليمامة لبني العباس فدل عليه فقتله فقال نوح بن جرير الخطفي

فلولا السري الهاشمي وسيفه * أعاد عبيد الله شرا على عكل

﴿ذكر عزل منصور عن العراق وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز﴾

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد بن عبد الملك منصور بن جمهور عن العراق واستعمل عليه بعده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال له لما ولاه سر الى العراق فان أهله يميلون الى أبيك فقدم الى العراق وقدم بين يديه رسلا لي من بالعراق من قواد الشام وخاف ان لا يسلم اليه منصور العمل فانقاد له أهل الشام وسلم اليه منصور العمل وانصرف الى الشام ففرق عبد الله العمال وأعطى الناس أرزاقهم واعطياتهم فنازعه قواد أهل الشام وقالوا تقسم على هؤلاء فيانا وهم عدو نا فقال لاهل العراق اني أريد ان أردد يا كم عليكم وعلمت انكم أحق به فنازعني هؤلاء فاجتمع أهل الكوفة بالجبانة فارسل اليهم أهل الشام يعتذرون وثار غوغاء الناس من الفريقين فاصيب منهم رهط لم يعرفوا واستعمل عبد الله بن عمر على شرطته عمر بن الغضبان القبعثري وعلى خراج السواد والمحاسبات أيضا

﴿ذكر الاختلاف بين أهل خراسان﴾

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بخراسان بين النزارية واليمانية وأظهر الكرماني الخلاف لنصر بن سيار وكان السبب في ذلك ان نصرا رأى الفتنة قد ثارت فرفع حاصل بيت المال وأعطى الناس بعض اعطياتهم ورقا وذهبا من الآنية التي كان اتخذها الوليد فطلب الناس منه العطاء وهو يخطب فقال نصر ايا كم والمعصية وعليكم بالطاعة والجماعة فوثب أهل السوق الى أسواقهم فغضب نصر وقال مالكم عندي عطاء ثم قال كاني بكم وقد نبع من تحت أرجلكم شر لا يطاق وكاني بكم مطرحين في الاسواق كالجزر المنحورة انه لم تطل ولاية رجل الا ملوها وأنتم يا أهل خراسان مسلحة في نحور العدو فايا كم ان يختلف فيكم سيفان اذكم ترشون أمرا تريدون به الفتنة ولا أبقى الله عليكم لقد نشرتكم وطويتكم فاعندي منكم عشرة واني واياكم كما قيل

استمسكوا اصحابنا بحذركم * فقد عرفنا خيركم وشركم

فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين أحدكم انه يخلع من ماله وولده يا أهل خراسان انكم قد غممتم الجماعة وركنتم الى الفرقة ثم تمثل بقول النابغة الذبياني

فان يغلب شقاؤكم عليكم * فاني في صلاتكم سعيت

يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا المخفون وأرى هذه الاساودة حولي فنظروا فلم يجدوا في البيت الا دواة وركوة ومطهرة (وكان عامله) على الشأم أبا عبيدة بن الجراح وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافي فعذل على ذلك وقيل له انك بالشأم وأمير المؤمنين وحولنا الاعداء ففيم من زيك وأصلح من شارتك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وذكر الواقدي) في كتابه في فتوح الامصار أن عمر قام في المسجد فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجهاد وحثهم عليه وقال انكم قد أصبحتم في غير دار مقام بالحجاز وقد وعدكم النبي صلى الله عليه وسلم فتح بلاد كسرى وقيصر فسيروا الى أرض فارس فقام أبو عبيدة فقال يا أمير المؤمنين أنا أول من انتدب من الناس فلما انتدب أبو عبيدة انتدب الناس وقيل لعمر أمر على الناس رجلا من المهاجرين أو الانصار فقال لا أؤمر عليهم الا أول من انتدب فأمر أبا عبيدة وفي حديث

وقدم على نصر عهده على خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فقال الكرماني لاصحابه الناس في فتنة فانظروا الامور كم رجلا واغاسمي الكرماني لانه ولد بكرمان واسمه جديع بن علي الازدي المعني فقالوا له أنت لنا وقالت المضرية لنصر ان الكرماني يفسد عليك الامور فارسل اليه فاقتله أو احبسه فقال لا ولكن لي اولاد ذكور واناث فازوج بنيّ من بناته وبناتي من بنيه قالوا لا قال فابعث اليه بمائة ألف درهم وهو بخيل ولا يعطي أصحابه شيأ منها فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة له ولم يزالوا به حتى قالوا له ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملك الا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهوّد وكان نصر والكرماني متصافيين وكان الكرماني قد أحسن الى نصر في ولاية أسد ابن عبد الله فلما ولي نصر عزل الكرماني عن الرياسة وولاها غيره فتباعد ما بينهما فلما أكثروا على نصر في أمر الكرماني عزم على حبسه فارسل صاحب حرسه ليأتيه به فارادت الازد ان تخلصه من يده فمنعهم من ذلك وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يضحك فلما دخل عليه قال له نصر يا كرماني ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك قال بلى قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس قال بلى قال ألم ارتش ابنك علينا على كره من قومك قال بلى قال فبذلت ذلك اجماعا على الفتنة قال الكرماني لم يقل الامير شيأ الا وقد كان أكثر منه وأنا لذلك شاكر وقد كان مني أيام أسد ما قد علمت فليتأن الامير فلست أحب الفتنة فقال سالم بن أحوز اضرب عنقه أيها الامير فقال عصمة بن عبد الله الاسدي للكرماني انك تريد الفتنة ومالا تناله فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم العامري لجلساء فرعون خير منكم اذ قالوا ارجه وأخاه والله لا يقتل الكرماني بقولكما فامر بضربه وحبس في القهندز ثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة فتكلمت الازد فقال نصر اني حلفت أن أحبسه ولا يناله مني سوء فان خشيتم عليه فاختاروا رجلا يكون معه فاختاروا يزيد النحوي فكان معه فجاء رجل من أهل نسف فقال لا آل الكرماني ما تجعلون لي ان اخرجته قالوا كل ما سألت فاتى مجرى الماء في القهندز فوسعه وقال لولد الكرماني اكتبوا الى أبيكم يستعد الليلة للخروج فكتبوا اليه وادخلوا الكتاب في الطعام فتعشى الكرماني ويزيد النحوي وخضر بن حكيم وخرجا من عنده ودخل الكرماني السرب فانطوت على بطنه حية فلم تضره وخرج من السرب وركب فرسه البشير والقيد في رجله فانوا به عبد الملك بن حرملة فاطلق عنه وقيل بل خلص الكرماني مولى له رأى خرقا في القهندز فوسعه وأخرجه فلم يصل الصبح حتى اجتمع معه زهاء ألف ولم يرتفع النهار حتى بلغوا ثلاثة آلاف وكانت الازد قد بايعوا عبد الملك بن حرملة على كتاب الله وسنة رسوله فلما خرج الكرماني قدمه عبد الملك فلما هرب الكرماني عسكر نصر بباب مرو الروذ وخطب الناس فقال من الكرماني فقال ولد بكرمان فكان كرمانيا ثم سقط الى هراة فصار هرويا والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع ثابت ثم ذكر الازد فقال ان يستوسقوا فهم أذل قوم وان تابوا فهم كما قال الاخطل

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

ثم ندم على ما فرط منه فقال اذكروا الله فانه خير لا شر فيه ثم اجتمع الى نصر بشر كثير فوجه سالم ابن أحوز في المخففة الى الكرماني فسفر الناس بين نصر والكرماني وسألوا نصرا ان يؤمنه ولا يحبسه وجاء الكرماني فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته ثم بلغ الكرماني عن نصر شيء فخرج الى قرية له فخرج نصر فعسكر بباب مرو فكاموه فيه فامنه وكان رأي نصر اخراجه من

آخر انه قيل له أتؤمر رجلا من ثقيف على المهاجرين والانصار فقال كان اول من انتدب فوليته وقد أمرته أن لا يقطع أمرا دون سلمة بن أسلم بن حويس وسليط بن قيس وأعلمته أنهما من أهل بدر وخرج فلقي جمعا من الجهم عليهم رجل يقال له جالينوس فانهزم وسار أبو عبيدة حتى عبر الفرات وعقد له بعض الدهاقين جسرا فلما خلف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر فقال له سلمة ابن أسلم ايها الرجل انه ليس لك علم بعاري وأنت تخالفنا وسوف تهلك من معك من المسلمين بسوء سياستك تأمر بجسر قد عقد أن يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه العصاري والبراري فلا تريد الا أن تهلكهم في هذه القطعة فقال أيها الرجل تقدم فقاتل فقد جم ماتري وقال سليط ان العرب لم تلق مثل جمع فارس قط ولا كان لهم بقتالهم فاجعل لهم ملجأ ومرجعا من هزيمة ان كانت فقال والله لا فعلت جبنت والله ياسليط فقال سليط والله ما جبنت وأنا أجرأ منك نفسا وقبيلا ولكن أشرت بالرأي فلما

خراسان فقال له سالم بن احوز ان أخرجته ووهنت بأسه قال الناس انما أخرجه لانه هابه فقال نصر ان الذى اتخوفه منه اذا خرج ايسر مما أتخوفه منه وهو مقيم والرجل اذا نفى عن بلده صغر أمره فأبوا عليه فامنه وأعطى أصحابه عشرة عشرة وأتى الكرمانى نصرا فامنه فلما عزل ابن جهور عن العراق وولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فى شوال سنة ست وعشرين خطب نصر وذكر ابن جهور وقال قد علمت انه لم يكن من عمال العراق وقد عزله الله واستعمل الطيب ابن الطيب فغضب الكرمانى لابن جهور وعاد فى جمع الرجال واتخاذ السلاح فكان يحضر الجمعة فى ألف وخمسمائة وأكثر وأقل فيصلى خارج المقصورة ثم يدخل فيسلم على نصر ولا يجلس ثم ترك اتيان نصر وأظهر الخلاف فارسل اليه نصر مع سالم بن أحوز يقول له انى والله ما أردت بحبسك سوأ ولكن خفت فسادا من الناس فأتنى فقال لولا انك فى منزلى لقتلتك ارجع الى ابن الافطع وأبلغه ماشئت من خير أو شر فرجع الى نصر فاخبره فلم يزل يرسل اليه مرة بعد أخرى فكان آخر ماقال له الكرمانى انى لا آمن ان يحملك قوم على غير ما تريد فتركب منا ما لا بقية بعده فان شئت خرجت عنك لامن هيبة لك ولكن أكره ان أشأم أهل هذه البلدة واسفك الدماء فيها فتهيأ للخروج الى جرجان (المعنى بفتح الميم وسكون العين المهملة وبعدها نون نسبة الى قبيلة من الازد)

﴿ذكر خبر الحرث بن سريج وأمانه﴾

وفى هذه السنة أومن الحرث بن سريج وهو ببلاد الترك وكان مقامه عندهم اثنتى عشرة سنة وأمر بالعود الى خراسان وكان السبب فى ذلك ان الفتنة لما وقعت بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر قوة الحرث عليه فى أصحابه والترك فيكون اشد عليه من الكرمانى وغيره وطمع ان يناصحه فارسل مقاتل بن حيان النبطى وغيره ليردوه من بلاد الترك وسار خالد بن زياد الترمذى وخالد بن عمرو مولى بنى عامر الى يزيد بن الوليد فأخذ للحرث منه أمانا فكتب له أمانه وأمر نصر أن يرد عليه ما أخذ له وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة بذلك أيضا فاخذ الامان وسارا الى الكوفة ثم الى خراسان فارسل نصر اليه فلقيه الرسول وقد رجع مع مقاتل بن حيان وأصحابه فوصل الى نصر وقام بمرو الروذ وورد نصر عليه ما أخذ له وكان عوده سنة سبع وعشرين ومائة

﴿ذكر شيعة بنى العباس﴾

فى هذه السنة وجه ابراهيم بن محمد الامام أبا هاشم بكير بن ماهان الى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى اليهم محمد بن على ودعاهم الى ابنه ابراهيم ودفع اليهم كتابه فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على ابراهيم

﴿ذكر بيعة ابراهيم بن الوليد بالعهد﴾

وفى هذه السنة أمر يزيد بن الوليد بالبيعة لاخيه ابراهيم ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وكان السبب فى ذلك ان يزيد مرض سنة ست وعشرين ومائة فقيل له ليبايع لهما ولم تزل القدرية بيزيد حتى أمر بالبيعة لهما

﴿ذكر مخالفة مروان بن محمد﴾

وفى هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف ليزيد بن الوليد وكان السبب فى ذلك ان الوليد لما قتل كان عبد الملك بن مروان بن محمد مع العمر بن يزيد أخى الوليد بحران بعد انصرافه من الصائفة وكان على الجزيرة عبدة بن الرياح الغسانى عاملا للوليد فلما قتل الوليد سار عبدة عنها

الى

قطع أبو عبيدة الجسر والتحم الناس واشتد القتال نظرت العرب الى الفيلة عليها التجافيف فرأوا شيأ لم يروا مثله قط فانهزم الناس جميعا ثم مات بالفرات أكثر ممن قتل بالسيف وخالف أبو عبيدة سليطا وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه وكان رأى سليط أن لا يغير حتى يغيروا عليه ولا يقطع الجسر فخالفه وقال سليط فى بعض قوله لولا أنى أكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكنى أسمع وأطيع وان كنت قد أخطأت وأشركنى عمر معك فقال له أبو عبيدة تقدم أيها الرجل فقال أفعل فتقدما فقتلا جميعا وقد كان أبو عبيدة فى هذا اليوم ترجل وقد قتل من الفرس نحو ستة آلاف فدنا من الفيل ورمحه فى يده فطعنه فى عينه فقتل الفيل أبا عبيدة بيده وجال الناس وتراجعت رجال فارس فأخذ الناس السيف لما قتل أبو عبيدة وبادر رجل من بكر بن وائل والمثنى بن حارثة فحمى الناس حتى عقدوا الجسر فعبروا ومعهم المثنى بن حارثة وقد فقد من الناس أربعة آلاف غرقا وقتلا وكان على جيش

الى الشام فوثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران والجزيرة فضبطهما وكتب الى أبيه بارمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير فتهيأ مروان للسير وأنفذ الى الثغور من يضبطها ويحفظها وأظهر انه يطلب بدم الوليد وسار ومعه الجنود ومعه ثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين وسبب صحبته له ان هشاما كان قد حبسه وسبب حبسه ان هشاما أرسله الى افريقية لما قتلوا عامله كلثوم بن عياض فأفسد الجند فحبسه هشام وقدم مروان على هشام في بعض وفداته فشفع فيه فاطلقه فاستصحبه معه فلما سار مروان مسيره هذا أمر ثابت بن نعيم من منع مروان من أهل الشام بالانضمام اليه ومفارقة مروان ليعودوا الى الشام فاجابوه الى ذلك فاجتمع معه ضعف من مع مروان وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا اصطفوا للقتال فامر مروان منادين ينادون بين الصفين يا أهل الشام مادعاكم الى هذا ألم أحسن فيكم السيرة فاجابوه بانا كنا نطيعك بطاعة الخليفة وقد قتل وبايع أهل الشام يزيد فرضينا بولاية ثابت ليسير بنا الى اجنادنا فنادوهم كذبتم فانكم لا تريدون ما قلتم وانما تريدون ان تغصبوا من مررتم به من أهل الذمة أموالهم وما بيني وبينكم الا السيف حتى تنقادوا الي فاسير بكم الى الغزاة ثم أتركم تلحقون باجنادكم فانقادوا له فاخذ ثابت بن نعيم وأولاده وحبسهم وضبط الجند حتى بلغ حران وسيرهم الى الشام ودعا أهل الجزيرة الى العرض فعرض نيفا وعشرين ألفا وتجهز للمسير الى يزيد وكاتبه يزيد ليبايع له ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان وأعطاه يزيد ولاية ما ذكر له

﴿ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك﴾

وفي هذه السنة توفي يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة وكانت خلافته ستة أشهر وليلتين وقيل كانت ستة أشهر واثني عشر يوما وقيل خمسة أشهر واثني عشر يوما وكان موته بدمشق وكان عمره ستا وأربعين سنة وقيل سبعا وثلاثين سنة وكانت أمه أم ولد اسمها شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى وهو القائل

أنا ابن كسرى وأبي مروان * وقيصر جدي وجدي خاقان

انما جعل قيصر وخاقان جديه لان أم فيروز بن يزدجرد ابنة كسرى شيرويه بن كسرى وأمها ابنة قيصر وأم شيرويه ابنة خاقان ملك الترك وكان آخر ما تكلم به واحسرتاه وا اسفاه ونقش خاتمه العظمة لله وهو أول من خرج بالسلاح يوم العيد خرج بين صفين عليهم السلاح قيل انه كان قديرا وكان أسمر طويلا صغير الرأس جميلا

﴿ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك﴾

فلما مات يزيد بن الوليد قام بالامر بعده أخوه ابراهيم غير انه لم يتم له الامر فكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما فمكث أربعة أشهر وقيل سبعين يوما ثم سار اليه مروان بن محمد فخلعه على ما ذكره ثم لم يزل حيا حتى أصيب سنة اثنتين وكنيته أبو اسحق وأمه أم ولد

﴿ذكر استيلاء عبد الرحمن بن حبيب على افريقية﴾

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع قد انهزم لما قتل أبوه وكلثوم بن عياض سنة اثنتين وعشرين ومائة وسار الى الاندلس وقد ذكرناه وأراد أن يتغلب عليها فلم يمكنه ذلك فلما ولي حنظلة بن صفوان افريقية على ما ذكرناه وجه أبا الخطار الى الاندلس أميرا فايس

فارس في هذا اليوم حاديه ومعه راية فارس التي كانت لافريدون حتى ثار الناس من الوهاد وهي المعروفة بدرفس كاسان وكانت من جلود النمور طولها اثنا عشر ذراعا في عرض ثمانية أذرع على خشب طوال موصل وكانت فارس تتيمن بها وتظهرها في الامر الشديد وقد قدمنا الخبر عن هذه الراية في أخبار الفرس الاول فيما سلف من هذا الكتاب ولما قتل أبو عبيدة الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين فخطب عمر الناس وحثهم على الجهاد وأمرهم بالتأهب لارض العراق وعسكر عمر وهو يريد الشخوص وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف ودعا الناس فاستشارهم فأشاروا عليه بالمسير ثم قال لعلي ما ترى يا أبا الحسن أسيرام أبعث قال سر بنفسك فانه أهيب للعدو وأرهب له فخرج من عنده فدعا العباس ثم جل مشيخة قريش وشاورهم فقالوا أقم وابعث غيرك ليكون

حينئذ عبد الرحمن مما كان يرجوه فعاد الى افريقية وهو خائف من أبي الخطار وخرج بتونس من افريقية في جمادى الاولى سنة ست وعشرين وقد ولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة بالشام فدعا الناس الى نفسه فاجابوه فسار بهم الى القيروان فاراد من بها قتاله فمنعهم حنظلة وكان لا يرى القتال الا لكافر أو خارجي وأرسل اليه حنظلة رسالة مع جماعة من أعيان القيروان ورؤساء القبائل يدعوه الى مراجعة الطاعة فقبضهم وأخذهم معه الى القيروان وقال ان رمى أحد من أهل القيروان بحجر قتلت من عندي أجمعين فلم يقاتله أحد فخرج حنظلة الى الشام واستولى عبد الرحمن على القيروان سنة سبع وعشرين ومائة وسائر افريقية ولما خرج حنظلة الى الشام دعا على أهل افريقية وعبد الرحمن فاستجيب له فيهم فوقع الوباء والطاعون سبع سنين لم يفارقهم الا في أوقات متفرقة وثار بعبد الرحمن جماعة من العرب والبربر ثم قتل بعد ذلك فممن خرج عليه عروة بن الوليد الصدفي واستولى على تونس وقام أبو عطاف عمران بن عطاف الازدي فنزل بطيفاس وثارت البربر بالجبال وخرج عليه ثابت الصنهاجي بباجة فاخذها فاحضر عبد الرحمن أخاه الياس وجعل معه ستمائة فارس وقال له سر حتى تجتاز بعسكر أبي عطاف الازدي فاذا رآك عسكره فارقهم وسر عنهم كانك تريد تونس الى قتال عروة بن الوليد بها فاذا أتيت موضع كذا فقف فيه حتى يأتيك فلان بكتابي فافعل ما فيه فسار الياس ودعا عبد الرحمن انسانا وهو الرجل الذي قال لاخيه الياس عنه وأعطاه كتابا وقال له امض حتى تدخل عسكر أبي عطاف فاذا أشرف عليهم الياس ورأيتهم يدعون السلاح والخيل فاذا فارقهم الياس ووضعوا السلاح عنهم وأمنوا فسر اليه وأوصل كتابي اليه فمضى الرجل ودخل عسكر أبي عطاف وفارقهم الياس فتحركوا للركوب ثم فارقهم الياس نحو تونس فسكنوا وقالوا قد دخل بين فكي أسد نحن من ههنا وأهل تونس من هنالك وأمنوا وصمموا العزم على المسير خلفه فلما أمنوا سار ذلك الرجل الى الياس فأوصل اليه كتاب أخيه عبد الرحمن فاذا فيه ان القوم قد أمنوك فسر اليهم وهم في غفلتهم فعاد الياس اليهم وهم غارّون فلم يلحقوا يلبسون سلاحهم حتى دهمهم فقتلهم وقتل أبا عطاف أميرهم سنة ثلاثين ومائة وأرسل الى أخيه عبد الرحمن يبشره بذلك فكتب اليه عبد الرحمن يأمره بالمسير الى أهل تونس ويقول انهم اذا رأوك ظنوك أبا عطاف فامنوك فظفرت بهم فسار اليهم فكان كما قال عبد الرحمن ووصل اليها صاحبها عروة بن الوليد في الحمام فلم يلحق يلبس ثيابه حتى غشيه الياس فالتحف بمنشفة ينشف بها بدنه وركب فرسه عريانا وهرب فصاح به الياس يا فارس العرب فعاد اليه فضربه الياس واحتضنه عروة فسقطا الى الارض وكاد عروة يظهر على الياس فأتاه مولى لالياس فقتله واحتز رأسه وسيره الى عبد الرحمن وأقام الياس بتونس وخرج عليه رجلان بطرابلس اسمهما عبد الجبار والحرث وقتلا من أهل البلد جماعة كثيرة فسار اليهم عبد الرحمن سنة احدى وثلاثين ومائة وقاتلهما فقتلا وكانا يدينان بمذهب الاباضية من الخوارج وجند عبد الرحمن في قتال البربر وعمر عبد الرحمن سور طرابلس سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم انه عاد الى القيروان وغزا تلمسان وبها جمع كثير من البربر فظفر بهم وذلك سنة خمس وثلاثين وسير جيشا الى صقلية فظفروا وغنموا غنيمة كثيرة وبعث جيشا آخر الى سردانية فغنموا وقتلوا في الروم ودوّخ المغرب جميعه ولم ينهزم له عسكر وقتل مروان بن محمد وزالت دولة بني أمية وعبد الرحمن بافريقية فخطب للخلفاء العباسيين وأطاع السفاح ثم قدم عليه جماعة من بني أمية فتزوج هو واخوته منهم وكان فيمن قدم عليه منهم العاص وعبد المؤمن ابنا

للمسلمين ان انهزموا فئة وخرجوا فدخل اليه عبد الرحمن بن عوف فاستشاره فقال عبد الرحمن فديت بأبي وأمي أقم وابعث فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك وانك ان تهزم أو تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدون أن لا اله الا الله أبدا قال أشر علي من أبعث قال قلت سعد بن أبي وقاص قال عمر أعلم أن سعدا رجل شجاع ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال عبد الرحمن هو على ما تصف من الشجاعة وقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا فاعهد اليه عهدا وشاورنا فيما أردت أن تحدث اليه فانه لن يخالف أمرك ثم خرج فدخل عثمان عليه فقال له يا أبا عبد الله أشر علي أسير أم أقيم فقال عثمان أقم يا أمير المؤمنين وابعث بالجيوش فانه لا آمن ان أتى عليك آت أن ترجع العرب عن الاسلام ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض وابعث رجلا له تجربة بالحرب ومضر بها فقال عمر ومن هو قال علي بن أبي طالب قال فالقه وكلمه وذاكره ذلك فهل تراه مسرعا اليه أولا

الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت ابنة عمهما تحت الياس اخي عبد الرحمن فبلغ عبد الرحمن عنهما السعي في الفساد عليه فقتلهما فقالت ابنة عمهما لزوجها الياس ان أخاك قد قتل اختانك ولم يراقبك فيهم وتهاون بك وانت سيفه الذي يضرب به وكلما فتحت له فتحا كتب الى الخلفاء ان ابني حبيبا فتحه وقد جعل له العهد بعده وعزلك عنه ولم تزل تغريه به فتحرك لقولها واعمل الحيلة على اخيه ثم ان السفاح توفي وولي الخلافة بعده المنصور فأقر عبد الرحمن على افريقية وارسل اليه خلعة سوداء اول خلافته فلبسها وهي اول سواد دخل افريقية فأرسل اليه عبد الرحمن هدية وكتب يقول ان افريقية اليوم اسلامية كلها وقد انقطع السبي منها والمال فلا تطلب مني مالا ففضب المنصور وأرسل اليه يهدده فخلع المنصور بافريقية ومزق خلعته وهو على المنبر وكان خلع المنصور مما أعان أخاه الياس عليه فاتفق جماعة من وجوه القيروان معه على ان يقتلوا عبد الرحمن ويولوه ويعيدوا الدعاء للمنصور فبلغ عبد الرحمن فأمر أخاه الياس بالمسير الى تونس فتجهز ودخل اليه يودعه ومعه أخوه عبد الوارث فلما دخلا على عبد الرحمن قتلاه وكان قتله في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين ومائة وكانت امارته على افريقية عشر سنين وسبعة أشهر ولما قتل ضبط الياس أبواب الدار ليأخذ ابنه حبيبا فلم يظفر به وهرب حبيب الى تونس واجتمع بعمه عمران بن حبيب وأخبره بقتل أبيه وسار الياس اليهما واقتتلوا قتالا يسيرا ثم اصطلحوا على ان يكون لحبيب قفصة وقسطيلة ونفزة ويكون لعمران تونس وصطفورة والجزيرة ويكون سائر افريقية لالياس وكان هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين ومائة فلما اصطلحوا سار حبيب بن عبد الرحمن الى عمله ومضى الياس مع أخيه عمران الى تونس فغدر بعمران أخيه وقتله وأخذ تونس وقتل بها جماعة من أشراف العرب وعاد الى القيروان فلما استقر بها بعث بطاعته الى المنصور مع وفد منهم عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم قاضي افريقية ثم سار حبيب الى تونس فملكها فسار اليه الياس واقتتلوا قتالا ضعيفا فلما جنهم الليل ترك حبيب خيامه وسار جريدة الى القيروان فدخلها وأخرج من في السجن وكثر جمعه ورجع الياس في طلبه ففارقه أكثر أصحابه وقصدوا حبيبا فعظم جيشه وخرج اليه فالتقيا فغدر أصحاب الياس وبرز حبيب بين الصفين فقال له لم نقتل صنائعنا وموالينا ولكن ابرز أنت الي فأينا قتل صاحبه استراح منه فتوقف الياس ثم برز اليه فاقتتلا قتالا شديدا فكمر فيه رمحها ثم سيفاهما ثم ان حبيبا عطف عليه فقتله ودخل القيروان وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين ومائة وهرب اخوة الياس الى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة فاعتصموا بهم فسار اليهم حبيب فقاتلهم فهزموه فسار الى قابس وقوي أمر ورفجومة حينئذ وأقبلت البربر اليهم والخوارج وكان مقدم ورفجومة رجلا اسمه عاصم بن جميل وكان قد ادعى النبوة والكهانة فبدل الدين وزاد في الصلاة وأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من الاذان فجهز عاصم من عنده من العرب على قصد القيروان وأتاه رسل جماعة من أهل القيروان يدعونه اليهم وأخذوا عليه العهود والمواثيق بالحماية والصيانة والدعاء للمنصور فسار اليهم عاصم في البربر والعرب فلما قاربوا القيروان خرج من بها لقتالهم فاقتتلوا وانهزم أهل القيروان ودخل عاصم ومن معه القيروان فاستحلت ورفجومة المحرمات وسبوا النساء والصبيان وربطوا دوابهم في الجامع وأفسدوا فيه ثم سار عاصم يطلب حبيبا وهو بقابس فأدركه واقتتلوا وانهزم حبيب الى جبل اوراس فاحتمى به وقام بنصره من به ولحق به عاصم فالتقوا واقتتلوا فانهزم عاصم وقتل هو وأكثر أصحابه وسار حبيب الى القيروان فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعد وقد قام بأمر ورفجومة بعد قتل عاصم فاقتتل هو وحبيب فانهزم

فخرج عثمان فالتقى عليا فذكره ذلك فأبى على ذلك وكرهه فعاد عثمان فأخبره فقال له عمر ومن ترى قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال ليس بصاحب ذلك قال عثمان وطلحة بن عبيد الله قال له عمر أين أنت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ولكني أخشى أن لا يكون له معرفة بتدبير الحرب قال ومن هو يا أمير المؤمنين قال سعد قال عثمان هو صاحب ذلك ولكنه رجل غائب في عمل قال عمر أرى أن أوجهه وأكتب اليه أن يسير من وجهه ذلك قال عثمان ومره فليشاور قوما من أهل التجربة والتبصر بالحرب ولا يقطع الامور حتى يشاورهم ففعل عمر ذلك وكتب الى سعد بالتوجه نحو العراق (وقد كان جرير) بن عبد الله البجلي قدم على عمر وقد اجتمعت اليه بجيلة فسرحهم نحو العراق وجعل لهم ربعا فأظهروا عليه من السواد وساهمهم مع المسلمين وخرج عمر فشيعهم ولحق جرير بناحية الايلة ثم صاعد الى ناحية المدائن ونمى قدوم جرير الى مرزبان المدائن وكان

حبيب وقتل هو وجماعة من أصحابه فى المحرم سنة أربعين ومائة وكانت امارة عبد الرحمن بن حبيب على افريقية عشر سنين وأشهرا وامارة أخيه الياس سنة وستة أشهر وامارة ابنه حبيب ثلاث سنين

﴿ذكر اخراج ورفجومة من القيروان﴾

ولما قتل حبيب بن عبد الرحمن عاد عبد الملك بن أبى الجعد الى القيروان وفعل ما كان يفعله عاصم من الفساد والظلم وقلة الدين وغير ذلك ففارق القيروان أهلها فاتفق ان رجلا من الاباضية دخل القيروان لحاجة له فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهروا الناس ينظرون فادخلوها الجامع فترك الاباضى حاجته وقصد أبا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى فاعلمه ذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول بيتك اللهم بيتك فاجتمع اليه أصحابه من كل مكان وقصدوا طرابلس الغرب واجتمع اليه الناس من الاباضية والخوارج وغيرهم وسيروا اليهم عبد الملك مقدم ورفجومة جيشا فهزموه وساروا الى القيروان فخرجت اليهم ورفجومة واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوهم فتبعهم ورفجومة فى الهزيمة وكثر القتل فيهم وقتل عبد الملك الورفجومى وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم وعاد الى طرابلس واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم الفارسى وكان قتل ورفجومة فى صفر سنة احدى وأربعين ثم ان جماعة كثيرة من المسودة سيرهم محمد بن الاشعث الخزاعى أمير مصر للنصور الى طرابلس لقتال أبى الخطاب وعليهم أبو الاحوص عمر بن الاحوص العجلى فخرج اليهم أبو الخطاب وقاتلهم وهزمهم سنة اثنتين وأربعين فعادوا الى مصر واستولى أبو الخطاب على سائر افريقية فسير اليه المنصور محمد بن الاشعث الخزاعى أميرا على افريقية فسار من مصر سنة ثلاث وأربعين فوصل الهاشمى خمسين ألفا ووجه معه الاغلب بن سالم التميمى و بلغ أبا الخطاب مسيره فجمع أصحابه من كل ناحية فكثر جمعه وخافه ابن الاشعث لكثرة جموعه فتنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناته فاتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل اليهم ففارقه جماعة منهم فقوى جنان ابن الاشعث وسار سيرارويدا ثم اظهر ان المنصور قد أمره بالعود وعاد الى ورائه ثلاثة أيام سيرا بطيأ فوصلت عيون أبى الخطاب وأخبرته بعوده فتفرق عنه كثير من أصحابه وامن الباقون فعاد ابن الاشعث وشجعان عسكره مجدا فصبح أبا الخطاب وهو غير متأهب للحرب فوضعوا السيوف فى الخوارج واشتد القتال فقتل أبو الخطاب وعامة أصحابه فى صفر سنة أربع وأربعين ومائة وظن ابن الاشعث ان مادة الخوارج قد انقطعت واذا هم قد أطل عليهم أبو هريرة الزناتى فى ستة عشر ألفا فقهرهم ابن الاشعث وقتلهم جميعا سنة أربع وأربعين وكتب الى المنصور بظفره ورتب الولاة فى الاعمال كلها وبنى سور القيروان فيها وتم سنة ست وأربعين وضبط افريقية وامعن فى طلب كل من خالفه من البربر وغيرهم فسير جيشا الى زويلة ووران فافتتح وران وقتل من بها من الاباضية وافتتح زويلة وقتل مقدمهم عبد الله بن سنان الاباضى وأهل الباقين فلما رأى البربر وغيرهم من أهل العبث والخلاف على الامراء ذلك خافوه خوفا شديدا واذعنوا له بالطاعة فثار عليه رجل من جنده يقال له هاشم بن الشاجع بقمونية وتبعه كثير من الجند فسير اليه ابن الاشعث قائدا فى عسكر فقتله هاشم وانهزم أصحابه وجعل المضرية من قواد ابن الاشعث يأمرون أصحابهم باللحاق بهاشم كراهية لابن الاشعث لانه تعصب عليهم فبعث اليه ابن الاشعث جيشا آخر فاقتتلوا وانهزم هاشم ولحق بتاهرت وجمع طغام البربر فبلغت عدة عسكره عشرين ألفا فسار بهم الى تهوذة فسير اليه

فى عشرة آلاف من فارس من الاساورة وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبى عبيدة وسليط فقال بجيلة لجرير اعبر الدجلة الى المدائن فقال جرير ليس ذلك بالرأى وقد مضى لكم فى ذلك عبرة من قتل اخوانكم يوم الجسر ولكن أمهلوا القوم فان جمعهم كثير حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله تعالى فأقامت الفرس أياما بالمدائن ثم أخذوا فى العبور فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن سرع معه من بجيلة فثبتوا ساعة فقتل المرزبان وأخذهم السيف وغرق أكثرهم فى دجلة وأخذ المسلمون ما كان فى عسكرهم وسار جرير فاجتمع مع المثنى بن حارثة الشيبانى بالجلة وأقبل الهرمزان مهران فى جيوشه فامتنع المسلمون من العبور اليهم فعبر مهران فقتله جرير بن عبد الله البجلى وحسان بن المنذر بن ضرار الضبى ضربه البجلى وطعنه الضبى وفاز جرير بمنطقته وسلبه وتنازع جرير وحسان فى أيهما القاتل لمهران وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ولحسان فى

ابن الاشعث جيشا فانهزم هاشم وقتلوا كثيرا من أصحابه البربر وغيرهم فسار الى ناحية طرابلس وقدم رسول من المنصور الى هاشم يلومه على مفارقة الطاعة فقال ماخالفت ولكني دعوت للمهدى بعد أمير المؤمنين وأنكر ابن الاشعث ذلك وأراد قتلي فقال له الرسول فان كنت على الطاعة فد عنقك فضربه بالسيف فقتله سنة سبع وأربعين في صفر وبذل الامان لاصحاب هاشم جميعهم فعادوا وتبعهم ابن الاشعث بعد ذلك فقتلهم فغضب المضرية واجتمعت على عداوته وخلافه واجتمع رأيهم على اخراجه فلما رأى ذلك سار عنهم ولحقته رسل المنصور بالبر والاكرام فقدم عليه واستعمل المضرية على افريقية بعده عيسى بن موسى الخراساني وكان بعد مسير ابن الاشعث تأمير الخراساني ثلاثة أشهر واستعمل المنصور الاغلب التميمي على ماذكره في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائة وانما أوردنا هذه الحوادث متتابعة لتعلق بعضها ببعض على ماشرطناه وقد ذكرنا كل حادثة في أي سنة كانت لفصل الغرضان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة واستعمل عبد العزيز بن عمرو بن عثمان فقدمها في ذي القعدة من السنة وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وقيل عمر بن عبد الله بن عبد الملك وكان العامل على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى وعلى البصرة المسور بن عمر بن عباد وعلى قضائها عامر بن عبيدة وعلى خراسان نصر بن سيار الكناني وفيها كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أمير الجزيرة الغمر ابن يزيد بن عبد الملك يحثه على الطلب بدم أخيه الوليد ويعده المساعدة له وانجاده على ذلك وفيها مات سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وقيل سنة سبع وعشرين وسعيد بن أبي سعيد المقبري ومالك بن دينار الزاهد وقيل مات سنة سبع وعشرين وقيل سنة ثلاثين وفيها توفي الكميت بن زيد الشاعر الاسدي وكان مولده سنة ستين وفيها توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وقيل سنة احدى وثلاثين وفي امارة يوسف بن عمر على العراق توفي أبو جمرة الضبعي صاحب ابن عباس (جمرة بالجيم والراء المهملة)

﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر مسير مروان الى الشام وخلع ابراهيم﴾

وفي هذه السنة سار مروان الى الشام لمحاربة ابراهيم بن الوليد وكان السبب في ذلك ماقد ذكرنا بعضه من مسير مروان بعد مقتل الوليد وانكاره قتله وغلبته على الجزيرة ثم مبايعته ليزيد بن الوليد وماولاه يزيد من عمل أبيه فلما مات يزيد بن الوليد سار مروان في جنود الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في جمع عظيم بالرقة فلما انتهى مروان الى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد وكان ولاه أخوه يزيد قنسرين ومعه أخوه مسرور بن الوليد فتصافوا ودعاهم مروان الى بيعته فمال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموا بشرا وأخاه مسرورا وأخذهما مروان فحبسهما وسار ومعه أهل قنسرين متوجها الى حمص وكان أهل حمص قد امتنعوا من بيعة ابراهيم وعبد العزيز فوجه اليهم ابراهيم عبد العزيز وجند أهل دمشق فحاصرهم في مدينتهم وأسرع مروان السير فلما دنا من حمص رحل عبد العزيز عنها وخرج أهلها الى مروان فبايعوه وساروا معه ووجه ابراهيم بن الوليد الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام فنزل عين الجر في مائة وعشرين ألفا ونزلها مروان في ثمانين ألفا فدعاهم مروان الى الكف عن قتاله واطلاق ابني الوليد الحكم وعثمان من

ذلك أبيات

ألم ترني خالست مهران نفسه
بأسمر فيه كالخلال طرير
فخر صريعا والنقاني برجله
وبادر في رأس الهمام جرير
فقال قتيلي والحوادث جمة
وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبا عمرو وقتلي قتلته
ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل عينا ان رمحك ناله
وأكرم أن تحاف وأنت أمير

(وقد تنازع) أهل الاخبار والسير في جرير والمثنى فمن الناس من ذهب الى أن جريرا كان المولى على الجيش ومنهم من رأى أن جريرا على قومه والمثنى على قومه ولما قتل مهران أعظمت الفرس ذلك وسار شيراز في جمع فارس الاعظم ويقال له بوران وقد كانت جمهرة الاساورة تقدمت وتقدم أمامهم رستم فتنحى المسلمون لما بلغهم مسيره فلحق جرير بكاظمة فنزلها وسار المثنى بقومه من بكر بن وائل فنزل بسيراف وبها آثار كثيرة وهي من الكوفة على ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة وكان المثنى قد أصيب بجراحات كثيرة في بدنه في يوم الجسر وغيره فمات بسيراف رحمه الله تعالى (ولما ورد كتاب عمر) على سعد بن أبي وقاص

السجن وضمن لهم انه لا يطلب احدا من قتلة الوليد فلم يجيبوه وجدوا في قتاله فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار الى العصر وكثر القتل بينهم وكان مروان ذا رأي ومكيدة فارسل ثلاثة آلاف فارس فساروا خلف عسكره وقطعوا نهرا كان هناك وقصدوا عسكر ابراهيم ليغيروا فيه فلم يشعر سليمان ومن معه وهم مشغولون بالقتال الا بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم فلما رأوا ذلك انهزموا ووضع أهل حمص السلاح فيهم فقتلوا منهم سبعة عشر ألفا وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم وأتوا مروان من أسرائهم بمثل القتلى وأكثر فاخذ مروان عليهم البيعة لولدي الوليد وخلى عنهم ولم يقتل منهم الا رجلين يزيد بن العقار والوليد بن مصاد الكلبيين وكانا ممن ولي قتل الوليد فحبسهما حتى هلكا في حبسه وهرب يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فيمن هرب مع سليمان الى دمشق واجتمعوا مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج فقال بعضهم لبعض ان بقي ولدا الوليد حتى يخرجهما مروان ويصير الامر اليهما لم يستبقيا أحدا من قتلة أبيهما والرأي قتلهما فرأى ذلك يزيد بن خالد فامر أبا الاسد مولى خالد بقتلهما فاخرج يوسف بن عمر فضرب رقبته وأراد واقتل أبي محمد السفياني فدخل بيتا من بيوت السجن وأغلقه فلم يقدروا على فتحه فارادوا احراقه فلم يؤتوا بنار حتى قيل قد دخلت خيل مروان المدينة فهربوا وهرب ابراهيم واختفى وانتهب سليمان ما في بيت المال فقسمه في أصحابه وخرج من المدينة

﴿ ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان ﴾

وفي هذه السنة بويع بدمشق لمروان بالخلافة وكان سبب ذلك انه لما دخل دمشق وهرب ابراهيم بن الوليد وسليمان ثار من بدمشق من موالي الوليد الى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية وأتى مروان بالغلامين الحكم وعثمان ابني الوليد مقتولين وبيوسف بن عمر فدفنهم وأتى بأبي محمد السفياني في قيوده فسلم عليه بالخلافة ومروان يسلم عليه يومئذ بالامرة فقال له مروان مه فقال انهما جعلاها لك بعدهما وأنشده شعرا قاله الحكم في السجن وكانا قد بلغاه ولد لاحدهما وهو الحكم فقال الحكم

ألا من مبلغ مروان عني * وعمي العمر طال به حنينا
بأني قد ظلمت وصار قومي * على قتل الوليد مشايعينا
أيذهب كلهم بدمي ومالي * فلا غنما اصبت ولا سمينا
ومروان بارض بني نزار * كليث الغاب مفترس عرينا
اتنكث بيعتي من أجل امي * فقد بايعتم قبلي هجينا
فان اهلك انا وولي عهدي * فمروان أمير المؤمنينا

ثم قال ابسط يدك ابايعك وسمعه من معه مروان وكان أول من بايعه معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ورؤس اهل حمص والناس بعده فلما استقر له الامر رجع الى منزله بحران وطلب منه الامان لابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فأمنهما فقدما عليه وكان سليمان يتقدم بين معه من اخوته وأهل بيته وموالي الذكوانية فبايعوا مروان بن محمد

﴿ ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ﴾

وفي هذه السنة ظهر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ودعا الى نفسه وكان سبب ذلك انه قدم على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة فاكرمه وأجازه وأجرى عليه وعلى اخوته كل يوم ثلثمائة درهم فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد وبايع الناس أخاه

فنزل زيالة على حسب ما أمره به عمر ثم أتى سيراف وأتاه الناس من الشام وغيرها ثم سار فنزل العذيب وهو على فم البر وطرف السواد مما يلي القادسية فالتقى جيش المسلمين وجيش الفرس وعليهم رستم والمسلمون يومئذ في ثمانية وثمانين ألفا وقيل ان من أسهم له ثلاثون ألفا والمشركون في ستين ألفا امام جيوشهم الفيلة عليها الرجال وحرض الناس بعضهم بعضا وبرزوا وأهل النجدات فأشبوا القتال وخرج اليهم أقرانهم من صناديد قريش فاعتور الضرب والطعن وخرج غالب بن عبد الله الاسدي في ذلك اليوم وهو يقول

قد علمت واردة المسالح
ذات البيان واللسان الواضح
أني سنام البطل المسالح
وفادح الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب والابواب وكان متوجا فأسره غالب أسرا فأتى سعدا وكر راجعا الى المطاردة وحمى الوطيس وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب
مثل اللجين يتغشاه الذهب
اني امرؤ لا من يصيبه السبب
مثلي على مثلك يعديه الكتب

ابراهيم بن الوليد و بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فلما بلغ خبر بيعتهما عبد الله بن عمر بالكوفة بايع الناس و زاد في العطاء وكتب ببيعتهما الى الآفاق فجاءته البيعة ثم بلغه امتناع مروان بن محمد من البيعة ومسيره اليهما الى الشام فحبس عبد الله بن معاوية عنده و زاده فيما كان يجري عليه وأعده لمروان بن محمد ان هو ظفر بابراهيم بن الوليد ليبايع له و يقاتل به مروان فماج الناس و وردمروان الشام وظفر بابراهيم فانهزم اسمعيل بن عبد الله القسري الى الكوفة مسرعا وافتعل كتابا على لسان ابراهيم بامرة الكوفه وجمع اليمانية واعلمهم ذلك فاجابوه وامتنع عبد الله بن عمر عليه وقاتله فلما رأى الامر كذلك خاف أن يظهر أمره فيفتضح و يقتل فقال لاصحابه انى أكره سفك الدماء فكفوا أيديكم فكفوا وظهر أمر ابراهيم وهربه و وقعت العصبية بين الناس وكان سببها ان عبد الله بن عمر كان اعطى مضر و ربيعة عطايا كثيرة ولم يعط جعفر بن القعقاع بن شور الذهلي وعثمان بن الحيبري من تيم اللات بن ثعلبة شيأ وهما من ربيعة فكانا مغضبين وغضب لهما ثمامة بن حوشب بن رويم الشيباني وخرجوا من عند عبد الله بن عمر وهو بالحيرة الى الكوفة فنادوا يا آل ربيعة فاجتمعت ربيعة ونمروا و بلغ الخبر عبد الله بن عمر فارسل اليهم أخاه عاصما فاتاهم وهم بدير هند فالقى نفسه بينهم وقال هذه يدى لكم فاحكموا فاستحيوا ورجعوا وعظموا عاصما وشكروه فلما كان المساء أرسل عبد الله بن عمر الى عمر بن الغضبان بن القبعثرى بمائة ألف فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذهل الشيباني والى ثمامة بن حوشب بمائة ألف قسمها في قومه وأرسل الى جعفر بن نامع بمال والى عثمان بن الحيبري بمال فلما رأت الشيعة ضعف عبد الله بن عمر طمعوا فيه ودعوا الى عبد الله بن معاوية واجتمعوا في المسجد وثاروا وأتوا عبد الله بن معاوية وأخرجوه من داره وادخلوه القصر ومنعوا عاصم بن عمر عن القصر فلحق باخيه بالحيرة وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه فيهم عمر بن الغضبان ومنصور بن جمهور واسمعيل بن عبد الله القسري أخو خالد واقام اياما يبايعه الناس وأتته البيعة من المدائن وفم النيل واجتمع اليه الناس فخرج الى عبد الله بن عمر بالحيرة فقيل لابن عمر قد أقبل ابن معاوية في الخلق فاطرق مليا وأتاه رئيس خبازيه فاعلمه بادراك الطعام فامره باحضاره فاحضره فاكل هو ومن معه وهو غير مكترث والناس يتوقعون ان يهجم عليهم ابن معاوية وفرغ من طعامه واخرج المال ففرقه في قواده ثم دعا مولى له كان يتبرك به ويتعامل باسمه كان اسمه اما ميمونا واما رباحا أو فتحا أو اسما يتبرك به فاعطاه اللواء وقال له امض به الى موضع كذا فاركزه وادع أصحابك واقم حتى آتيك ففعل وخرج عبد الله فاذا الارض بيضاء من أصحاب ابن معاوية فامر ابن عمر مناديا فنادى من جاء برأس فله خمسمائة فاتى برؤس كثيرة وهو يعطي ما ضمن و برز رجل من أهل الشام فبرز اليه العاصم بن عبد الغفار البجلي فسأله الشامي فعرفه فقال قد ظننت انه لا يخرج الى رجل من بكر ابن وائل والله ما أريد قتالك ولكن أحببت أن ألقى اليك حديثا أخبرك انه ليس معكم رجل من أهل اليمن لا اسمعيل ولا منصور ولا غيرهما الا وقد كاتب ابن عمر وكاتبته مضر وما أرى لكم يا ربيعة كتابا ولا رسولا وانا رجل من قيس فان أردتم الكتاب أبلغته ونحن غدا بازائكم فانهزم اليوم لا يقاتلونكم فبلغ الخبر ابن معاوية فاخبر به عمر بن الغضبان فاشار عليه ان يستوثق من اسمعيل ومنصور وغيرهما فلم يفعل وأصبح الناس من الغد غادين على القتال فحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ومضى اسمعيل ومنصور من فورهما الى الحيرة فانهزم أصحاب ابن معاوية الى الكوفة وابن معاوية معهم فدخلوا القصر وبقي من بالميسرة من ربيعة فبرز اليه عظيم من أساورتهم فجالا ثم ان الفارس ولى واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم وعموه وغاص عاصم بينهم حتى ايس الناس منه ثم خرج في مجنبات القلب وقد امه بغل عليه صناديق موكبية بالة حسنة فأتى به سعد ابن مالك وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج وقلنسوة مذهبة واذا هو خباز الملك وفي الصناديق لطائف الملك من الاخبصة والعسل المعقود فلما نظر اليه سعد قال انطلقوا الى أهل موقفه وقولوا ان الامير قد نفلكم هذا فاكلوه (وكانت وقعة القادسية) في المحرم سنة أربع عشرة ومال سبعة عشر فيلا على كل فيل عشرون رجلا وعلى الفيلة تحافيف الحديد والقرون مجللة بالديباج والحرير نحو بجيلة وحول الفيلة الرجال والخيول فبعث الى بني أسد لما نظر الى الموكب والفيول قد مالت الى بجيلة وأمرهم بعونتهم ومالت عشرون فيلا نحو القلب فخرج طلحة بن خويلد الاسدي مع فرسان بني أسد فقتل منهم خمسمائة رجل سوى من قتل من غيرهم فباشروا قتال الفيلة حتى أوقفوها

ومضر ومن بازائهم من أصحاب ابن عمر فقال لعمر بن الغضبان ما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بكم فانصرفوا فقال ابن الغضبان لا أبرح حتى أقتل فاخذ أصحابه بعنان دابته فادخلوه الكوفة فلما أمسوا قال لهم ابن معاوية يا معشر ربيعة قد رأيتم ما صنع الناس بنا وقد علقنا دماءنا في اعناقكم فان قاتلتم قاتلنا معكم وان كنتم ترون الناس يخذلوناوايا كم نخذوا لكم أمانا فقال له عمر بن الغضبان ما نقاتل معكم وما نأخذ لكم أمانا كما نأخذ لانفسنا فاقاموا في القصر والزيدية على أفواه السكك يقاتلون أصحاب ابن عمر ايا ما ثم ان ربيعة أخذت امانا لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية ليذهبوا حيث شاؤا وسار ابن معاوية من الكوفة فنزل المدائن فاتاه قوم من أهل الكوفة فخرج بهم فغلب على حلوان والجبال وهمذان واصبهان والري وخرج اليه عبيد أهل الكوفة وكان شاعرا مجيدا فمن قوله

ولا تركبن الصنيع الذي * تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرئ * يخالف ما قال في فعله

﴿ذكر رجوع الحرث بن السريج الى مرو﴾

وفي هذه السنة رجع الحرث الى مرو وكان مقيما عند المشركين مدة وقد تقدم سبب عوده وكان قدومه مرو في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين فلقيه الناس بكشميهن فلما لقيهم قال ما قرت عيني منذ خرجت الى يومي هذا وما قرت عيني الا أن يطاع الله ولقيه نصر وأنزله وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما فكان يقتصر على لون واحد وطلق أهله وأولاده وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل وارسل الى نصر انما لست من الدنيا واللذات في شيء انما اسألك كتاب الله والعمل بالسنة وان تستعمل أهل الخير فان فعلت ساعدتك على عدوك وارسل الحرث الى الكرماني ان اعطاني نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته ووقيت بامر الله وان لم يفعل أعنتك ان ضمنت لي القيام بالعدل والسنة ودعا بني تميم الى نفسه فاجابه منهم ومن غيرهم جمع كثير واجتمع اليه ثلاثة آلاف وقال لنصر انما خرجت من هذه البلدة منذ ثلاث عشرة سنة انكار الجور وأنت تريد في عليه

﴿ذكر انتقاض أهل حمص﴾

وفي هذه السنة انتقض أهل حمص على مروان وكان سبب ذلك ان مروان لما عاد الى حران بعد فراغه من أهل الشام اقام ثلاثة أشهر فانتقض عليه اهل حمص وكان الذي دعاهم الى ذلك ثابت بن نعيم وراسلهم وارسل أهل حمص الى من بقدمر من كلب فاتاهم الاصبغ بن ذؤالة الكلبي وأولاده ومعاوية السكسكي وكان فارس أهل الشام وغيرهما في نحو من ألف من فرسانهم فدخلوا ليلة الفطر لجند مروان في السير اليه ومعه ابراهيم المخلوع وسليمان بن هشام وكان قد أمنهما وكان يكرمهما فبلغهما بعد الفطر بيومين وقد سد أهلها أبوابها فاحدق بالمدينة ووقف بازاء باب من أبوابها فنادى مناديه الذين عند الباب مادعاكم الى النكث قالوا انا على طاعتك لم ننكث قال فافتحوا الباب ففتحوا الباب فدخله عمر بن الوضاح في الوضاحية وهم نحو من ثلاثة آلاف فقاتلهم من في البلد فكثرتهم خيل مروان فخرج من بها من باب تدمر فقاتلهم من عليه من أصحاب مروان فقتل عامة من خرج منه وافلت الاصبغ بن ذؤالة وابنه فرافصة وقتل مروان جماعة من أسرائهم وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة وهدم من سورها نحو غلوة وقيل ان فتح حمص وهدم سورها كان في سنة ثمان وعشرين

واشتد الجلاد على بني أسد في هذا اليوم من سائر الناس وهذا اليوم يعرف بيوم اغواث فلما أصبح الناس في اليوم الثاني أشرف على الناس خيول المسلمين من الشام والامداد سائرة قد غطت بأسنتها الشمس عليها هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص في خمسة آلاف فارس من بني ربيعة ومضر وألف من اليمن ومعه القعقاع بن عمرو وذلك بعد فتح دمشق بشهر وقد كان عمر رضي الله عنه كتب الى أبي عبيدة ابن الجراح صرف أصحاب خالد بن الوليد الى العراق ولم يذكر في كتابه خالدا فشح أبو عبيدة بتخلية خالد عن يده وبعث برجاله وعليهم هاشم بن عتبة على ماذكرنا وقد كان في نفس عمر على خالد أشياء من أيام أبي بكر في قصة مالك بن نويرة وغير ذلك وكان خالد بن الوليد بن خالد بن عمر تقدم القعقاع في أوائل المدد فأيقن أهل القادسية بالنصر على فارس وزال عنهم ما لحقهم بالامس من القتل والجراح وبرز القعقاع حين وروده أمام الصف ونادى هل من مبارز فبرز اليه عظيم منهم فقال له القعقاع من أنت

﴿ذكر خلاف أهل الغوطة﴾

فى هذه السنة خالف أهل الغوطة وولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى وحصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر وفوجه اليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحرث وعمر بن الوضاح فى عشرة آلاف فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم وخرج عليهم من بالمدينة فانهزموا واستباح أهل مروان عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى من اليمانية وأخذ يزيد بن خالد فقتل وبعث زامل برأسه الى مروان بحمص وممن قتل فى هذه الحرب عمر بن هانئ العبسى مع يزيد وكان عابدا كثير المجاهدة

﴿ذكر خلاف أهل فلسطين﴾

وفيها خرج ثابت بن نعيم بعد أهل حمص والغوطة وكان خروجه فى أهل فلسطين وانتقض على مروان أيضا وأتى طبرية فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ابن أخى عبد الملك فقاتله أهلها أياما فكتب مروان بن محمد الى أبى الورد يأمره بالمسير اليهم فسار اليهم فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت فهزموه واستباحوا عسكره وانصرف الى فلسطين منهزما وتبعه أبو الورد فالتقوا واقتتلوا فهزمه أبو الورد ثانية وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم الى مروان وتغيب ثابت وولده رفاعة واستعمل مروان على فلسطين الدماجن بن عبد العزيز الكنانى فظفر بثابت وبعثه الى مروان موثقا بعد شهرين فأمر به وبأولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم وحملوا الى دمشق فألقوا على باب المسجد ثم صلبهم على أبواب دمشق وكان مروان بدير أيوب فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله وزوجهما ابنتى هشام بن عبد الملك وجمع لذلك بنى أمية واستقام له الشام ما خلا تدمر فسار اليها فنزل القسطل وبينه وبين تدمر أياما وكانوا قد غوروا المياه فاستعمل المزاد والقرب والابل وكلمه الابرش بن الوليد وسليمان بن هشام وغيرهما وسألوه أن يرسل اليهم فأذن لهم فى ذلك وسار الابرش وخوفهم وحذرهم فاجابوا الى الطاعة وهرب نفر منهم الى البر من لم يثق بمروان ورجع الابرش الى مروان ومعه من أطاع بعد ان هدم سورها وكان مروان قد سير يزيد بن عمر بن هبيرة بين يديه الى العراق لقتال الضحاك الخارجى وضرب على أهل الشام بعثا وأمرهم باللحاق بيزيد وسار مروان الى الرصافة فاستأذنه سليمان بن هشام ليقيم أياما ليقوى من معه ويستريح ظهره فأذن له وتقدم مروان الى قرقيسيا وبها ابن هبيرة ليقدمه الى الضحاك فرجع عشرة آلاف ممن كان مروان قد أخذه من أهل الشام لقتال الضحاك فاقاموا بالرصافة ودعوا سليمان الى خلع مروان فاجابهم

﴿ذكر خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد﴾

وفى هذه السنة خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد وحاربه وكان السبب فى ذلك ما ذكرنا من قدوم الجنود عليه وتحسينهم له خلع مروان وقالوا له أنت أوضأ عند الناس من مروان وأولى بالخلافة فاجابهم الى ذلك وسار باخوته ومواليه معهم فعسكر بقنسرين وكاتب أهل الشام فاتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان فرجع اليه من قرقيسيا وكتب الى ابن هبيرة يأمره بالمقام واجتاز مروان فى رجوعه بحصن الكامل وفيه جماعة من موالى سليمان وأولاد هشام فتحصنوا منه فارسل اليهم انى أحذركم أن تعرضوا لاحد ممن يتبعنى من جندى باذى فان فعلتم فلا أمان لكم عندى فارسلوا اليه انا نستكف ومضى مروان فجعلوا يغيرون على من يتبعه من أحريات الناس وبلغه ذلك فتغيظ عليهم واجتمع الى سليمان نحو من سبعين ألفا من

قال أنا بهم من حادويه وهو المعروف بذى الحاجب فنادى القعقاع بالثارات أبى عبيدة وسليط وأصحابهم يوم الجسر وقد كان ذو الحاجب صبارزهم على ماذكرنا من قتله اياهم فجالا فقتله القعقاع ويقال ان القعقاع حمل فى ذلك اليوم ثلاثا وثلاثين حملة كل حملة يقتل فيها وكان آخر من قتل عظيما من عظمائهم يقال له برزجمهر ففيه يقول القعقاع

جبوبة حباشة بالنفس
هدارة مثل شعاع الشمس

ش أغواث من قبيل الفرس

أنخس بالقوم أشد نخس
حتى يفيض معرى ونفسى

وبارز فى ذلك اليوم الاعور ابن قطنة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه الاعور فى ذلك

لم أر يوما كان أحلى وأمر
من يوم اغواث دواوين الشعر
من غير ضحك كان أسوا وأشر

واعتل سعد فتخلف فى حصن العذيب وجلس فى أعلاه يشرف على الناس وقد توافى الفريقان جميعا وأمسى الناس يهتمون فلما سمع ذلك سعد قال لمن كان

أهل الشام والذكوانية وغيرهم وعسكر بقرية خساف من أرض قنسرين وأتاه مروان فواقعه عند وصوله فاشتد بينهم القتال وانهزم سليمان ومن معه واتبعتهم خيل مروان تقتل وتأسر واستباحوا عسكرهم ووقف مروان موقفا ووقف ابناه موقفين ووقف كوثر صاحب شرطته موقفا وأمرهم أن لا يؤتوا باسير الا قتلوه الا عبد الملك فانه أحصى من قتلاهم يومئذ ما ينوف على ثلاثين ألف قتيل وقتل ابراهيم بن سليمان وأكثر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وادعى كثير من الاسراء للجند انهم عبيدهم فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع من أصيب من عسكرهم ومضى سليمان حتى انتهى الى حمص وانضم اليه من أفلت ممن كان معه وعسكر بها وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها وسار مروان الى حصن الكامل حنقا على من فيه فحصرهم وأنزلهم على حكمه فقتل بهم وأخذهم أهل الرقة فداء واجراحاتهم فهلك بعضهم وبقي أكثرهم وكانت عدتهم نحوا من ثلثمائة ثم سار الى سليمان ومن معه فقال بعضهم لبعض حتى متى ننهزم من مروان فتبايع سبعمائة من فرسانهم على الموت وساروا باجمعهم مجمعين على أن يبيتوه ان أصابوا منه غرة وبلغه خبرهم فتحرز منهم وزحف اليهم في الخنادق على احتراس وتعبية فلم يمكنهم أن يبيتوه فكمنوا في زيتون على طريقه فخرجوا عليه وهو مسير على تعبية فوضعوا السلاح فيمن معه وانتدب لهم ونادى خيوله فرجعت اليه فقاتلوه من لدن ارتفاع النهار الى بعد العصر وانهزم أصحاب سليمان وقتل منهم نحو من ستة آلاف فلما بلغ سليمان هزيمتهم خلف أخاه سعيدا بحمص ومضى هو الى تدمر فاقام بها ونزل مروان على حمص فحصر أهلها عشرة أشهر ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا يرمي بها الليل والنهار وهم يخرجون اليه كل يوم فيقاتلونه وربما يبيتون نواحي عسكره فلما تتابع عليهم البلاء طلبوا الامان على ان يمكنوه من سعيد ابن هشام وابنيه عثمان ومروان ومن رجل كان يسمى السكسكي كان يغير على عسكره ومن رجل حبشي كان يشتم مروان وكان يشد في ذكره ذكر حمار ثم يقول يا بني سليم يا أولاد كذا وكذا هذا لواؤكم فاجابهم الى ذلك فاستوثق من سعيد وابنيه وقتل السكسكي وسلم الحبشي الى بني سليم فقطعوا ذكره وانفه ومثلوا به فلما فرغ من حمص سار نحو الضحاك الخارجي وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بخساف أقبل هاربا حتى صار الى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق فخرج معه الى الضحاك فبايعه وحرض على مروان فقال بعض شعرائهم

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

فلما رأى النضر بن سعيد الحرشي وكان قد ولي العراق على ما نذكره ان شاء الله ذلك علم انه لا طاقة له بعبد الله بن عمر فسار الى مروان فلما كان بالقادسية خرج اليه ابن ملجان خليفة الضحاك بالكوفة فقاتله فقتله النضر واستعمل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمران العائذي ثم سار الضحاك في ذي القعدة الى الموصل وأقبل ابن هبيرة حتى نزل بعين التمر فسار اليه المثنى بن عمران فاقتتلوا أياما فقتل المثنى وعدة من قواد الضحاك وانهزمت الخوارج ومعهم منصور بن جمهور وأتوا الكوفة فجمعوا من بها منهم وساروا نحو ابن هبيرة فلقوه فقاتلهم أياما وانهزمت الخوارج وأتى ابن هبيرة الى الكوفة وسار الى واسط ولما بلغ الضحاك ما لقي أصحابه أرسل عبيدة بن سوار التغلبي اليهم فنزل الصراة فنزل فرجع ابن هبيرة اليهم فالتقوا بالصراة وسيرد خبر خروج الضحاك بعدها ان شاء الله تعالى (الحرشي بفتح الحاء المهملة وبالشين المعجمة)

(ذكر خروج الضحاك محكما)

عنده في أعلى القصران تم الناس على الانتماء فلا توقظوني فانهم أقوياء على عدوهم وان سكتوا فأيقظوني فان ذلك شر واشتد القتال في الليل وكان أبو محجن الثقفي محبوسا في أسفل القصر فسمع انتماء الناس في آبائهم وعشائرهم ووقع الحديد وشدة البأس فتأسف على ما يفوته من تلك المواقف فجبا حتى صعد الى سعد يستشفعه ويستقيله ويسأله أن يخلي عنه ليخرج فرآه سعد ورده فانحدر راجعا فنظر الى سلمى بنت حفصة زوجة المثنى بن حارثة الشيباني وقد كان سعد تزوجها بعده فقال يا بنت حفصة هل لك في خير فقالت وما ذاك قال تخلين عني وتعيرينني البلقاء ولله علي ان سلمى الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في القيد فقالت وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيده وهو يقول

كفى حزنا أن ترتدي الخيل بالقنا
وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد فأغلقت
مصارع من دوني وصم المناديا

وفى هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيبانى محكما ودخل الكوفة وكان سبب ذلك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد بن بهدل الشيبانى فى مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بارض كفرتوثا وخرج بسطام البيهسى وهو مفارق لرأيه فى مثل عدتهم من ربيعة فسار كل واحد منهما الى صاحبه فلما تقاربا أرسل سعيد بن بهدل الخيبرى وهو أحد قواده فى مائة وخمسين فارسا فاتاهم وهم غارون فقتلوا فيهم وقتلوا بسطاما وجميع من معه الا أربعة عشر رجلا ثم مضى سعيد بن بهدل الى العراق لما بلغه ان الاختلاف بها فات سعيد بن بهدل فى الطريق واستخلف الضحاك بن قيس فبايعه الشراة فاتى أرض الموصل ثم شهرزور واجتمعت اليه الصفرية حتى صار فى أربعة آلاف وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومروان بالجزيرة فكتب مروان الى النضر بن سعيد الحرشى وهو أحد قواد ابن عمر بولاية العراق فلم يسلم ابن عمر اليه العمل فشخص النضر الى الكوفة وبقى ابن عمر بالحيرة فتحاربا أربعة أشهر وأمد مروان النضر بابن الغزيل واجتمعت المضرية مع النضر عصبية لمروان حيث طلب بدم الوليد وكانت أم الوليد قيسية من مضر وكان أهل اليمن مع ابن عمر عصبية له حيث كانوا مع يزيد فى قتل الوليد حين أسلم خالد القسرى الى يوسف فقتله فلما سمع الضحاك باختلافهم أقبل نحوهم وقصد العراق سنة سبع وعشرين فارسل ابن عمر الى النضر ان هذا لا يريد غيرى وغيرك فهلم نجتمع عليه فتعاقد اعليه واجتمعا بالكوفة وكان كل منهما يصلى باصحابه وأقبل الضحاك فنزل بالنخيلة فى رجب واستراح ثم تعبوا للقتال يوم الخميس من غد يوم نزوله فاقتتلوا قتالا شديدا فكشفوا ابن عمر وقتلوا أخاه عاصما وجعفر بن العباس الكندى أخا عبيد الله ودخل ابن عمر خندقه وبقى الخوارج عليهم الى الليل ثم انصرفوا ثم اقتتلوا يوم الجمعة فانهزم أصحاب ابن عمر فدخلوا خنادقهم فلما أصبحوا يوم السبت تسلل أصحابه نحو واسط ورأوا قوما لم يروا أشد بأسا منهم وكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد الحرشى واسمعيل بن عبد الله القسرى أخو خالد ومنصور بن جمهور والاصبغ بن ذؤالة وغيرهم من الوجوه وبقى ابن عمر فيمن عنده من أصحابه لم يبرح فقال له أصحابه قد هرب الناس فعلام تقيم فبقى يومين لا يرى الا هاربا فرحل عند ذلك الى واسط واستولى الضحاك على الكوفة ودخلها ولم يأمنه عبيد الله بن العباس الكندى على نفسه فصار مع الضحاك وبايعه وصار فى عسكره فقال أبو عطاء السندى له

فقل لعبيد الله لو كان جعفر * هوالحى لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المرّاق والنار فيهم * وفى كفه عضب الذباب صقيل
الى معشر ردّوا أخاك وأكفروا * أباك فماذا بعد ذاك تقول

فلما بلغ عبيد الله هذا البيت من قول أبى عطاء قال أقول عض بظر امك

فلا وصلتك الرحم من ذى قرابة * وطالب وتر والذليل ذليل
تركت أحاشيبان يسلب بزه * ونجاك خوّار العنان مطول

ووصل ابن عمر الى واسط فنزل بدار الحجاج بن يوسف وعادت الحرب بين عبد الله والنضر الى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك الى النضر يطلب ان يسلم اليه ابن عمر ولاية العراق بعهد مروان له وابن عمر يمتنع وسار الضحاك من الكوفة الى واسط واستخلف ملجان الشيبانى ونزل الضحاك باب المضمار فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر تركا الحرب بينهما واتفقا على قتال الضحاك

وقد كنت ذا مال كثير وثروة
فقد تركونى واحدا لا أخا ليا
فلله عهدا لا أخيس بعهده
لئن فرجت أن لا أزور الجوانيا

فقالت سلمى انى استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت شأنك وما أردت فاقتاد بلقاء سعد وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال ميمنة المسلمين كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين فأوقع ميسرتهم وقتل رجالا كثيرا من نساكهم ونكس آخرين والفريقان يرمقون بأبصارهم وقد تنوزع فى البلقاء فمنهم من قال انه ركبها عريا ومنهم من قال بل ركبها بسرج ثم غاص فى المسلمين فخرج فى ميسرتهم وحمل على ميمنة القلب فأوقفهم وجعل يلعب برمحه وسلاحه لا يدنو له فارس الا هتكه فأوقفهم وهابته الرجال ثم رجع فغاص فى قلب المسلمين ثم برز أمامهم ووقف بازاء قلب المشركين ففعل مثل أفعاله فى الميمنة والميسرة وأوقف القلب حتى لم يبرز منهم فارس الا اختطه

فلم يزالوا على ذلك شعبان وشهر رمضان وشوّال والقتال بينهم متواصل ثم ان منصور بن جمهور قال لابن عمر مارأيت مثل هؤلاء فلم تحار بهم وتشغلهم عن مروان أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان فانهم يرجعون عنا اليه ويوسعونه شرا فان ظفر وابه كان ما أردت وكنت عندهم آمنا وان ظفر بهم وأردت خلافه وقتاله قاتلته وأنت مستريح فقال ابن عمر لا تعجل حتى ننظر فلحق بهم منصور وناداهم انى أريد أن أسلم وأسمع كلام الله وهى حجتهم فدخل اليهم وبايعهم ثم ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خرج اليهم فى شوّال فصالحهم وبايع الضحاك ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك

﴿ذكر خلع أبى الخطار أمير الاندلس وامارة ثوابة﴾

وفى هذه السنة خلع أهل الاندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار أميرهم وسبب ذلك انه لما قدم الاندلس أميرا أظهر العصبية لليمانية على المضرية فاتفق فى بعض الايام انه اختصم رجل من كنانة ورجل من غسان فاستعان الكنانى بالصميل بن حاتم بن ذى الجوشن الضبابى فكلم فيه أبا الخطار فاستغلظ له أبو الخطار فاجابه الصميل فامر به فأقيم وضرب قفاه فقالت عمامته فلما خرج قيل له نرى عمامتك مالت فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها وكان الصميل من أشراف مضر فلما دخل الاندلس مع بلج شرف فيها بنفسه وأوليته فلما جرى له ماذكرناه جمع قومه وأعلمهم فقالوا له نحن تبع لك فقال أريد ان أخرج أبا الخطار من الاندلس فقال له بعض أصحابه افعل واستعن بمن شئت ولا تستعن بابى عطاء القيسى وكان من أشراف قيس وكان يناظر الصميل فى الرياسة ويحسده وقال له غيره الرأى انك تأتى أبا عطاء وتشد أمرك به فانه تحركه الحمية وينصرك وان تركته مال الى أبى الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد والرأى أيضا ان تستعين عليه باهل اليمن فضلا عن معد ففعل ذلك وسار من ليلته الى أبى عطاء وكان يسكن مدينة استجة فعظمه أبو عطاء وسأله عن سبب قدومه فاعلمه فلم يكلمه حتى قام فركب فرسه ولبس سلاحه وقال له انهض الآن حيث شئت فانا معك وأمر أهله وأصحابه باتباعه فساروا الى مرو وبها ثوابة بن سلمة الحذانى وكان مطاعا فى قومه وكان أبو الخطار قد استعمله على اشبيلية وغيرها ثم عزله ففسد عليه فدعاه الصميل الى نصره ووعده انهم اذا أخرجوا أبا الخطار صار أميرا فاجاب الى نصره ودعا قومه فاجابوه فساروا الى شدونة وسار اليهم أبو الخطار من قرطبة واستخلف بها انسانا فالتقوا واقتتلوا فى رجب من هذه السنة وصبر الفريقان ثم وقعت الهزيمة على أبى الخطار وقتل أصحابه أشد قتل وأسر ابو الخطار وكان بقرطبة أميمة بن عبد الملك بن قطن فاخرج منها خليفة أبى الخطار وانتهب ما وجد لهما فيها ولما انهزم أبو الخطار سار ثوابة بن سلمة والصميل الى قرطبة فملكاها واستقر ثوابة فى الامارة فشار به عبد الرحمن بن حسان الكنانى وأخرج أبا الخطار من السجن فاستجاش اليمانية فاجتمع له خلق كثير واقبل بهم الى قرطبة وخرج اليه ثوابة فيمن معه من اليمانية والمضرية مع الصميل فلما تقاتل الطائفتان نادى رجل من مضر يا معشر اليمانية مالكم تتعرضون للحرب على أبى الخطار وقد جعلنا الامير منكم يعنى ثوابة فانه من اليمن ولو أن الامير منا لقد كنتم تعتذرون فى قتالكم لنا وما نقول هذا الا تحرجا من الدماء ورغبة فى العافية للعامة فلما سمع الناس كلامه قالوا صدق والله الامير منا فما بالنا نقاتل قومنا فتركوا القتال وافترق الناس فهرب أبو الخطار فلحق ببياجة ورجع ثوابة الى قرطبة فسمى ذلك العسكر عسكر العافية

وحمل عن المسلمين الحرب فتعجب الناس منه وقالوا من هذا الفارس الذى لم نره فى يومنا فقال بعضهم هو ممن قدم علينا من اخواننا من الشأم من أصحاب هاشم بن عتبة المرقال وقال بعضهم ان كان الخضر عليه السلام شهد الحرب فهذا هو الخضر قد من الله به علينا وهو علم نصرنا على عدوّنا وقال قائل منهم لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا انه ملك وأبو محجن برزكاليث الضرغام قد هتك الفرسان كالعقاب يجول عليهم ومن حضر من فرسان المسلمين مثل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد والقعقاع وهاشم بن عتبة المرقال وسائر قبائل العرب وأبطالها ينظرون اليه وقد حارت فى أمره وجعل سعد يفكر ويقول وهو مشرف على الناس من فوق القصر والله لولا محابس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء فلما انتصف الليل تحاجز الناس وتراجعت الخيل على أعقابها وتراجع المسلمون الى مواضعهم على بقيتهم ومصافهم وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج

﴿ذكر

﴿ذكر شيعة بني العباس﴾

في هذه السنة توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ وقحطبة الى مكة فلقوا ابراهيم بن محمد الامام بها وأوصلوا الى مولى له عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكا ومتاعا كثيرا وكان معهم أبو مسلم فقال سليمان لابراهيم هذا مولاك وفيها كتب بكير بن ماهان الى ابراهيم الامام انه في الموت وانه قد استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان وهو رضا للامر فكتب ابراهيم لابي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه وكتب الى أهل خراسان يخبرهم انه قد اشتد أمرهم اليه ومضى أبو سلمة الى خراسان فصدقوه وقبلوا أمره ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مروان على مكة والمدينة والطائف وكان العامل على العراق النضر بن الحرشي وكان من أمره وأمر ابن عمر والضحاك الخارجي ما ذكرنا وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها الكرماني والحرث بن سريج وفيها مات سويد بن غفلة وقيل سنة احدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين وعمره مائة وعشرون سنة وعبد الكريم بن مالك الجزري وقيل غير ذلك وفيها مات أبو حصين عثمان بن حصين الاسدي الكوفي (حصين بفتح الحاء وكسر الصاد) وفيها مات أبو اسحق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني وقيل سنة ثمان وعشرين وعمره مائة سنة (السبيعي بفتح السين وكسر الباء) وفيها توفي عبد الله ابن دينار وقيل سنة ست وثلاثين وفيها مات محمد بن واسع الازدي البصري وكنيته ابو بكر وداود ابن أبي هند واسم أبي هند دينار مولى بني قشير أبو محمد وفيها توفي أبو بحر عبد الله بن اسحق مولى الحضر وكان اماما في النحو واللغة تعلم ذلك من يحيى بن النعمان وكان يعيب الفرزدق في شعره وينسبه الى اللحن فهجاه الفرزدق يقول

فلو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى موالیا

فقال له أبو عبد الله لقد لحنت أيضا في قولك موالیا ينبغي ان تقول مولى موال

﴿ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر قتل الحرث بن سريج وغلبة الكرماني على مرو﴾

قد تقدم ذكر امان يزيد بن الوليد للحرث بن سريج وعوده من بلاد المشركين الى بلاد الاسلام وما كان بينه وبين نصر من الاختلاف فلما ولي ابن هبيرة العراق كتب الى نصر يعهد له على خراسان فبايع لمروان بن محمد فقال الحرث انما أمنني يزيد ولم يؤمني مروان ولا يجيز مروان أمان يزيد فلا آمنه فخالف نصرا فأرسل اليه نصر يدعوه الى الجماعة وينهاه عن الفرقة واطماع العدو فلم يجبه الى ما أراد وخرج فعسكر وأرسل الى نصر اجعل الامر شورى فأبى نصر وأمر الحرث جهم ابن صفوان رأس الجهمية وهو مولى راسب ان يقر أسيرته ومايدعوا اليه على الناس فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه وأرسل الحرث الى نصر ليعزل سالم بن أحوز عن شرطته ويغير عماله ويقر الامر بينهما أن يختارا رجالا يسمون لهم قوما يعملون بكتاب الله فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان واختار الحرث المغيرة بن شعبة الجهضمي ومعاذ بن جبلة وأمر نصر كاتبه ان يكتب ما يرضى هؤلاء الاربعة من السنن ومايختارونه من العمال فيولوهم ثغر سمرقند وطخارستان وكان الحرث يظهر أنه صاحب الرايات السود فأرسل اليه نصر ان كنت تزعم أنكم تهدمون سور

ولا يعلم به ورد البغاء الى
مربطها ووضع رجله في
القيد ورفع عقيرته وهو
يقول

لقد علمت ثقيف غير فخر
بانا نحن أكرمهم سيوفا
وأكرمهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة فارس لم يشعروا بي
ولم أشعر بهم حتى الزحوفا
واناوفدهم في كل يوم
فان عتبوا فسل بهم وعريفا
فان أحبس فذلكم بلائي
وان أترك أذيقهم الحتوفا
فقالت له سلمى يا أبا محجن
في أي شئ حبسك هذا
الرجل تعني سعدا فقال والله
ما حبسني بحرام أكلته
ولا شربته ولكني كنت
صاحب شراب في الجاهلية
وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر
على لساني فأصف القهوة
وتداخلني أريحية فألتذ
بمدحي اياها ولذلك حبسني
لاني قلت فيها
اذا مت فادفني الى جنب
كرمة
تروي عظامي بعد موتي
عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني
أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها
وهي أبيات وقد كان بين
سلمى وسعد كلام كثير
أوجب غضبه عليها الذكرها
المثنى عند مختلف القنا
فأقامت مغاضبة له عشية

دمشق وتزيلون ملك بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير واحمل من الاموال ماشئت وآلة الحرب وسر فلعمري لئن كنت صاحب ماذكرت انى لفي يدك وان كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك فقال الحرث قد علمت ان هذا حق ولكني لا يبايعني عليه من صحبني فقال نصر فقد ظهر أنهم ليسوا على رأيك فاذكر الله في عشرين ألفا من ربيعة واليمن يهلكون فيما بينكم وعرض عليه نصر ان يوليه ماوراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل فقال له نصر فابد أبالكرماني فان قتلته فانا في طاعتك فلم يقبل ثم تراضيا بان حكماهم بن صفوان ومقاتل بن حيان فحكما بان يعتزل نصر وأن يكون الامر شورى فلم يقبل نصر فخالفه الحرث وانهم نصر قوما من أصحابه انهم كاتبوا الحرث فاعتذروا اليه فقبل عذرهم وقدم عليه جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة منهم عاصم بن عمير الصريمي وأبو الذيال الناجي ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم وأمر الحرث ان تقرأ سيرته في الاسواق والمساجد وعلى باب نصر فقرئت فاتاه خلق كثير وقر أها رجل على باب نصر فضربه غلمان نصر فنابذهم الحرث وتجهزوا للحرب ودل رجل من أهل مرو الحرث على نقب في سورها فمضى الحرث اليه فنقبه ودخل المدينة من ناحية باب بالين فقاتلهم جهم بن مسعود الناجي فقتل جهم وانتهبوا منزل سالم بن أحوز وقتلوا من كان يحرس باب بالين وذلك يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وعدل الحرث في سكة السعد فرأى أعين مولى حيان فقاتله فقتل أعين وركب سالم حين أصبح وأمر منادياً فنادى من جاء برأس فله ثلثمائة فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحرث وقاتلهم الليل كله وأتى سالم عسكر الحرث فقتل كاتبه واسمه يزيد بن داود وقتل الرجل الذي دل الحرث على النقب وأرسل نصر الى الكرماني فأتاه على عهد وعنده جماعة فوقع بين سالم بن أحوز ومقدام بن نعيم كلام فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه فاعان كل واحد منهما نفر من الحاضرين فخاف الكرماني ان يكون مكرا من نصر فقام وتعلقوا به فلم يجلس وركب فرسه ورجع وقال أراد نصر الغدر بي وأسر يومئذ جهم بن صفوان وكان مع الكرماني فقتل وأرسل الحرث ابنه حاتما الى الكرماني فقال له محمد بن المثنى هما عدوا لك دعهما يضطربان فلما كان الغد ركب الكرماني الى باب ميدان يزيد فقاتل أصحاب نصر وأقبل الكرماني الى باب حرب بن عامر ووجه أصحابه الى نصر يوم الاربعاء فتراموا ثم تحاجزوا ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال والتقوا يوم الجمعة فانهزم الازد حتى وصلوا الى الكرماني فأخذ اللواء بيده فقاتل به وانهزم أصحاب نصر وأخذوا لهم ثمانين فرسا وصرع تميم بن نصر وأخذوا له برذونين وسقط سالم بن أحوز فحمل الى عسكر نصر فلما كان بعض الليل خرج نصر من مرو وقيل عصمة بن عبد الله الاسدي فكان يحمي أصحاب نصر واقتتلوا ثلاثة أيام فانهزم أصحاب الكرماني في آخر يوم وهم الازد وربيعة فنادى الخليل بن غزوان يا معشر ربيعة واليمن قد دخل الحرث السوق وقتل ابن الاقطع يعني نصر ابن سيار ففت في اعضاد المضرية وهم أصحاب نصر فانهزموا وترجل تميم بن نصر فقاتل فلما هزمت اليمانية مضر أرسل الحرث الى نصر ان اليمانية يعيرونني بانهزامكم وأنا كاف فاجعل حماة أصحابك بازاء الكرماني فأخذ عليه نصر العهود بذلك وقدم على نصر عبد الملك بن سعد العودي وأبو جعفر عيسى بن جرزمن مكة فقال نصر لعبد الحكم العودي وهم بطن من الازد أما ترى ما فعل سفهاء قومك فقال بل سفهاء قومك طالت ولايتها ولا يتك دون ربيعة واليمن فنظروا في ربيعة واليمن علماء وسفهاء فغلب السفهاء العلماء فقال أبو جعفر عيسى لنصر أيها الامير حسبك من الولاية وهذه الامور فانه قد أظلك أمر عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد ويدعو

ازمار وليلة الهدار وليلة السواد حتى اذا أصبحت أتته فرضته وصالحته ثم أخبرته خبرها مع أبي محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا أجبت لساني الى صفة قبيح أبدا وأصبح الناس في اليوم الثالث وهم على مصافهم وهو يوم عماس وأصبحت الاعاجم على مواقفها وأصبح بين الفريقين كالدجلة الغوراء والفرات في عرض مابين الصفين وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة مابين رثيث وميت وقتل من الاعاجم مالا يحصى فقال سعد أيها الناس من شاء غسل الشهيد الميت والرثيث ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم وجعلوهم وراظهورهم وكان النساء والصبيان يدفنون الشهيد ويحملون الرثيث الى النساء ويعالجن في كلومهم وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب نخلة فاذا حمل الجريح وفيه تميز وعقل ونظر الى تلك النخلة ولم يكن هنالك يومئذ نخلة غيرها واليوم بها نخل كثير قال

الى

الى دولة تكون فيغلب على الامر وأنتم تنظرون فقال نصر ما أشبه أن يكون كما تقول لقلة الوفاء وسوء ذات البين فقال ان الحرث مقتول مصلوب وما الكرمانى من ذلك ببعيد فلما خرج نصر من مرو وغلب عليها الكرمانى وخطب الناس فأمنهم وهدم الدور ونهب الاموال فانكر الحرث عليه ذلك فهم الكرمانى به ثم تركه واعتزل بشر بن جرموز الضبى فى خمسة آلاف وقال للحرث انما قاتلت معك طلب العدل فاما اذا أنت مع الكرمانى فما تقاتل الا ليقال غلب الحرث وهؤلاء يقاتلون عصبية فلست مقاتلا معك فنحن الفئة العادلة لا نقاتل الا من يقاتلنا وأتى الحرث مسجد عياض وأرسل الى الكرمانى يدعوه الى أن يكون الامر شورى فأبى الكرمانى فانتقل الحرث عنه وأقاموا أياما ثم ان الحرث أتى السور فثلم فيه ثلمة ودخل البلد وأتى الكرمانى فاقتتلوا فاشتد القتال بينهم فانهزم الحرث وقتلوا ما بين الثلمة وعسكرهم والحرث على بغل فنزل عنه وركب فرسا وبقى فى مائة فقتل عند شجرة زيتون او غبيراء وقتل أخوه سوادة وغيرهما وقيل كان سبب قتله ان الكرمانى خرج الى بشر بن جرموز للذى ذكرنا اعتزاله ومعه الحرث بن سريج فأقام الكرمانى أياما بينه وبين عسكر بشر فرسخان ثم قرب منه ليقاتله فندم الحرث على اتباع الكرمانى وقال لا نتجمل الى قتال لهم فانا أردهم عليك فخرج فى عشرة فوارس فأتى عسكر بشر فأقام معهم وخرج المضرية أصحاب الحرث من عسكر الكرمانى اليه ولم يبق مع الكرمانى مضرى غير سلمة بن أبى عبد الله فانه قال لم أر الحرث الا غادرا وغير المهلب بن اياس فانه قال لم ار الحرث قط الا فى خيل تطرد فقاتلهم الكرمانى مرارا يقتتلون ثم يرجعون الى خنادقهم مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ثم ان الحرث ارتحل بعد أيام فنقب سور مرو ودخلها وتبعه الكرمانى فدخلها أيضا فقالت المضرية للحرث تركنا الخنادق فهو يومنا وقد فررت غير مرة فترجل فقال أنا لكم فارسا خير منى لكم راجلا فقالوا لا نرضى الا ان تترجل وترجل فاقتتلوا هم والكرمانى فقتل الحرث وأخوه وبشر ابن جرموز وعدة من فرسان تميم وانهزم الباقون ووصفت مرو لليمن فهدموا دور المضرية فقال نصر ابن سيار للحرث حين قتل

يا مدخل الذل على قومه * بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرا كلها * وخزم قومك يا حارك
ما كانت الازد وأشياعها * تطمع فى عمرو ولا مالك
ولا بنو سعد اذا ألجموا * كل طمر لونه حالك

عمرو ومالك وسعد بطون من تميم وقيل بل قال هذه الابيات نصر لعثمان بن صدقة وقالت أم كثير الضبية

لا بارك الله فى أنثى وعن بها * تزوجت مضريا آخر الدهر
أبلغ رجال تميم قول موجعة * أحللتموها بدار الذل والفقر
ان أنتم لم تكروا بعد جولتكم * حتى تعدوا رجال الازد فى الظهر
انى استحييت لكم من بعد طاعتكم * هذا المزونى يجنيكم على قهر

﴿ذكر شيعة بنى العباس﴾

وفى هذه السنة وجه ابراهيم الامام أبا مسلم الخراسانى واسمه عبد الرحمن بن مسلم الى خراسان وعمره تسع عشرة سنة وكتب الى أصحابه انى قد أمرته بأمرى فاسمعوا له وأطيعوا فانى قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك وأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند ابراهيم فاعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره فقال ابراهيم قد عرضت هذا الامر على غير

لحامله قد قربت من السواد
فأريحونى تحت ظل هذه
النخلة فيرتاح تحتها ساعة
فسمع رجل من الحرحى
يقول
ألا فاسلمى يا نخلة بين فارس
وبين العذيب لا تجاورك
النخل
وسمع آخر من بنى تيم الله
وقد أريح تحتها وحشوته
خارجة من جوفه وهو يقول
أيا نخلة الجرحى ويا نخلة العدا
سقتك الغوادى والغيوث
الهواطل
وأثخن الاعور بن قطنة
فحمل من المعركة فسأل
حماله أن يريحه تحتها حتى
اذا بلغ اليها قال
أيا نخلة بين العذيب فتلعة
سقتك الغوادى الداجنات
من النخل
وأصبح الناس صبيحة يوم
القادسية وهى صبيحة
ليلة الهرير وهى تسمى
ليلة القادسية من تلك
الايام والناس حيارى ولم
يغمضوا ليلتهم كلها وحرض
رؤساء القبائل عشائرهم
واشتد الجلاد الى أن جاء
وقت الزوال فكان أول
من زال حين قام قائم
الظهيرة الهرمزان فتأخر
وسار حتى انتهى وانفرج
القلب حين قام قائم الظهيرة
وهبت ريح عاصف
فقطعت طيارة رستم عن

واحد وأبوه علي وكان قد عرضه على سليمان بن كثير فقال لا ألي على اثنين أبدا ثم عرضه على ابراهيم بن سلمة فأبى فاعلمهم انه قد أجمع رأيه على أبي مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة له ثم قال له انك رجل منا اهل بيت احفظ وصيتي انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم وانتم ربيعة في أمرهم وأما مضر فانهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وان استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعص واذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني وسيرد من خبر أبي مسلم غير هذا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل الضحاك الخارجي﴾

قد ذكرنا محاصرة الضحاك بن قيس الخارجي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط فلما طال عليه الحصار اشير عليه بان يدفعه عن نفسه الى مروان فأرسل ابن عمر اليه ان مقامكم على ليس يسوغ هذا لمروان فسيروا اليه فان قتلته فانا معك فصالحه وخرج اليه وصلى خلفه فانصرف الى الكوفة واقام ابن عمر بواسط وكاتب اهل الموصل الضحاك ليقدم عليهم يمكنوه منها فسار في جماعة من جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى اليها وعليها ابو مثنار وان رجل من بني شيبان يقال له القطران بن اكمة ففتح اهل الموصل البلد فدخله الضحاك وقاتلهم القطران ومن معه من اهله وهم عدة يسيرة حتى قتلوا واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشتغل بقتال أهلها فكتب الى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره ان يسير الى نصيبين فيمن معه يمنع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار اليها في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف وسار الضحاك الى نصيبين فحصر عبد الله فيها وكان مع الضحاك ما يزيد على مائة ألف ووجه قائدين من قواده الى الرقة في أربعة آلاف أو خمسة آلاف فقاتله من بها فوجه اليهم مروان من رحلهم عنها ثم ان مروان سار الى الضحاك فالتقوا بنواحي كفرتوثا من اعمال ماردين فقاتله يومه اجمع فلما كان عند المساء ترجل الضحاك ومعه من ذوي الثبات وارباب البصائر نحو من ستة آلاف ولم يعلم اكثر أهل عسكره بما كان فاحدقت بهم خيول مروان وألحوا عليهم في القتال حتى قتلوهم عند العتمة وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك عند العتمة الى عسكرهم ولم يعلموا بقتل الضحاك ولم يعلم به مروان أيضا وجاء بعض من عاينه الى أصحابه فاخبرهم فبكوا وناحوا عليه وخرج قائد من قواده الى مروان فاخبره فارسل معه النيران والشمع فطافوا عليه فوجدوه قتيلا وفي وجهه وفي رأسه اكثر من عشرين ضربة فكبروا فعرف عسكر الضحاك انهم قد علموا بقتله وبعث مروان رأسه الى مدائن الجزيرة فطيف به فيها وقيل ان الضحاك والخيبري انما قتلا سنة تسع وعشرين

﴿ذكر قتل الخيبري وولاية شيبان﴾

ولما قتل الضحاك اصبح أهل عسكره فبايعوا الخيبري واقاموا يومئذ وغادوا القتال من بعد الغد وصافوا مروان وصافهم وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك مع الخيبري وكان قبله مع الضحاك وقد ذكرنا سبب قدومه وقيل بل قدم على الضحاك وهو بنصيبين في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته وموالية فتزوج أخت شيبان الحروري الذي بويع بعد قتل الخيبري فحمل الخيبري على مروان في نحو من أربعمائة فارس من الشراة فهزم مروان وهو في القلب وخرج مروان من العسكر منهزما ودخل الخيبري ومن معه عسكره ينادون بشعارهم ويقتلون من

سريره فهوت في نهر العقيق والريح دبور فثال الغبار عليهم وانتهى القعقاع وأصحابه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليهم بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل منها وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي رستم في ظله فقطع حباله ووقع على رستم احد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقاره ومضى رستم الى نحو نهر العقيق فرمى بنفسه فيه واقتحم هلال عليه فتناوله برجله ثم خرج به الى الخندق وضربه بالسيف حتى قتله ثم جاء به يجره حتى رماه بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة الى فطاف به الناس لا يحسون السرير ولا يرونه وتنادوا وتجبنت قلوب المشركين عندها وانهزموا وأخذهم السيف فمن غريق وقتيل وقد كان ثلاثون ألفا منهم قرنوا أنفسهم بعضهم الى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور وبيرت النيران لا يبرحون حتى يقتحموا أو يقتلوا فمشوا على الركب وقرع بين

ادركوا حتى انتهوا الى خيمة مروان نفسه فقطعوا أطنابها وجاس الخبيرى على فرشه ويمنة مروان وعليها ابنه عبد الله ثابتة وميسرته ثابتة وعليها اسحق بن مسلم العقيلى فلما رأى أهل العسكر قلة من مع الخبيرى ثار اليه عبيدهم بعمد الخيم فقتلوا الخبيرى وأصحابه جميعا فى خيمة مروان وحوله وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزما فانصرف الى عسكره ورد خيوله عن موافعها وبات ليلته فى عسكره وانصرف أهل عسكر الخبيرى فولوا عليهم شيبان وبايعوه فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف منذ يومئذ

﴿ذكر خبر أبى حمزة الخارجى مع طالب الحق﴾

كان اسم أبى حمزة الخارجى المختار بن عوف الازدى السلمى البصرى وكان أول أمره انه كان من الخوارج الاباضية يوافى كل سنة مكة يدعو الناس الى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق فى آخر سنة ثمان وعشرين فقال له يا رجل اسمع كلاما حسنا وأراك تدعو الى حق فانطلق معى فانى رجل مطاع فى قومى فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا الى خلاف مروان وآل مروان وكان أبو حمزة اجتاز مرة بعمد من بنى سليم والعامل عليه كثير بن عبد الله فسمع كلام أبى حمزة فجلده أربعين سوطا فلما ملك أبو حمزة المدينة وافتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهما ما كان

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة سير مروان يزيد بن هبيرة الى العراق لقتال من به من الخوارج فى قول وحج بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامل مكة والمدينة وكان بالعراق عمال الضحاك الخارجى وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وعلى قضاء البصرة ثمامة بن عبد الله بن أنس وبخراسان نصر بن سيار والفتنة بها قائمة وفيها مات عاصم بن أبى النجود صاحب القراآت ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس الثقفى المدنى وفيها توفى جابر بن يزيد الجعفى وكان من غلاة الشيعة يقول بالرجعة وفيها مات محمد بن مسلم بن تدروس أبو الزبير المكى وجامع بن شداد وأبو قبيل المعافرى واسمه يحيى بن هانئ المضرى (قبيل بفتح القاف وكسر الباء الموحدة) وسعيد بن مسروق الثورى والد سفيان وكان ثقة فى الحديث

﴿ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر شيبان الحرورى الى ان قتل﴾

وهو شيبان بن عبد العزيز أبو الدلف اليشكرى وكان سبب هلاكه ان الخوارج لما بايعوه بعد قتل الخبيرى اقام بقاتل مروان وتفرق عن شيبان كثير من أصحاب الطمع فبقى فى نحو أربعين ألفا فاشار عليهم سليمان بن هشام ان ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا الى الموصل فسكروا شرقى دجلة وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم الى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها وخندق مروان بازائهم وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخصة وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج فاقام مروان ستة أشهر يقاتلهم وقيل تسعة أشهر واتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له أمية بن معاوية بن هشام وكان مع عمه سليمان فى عسكر شيبان أسيرا فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه الى العراق وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريش وهو خليفة للخوارج بالعراق فلقى ابن هبيرة بعين التمر فاقتتلوا قتالا

أيديهم قناديل النشاب فقتل القوم جميعا (وقد تنوزع) فيمن قتل رستم فذهب الاكثر الى أن قاتله هلال بن علقمة بن تيم الربان على ما قدمناه ومنهم من رأى أن قاتله رجل من بنى أسد ولذلك يقول شاعرهم فى ذلك اليوم وهو عمرو بن ساس الاسدى من أبيات

جلبنا الخيل فى أكناف هف
الى كسرى بوافقها رعالا
تركن بهم على الاصنام سحرا
وبالحقوين أياما طوالا
قتلنا رستما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهمالا
تركنا منهم حيث التقينا
قياما لا يريدون ارتحالا

وأخذ ضرار بن الخطاب فى ذلك اليوم من فارس الراية العظمى المقدم ذكرها أنها من جلود النمور المعروفة بدرفس كاسان وكانت مرصعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجوهر فعوض منها بثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف وقتل فى ذلك اليوم حول هذه الراية غير ماذكرنا من المقرنين وغيرهم عشرة آلاف (وقد تنازع الناس) ممن سلف وخلف فى عام القادسية

شديدا وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالكوفة بالنخيلة فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة فارسل شيبان اليهم عبيدة بن سوار فى خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج وقتل عبيدة واستباح ابن هبيرة عسكرهم فلم يكن لهم همة بالعراق واستولى ابن هبيرة على العراق وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل اجمع وسار ابن هبيرة الى واسط فاخذ ابن عمر فحبسه ووجه نباتة بن حنظلة الى سليمان بن حبيب وهو على كور الاهواز فسمع سليمان الخبر فارسل الى نباتة داود بن حاتم فالتقوا بالمرتان على شاطئ دجيل فانهزم الناس وقتل داود بن حاتم وكتب مروان الى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بارسال عامر بن ضبارة المرى اليه فسيره فى سبعة آلاف أو ثمانية آلاف فبلغ شيبان خبره فارسل الجون بن كلاب الخارجى فى جمع فلقوا عامرا بالسن فهزموه ومن معه فدخل السن وتحصن فيه وجعل مروان يمده بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا الى السن فكثر جمع عامر وكان منصور بن جمهور يمد شيبان من الجبل بالاموال فلما كثر من مع عامر نهض الى الجون والخوارج فقاتلهم فهزمهم وقتل الجون وسار ابن ضبارة مصعدا الى الموصل فلما انتهى خبر قتل الجون الى شيبان ومسير عامر نحوه كره ان يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره فى جمع كثير فى أثر شيبان فان أقام أقام وان سار سار وأن لا يبدأه بقتال فان قاتله شيبان قاتله وان أمسك أمسك عنه وان ارتحل اتبعه فكان على ذلك حتى مر على الجبل وخرج على بيضاء فارس بها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر فى جموع كثيرة فلم يتهيأ الامر بينهما فسار حتى نزل جيرفت من كرمان واقبل عامر بن ضبارة حتى نزل ازاء ابن معاوية اياما ثم ناهضه وقاتله فانهزم ابن معاوية فلحق بهراة وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الخوارج واستبيح عسكرهم ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك فى سنه ثلاثين ومائة وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر بن ضبارة يتبعه وسار شيبان الى جزيرة ابن كاوان ثم خرج منها الى عمان فقتله جلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الازدى سنة أربع وثلاثين ومائة وذكره هنالك ان شاء الله تعالى وركب سليمان ومن معه من أهله ومواليه السفن الى السند ولما ولى السفاح الخلافة حضر عنده سليمان فاكرمه واعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف مولى السفاح اقبل عليه وقال

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فاقبل عليه سليمان وقال قتلتنى أيها الشيخ وقام السفاح فدخل فاخذ سليمان فقتل وانصرف مروان بعد مسير شيبان عن الموصل الى منزله بحران فاقام بها حتى سار الى الزاب

﴿ ذكر اظهار الدعوة العباسية بخراسان ﴾

وفى هذه السنة شخص ابو مسلم الخراسانى من خراسان الى ابراهيم الامام وكان يختلف منه الى خراسان ويعود اليه فلما كانت هذه السنة كتب ابراهيم الى ابى مسلم يستدعيه ليسأله عن اخبار الناس فسار نحوه فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفسا من النقباء فلما صاروا بالدانقان من ارض خراسان عرض له كامل فسأله عن مقصده فقال الحج ثم خلابه ابو مسلم فدعاه فاجابه ثم سار ابو مسلم الى نساوعا ملها سليمان بن قيس السلمى لنصر بن سيار فلما قرب منها ارسل الفضل بن سليمان الطوسى الى اسيد بن عبد الله الخزاعى ليعلمه قدومه فدخل قرية من

قرى

والعذيب فذهب كثير من الناس الى أن ذلك كان فى سنة خمس عشرة ومنهم من رأى أنه كان فى سنة اربع عشرة والذى قطع عليه محمد بن اسحق أنها كانت فى خمس عشرة وقال فى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب بالقيام فى شهر رمضان لصلاة التراويح وذهب كثير من الناس منهم المدائنى وغيره أن عمر أنفذ عتبة بن غزوان فى سنة أربع عشرة الى البصرة فنزلها ومصرها وذهب كثير من الناس أنها مصرت فى ربيع سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان انما خرج اليها من المدائن بعد فراغ سعد بن أبى وقاص من حرب جلولاء وتكريت وأن عتبة قدم البصرة وهى يومئذ تدعى أرض الهند وفيها حجارة بيض فنزل موضع الخريبة ومصر سعد بن أبى وقاص الكوفة فى سنة خمس عشرة ودلهم على موضعها نفيلة الغسانى وقال اسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البر وانحدرت عن الفلاة فدله على موضع الكوفة الى اليوم (قال المسعودى) وكان عمر لا يترك أحدا من العجم

قرى نسا فلقى رجلا من الشيعة فسأله عن أسيد فانتهره وقال له انه كان فى هذه القرية شرا سعى الى العامل برجلين قيل انهما داعيان فأخذهما وأخذ الاحجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب ابن سعيد ومهاجر بن عثمان فانصرف الفضل الى أبى مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأرسل طرخان الحال يستدعى أسيدا ومن قدر عليه من الشيعة فدعاه أسيد فاتاه فسأله عن الاخبار فقال قدم الازهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتب الامام اليك فخلفا الكتب عندى وخرجا فأخذ فلا أدرى من سعى بهما فقال فاين الكتب فاتاه بها ثم سار حتى أتى قومس وعليها بهيس ابن بديل الهلى فاتاهم بهيس فقال أين تريدون قالوا الحج وأتاه وهو بقومس كتاب ابراهيم الامام اليه والى سليمان بن كثير يقول لابى مسلم فيه انى قد بعثت اليك براية النصر فارجع من حيث لقيك كتابى ووجه الى قطبة بما معك وافينى به فى الموسم فانصرف أبو مسلم الى خراسان ووجه قطبة الى الامام بما معه من الاموال والعروض فلما كانوا بنيسابور عرض لهم صاحب المسلحة فسألهم عن حالهم فقالوا أردنا الحج فبلغنا عن الطريق شئ خفناه فأمر الفضل بن السرقى السلمى بازعاجهم فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم فاجابه وأقام عندهم حتى ارتحلوا على مهل فقدم أبو مسلم مرو ودفع كتاب الامام الى سليمان بن كثير يأمره فيه باظهار الدعوة فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ودعوا الى طاعة بنى العباس وأرسلوا الى من قرب منهم وبعد ممن اجابهم فأمروه باظهار أمرهم والدعاء اليهم فنزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين على أبى الحكم عيسى بن أعين النقيب ووجه منها آباد ود النقيب ومعه عمرو بن أعين الى طخارستان فادون بلخ فامرهما باظهار الدعوة فى شهر رمضان وكان نزوله فى هذه القرية فى شعبان ووجه نصر بن صبيح التميمى وشريك بن غضى التميمى الى مرو الرو ذ باظهار الدعوة فى رمضان ووجه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم الى الطالقان ووجه الجهم بن عطية الى العلاء بن حريث بخوارزم باظهار الدعوة فى رمضان لخمس بقين منه فان اعجلهم عدوهم دون الوقت بالاذى والمكروه فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم ويجردوا السيوف ويجاهدوا أعداء الله ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثم تحول أبو مسلم من عند أبى الحكم فنزل قرية سفيذنج فنزل على سليمان بن كثير الخزاعى لليلتين خلتا من رمضان والكرمانى وشيبان يقاتلان نصر بن سيار فبث أبو مسلم دعاته فى الناس وأظهر أمره فاتاه فى ليلة واحدة أهل ستين قرية فلما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من السنة عقد اللواء الذى بعث به الامام الذى يدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعا وعقد الراية التى بعث بها اليه وهى التى تدعى السحاب على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا وهو يتلو أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير واخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيذنج وأوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان وكانت علامتهم فتجمعوا اليه حين اصبحوا معدين وتأول الظل والسحاب ان السحاب يطبق الارض وان الارض كما لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسى الى آخر الدهر وقدم على ابى مسلم الدعاة ممن أجاب الدعوة فكان اول من قدم عليه اهل التقادم مع ابى الوضاح فى تسعمائة راجل واربعة فرسان ومن اهل هرمزفره جماعة وقدم اهل التقادم مع ابى القاسم محرز بن ابراهيم الجوبانى فى الف وثلثمائة راجل وستة عشر فارسا فيهم من الدعاة ابو العباس المروزى فجعل أهل التقادم يكبرون من ناحيتهم ويجيبهم اهل التقادم بالتكبير فدخلوا عسكر ابى مسلم بسفيذنج بعد ظهوره بيومين وحصن

يدخل المدينة فكتب اليه المغيرة بن شعبة ان عندى غلاما نقاشا نجارا حدادا فيه منافع لاهل المدينة فان رأيت أن تأذن لى فى الارسال به فعلت فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى ابا لؤلؤة وكان مجوسيا من اهل نهاوند فلبث ماشاء الله ثم أتى عمر يشكو اليه ثقل خراجه فقال له عمر ما تحسن من الاعمال قال نقاش نجار حداد فقال له عمر ما خراجك بكثير فى كنه ما تحسن من الاعمال فمضى عنه وهو مدبر فقال ثم مر بعمر يوما آخر وهو قاعد فقال له عمر ألم أحدث عنك أنك تقول لو شئت أن أصنع رحا تطحن بالريح لفعلت فقال أبو لؤلؤة لاصنعن لك رحا يتحدث الناس بها ومضى أبو لؤلؤة فقال عمر أما العلج فقد توعدنى آنفا فلما ازمع بالذى أوعده به أخذ خنجرا فاشتمل عليه ثم قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس وكان عمر يخرج فى السحر فيوقظ الناس فمر به فثار اليه فطعنه ثلاث طعنات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وطعن اثنى عشر رجلا من

أهل المحدثات منهم ستة وبقي ستة ونحر نفسه بخنجره فمات فدخل عليه ابنه عبد الله بن عمر وهو يجود بنفسه فقال له يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد فانه لو جاءك راعي ابلك أو غنمك وترك ابله أو غنمه لا راعي لها لمته وقلت له كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد فاستخلف عليهم فقال ان استخلف عليهم فقد استخلف أبو بكر وان أتركهم فقد تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئس منه عبد الله حين سمع ذلك منه (وكان اسلام عمر) قبل الهجرة بأربع سنين وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له من الولد عبد الله وحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعاصم وفاطمة وزيد من ام وعبد الرحمن وفاطمة وبنات أخر وعبد الرحمن الاصغر وهو المحدود في الشراب وهو المعروف بأبي شحمة من أم (وذكر عبد الله بن عباس) أن عمر ارسل اليه فقال يا ابن عباس ان عاملي حمص هلك وكان من اهل الخير واهل الخير قليل وقد رجوت ان تكون منهم

أبو مسلم حصن سفيذنج ورممه وستدر وبها فلما حضر عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير ان يصلي به وبالشيعة ونصب له منبرا بالعسكر وأمره ان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة وكان بنو أمية يبدؤن بالخطبة قبل الصلاة وبالاذان والاقامة وأمر أبو مسلم أيضا سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع بالسابعة ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ثم يقرأ ويركع بالسادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن وكان بنو أمية يكبرون في الاولى أربع تكبيرات يوم العيد وفي الثانية ثلاث تكبيرات فلما قضى سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة الى طعام قد أعده لهم فأكلوا مستبشرين وكان أبو مسلم وهو في الخندق اذا كتب الى نصر بن سيار كتابا يكتب للامير نصر فلما قوي أبو مسلم بمن اجتمع اليه بدأ بنفسه فكتب الى نصر أما بعد فان الله تبارك أسماؤه عير أقواما في القرآن فقال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا فتعاظم نصرا الكتاب وكسر له احدى عينيه وقال هذا كتاب ماله جواب وكان من الاحداث وأبو مسلم بسفيذنج أن نصرا وجه مولى له يقال له يزيد لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهرا من ظهوره فوجه اليه أبو مسلم مالك بن الهيثم الخزاعي فالتقوا بقرية الين فدعاهم مالك الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك وهو في نحو مائتين من أول النهار الى العصر وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبي وابراهيم بن زيد وزياد بن عيسى فسيرهم الى مالك فقوي بهم وكان قدومهم اليه مع العصر فقال مولى نصر ان تركنا هؤلاء الليلة أتتهم أمدادهم فحملوا على القوم فحملوا عليهم واشتد القتال فحمل عبد الله الطائي على مولى نصر فأسره وانهزم أصحابه فأرسل الطائي بأسيره الى أبي مسلم ومعه رؤس القتلى فنصب الرؤس واحسن الى يزيد مولى نصر وعالجه حتى اندمل جراحه وقال له ان شئت ان تقيم معنا فقد أرشدك الله وان كرهت فارجع الى مولاك سالما وأعطناعهد الله انك لا تحارب نا ولا تكذب علينا وان تقول فينا ما رأيت فرجع الى مولاه وقال أبو مسلم ان هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فانحن عندهم على الاسلام وكذلك كان عندهم يرجفون عليهم بعبادة الاوثان واستحلال الدماء والاموال والفروج فلما قدم يزيد على نصر قال لامرحبا فوالله ما استبقاك القوم الا ليتخذوك حجة علينا فقال يزيد هو والله ما ظننت وقد استحلفوني ان لا اكذب عليهم وانا أقول انهم والله يصلون الصلاة لوقتها باذان واقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيرا ويدعون الى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسب امرهم الا سيعلو ولولا أنك مولاي لارجعت اليك ولاقمت معهم فهذه اول حرب كانت بينهم * وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عامل نصر بن سيار وكان سبب ذلك انه لما أراد الخروج بمرو الروذ وهو من شيعة بني العباس منعه بنو تميم فقال انما أنا رجل منكم اريد ان اغلب على مرو فان ظفرت فهي لكم وان قتلت فقد كفيتم امري فكفوا عنه فعسكر بقرية يقال لها كنج رستاق وقدم عليه من عند ابي مسلم النضر بن صبيح فلما امسى خازم بيت اهل مرو فقتل بشر بن جعفر السعدي عامل نصر بن سيار عليها في اول ذي القعدة وبعث بالفتح الى ابي مسلم مع ابنه خزيمة بن خازم وقد قيل في امر ابي مسلم غير ما ذكرنا والذي قيل ان ابراهيم الامام زوج أبا مسلم لما توجه الى خراسان ابنة أبي النجم وساق عنه صداقها وكتب الى النقباء بالسمع والطاعة

وكان أبو مسلم من أهل خطرينية من سواد الكوفة وكان قهرمانا لادريس بن معقل العجلي فصار أمره الى ولاية لمحمد بن علي ثم لابنه ابراهيم بن محمد ثم للائمة من ولد محمد فقدم خراسان وهو حدث السن فلم يقبل له سليمان بن كثير وخاف ان لا يقوى على أمرهم فردّه وكان أبو داود خالد بن ابراهيم غائبا خلف نهر بلخ فلما رجع الى مرو أقرؤه كتاب الامام ابراهيم فسأل عن أبي مسلم فاخبروه ان سليمان بن كثير ردّه فجمع النقباء وقال لهم أتاكم كتاب الامام فيمن بعثه اليكم فردد تموه فما حجتكم فقال سليمان حداثة سنه وتخوّفا ان لا يقدر على هذا الامر فخفنا على من دعوناه على انفسنا فقال أبو داود هل فيكم احد ينكر ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم واصطفاه وبعثه الى جميع خلقه قالوا لا قال افتشكون ان الله أنزل عليه كتابه فيه حلاله وحرامه وشرائعه وأنباؤه وأخبر بما كان قبله وبما يكون بعده قالوا لا قال افتشكون ان الله قبضه اليه بعد ان أدّى ما عليه من رسالة ربه قالوا لا قال أفتظنون ان العلم الذي أنزل اليه رفع معه أو خلفه قالوا بل خلفه قال أفتظنونه خلفه عند غير عترته وأهل بيته الاقرب فالاقرب قالوا لا قال أفتشكون ان أهل هذا البيت معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي علمه الله قالوا اللهم لا قال فما أراكم قد شككتم في أمركم وردتم عليهم علمهم ولو لم يعلموا ان هذا الرجل الذي ينبغي له ان يقوم بأمرهم لم يبعثوه اليكم وهو لا يتهم في نصرتهم وموالاتهم والقيام بحقهم فبعثوا الى أبي مسلم فردّوه من قومس يقول أبي داود ووالوه أمرهم واطاعوه فلم يزل في نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير ولم يزل يعرفها لابي داود وبث الدعاة في اقطار خراسان فدخل الناس افواجا وكثروا وفشت الدعاة بخراسان كلها وكتب اليه ابراهيم الامام ان يوافيه في موسم سنة تسع وعشرين ليأمره بامره في اظهار دعوته وان يقدم معه قحطبة بن شبيب ويحمل اليه ما اجتمع عنده من الاموال ففعل ذلك وسار في جماعة من النقباء والشيعة فلقيه كتاب الامام يأمره بالرجوع الى خراسان واظهار الدعوة بها وذكر قريبا مما تقدم من تسيير المال مع قحطبة وان قحطبة سار فنزل بنواحي جرجان فاستدعى خالد بن برمك وأباعون فقدما عليه ومعهما ما اجتمع عندهما من مال الشيعة فأخذ منهما وسار نحو ابراهيم الامام

﴿ذكر مقتل الكرماني﴾

قد ذكرنا مقتل الحرث بن سريج وان الكرماني قتله ولما قتله خلصت له مرو وتنحى نصر عنها فأرسل نصر اليه سالم بن أحوز في رابطته وفرسانه فوجد يحيى بن نعيم الشيباني واقفا في ألف رجل من ربيعة ومحمد بن المثنى في سبعمائة من فرسان الازد وابن الحسن بن الشيخ في ألف من فتيانهم والجرمي السعدي في ألف من أبناء اليمن فقال سالم لمحمد بن المثنى يا محمد قل لهذا الملاح ليخرج اليما يعني الكرماني فقال محمد يا ابن الفاعلة لابي علي تقول هذا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سالم ابن أحوز وقتل من أصحابه زيادة على مائة ومن أصحاب الكرماني زيادة على عشرين فلما قدم أصحاب نصر عليه منهزمين قال له عصمة بن عبد الله الاسدي يا نصر شأمت العرب فأما اذ فعلت ما فعلت فشمر عن ساق فوجه عصمة في جمع فوقف موقف سالم فنادى يا محمد بن المثنى لتعلمن ان السمك لا يأكل اللحم واللحم دابة من دواب الماء تشبه السبع يأكل السمك فقال له محمد يا ابن الفاعلة قف لنا اذا وأمر محمدا السعدي فخرج اليه في أهل اليمن فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم عصمة حتى أتى نصرا وقد قتل من أصحابه أربعمائة ثم أرسل نصر مالك بن عمرو التميمي في أصحابه فنادى يا ابن المثنى ابرز الي فبرز اليه فضربه مالك على حبل عاتقه فلم يصنع شيأ وضربه

وفي نفسي منك شيء لم اره منك وأعياني ذلك فما رايك في العمل قال لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك قال وما تريد الى ذلك قال اريده فان كان شيء اخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وان كنت بريأ من مثله علمت اني لست من اهله فقبلت عملك هنالك فاني قلما رأيت او ظننت شيأ الا عاينته فقال يا ابن عباس اني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت واتت في عملك فتقول هلم الينا ولا هلم اليكم دون غيركم اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل الناس وتركهم قال والله قد رأيت من ذلك فلم تره فعل ذلك قال والله ما ادري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك انتم أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب ولا بد من عتاب فقد قرعت لك قال فما رأيك قال قلت أراني لا أعمل لك قال ولم قلت ان عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك قال فأشر علي قلت اني أرى ان تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (وذكر) علقمة ابن عبد الله المزني عن معقل ابن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان في فارس

محمد بعمود فشدخ رأسه والتحم القتال فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أصحاب نصر وقد قتل منهم سبعمائة ومن أصحاب الكرماني ثلثمائة ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا الى الخندقين فاقتتلوا قتالا شديدا فلما استيقن أبو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وانه لا مدد لهم جعل يكتب الى شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك على مضر فانهم سيأخذون كتبك فكانوا يأخذونها فيقرؤن فيها اني رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تيقن بهم ولا تظهر اليهم فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لأدعن لهاشم رايا ولا ظفرا ويرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر بمثل ذلك ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه ثم جعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني ان الامام أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم وكتب الى الكرماني باظهار الامر فكان أول من سود أسد بن عبد الله الخزاعي بنسا ومقاتل بن حكيم وابن غزوان ونادوا يا لثارات محمد يا منصور وسودوا أهل ابيورد وأهل مرو الروذ وقرى مرو وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق الكرماني وخندق نصر وهابه الفريقان وبعث الى الكرماني اني معك فقبل ذلك الكرماني فانضم أبو مسلم اليه فاشتد ذلك على نصر بن سيار فارسل الى الكرماني ويحك لا تغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى أصحابك منه فادخل مرو ونكتب كتابا بيننا بالصلح وهو يريد ان يفرق بينه وبين أبي مسلم فدخل الكرماني منزله وأقام أبو مسلم في العسكر وحرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وعليه قرطق وأرسل الى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب فابصر نصر منه غرة فوجه اليه ابن الحرث بن سريج في نحو من ثلثمائة فارس في الرحبة فالتقوا بها طويلا ثم ان الكرماني طعن في خاصرته فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم مالا قبل لهم به فقتل نصر بن سيار الكرماني وصلبه وصلب معه سمكة وأقبل ابنه علي وقد جمع جمعا كثيرا فصار الى أبي مسلم واستصحبه معه فقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة فمال الى بعض دور مرو وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو وأتاه علي بن الكرماني وأعلمه أنه معه وسلم عليه بالامرة وقال له مرني بامرك فاني مساعدك على ما تريد فقال أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بامري ولما نزل أبو مسلم بين خندق الكرماني ونصر ورأى نصر قوته كتب الى مروان بن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه فابه يدعو الى ابراهيم بن محمد وكتب بابيات شعر

أرى بين الرماد وميض نار * وأخشى أن يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجب ليت شعري * أأيقاظ امية أم نيام

فكتب اليه مروان ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب واحسم الثاول قبل أن تستفحل فقال نصر أما صاحبكم فقد أعلمكم انه لا نصر عنده فكتب الى يزيد بن هبيرة يستمده وكتب له بابيات شعر

أبلغ يزيد وخير القول اصدقه * وقد تيقنت ان لا خير في الكذب
ان خراسان ارض قد رأيت بها * بيضا لوافر خ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين الا انها كبرت * لما يطرن وقد سربلن بالزغب
الا تداركها بخيل الله معلمة * أهل بن نيران حرب أيما لهب

فقال يزيد لا تكثر فليس له عندي رجل فلما قرأ مروان كتاب نصر تصادف وصول كتابه وصول رسول لابي مسلم الى ابراهيم وقد عاد من عند ابراهيم ومعه جواب أبي مسلم يلعنه ابراهيم ويسبه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني اذ أمكناه ويأمره ان لا يدع بخراسان متكلما

وأصبهان واذربيجان فقال له أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان فان قطعت احد الجناحين نأى الرأس بالجناح الآخر وان قطعت الرأس وقع فابدأ بالرأس فدخل المسجد فاذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال ما أراني الا مستعملك قال أتاجا بها فلا ولكن غازيا قال فانك غاز فوجهه وكتب الى أهل الكوفة أن يمدوه وبعث معه الزبير بن العوام وعمرو بن معديكرب وحذيفة وابن عمرو الاشعث ابن قيس فأرسل النعمان المغيرة بن شعبة الى ملكهم وهو يقال له ذو الجناحين فقطع اليهم نهرهم فقيل لذي الجناحين ان رسول العرب ههنا فشاور أصحابه فقال ماترون فقالوا اقعد له في بهجة الملك فصعد على سريره ووضع التاج على رأسه وأقعد أبناء الملوك سماطين عليهم الاقراط وأسورة الذهب والديباج وأذن للمغيرة فأخذ بضبعيه رجلان ومعه سيفه ورمحه قال فجعل المغيرة يطعن برمحه في بسطهم يخرقها لينظر وافيغضبهم بذلك حتى قام بين يديه وجعل

بالعربية الا قتله فلما قرأ الكتاب كتب الى عامله بالبقاء ليسير الى الجيمة وليأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ويبعث به اليه ففعل ذلك وأخذه مروان وحبسه

﴿ذكر تعاقد أهل خراسان على أبي مسلم﴾

وفي هذه السنة تعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبي مسلم وفيها تحول أبو مسلم من معسكر باسفيذنج الى الماخوان وكان سبب ذلك ان أبا مسلم لما ظهر أمره سارع اليه الناس وجعل اهل مرو يأتونه ولا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم وكان الكرماني وشيبان لا يكرهان امر ابي مسلم لانه دعا الى خلع مروان وأبو مسلم في خباء ليس له حرس ولا حجاب وعظم امره عند الناس وقالوا ظهر رجل من بني هاشم له حلم ووقار وسكينة فانطلق فتية من اهل مرو نسالك يطلبون الفقه الى ابي مسلم فسألوه عن نسبه فقال خبري خيراكم من نسبي وسألوه اشياء من الفقه فقال امركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خيراكم من هذا ونحن الى عونكم احوج منا الى مسئلتكم فاعفونا فقالوا ما نعرف لك نسبا ولا نظنك تبقى الا قليلا حتى تقتل وما بينك وبين ذلك الا ان يتفرغ احد هذين الاميرين فقال ابو مسلم انا اقتلهما ان شاء الله فانوا نصرا فاخبروه فقال جزاكم الله خيرا منكم من يفتقد هذا ويعرفه وأتوا شيبان فاعلموه فأرسل اليه نصرا ناقد أشجى بعضنا بعضا فاكفف عني حتى اقاتله وان شئت فجامعني الى حربه حتى اقتله أو انفيه ثم نعود الى امرنا الذي نحن عليه فهم شيبان أن يفعل ذلك فأتى الخبر أبا مسلم فكتب الى علي بن الكرماني انك موتور قتل ابوك ونحن نعلم انك لست على رأي شيبان وانما تقاتل لثارك فامتنع شيبان من صلح نصر فدخل على شيبان فثناه عن رأيه فارسل نصر الى شيبان انك لمغرور والله ليتفاقمن هذا الامر حتى يستصغر في جنبه كل كبير وقال شعرا يخاطب به ربيعة واليمن ويحثهم على الاتفاق معه على حرب ابي مسلم

أبلغ ربيعة في مرو وفي يمن * ان اغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم * كأن أهل الحجى عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم * ممن تأشب لا دين ولا حسب
لا عرب مثلكم في الناس نعرفهم * ولا صريح موال انهم نسبوا
من كان يسألني عن أصل دينهم * فان دينهم أن تهلك العرب
قوم يقولون قولا ما سمعت به * عن النبي ولا جاءت به الكتب

فبيناهم كذلك اذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي الى هراة وعليها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي فطرده عنها فقدم على نصر منهزما وغلب النضر على هراة فقال يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني لابن الكرماني وشيبان اختاروا اما انكم تهلكون أنتم قبل مضر او مضر قبلكم قالوا وكيف ذلك قال ان هذا الرجل انما اظهر امره منذ شهر وقد صار في عسكره مثل عسكركم قالوا فما الرأي قال صالحوا نصرا فانكم ان صالحتموه قاتلوا نصرا وتركوكم لان الامر في مضر وان لم تصالحوا نصرا صالحوه وقاتلوكم فقدموا مضر قبلكم ولو ساعة من نهار فتقر أعينكم بقتلهم فارسل شيبان الى نصر يدعوه الى الموادعة فاجابه وارسل سالم بن احوز بكتاب الموادعة فاتى شيبان وعنده ابن الكرماني ويحيى بن نعيم فقال سالم لابن الكرماني يا اعور ما اخلقك ان تكون الاعور الذي يكون هلاك مضر على يده ثم تواادعوا سنة وكتبوا كتابا فبلغ ذلك ابا مسلم فكتب الى شيبان انا نوادعك اشهرا فوادعنا ثلاثة اشهر فقال ابن الكرماني اني ما صالحت نصرا انما صالحه شيبان وانا لذلك

يكلمه والترجمان يترجم بينهما فقال انكم معشر العرب أصابكم جهد فان شئتم مرناكم ورجعتم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انا معشر العرب كما أدلة يطؤنا الناس ولا نطؤهم ونأكل الكلأ ب والجيف ثم ان الله تعالى بعث منا نبيا في شرف منا أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وأخبرنا بأشياء وجدناها كما قال لنا وانه وعدنا فيما وعدنا به أنا سنملك ما ههنا وتغلب عليه وانى أرى ههنا هيئة وبزة ما من خلق بتاركيها يصيبوها أو يموتوا فقالت لي نفسي لو جمعت جراء مئزري ووثبت فقعدت مع العلج على سريره حتى يتطير قال فوثبت وثبة فاذا أنا معه على سريره فجعلوا يلكزوني بأرجلهم ويجذبوني بأيديهم فقلت لهم انا لا نفعل برسلكم هكذا وان كنت فجرت واستخففت فلا تؤاخذوني فان الرسل لا يصنع بها هكذا فقال الملك ان شئتم قطعنا اليكم وان شئتم قطعتم الينا قلت بل نقطع اليكم فقطعنا اليهم قال فقالوا كل خمسة وستة حتى لا تغزوا فدونا

كاره وأنا موتور بقتله أبي ولا أدع قتاله فعاود القتال ولم يعنه شيبان وقال لا يحل الغدر فارسل ابن الكرماني الى أبي مسلم يستنصره فاقبل حتى نزل الماخوان وكان مقامه بسفيذ نج اثنين وأربعين يوما ولما نزل الماخوان حفر بها خندقا وجعل للخندق بابين فعسكر به واستعمل على الشرط أبا نصر مالك بن الهيثم وعلى الحرس أبا اسحق خالد بن عثمان وعلى ديوان الجند كامل بن مظفر أبا صالح وعلى الرسائل آسلم بن صبيح وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب وكان القاسم يصلي بابي مسلم فيقص القصص بعد العصر فيذكر فضل بني هاشم ومعايب بني أمية ولما نزل أبو مسلم الماخوان أرسل الى ابن الكرماني اني معك على نصر فقال ابن الكرماني اني أحب أن يلقاني أبو مسلم فاتاه أبو مسلم فاقام عنده يومين ثم رجع الى الماخوان وذلك لخمس خلون من المحرم سنة ثلاثين ومائة وكان أول عامل استعمله أبو مسلم على شئ من العمل داود بن كرار فرد أبو مسلم العبيد عنه واحتفر لهم خندقا في قرية شوال وولى الخندق داود بن كرار فلما اجتمعت للعبيد جماعة وجههم الى موسى بن كعب بابيورد وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر ان يعرض الجند ويكتب أسماءهم وأسماء آبائهم ونسبتهم الى القرى ويجعل ذلك في دفتر فبلغت عدتهم سبعة آلاف رجل ثم ان القبائل من مضر وربيعة واليمن تواعدوا على وضع الحرب وان تجتمع كلمتهم على أبي مسلم وبلغ أبا مسلم الخبر فعظم عليه وناظر فاذا الماخوان سافلة الماء فتخوف ان يقطع نصر عنه الماء فتحول الى ألين وكان مقامه بالماخوان أربعة أشهر فنزل ألين وخندق بها وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض وجعل عاصم بن عمرو بيلاش جردوا بالذيال بطوسان فانزل أبو الذيال جنده على أهلها وكان عامة أهلها مع أبي مسلم في الخندق فآذوا أهل طوسان وعسفوهم وسير اليهم أبو مسلم جندا فلقوا أبا الذيال فهزموه وأسروا من أصحابه نحوا من ثلاثين رجلا فكساهم أبو مسلم وداوى جراحهم وأطلقهم ولما استقر بابي مسلم معسكره بالين أمر محرز بن ابراهيم ان يسير في جماعة ويخندق بجيرنج ويجتمع عنده جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان ففعل ذلك واجتمع عنده نحو من ألف رجل فقطع المادة عن نصر

﴿ذكر غلبة عبد الله بن معاوية على فارس وقتله﴾

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها وقد تقدم ذكر ظهوره بالكوفة وانهزامه وخروجه من الكوفة نحو المدائن فلما وصل اليها أتاه ناس من أهل الكوفة وغيرها فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والري وخرج اليه عبيد أهل الكوفة وأقام باصبهان وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الامارة باصطخر فطرد عامل بن عمر عنها وبايع الناس لعبد الله بن معاوية وخرج محارب الى كرمان فاغار عليها وانضم الى محارب قواد من أهل الشام فسار الى مسلم بن المسيب وهو عامل ابن عمر بشيراز فقتله في سنة ثمان وعشرين ثم خرج محارب الى اصبهان الى عبد الله بن معاوية فخوله الى اصطخر فاقام بها وأتاه الناس بنو هاشم وغيرهم وجبى المال وبعث العمال وكان معه منصور بن جمهور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وأتاه شيبان بن عبد العزيز الحارجي على ما تقدم وأتاه أبو جعفر المنصور وأتاه عبد الله وعيسى أولاد علي بن عبد الله بن عباس ولما قدم ابن هبيرة على العراق أرسل نباتة بن حنظلة الكلابي الى عبد الله بن معاوية وبلغ سليمان بن حبيب ان ابن هبيرة استعمل نباتة على الاهواز فسرح داود بن حاتم فاقام بكرخ دينار يمنع نباتة من الاهواز فقاتله فقتل داود وهرب سليمان من الاهواز الى سابور وفيها الاكراد قد غلبوا عليها

اليهم فضايقناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان انه قد أسرع في الناس وقد جرحوا فلو حملت فقال النعمان الملك لذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال وكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر ثم قال اني هازلوائي ثلاث مرات فأما أول هزة فليقض الرجل حاجته وليتوضأ وأما الثانية فلينظر الرجل الى شسعه وليلزم سلاحه فاذا هززت الثالثة فاحملوا ولا يلوين أحد على أحد وان قتل النعمان واني داع الى الله بدعوته وأقسمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها وقال اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح عليهم فأمن القوم فهز ثلاثا ثم أدلى درعه وحمل ثم حمل الناس فكان أول صريع قال معقل فأتيت عليه فذكرت عزمه لا أقف عليها وعلمت علما لا أعرف مكانه ووضعنا القتل فيهم ووقع ذو الجناحين عن بغلة له شهباء فانشق بطنه وفتح الله على المسلمين فأتيت الى مكان النعمان فصادفته

عليها فقاتلهم سليمان وطردهم عن سابور وكتب الى ابن معاوية بالبيعة ثم ان محارب بن موسى العشكري نافر ابن معاوية وفارقه وجمع جمعا فاتى سابور فقاتله يزيد بن معاوية أخو عبد الله فانهزم محارب وأتى كرمان فاقام بها حتى قدم محمد بن الاشعث فصار معه ثم نافره فقتله ابن الاشعث وأربعة وعشرين ابنا له ولم يزل عبد الله بن معاوية باصطخر حتى أتاه ابن ضبارة مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة وسير ابن هبيرة أيضا معن بن زائدة من وجه آخر فقاتلهم معن عند مرو شاذان ومعن يقول

ليس أمير القوم بالخب الخدع * فرمن الموت وفى الموت وقع

وانهزم ابن معاوية فكف معن عنهم وقتل فى المعركة رجل من آل أبى لهب وكان يقال يقتل رجل من بنى هاشم عمرو الشاذان وأسروا أسرى كثيرة فقتل ابن ضبارة منهم عدة كثيرة وهرب منصور ابن جمهور الى السند وعبد الرحمن بن يزيد الى عمان وعمرو بن سهل بن عبد العزيز بن مروان الى مصر وبعث ببقية الاسرى الى ابن هبيرة فاطلقهم ومضى ابن معاوية الى خراسان فسار معن بن زائدة يطلب منصور بن جمهور فلم يدركه فرجع وكان مع ابن معاوية من الخوارج وغيرهم خلق كثير فأسر منهم أربعون ألفا فيهم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس فسبه ابن ضبارة وقال له ماجاء بك الى ابن معاوية وقد عرفت خلافه لامير المؤمنين فقال كان على دين فأتيته فشفع فيه حرب بن قطن الهلالى وقال هو ابن أختنا فوهبه له فعاب عبد الله بن على عبد الله بن معاوية ورمى أصحابه باللواط فسيره ابن ضبارة الى ابن هبيرة ليخبره أخبار ابن معاوية وسار فى طلب عبد الله بن معاوية الى شيراز فحصره فخرج عبد الله بن معاوية منها هاربا ومعه أخواه الحسن ويزيد ابنا معاوية وجماعة من أصحابه وملك المفازة على كرمان وقصد خراسان طمعا فى أبى مسلم لانه يدعو الى الرضا من آل محمد وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحى هراة وعليها أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعى فأرسل الى ابن معاوية يسأله عن قدومه فقال بلغنى انكم تدعون الى الرضا من آل محمد فأتيتكم فأرسل اليه مالك انتسب نعرفك فانتسب له فقال أما عبد الله وجعفر فمن أسماء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما معاوية فلا نعرفه فى أسمائهم فقال ان جدى كان عند معاوية لما ولد له أبى فطلب اليه أن يسمى ابنه باسمه ففعل فأرسل اليه معاوية بمائة الف درهم فارسل اليه مالك لقد اشتريتم الاسم الخبيث بالثمن اليسير ولا نرى لك حقا فيما تدعو اليه ثم ارسل الى ابى مسلم يعرفه خبره وأمره بالقبض عليه وعلى من معه فقبض عليهم وحبسهم ثم ورد عليه كتاب أبى مسلم يأمره باطلاق الحسن ويزيد ابنى معاوية وقتل عبد الله بن معاوية فأمر من وضع فراشا على وجهه فمات وأخرج فصلى عليه ودفن وقبره بهراة معروف يزار رحمه الله

﴿ ذكر أبى حمزة الخارجى وطالب الحق ﴾

وفى هذه السنة قدم أبو حمزة بلج بن عقبة الازدى الخارجى من الحج من قبل عبد الله بن يحيى الحضرمى طالب الحق محكما للخلاف على مروان بن محمد فبينما الناس بعرفة ماشعروا الا وقد طلعت عليهم اعلام وعمائم سود على رؤس الرماح وهم سبعمائة ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ على مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة فقالوا نحن بحجنا اضن وعليه أشح فصالحهم على انهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الاخير فوقفوا بعرفة على حدة فدفع بالناس عبد الواحد فنزل بمنى فى منزل السلطان ونزل أبو حمزة بقرن الثعالب فارسل

وبه رمق فأتيته بداوة فغسلت وجهه فقال من هذا قلت معقل بن يسار قال ما فعل الله بالناس قلت فتح الله عليهم قال الحمد لله كثيرا اكتبوا بذلك الى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس الى الاشعث ابن قيس وأرسلوا الى أم ولده هل عهد اليك النعمان عهدا له أم عندك كتاب قالت سفط فيه كتاب فأخرجوه فاذا فيه ان قتل فلان ففلان وان قتل فلان ففلان فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين فتحا عظيما (قال المسعودى) رحمه الله وهذه وقعة نهاوند وقد كان للاعاجم جمع كثير وقتل هنالك من المسلمين خلق كثير منهم النعمان ابن مقرن وعمرو بن معديكرب وغيرهم وقبورهم الى هذا الوقت مبنية معروفة على نحو فرسخ من نهاوند فيما بينها وبين الدينور وقد أتينا على وصف هذه الوقعة فيما سلف من كتبنا (وذكر) أبو مخنف لوط بن يحيى قال لما قدم عمرو بن معديكرب من الكوفة على عمر سأله عن سعد بن أبى وقاص فقال فيه ما قال من الثناء ثم سأله عن السلاح فأخبره بما علم ثم سأله عن قومه

عبد الواحد الى أبي حمزة الخارجي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وربيعة بن أبي عبد الرحمن في رجال أمثالهم فدخلوا على أبي حمزة وعليه ازار قطن غليظ فتقدمهم اليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له فعبس في وجوههما وأظهر الكراهة لهما ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له فهش اليهما وتبسم في وجوههما وقال والله ما خرجنا الا لفسير بسيرة أبو بكر فقال له عبد الله بن الحسن والله ما خرجنا لتفضل بين آبائنا ولكن بعثنا اليك الامير برسالة وهذا ربيعة يخبرك فلما ذكر له ربيعة نقض العهد قال أبو حمزة معاذ الله ان ننقض العهد أو نخيس به لا والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم فرجعوا الى عبد الواحد فأبلغوه فلما كان النفر الاول نفر عبد الواحد فيه وخلى مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال فقال بعضهم في عبد الواحد

زار الحجيج عصابة فدخالفوا * دين الاله ففر عبد الواحد
ترك الحلائل والامارة هاربا * ومضى يخبط كالبعير الشارد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فخرجوا فلما كانوا بالحرة تلقتهم جزر منحورة فمضوا

﴿ذكر ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاندلس﴾

وفي هذه السنة توفي ثوابة بن سلمة أمير الاندلس وكانت ولايته سنتين وشهورا فلما توفي اختلف الناس فالمضرية أرادت أن يكون الامير منهم واليمانية أرادت كذلك أن يكون الامير منهم فبقوا بغير أمير فخاف الصميل الفتنة فأشار بأن يكون الوالي من قريش فرضوا كلهم بذلك فاختاروا لهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري وكان يومئذ بالبيرة فكتبوا اليه بما اجتمع عليه الناس من تأميره فامتنع فقالوا له ان لم تفعل وقعت الفتنة ويكون اثم ذلك عليك فأجاب حينئذ وسار الى قرطبة فدخلها واطاعه الناس فلما انتهى الى أبي الخطار موت ثوابة وولاية يوسف قال انما أراد الصميل ان يصير الامر الى مضر وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر فلما رأى يوسف ذلك فارق قصر الامارة بقرطبة وعاد الى منزله وسار أبو الخطار الى شقنده فاجتمعت اليه اليمانية واجتمعت المضرية الى الصميل وتزاحفوا واقتتلوا أياما كثيرة قتالا لم يكن بالاندلس أعظم منه ثم آجلت الحرب عن هزيمة اليمانية ومضى أبو الخطار منهزما فاستتر في رحى كانت للصميل فدل عليه فأخذه الصميل وقتله ورجع يوسف بن عبد الرحمن الى القصر وازداد الصميل شرفا وكان اسم الامارة ليوسف والحكم الى الصميل ثم خرج على يوسف بن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي بمدينة أربونة فلم يلبث الا قليلا حتى قتل وحمل رأسه الى يوسف وخرج عليه عذرة المعروف بالذمي فانما قيل له ذلك لانه استعان بأهل الذمة فوجه اليه يوسف عامر بن عمرو وهو الذي تنتسب اليه مقبرة عامر من أبواب قرطبة فلم يظفر به وعاد مفلولا فسار اليه يوسف بن عبد الرحمن فقاتله وقتله واستباح عسكره وقد وردت هذه الحادثة من جهة أخرى وفيها بعض الخلاف وسنذكرها سنة تسع وثلاثين ومائة عند دخول عبد الرحمن الاموي الاندلس

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس عبد الواحد وهو كان العامل على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق يزيد بن

فقال له أخبرني عن قومك مذحج ودع طيئا قال سلني عن أيهم شئت قال أخبرني عن ملة ابن خالد قال هم فرسان اعراضنا وشفاة أمراضنا وهم أعتقنا وأنجبنا وأسرعنا طلبا وأقلنا هربا وهم أهل الصباح والسماح والرماح قال عمر فما أبقيت لسعد العشيرة قال هم أعظمنا خميسا واسخانا نفوسا وخيرنا رئيسا قال فما أبقيت لمراد قال هم أوسعنا دارا وخيرنا جارا وأبعدنا ثارا وهم الاتقياء البررة والساعون الفخرة قال فأخبرني عن بني زبيد قال انا عليهم ضنين ولو سألت الناس عنهم لقالوا هم الرأس والناس الاذناب قال فأخبرني عن طيئ قال خصوا بالجود وهم جمرة العرب قال فما تقول في عبس قال حجم عظيم وزين أثير قال أخبرني عن حمير قال رعوا العفو وشربوا الصفو قال فأخبرني عن كندة قال ساسوا العباد وتمكنوا من البلاد قال فأخبرني عن همدان قال أبناء الليل وأهل النيل يمنعون الجار ويوفون الذمار قال فأخبرني عن الازد قال هم أقدمنا ميلادا وأوسعنا

هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور وكان على خراسان نصر بن سيار والفتنة بها وفيها مات سالم أبو نصر وفيها مات يحيى بن يعمر العدوى بخراسان وكان قد تعلم النحو من أبي الاسود الدؤلي وكان من فصحاء التابعين وفيها مات أبو الزياد عبد الله بن ذكوان وفيها مات وهب بن كيسان ويحيى بن أبي كثير اليمامي أبو نصر وسعيد بن أبي صالح وأبو اسحق الشيباني والحرث بن عبد الرحمن ورقبة بن مصقلة الكوفي ومنصور بن زاذان مولى عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي وشهد جنازته المسلمون واليهود والنصارى والمجوس لاتفاقهم على صلاحه وقيل مات سنة احدى وثلاثين

﴿ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر دخول أبي مسلم مرو والبيعة بها﴾

وفي هذه السنة دخل أبو مسلم مدينة مرو في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى وكان السبب في ذلك في اتفاق ابن الكرماني معه ان ابن الكرماني ومن معه وسائر القبائل بخراسان لما عاقدوا نصرا على أبي مسلم عظم عليه وجمع أصحابه لحربهم فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرماني فقال له سليمان ان أبا مسلم يقول لك أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس أباك وصلبه وما كنت أحسبك تجامع نصرا في مسجد تصليان فيه فأحفظه هذا الكلام فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب فلما انتقض صلحهم بعث نصر الى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر وبعث أصحاب ابن الكرماني وهم ربيعة واليمن الى أبي مسلم بمثل ذلك فراسلوه بذلك أما فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ففعلوا وأمر أبو مسلم الشيعة أن تختار ربيعة واليمن فان الشيطان في مضر وهم أصحاب مروان وعماله وقتلة يحيى بن زيد فقدم الوفدان فجلس أبو مسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلا فقال لهم لتختاروا أحد الفريقين فقام سليمان بن كثير من الشيعة فتكلم وكان خطيبا مفوها فاختار ابن الكرماني وأصحابه ثم قام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فاختارهم أيضا ثم قام مرثد بن شقيق السلمي فقال ان مضر قتلة آل النبي صلى الله عليه وسلم واعوان بني أمية وشيعة مروان الجعدي وعماله ودماؤنا في أعناقهم وأموالنا في أيديهم ونصر بن سيار عامل مروان يتعدى أموره ويدعوله على منبره ويسميه أمير المؤمنين ونحن نبرأ الى الله عز وجل من أن يكون نصر على هدى وقد اخترنا علي بن الكرماني وأصحابه فقال السبعون القول ما قال مرثد بن شقيق فنهض وفد نصر عليهم الكآبة والذلة ورجع وفد ابن الكرماني منصورين ورجع أبو مسلم من ألين الى الماخوان وأمر الشيعة أن ينزلوا المساكن فقد أغناهم الله من اجتماع كلمة العرب عليهم ثم ارسل الى علي بن الكرماني ليدخل مدينة مرو من ناحيته وليدخل هو وعشيرته من الناحية الاخرى وأرسل اليه أبو مسلم اني لست آمن ان تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي ولكن ادخل أنت فانشب الحرب مع أصحاب نصر فدخل ابن الكرماني فانشب الحرب وبعث أبو مسلم شبل بن طهمان النقيب في خيل فدخلوها ونزل شبل بقصر بخار اخذاه وبعث الى أبي مسلم ليدخل اليهم فسار من الماخوان وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع التميمي فدخل مرو والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله عز وجل ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية ومضى أبو مسلم الى قصر الامارة وأرسل الى الفريقين أن كفوا ولينصرف كل

بلادا قال فأخبرني عن الحرث بن كعب قال هم الحسكة المسكة تلقى المنايا على أطراف رماحهم قال فاخبرني عن لخم قال آخرنا ملكا وأولنا هلكا قال فاخبرني عن جذام قال أولئك كالعجوز العيراء وهم أهل مقال وفعال قال فاخبرني عن غسان قال أرباب في الجاهلية نجوم في الاسلام قال فاخبرني عن الاوس والخزرج قال هم الانصار وهم أعزنا دارا وأمنعنا ذمارا وقد كفانا الله مدحهم اذ يقول والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال فاخبرني عن خزاعة قال أولئك مع كنانة لانسبهم وبهم نصرنا قال فاي العرب أبغض اليك أن تلقاه قال أما من قومي فودعة من همدان وغطيف من مراد وبلحرث من مذحج وأما من معد فعدي من فزارة ومرة من ذبيان وكلاب من عامر وشيبان من بكر بن وائل ثم لوجلت بفرسي على مياه معد ما خفت هيج أحد مالم يلقني حراها وعبداها قال ومن حراها وعبداها قال أما حراها فعامر بن الطفيل وعيينة بن الحرث بن شهاب التميمي وأما عبداها فعنترة

فريق الى عسكره ففعلوا وصفت مرو لابى مسلم فأمر بأخذ البيعة من الجند وكان الذى يأخذها أبو منصور طلحة بن رزيق وكان أحد النقباء عالما بحجج الهاشمية ومعايب الاموية وكان النقباء اثنى عشر رجلا اختارهم محمد بن على من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله الى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة ووصف له من العدل صفة وكان منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن رزيق وعمرو بن أعين ومن طيئ قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع واسلم بن سلام ومن بكر بن وائل أبو داود بن ابراهيم الشيبانى وأبو على الهروى ويقال شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين وعيسى بن كعب وأبو النجم اسمعيل بن عمران مكان أبى على الهروى وهو ختن أبى مسلم ولم يكن فى النقباء أحد والده حى غير أبى منصور طلحة بن رزيق بن سعد وهو أبو زينب الخزاعى وكان قد شهد حرب ابن الاشعث وصحب المهلب وغزا معه وكان أبو مسلم يشاوره فى الامور ويسأله عنها وعما شهد من الحروب وكانت البيعة أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعتاق والمشى الى بيت الله الحرام وعلى ان لا تسألوا رزقا ولا طعاما حتى يبتدئكم به ولا تسكم (رزيق بتقديم الراء على الزاى)

﴿ذكر هرب نصر بن سيار من مرو﴾

ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ فى جماعة الى نصر بن سيار يدعوه الى كتاب الله عز وجل والرضا من آل محمد فلما رأى ما جاءه من اليمانية والربيعية والعجم وانه لا طاقة له بهم أظهر قبول ما أتاه به وانه يأتيه ويبايعه وجعل يرشيهم لما هم من الغدر والهرب الى ان أمسوا وأمر أصحابه ان يخرجوا من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه فقال له سالم بن احوز لا ينبغى لنا الخروج الليلة ولكننا نخرج القابلة فلما كان الغد عبى أبو مسلم اصحابه وكتائبه الى بعد الظهر واعاد الى نصر لاهز بن قريظ وجماعة معه فدخلوا على نصر فقال ما أسرع ما غدتم فقال له لاهز بن قريظ لا بد لك من ذلك فقال نصر اذا كان لا بد من ذلك فانى أتوضأ وأخرج اليه وأرسل الى أبى مسلم فان كان هذا رأيه وامره أتيته وأتهيأ الى ان يجىء رسولى فقام نصر فلما قام قر لاهز بن قريظ ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فدخل نصر منزله واعلمهم انه ينتظر انصراف رسوله من عند ابى مسلم فلما جنه الليل خرج من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم بن نعيلة النميرى وامرأته المرزبانة وانطلقوا هرابا فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب فلما بلغ ذلك ابا مسلم سار الى معسكر نصر واخذ نقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم وكان فيهم سالم بن احوز صاحب شرطة نصر والبخترى كاتبه وابنان له ويونس بن عبد ويه ومحمد بن قطن ومجاهد بن يحيى بن حضين وغيرهم فاستوثق منهم بالحديد وكانوا فى الحبس عنده وسار أبو مسلم وابن الكرمانى فى طلب نصر ليلتهما فادركا امر أنه قد خلفها وسار فرجع ابو مسلم وابن الكرمانى الى مرو وسار نصر الى سرخس واجتمع معه ثلاثة آلاف رجل ولما رجع ابو مسلم سأل من كان ارسله الى نصر ما الذى ارتاب به نصر حتى هرب قالوا لا ندرى قال فهل تكلم احد منكم بشىء قالوا لا لا هز هذه الآية ان الملأ يأتمرون بك قال هذا الذى دعاه الى الهرب ثم قال يا لاهز تدغل فى الدين ثم تقتله واستشار أبو مسلم ابا طلحة فى اصحاب نصر فقال اجعل سوطك السيف وسجنك القبر فقتلهم ابو مسلم وكان عدتهم اربعة وعشرين رجلا واما نصر فانه سار من سرخس الى طوس فأقام بها خمسة

وسليك ثم سأله عن الحرب فقال سألت عنها خبيرا هى والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق اذا شمرت عن ساق من صبر فيها ظفر ومن ضعف فيها هلك قلت ولقد أحسن واصفها وأجاد الحرب أول ما تكون فتية تبدو بزينتها لكل جهول حتى اذا حميت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح فاخبره حتى بلغ السيف قال هنالك قارعتك أمك عن ثكلها فعلاه عمر بالدرة وقال بل أمك قارعتك والله انى لأهم أن أقطع لسانك فقال الحمى أصرعتنى اليوم وخرج من عنده وهو يقول

أتوعدنى كأنك ذو رعين
بأنعم عيشة أو ذى نواس
فكم قد كان قبلك من مليك
عظيم ظاهر الجبروت قاسى
فاصبح أهله بادوا وأمسى
ينقل من أناس فى أناس
فلا يغررك مالك كل ملك
يصير مذلة بعد الشماس

قال فاعتذر عمر اليه وقال ما فعلت ما فعلته الا لتعلم أن الاسلام أفضل وأعز من الجاهلية وفضله على الوفد وقد كان عمر آنس عمرا بعد ذلك وأقبل يسأله

عشر يوما وبسرخس يوما ثم سار الى نيسابور فأقام بها ودخل ابن الكرمانى مرو مع أبى مسلم وتابعه على رأيه وعاقده عليه (يحيى بن حضين بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وآخره نون)

﴿ذكر قتل شيبان الحرورى﴾

وفى هذه السنة قتل شيبان بن سلمة الحرورى وكان سبب قتله انه كان هو وعلى بن الكرمانى مجتمعين على قتال نصر لمخالفة شيبان نصرا لانه من عمال مروان وشيبان يرى رأى الخوارج ومخالفة ابن الكرمانى نصرا الان نصرا قتل اباه الكرمانى وان نصرا مضرى وابن الكرمانى يمانى وبين الفريقين من العصبية ماهو مشهور فلما صالح ابن الكرمانى ابا مسلم على ماتقدم وفارق شيبان تنحى شيبان عن مرو اذ علم انه لا يقوى لحربهما وقد هرب نصر الى سرخس ولما استقام الامر لابى مسلم ارسل الى شيبان يدعوه الى السمعة فقال شيبان انا ادعوك الى بيعتى فأرسل اليه ابو مسلم ان لم تدخل فى امرنا فارتحل عن منزلك الذى انت به فأرسل شيبان الى ابن الكرمانى يستنصره فأبى فسار شيبان الى سرخس واجتمع اليه جمع كثير من بكر بن وائل فأرسل اليه ابو مسلم تسعة من الازد يدعوه ويسأله ان يكف فأخذ الرسل فسجنهم فكتب أبو مسلم الى بسام بن ابراهيم مولى بنى ليث بابيورد يأمره ان يسير الى شيبان فيقاتله فسار اليه فقاتله فانهزم شيبان واتبعه بسام حتى دخل المدينة فقتل شيبان وعدة من بكر بن وائل فقيل لابى مسلم ان بساما ارتد ثانية وهو يقتل البرىء بالسقيم فاستقدمه فقدم عليه واستخلف على عسكره رجلا فلما قتل شيبان مر رجل من بكر بن وائل برسل أبى مسلم فقتلهم وقيل ان أبا مسلم وجه الى شيبان عسكرا من عنده عليهم خزيمة بن خازم وبسام بن ابراهيم

﴿ذكر قتل ابنى الكرمانى﴾

وفى هذه السنة قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابنى الكرمانى وكان سبب ذلك ان أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب الى ابيورد فافتتحها وكتب الى أبى مسلم بذلك ووجه أباداود الى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيرى فلما بلغه قصد أبى داود بلخ خرج فى أهل بلخ وترمذ وغيرهما من كور طخارستان الى الجوزجان فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين الى ترمذ ودخل أبو داود مدينة بلخ فكتب اليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه مكانه يحيى بن نعيم أبا المليح على بلخ فلما قدم يحيى مدينة بلخ كاتبه زياد بن عبد الرحمن ان يرجع وتصير أيديهم واحدة فأجابه فرجع زياد ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلى وعيسى بن زرعة السلمى وأهل بلخ وترمذ وملوك طخارستان وما وراء النهر ودونه فنزلوا على فرسخ من بلخ وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه فصارت كلمتهم واحدة مضر وربيعة واليمن ومن معهم من العجم على قتال المسودة وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطى كراهة ان يكون من واحد من الفرق الثلاثة وأمر ابو مسلم أباداود بالعود فأقبل بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان وكان زياد وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشى مسلحة لئلا يأتيهم أصحاب أبى داود من خلفهم وكانت اعلام أبى داود سودا فلما اقتتل أبو داود وزياد وأصحابهما أمر أبو سعيد أصحابه ان يأتوا زيادا واصحابه فأتوهم من خلفهم فلما رأى زياد ومن معه اعلام أبى سعيد ورايته سودا ظنوه كمينا لابى داود فانهزموا وتبعهم أبو داود فوقع عامة أصحاب زياد فى نهر السرجنان وقتل عامة رجالهم المختفين ونزل أبو داود معسكرهم وحوى مافيه ومضى زياد ويحيى ومن معهما الى ترمذ واستصفى أبو داود أموال من قتل ومن هرب واستقامت له بلخ وكتب اليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ووجه المضر بن صبيح المرى على بلخ وقدم أبو داود على أبى مسلم

ويذاكره الحروب واخبارها فى الجاهلية فقال له عمر يا عمرو هل انصرفت عن فارس قط فى الجاهلية هيبة له قال نعم والله ما كنت أستحل الكذب فى الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام لاحدثنك حديثا لم أحدث به أحدا قبلك خرجت فى جريدة خيل لبنى زبيد أريد الغارة فاتينا قوما سراة فقال عمر كيف عرفت أنهم سراة قال رأيت مزاود وقدورا مكفأة وقباب أدم حمرا ونعما كثيرا وشاء قال عمرو فأهويت الى أعظمها قبة بعد ما حوينا السبى وكان متبددا من البيوت واذا امرأة بادية الجمال على فرش لها فلما نظرت الىّ والى الخيل استعبرت فقلت ما يبكيك قالت والله ما أبكى على نفسى ولكنى أبكى حسدا لبنات عمى يسلمن وابتلى أنا من بينهن فظننت والله أنها صادقة فقلت وأين هن قالت فى هذا الوادى فقلت لاصحابى لا تحدثوا شيأ حتى آتيكم ثم هممت فرسى حتى علوت كثيبا فاذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب أفنى أقب يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده فلما نظر الىّ رمى

واتفقا على ان يفرقا بين على وعثمان ابنى الكرمانى فبعث أبو مسلم عثمان عاملا على بلخ فلما قدمها استخلف الفرافصة بن ظهير العبسى على بلخ واقبلت المضرية من ترمذ عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلى فالتقوا هم واصحاب عثمان فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب عثمان وغلب مسلم على بلخ وبلغ عثمان والنضر بن صبيح الخبر وهما بمرو الروذ فاقبلا نحوهم فهرب أصحاب عبد الرحمن من ليلتهم فلم يعرض النضر فى طلبهم رجاء ان يفوتوا ولقيهم أصحاب عثمان فاقتتلوا قتالا شديدا ولم يكن النضر معهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل منهم خلق كثير ورجع أبو داود من مرو الى بلخ وسار أبو مسلم ومعه على بن الكرمانى الى نيسابور واتفق رأى أبى مسلم ورأى أبى داود على ان يقتل أبو مسلم عليا ويقتل أبو داود عثمان فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملا على الجبل فيمن معه من أهل مرو فلما خرج من بلخ تبعه أبو داود فأخذه وأصحابه بخيلهم جميعا ثم ضرب أعناقهم صبرا وقتل أبو مسلم فى ذلك اليوم على بن الكرمانى وقد كان أبو مسلم أمره ان يسمى له خاصته ليوليهم ويأمر لهم بجوائز وكسوات فسماهم له فقتلهم جميعا

﴿ذكر قدوم قحطبة من عند الامام ابراهيم﴾

وفى هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبى مسلم من عند ابراهيم الامام ومعه لواؤه الذى عقده له ابراهيم فوجهه أبو مسلم فى مقدمته وضم اليه الجيوش وجعل اليه العزل والاستعمال وكتب الى الجنود بالسمع والطاعة له

﴿ذكر مسير قحطبة الى نيسابور﴾

لما قتل شيبان الخارجى وابنا الكرمانى على ما تقدم وهرب نصر بن سيار من مرو وغلب أبو مسلم على خراسان بعث العمال على البلاد فاستعمل سباع بن النعمان الازدى على سمرقند وأباد اود خالد بن ابراهيم على طخارستان ومحمد بن الاشعث على الطبسين وجعل مالك بن الهيثم على شرطه ووجه قحطبة الى طوس ومعه عدة من القواد منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك وعثمان بن نهيك وخازم بن خزيمة وغيرهم فلقى قحطبة من بطوس فهزمهم وكان من مات منهم فى الزحام أكثر ممن قتل فبلغ عدة القتلى بضعة عشرة ألفا ووجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق الحجة وكتب الى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنابئ بن سويد ومن لجأ اليهما من أهل خراسان وكان أصحاب شيبان بن سلمة الخارجى قد لحقوا بنصر ووجه أبو مسلم على بن معقل فى عشرة آلاف رجل الى تميم بن نصر وأمره ان يكون مع قحطبة وسار قحطبة الى السوذقان وهو معسكر تميم بن نصر والنابئ وقد عبى أصحابه وزحف اليهم فدعاهم الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه فقاتلهم قتالا شديدا فقتل تميم بن نصر فى المعركة وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم وكان عدة من معه ثلاثين ألفا وهرب النابئ بن سويد فتحصن بالمدينة فحصره قحطبة ونقبوا سورها ودخلوا المدينة فقتلوا النابئ ومن كان معه وبلغ الخبر نصر بن سيار بنيسابور بقتل ابنه ولما استولى قحطبة على عسكرهم سير الى خالد بن برمك ما قبض منه وسار هو الى نيسابور وبلغ ذلك نصر بن سيار فهرب منها فيمن معه فنزل قومس وتفرق عنه أصحابه فسار الى نباتة ابن حنظلة بجرجان وقدم قحطبة نيسابور بجنوده فأقام بها رمضان وشوّال

﴿ذكر قتل نباتة بن حنظلة﴾

وفى هذه السنة قتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان وكان يزيد بن هبيرة بعثه

النعل من يده ثم أحضر
غير مكترث فاخذ سلاحه
وأشرف على ثنية فلما نظر
الى الخيل محيطة ببيته
ركب ثم أقبل نحوى وهو
يقول
أقول لما ضمتنى فاها
وألبستنى بكرة رداها
انى سأحوى اليوم من حواها
فليت شعرى اليوم من
دهاها
فحملت عليه وأنا أقول
عمرو على طول الردى دهاه
بالخيل تتبعها على هواها
حتى اذا حل بها حواها
فاذا هو أروغ من هرفزاغ
عنى ثم حمل على فضربنى
بسيفه ضربة جرحنى
فلما أفقت من ضربتى
حملت عليه فزاغ والله ثم
حمل على ثم صرعنى ثم استاق
ما فى أيدينا ثم استويت
على فرسى فلما رآنى أقبل
وهو يقول
أنا عبيد الله محمود الشيم
وخير من يمشى بساق وقدم
عدوه يفديه من كل السقم
فحملت عليه وأنا أقول
انا ابن ذى التقليد فى الشهر
الاصم
انا ابن ذى الاكليل قتال
البهم
من يلقنى يودى كما أودى ارم
أتركه لحما على ظهر وضم
فزاغ والله عنى ثم حمل على
فضربنى ضربة أخرى ثم

الى نصر فأتى فارس واصبهان ثم سار الى الرى ومضى الى جرجان وكان نصر بقومس على ماتقدم فقيل له ان قومس لاتحملنا فسار الى جرجان فنزلها مع نباتة وخندقوا عليهم وأقبل قحطبة الى جرجان فى ذى القعدة فقال قحطبة يا أهل خراسان أتدرون الى من تسيرون ومن تقاتلون انما تقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله تعالى وكان الحسن بن قحطبة على مقدمة أبيه فوجه جماعة الى مسلحة نباتة وعليها رجل يقال له ذؤيب فبيتوهم فقتلوا ذؤيبا وسبعين رجلا من أصحابه فرجعوا الى الحسن وقدم قحطبة فنزل بازاء نباتة وأهل الشام فى عدة لم ير الناس مثلها فلما رأوهم أهل خراسان هابوهم حتى تكاموا بذلك وأظهروه فبلغ قحطبة قولهم فقام فيهم فقال يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم اذل امة كانت فى الارض عندهم فغلبوهم على بلادهم وكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا فى الحكم واخافوا اهل البر والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة لانكم طلبتموهم بالثار وقد عهد الى الامام انكم تلقونهم فى مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم فالتقوا فى مستهل ذى الحجة سنة ثلاثين يوم الجمعة فقال لهم قحطبة قبل القتال ان الامام أخبرنا انكم تنصرون على عدوكم هذا اليوم من هذا الشهر وكان على ميمنته ابنه الحسن فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل نباتة وانهزم اهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف وبعث الى أبى مسلم برأس نباتة

﴿ ذكر وقعة أبى حمزة الخارجى بقديد ﴾

فى هذه السنة لسبع بقين من صفر كانت الوقعة بقديد بين أهل المدينة وأبى حمزة الخارجى فقد ذكرنا ان عبد الواحد بن سليمان ضرب البعث على أهل المدينة واستعمل عليهم عبد العزيز ابن عبد الله فخرجوا فلما كانوا بالحرة لقيتهم جزر منحورة فتقدموا فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح فتشاءم الناس بالخروج وأتاهم رسل أبى حمزة يقولون انا والله ما نابقتالكم حاجة دعونا نمضى الى عدونا فأبى أهل المدينة ولم يجيبوه الى ذلك وساروا حتى نزلوا قديدا وكانوا مترفين ليسوا باصحاب حرب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أصحاب أبى حمزة من الغضاض فقتلوهم وكانت المقتلة بقريش وفيهم كانت الشوكة وأصيب منهم عدد كثير وقدم المنهزمون المدينة فكانت المرأة تقسم النوائح على حميها ومعها النساء فما تبرح النساء حتى تاتيهم الاخبار عن رجالهن فيخرجن امرأة امرأة كل واحدة منهن تذهب لقتل رجلها فلا تبقى عندها امرأة لكثرة من قتل وقيل ان خزاعة دلت أبا حمزة على أصحاب قديد وقيل كان عدة القتلى سبعمائة

﴿ ذكر دخول أبى حمزة المدينة ﴾

وفى هذه السنة دخل أبو حمزة المدينة ثالث عشر صفر ومضى عبد الواحد منها الى الشام وكان أبو حمزة قد اعذر اليهم وقال لهم ما لنا بقتالكم حاجة ندعونا نمضى الى عدونا فأبى أهل المدينة فلقيهم فقتل منهم خلقا كثيرا ودخل المدينة فرقى المنبر وخطبهم وقال لهم يا أهل المدينة مررت زمان الاحول يعنى هشام بن عبد الملك وقد أصاب ثماركم عاهة فكتبتم اليه تسألونه ان يضع عنكم خراجكم ففعل فزاد الغنى غنى والفقير فقرا فقلتم له جزاك الله خيرا فلا جزاكم الله خيرا ولا جزاه خيرا واعلموا يا أهل المدينة انا لم نخرج من ديارنا أشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لدولة ملك نريد

صرخ صرخة ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شئ وخفته خوفا لم أخف قط أحدا مثله وقلت له من أنت ثكلتك أمك فوالله ما اجترأ على أحد قط الا عامر بن الطفيل لاعجابه بنفسه وعمرو بن كلثوم لسنه وتجربته فمن أنت قال بلى من أنت خبرنى والا قتلتك قلت أنا عمرو بن معديكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم فلت اخترمنى أحد ثلاث خصال ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا وان شئت اصطرعنا وان شئت السلم وأنت يا ابن أخى حدث قد جرحتنى جراحتين ولا يزالانى فوالله ما كف عنى حتى نزلت عن فرسى فأخذ بعنانه ثم أخذ بيدى فى يده وانصرفنا الى الحى وانا أجر رجلى حتى طلعت علينا الخيل فلما رأونى غمزوا خيولهم الى فنا ديتهم اليكم وأرادوا ربيعة فضى والله كأنه ليث حتى شقهم ثم اقبل على فقال يا عمرو لعل اصحابك يريدون غير الذى تريد فصمت والله القوم ما فيهم احد ينطق واما عظوا ما رأوا منه فقلت يا ربيعة بن مكدم لا يريدون الا خيرا وانما سميته ليعرفه

ان نخوض فيه ولا لثار قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الارض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض فأقبلنا من قبائل شتى ونحن قليلون مستضعفون في الارض فآوانا وأيدنا بنصره فاصبحنا بنعمته اخوانا ثم لقينا رجالكم فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن فدعونا الى طاعة الشيطان وحكم بني مروان فشتان لعمر الله ما بين الغي والرشد ثم أقبلوا يهرعون وقد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكتائب بكل مهند ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب به المبطلون وانتم يا أهل المدينة ان تنصروا مروان وآل مروان يصحكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوي والضعيف فجاء تاسع ليس له فيها سهم فاخذها لنفسه مكابرا محاربا به يا أهل المدينة بلغني انكم تنتقصون أصحابي قالم شباب احداث واعراب حفاة وبحكم وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا احداثا واعرابا حفاة هم والله مكتهلون في شبابهم غضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم وأحسن السيرة مع أهل المدينة واستمال حتى سموه يقول من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شك في كفرهما فهو كافر وأقام أبو حمزة بالمدينة ثلاثة أشهر

﴿ذكر قتل أبي حمزة الخارجي﴾

ثم ان أبا حمزة ودع أهل المدينة وقال لهم يا أهل المدينة انا خارجون الى مروان فان نظفر نعدل في اخواننا ونحملكم على سنة نبيكم وان يكن ما تتمون فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم سار نحو الشام وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية لسعدي سعد هوازن وأمره ان يجد السير وأمره ان يقاتل الخوارج فان هو ظفر بهم يسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى طالب الحق فسار ابن عطية فلقي أبا حمزة بوادي القرى فقال أبو حمزة لاصحابه لا تقاتلوهم حتى تحتبر وهم فصاحوا بهم ما تقولون في القرآن والعمل به فقال ابن عطية نصمه في جوف الجواليق فقال فما تقولون في مال اليتيم قال ابن عطية نأكل ماله ونفجر بأمه في أشياء سألوه عنها فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا وصاحوا وبحك يا ابن عطية ان الله قد جعل الليل سكنا فاسكن فأبى وقاتلهم حتى قتلهم وانهزم أصحاب أبي حمزة ممن لم يقتل وأتوا المدينة فلقيهم فقتلهم وسار ابن عطية الى المدينة وأقام شهرا وفيمن قتل مع أبي حمزة عبد العزيز القاري المدني المعروف ببشكست النحوي وكان من أهل المدينة يكتب مذهب الخوارج فلما دخل أبو حمزة المدينة انضم اليه فلما قتل الخوارج قتل معهم

﴿ذكر قتل عبد الله بن يحيى﴾

ولما أقام ابن عطية بالمدينة شهرا سار نحو اليمن واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد ابن عطية واستخلف على مكة رجلا من أهل الشام وقصد اليمن وبلغ عبد الله بن يحيى طالب الحق مسيره وهو بصنعاء وأقبل اليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية فاقتتلوا فقتل ابن يحيى وحمل رأسه الى مروان بالشام ومضى ابن عطية الى صنعاء

﴿ذكر قتل ابن عطية﴾

ولما

القوم فقال لهم ما تريدون فقالوا وما تريد قد جرحت فارس العرب وأخذت سيفه وفرسه ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت اليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه ثم أمر بابل فنحرت فضربت علينا قباب فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط قال أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا الا قليلا فضحك وما ينطق أحد من أصحابي فأقمنا عنده يومين ثم انصرفنا

(قال) وقد كان عمرو بن سعيد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد قومه فأخذ غنائمهم وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم فبلغ ذلك ربيعة وكان غير بعيد فركب في الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه فلما نظر اليه قال يا عمرو خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت اليه ثم اعاد اليه فلم يلتفت اليه فقال يا عمرو اما ان تقف فوقف عمرو وقال لقد أنصفت من الغارة من رماها قف لي يا ابن اخي فوقف له ربيعة فحمل عليه عمرو وهو يقول

ولما سار ابن عطية الى صنعاء دخلها واقام بها فكتب اليه مروان يأمره ان يسرع اليه السير ليحج بالناس فسار في اثني عشر رجلا بعهد مروان على الحج ومعه أربعون ألفا وسار وخلف عسكره وخيله بصنعاء ونزل الجرف فاتاه ابنا جهانة المراديان في جمع كثير وقالوا له ولاصحابه أنتم لصوص فاخرج ابن عطية عهده على الحج وقال هذا عهد أمير المؤمنين بالحج وانا ابن عطية قالوا هذا باطل فانتم لصوص فقاتلهم ابن عطية قتالا شديدا حتى قتل

﴿ذكر ايقاع قحطبة باهل جرجان﴾

وفي هذه السنة قتل قحطبة بن شبيب من أهل جرجان ما يزيد على ثلاثين ألفا وسبب ذلك انه بلغه عنهم بعد قتل نباتة بن حنظلة انهم يريدون الخروج عليه فلما بلغه ذلك دخل اليهم واستقر رمنهم فقتل منهم من ذكرنا وسار نصر وكان بقومس حتى نزل خوار الري وكاتب ابن هبيرة يستمده وهو واسط مع ناس من وجوه أهل خراسان وعظم الامر عليه وقال له انى قد كذبت أهل خراسان حتى ما احد منهم يصدقني فأمدني بعشرة آلاف قبل ان تمدني بمائة ألف لا تغني شيأ فحبس ابن هبيرة رسل نصر فارسل نصر الى مروان اني وجهت قوما من أهل خراسان الى ابن هبيرة ليعلموه أمر الناس قبلنا وسألته المدد فحبس رسلي ولم يمدني باحد وانما أنا بمنزلة من أخرج من بيته الى حجرته ثم أخرج من حجرته الى داره ثم من داره الى فنائه داره فان ادركه من يعينه فعسى ان يعود الى داره وتبقى له وان أخرج الى الطريق فلا دار له ولا فناء فكتب مروان الى ابن هبيرة يأمره ان يمد نصرا وكتب الى نصر يعلمه ذلك وجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا وجعل عليهم ابن غطيف وسيرهم الى نصر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

غزا الصائفة هذه السنة الوليد بن هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش وفيها وقع الطاعون بالبصرة وحج بالناس هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان وكان هو أمير مكة والمدينة والطائف وكان بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور وكان الامير بخراسان على ما وصفت قلت قد ذكر أبو جعفر ههنا ان محمد ابن عبد الملك حج بالناس وكان أمير مكة والمدينة وذكر فيما تقدم ان عروة بن الوليد كان على المدينة وذكر في آخر سنة احدى وثلاثين ان عروة أيضا كان على المدينة ومكة والطائف وانه حج بالناس تلك السنة وفي هذه السنة مات أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري مولى عبد الله ابن عباس المخزومي بالمدينة وقيل سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بقديد وفيها توفي أيوب بن أبي تميمة السختياني وقيل سنة تسع وعشرين وعمره ثلاث وستون سنة واسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الانصاري وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقيل سنة أربع وثلاثين ومائة ويكنى أبا يحيى وفيها توفي محمد بن مخرمة بن سليمان وله سبعون سنة وأبو وجزة السعدي يزيد بن عبيد وأبو الحويرث ويزيد ابن أبي مالك الهمداني ويزيد بن رومان وعكرمة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد العزيز ابن رفيع (بضم الراء المهملة وفتح الفاء وبالعين المهملة) وهو أبو عبد الله المكي الفقيه وكان قد قارب مائة سنة وكان لا يثبت معه امرأة لكثرة نكاحه واسمعيل بن أبي حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ويزيد بن ابان وهو المعروف بيزيد الرشك وكان قساما بالبصرة وحفص بن سليمان بن المغيرة وكان مولده سنة ثمانين يروي قراءة عاصم عنه

﴿ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ومائة﴾

أنا ابن ثوار ووقاف الزلق
لست بأمون ولا في حرق
وأسد القوم اذا احتث الحدق
اذا الرجال عضهم ناب الفرق
وجدتني بالسيف هتاك الخلق
حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو لبب لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم وقف له عمرو فحمل عليه ربيعة وهو يقول
أنا الغلام ابن الكماة لا بذخ
كم من هزبر قد رآني فانشدخ
فقرع الرمح رأسه ثم قال خذها اليك يا عمرو ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك فقال عمرو لا ينصرف الا أحدنا فقف لي فحمل عليه حتى اذا ظن أنه قد خالطه السنان اذا هو حزام لفرسه ثم حمل عليه ربيعة فقرع الرمح رأسه أيضا وقال خذها اليك يا عمرو ثانية واعلم انك ان عدت الثالثة لم تفلت مني فقال عمرو ما عدت مرتين وصاحت به امرأته السنان الله درك فأخرج سنانا من مسيح ازاره كأنه شعلة نار فركبه على رمحه فلما نظر اليه عمرو وذكر طعنته ببلا سنان قال له عمرو خذ

﴿ذكر موت نصر بن سيار﴾

وفى هذه السنة مات نصر بن سيار بساوة قرب الرى وكان سبب مسيره اليها ان نصرا سار بعد قتل نباتة الى خوار الرى وأميرها أبو بكر العقيلى ووجه قحطبة ابنه الحسن الى نصر فى المحرم من سنة احدى وثلاثين ومائة ثم وجه أبا كامل وأبا القاسم محرز بن ابراهيم وأبا العباس المروزى الى الحسن ابنه فلما كانوا قريبا من الحسن انحاز أبو كامل وترك عسكره وأتى نصرا فصار معه وأعلمه مكان الجند الذين فارقهم فوجه اليهم نصر جندا فهرب جند قحطبة منهم وخلفوا شيأ من متاعهم فاخذه أصحاب نصر فبعث به نصر الى ابن هبيرة فعرض له ابن غطيف بالرى فاخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع وبعث به الى ابن هبيرة فغضب نصر وقال أما والله لادعن ابن هبيرة فليعرفن انه ليس بشئ ولا ابنه وكان ابن غطيف فى ثلاثة آلاف فسيره ابن هبيرة الى نصر فاقام بالرى فلم يأت نصرا وسار نصر حتى نزل الرى وعليها حبيب بن يزيد النهشلى فلما قدمها نصر سار ابن غطيف منها الى همذان وفيها مالك بن أدهم بن محرز الباهلى فعدل ابن غطيف عنها الى اصبهان الى عامر بن ضبارة فلما قدم نصر الرى أقام بها يومين ثم مرض وكان يحمل حملا فلما بلغ ساوة مات فلما مات بها دخل أصحابه همذان وكانت وفاته لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الاول وكان عمره خمسا وثمانين سنة وقيل ان نصرا لما سار من خوار الرى متوجها نحو الرى لم يدخل الرى ولكنه سلك المفازة التى بين الرى وهمذان فمات بها

﴿ذكر دخول قحطبة الرى﴾

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن خازم الى سمنان وأقبل قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة التميمى وكان قد ندم على اتباع أبى مسلم فانخذل عن قحطبة فأخذ طريق اصبهان يريد أن يأتى عامر بن ضبارة فوجه قحطبة المسيب بن زهير الضبى فلحقه من غد بعد العصر فقاتله فانهزم زياد وقتل عامة من معه ورجع المسيب بن زهير الى قحطبة ثم سار قحطبة الى قومس وبها ابنه الحسن وقدم خزيمة بن خازم سمنان فقدم قحطبة ابنه الحسن الى الرى و بلغ حبيب بن يزيد النهشلى ومن معه من أهل الشام مسير الحسن فخرجوا عن الرى ودخل الحسن فى صفر فأقام حتى قدم أبوه ولما قدم قحطبة الرى كتب الى أبى مسلم يعلمه بذلك ولما استقر أمر بنى العباس بالرى هرب أكثر أهلها الميلهم الى بنى أمية لانهم كانوا سفيانية فأمر أبو مسلم باخذ أملاكهم وأموالهم ولما عاد وافد الحج أقاموا بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم كتبوا الى السفاح يتظلمون من أبى مسلم فأمر برد أملاكهم فاعاد أبو مسلم الجواب يعرف حالهم وانهم أشد الاعداء فلم يسمع قوله وعزم على أبى مسلم برد أملاكهم ففعل ولما دخل قحطبة الرى وأقام بها أخذ امره بالحزم والاحتياط والحفظ وضبط الطرق وكان لا يسلكها احد الا بجواز منه فاقام بالرى و بلغه ان بدستبى قوما من الخوارج وصعاليك تجمعوا بها فوجه اليهم أبا عون فى عسكر كثيف فنازلهم ودعاهم الى كتاب الله وسنة رسوله والى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه فقاتلهم قتالا شديدا حتى ظفر بهم فتحصن عدة منهم حتى أمنهم أبو عون فخرجوا اليه وأقام معه بعضهم وتفرق بعضهم وكتب أبو مسلم الى اصبهبذ طبرستان يدعوه الى الطاعة واداء الخراج فاجابه الى ذلك وكتب الى المسمغان صاحب دنباوند بمثل ذلك فاجابه انما أنت خارجى وان امرك سينقضى فغضب أبو مسلم وكتب الى موسى بن كعب وهو بالرى يأمره بالمسير اليه وقتاله الى ان يذعن بالطاعة فسار اليه وراسله فامتنع من الطاعة واداء الخراج فاقام موسى ولم يتمكن

من

الغنيمة قال دعها وانج فقالت بنو زبيد أتترك غنيمتنا لهذا الغلام فقال لهم عمرو يا بنى زبيد والله لقد رأيت الموت الاحمر فى سنانه وسمعت صريره فى تركيبه فقالت بنو زبيد لا يتحدث العرب أن قوما من بنى زبيد فيهم عمرو بن معديكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام قال عمرو انه لا طاقة لكم به وما رأيت مثله قط فانصرفوا عنه وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد الى قومه (قال المسعودى) رحمه الله تعالى ولعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخبار كثيرة فى أسفاره فى الجاهلية الى الشأم والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسير فى الاسلام وأخبار وسياسات حسان وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث وفتوح مصر قد أتينا على مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا مما لم نذكره فيما سلف من كتبنا و بالله التوفيق

﴿ذكر خلافة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه﴾

بويع يوم الجمعة غرة محرم سنة ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك مما سنورده بعد

من المصمغان لضيق بلاده وكان المصمغان يرسل اليه كل يوم عدة كثيرة من الديلم يقاتله فى عسكره وأخذ عليه الطرق ومنع الميرة وكثرت فى أصحاب موسى الجراح والقتل فلما رأى انه لا يبلغ غرضا عاد الى الرى ولم يزل المصمغان ممتنعا الى أيام المنصور فاغزاه جيشا كثيفا عليهم حماد بن عمرو ففتح دنباوند على يده ولما ورد كتاب قطبة على أبى مسلم بنزوله الرى ارتحل أبو مسلم فيما ذكر عن مرو فنزل نيسابور وأما قطبة فانه سير ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث ليال الى همذان فلما توجه اليها سار عنها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان الى نهاوند فأقام بها وفارقه ناس كثير ودخل الحسن همذان وسار منها الى نهاوند فنزل على أربعة فراسخ من المدينة فأمده قطبة بأبى الجهم بن عطية مولى باهلة فى سبعمائة وأطال حتى أطاف بالمدينة وحصرهم

﴿ذكر قتل عامر بن ضبارة ودخول قطبة اصبهان﴾

وكان سبب قتله ان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هاربا نحو خراسان وسلك البها طريق كرمان وسار عامر فى أثره وبلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان فلما بلغه خبره كتب الى ابن ضبارة والى ابنه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ان يسيرا الى قطبة وكانا بكرمان فسارا فى خمسين ألفا فنزلوا اصبهان وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر فبعث قطبة اليهم جماعة من القواد وعليهم جميعا مقاتل بن حكيم العكى فساروا حتى نزلوا قم وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بن قطبة بهاوند فسار ليعين من بها من أصحاب مروان فأرسل العكى من قم الى قطبة يعلمه بذلك فأقبل قطبة من الرى حتى لحق مقاتل بن حكيم العكى ثم سار فالتقوا هم وابن ضبارة وداود بن يزيد بن هبيرة وكان عسكر قطبة عشرين ألفا فيهم خالد بن برمك وكان عسكر ابن ضبارة مائة ألف وقيل خمسين ومائة ألف فأمر قطبة بمصحف فنصب على رمح ونادى يا أهل الشام انا ندعوكم الى ما فى هذا المصحف فشتموه واخشوه فى القول فأرسل قطبة الى أصحابه يأمرهم بالحملة فحمل عليهم العكى وتهايج الناس ولم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا وانهزم ابن ضبارة حتى دخل عسكره وتبعه قطبة فنزل ابن ضبارة ونادى الى "الى" فانهزم الناس عنه وانهزم داود بن هبيرة فسأل عن ابن ضبارة فقيل انهزم فقال لعن الله شرنا منقلبا وقاتل حتى قتل وأصاب قطبة عسكره وأخذ منه ما لا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل ومارؤى عسكر قط كان فيه من أصناف الاشياء ما فى هذا العسكر كانه مدينة وكان فيه من البرابط والطنابير والمزامير والخمر ما لا يحصى وأرسل قطبة بالظفر الى ابنه الحسن وهو بنهاوند وكانت الوقعة بنواحى اصبهان فى رجب

﴿ذكر محاربة قطبة أهل نهاوند ودخولها﴾

ولما قتل ابن ضبارة كتب قطبة بذلك الى ابنه الحسن وهو يحاصر نهاوند فلما أتاه الكتاب كبر هو وجنده ونادوا بقتله فقال عاصم بن عمير السعدى ما نادى هؤلاء بقتله الا وهو حق فاخرجوا الى الحسن بن قطبة فانكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل ان يأتيه أبوه أو مدد من عنده فقالت الرجالة تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركونا وقال له مالك بن ادهم الباهلى لا أبرح حتى يقدم على "قطبة" وأقام قطبة على اصبهان عشرين يوما ثم سار فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر شعبان ورمضان وشوال ووضع عليهم المجانيق وأرسل الى من بنهاوند من أهل خراسان يدعوهم اليه وأعطاهم الامان فأبوا ذلك ثم أرسل الى أهل الشام بمثل ذلك فاجابوه وقبلوا أمانه وبعثوا اليه يسألونه أن يشغل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذى يليهم

هذا الموضع الى اثنين وعشرين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين فجميع ما ولى اثنتا عشرة سنة الا ثمانية أيام وقتل وهو ابن اثنتين وستين سنة ودفن بالمدينة بموضع يعرف ببحش كوكب وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة الا ثمانية أيام

﴿وذكر نسبه ولمامن أخباره وسيره﴾

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى بأبى عبد الله وأمه أروى بنت كريز بن جابر بن حبيب ابن عبد شمس وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبان وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأم أبان وأم سعيد وأم عمرو عائشة وكان عبد الله الاكبر يلقب بالطرف لجماله وحسنه وكان كثير التزوج كثير الطلاق وكان أبان أبرص أحول وقد حمل عنه أصحاب الحديث عدة من السنن وولى لبنى مروان مكة وغيرها وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون وقتل أبوه وهو

ففعل ذلك قحطبة وقاتلهم ففتح أهل الشام الباب فخرجوا فلما رأى أهل خراسان ذلك سألوهم عن خروجهم فقالوا أخذنا الامان لنا ولكم فخرج رؤساء أهل خراسان فدفع قحطبة كل رجل منهم الى قائد من قواده ثم أمر فنودي من كان ببيده أسير ممن خرج الينا فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك فلم يبق أحد ممن كان قد هرب من أبي مسلم الا قتل الا أهل الشام فانه وفى لهم وخلى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يعاونوا عليهم عدوا ولم يقتل منهم أحدا وكان ممن قتل من أهل خراسان أبو كامل وحاتم بن الحرث بن سريج وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلي بن عقيل وبيهس ولما حاصر قحطبة نهاوند أرسل ابنه الحسن الى مرج القلعة فقدم الحسن خازم بن خزيمة الى حلوان وعليها عبد الله بن العلاء الكندي فهرب من حلوان وخلاها

﴿ذكر فتح شهرزور﴾

ثم ان قحطبة وجه أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طرافة الخراساني في أربعة آلاف الى شهرزور وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد فنزلوا على فرسخين من شهرزور في العشرين من ذي الحجة وقاتلوا عثمان بعد يوم وليلة من نزولهم فانهزم أصحاب عثمان وقتل وأقام أبو عون في بلاد الموصل وقيل ان عثمان لم يقتل ولكنه هرب الى عبد الله بن مروان وغنم أبو عون عسكره وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وسير قحطبة العساكر الى أبي عون فاجتمع معه ثلاثون ألفا ولما بلغ خبر أبي عون مروان بن محمد وهو بحران سار منها ومعه جنود أهل الشام والجزيرة والموصل وحشر معه بنو أمية أبناءهم وأقبل نحو أبي عون حتى نزل الزاب الاكبر وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة وفرض بها بخمسة آلاف

﴿ذكر مسير قحطبة الى ابن هبيرة بالعراق﴾

ولما قدم على يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق ابنه داود منهزما من حلوان خرج يزيد نحو قحطبة في عدد كثير لا يحصى ومعه حوثرة بن سهيل الباهلي وكان مروان أمّره ابن هبيرة وسار ابن هبيرة حتى نزل جلولاء الوقيعة واحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفروه أيام وقعة جلولاء وأقام به وأقبل قحطبة حتى نزل قرماسين ثم سار الى حلوان ثم الى خانقين وأتى عكبرا وعبر دجلة ومضى حتى نزل دمما دون الانبار وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفا مبادرا الى الكوفة لقحطبة وقدم حوثرة في خمسة عشر ألفا الى الكوفة وقيل ان حوثرة لم يفارق ابن هبيرة وأرسل قحطبة طائفة من أصحابه الى الانبار وغيرها وأمرهم باحدار ما فيها من السفن الى دمما ليعبروا الفرات فحملوا اليه كل سفينة هناك فقطع قحطبة الفرات من دمما حتى صار في غربيه ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى الى الموضع الذي فيه ابن هبيرة وخرجت السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد الذي قتل أبا حمزة وكان هو على الحجاز ولما بلغ الوليد قتل عمه عبد الملك مضى الى الذين قتلوه فقتل منهم مقتلة عظيمة وبقر بطون نسائهم وقتل الصبيان وحرق بالنار من قدر منهم عليه وكان على العراق يزيد بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور الناجي وفيها توفي منصور بن المعمر السلمي أبو عتاب الكوفي وفيها قتل أبو مسلم الخراساني جبلة بن أبي داود العتكي مولاهم أخا عبد العزيز بن داود ويكنى أبا مروان

مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة وبلغ عبد الله من السن ستا وسبعين عاما فنقره ديك على عينه فكان ذلك سبب موته وعبد الله مات صغيرا ولا عقب له (وكان عثمان) في نهاية الجود والكرم والسماحة والمذل في القريب والبعيد فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته وتأسوا في فعله وبنى داره في المدينة وشيدها بالجر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالا وجنانا وعيونا بالمدينة (وذكر) عبد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عنده خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا (وفي أيام عثمان) اقتنى جماعة من أصحابه الضياع والدور منهم الزبير بن العوام بنى داره بالبصرة وهي المعروفة في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة تنزلها التجار وأرباب الاموال وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة ﴾

﴿ ذكر هلاك قحطبة وهزيمة ابن هبيرة ﴾

وفى هذه السنة هلك قحطبة بن شبيب وكان سبب ذلك ان قحطبة لما عبر الفرات وصار فى غربيه وذلك فى المحرم لثمان مضين منه وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا على رأس ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة وقد اجتمع اليه فل بن ضبارة فامده مروان بحوثرة الباهلى فقال حوثرة وغيره لابن هبيرة ان قحطبة قد مضى يريد الكوفة فاقصد أنت خراسان ودعه ومروان فانك تكسره وبالحرى أن يتبعك قال ما كان ليتبعنى ويدع الكوفة ولكن الرأى أن أبادره الى الكوفة فعبر دجلة من المدائن يريد الكوفة فاستعمل على مقدمته حوثرة وأمره بالمسير الى الكوفة والفريقان يسيران على جانبى الفرات وقال قحطبة ان الامام أخبرنى ان فى هذا المكان وقعة يكون النصر لنا ونزل قحطبة الجبارية وقد دلوه على مخاضة فعبر منها وقاتل حوثرة ومحمد بن نباتة فانهزم أهل الشام وفقدوا قحطبة فقال أصحابه من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به فقال مقاتل بن مالك العتكى سمعت قحطبة يقول ان حدث بى حدث فالحسن ابنى أمير الناس فبايع الناس حميد بن قحطبة لاخيه الحسن وكان قد سيره أبوه فى سرية فارسلوا اليه فاحضروه وسلموا اليه الامر ولما فقدوا قحطبة بحثوا عنه فوجدوه فى جدول وحرب بن سالم ابن أحوز قتيلين فظنوا ان كل واحد منهما قتل صاحبه وقيل ان معن بن زائدة ضرب قحطبة لما عبر الفرات على حبل عاتقه فسقط فى الماء فاخرجوه فقال شدوا يدى اذا أنامت والقونى فى الماء لئلا يعلم الناس بقتلى وقاتل أهل خراسان فانهزم محمد بن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وقال قبل موته اذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمد أبو سلمة الخلال فسلموا هذا الامر اليه وقيل بل غرق قحطبة ولما انهزم ابن نباتة وحوثرة لحقوا ابن هبيرة فانهزم ابن هبيرة بهزيمتهم ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من الاموال والسلاح وغير ذلك ولما قام الحسن بن قحطبة بالامر أمر باحصاء ما فى العسكر وقيل ان حوثرة كان بالكوفة فبلغه هزيمة ابن هبيرة فسار اليه فيمن معه

﴿ ذكر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسودا ﴾

وفى هذه السنة خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسرى بالكوفة وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة وأخرج عنها عامل ابن هبيرة ثم دخلها الحسن وكان من خبره ان محمدا خرج بالكوفة ليلة عاشوراء مسودا وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثى وعلى شرطه عبد الرحمن بن كثير البجلى وسار محمد الى القصر فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ودخل محمد القصر وسمع حوثرة الخبر فسار نحو الكوفة فتفرق عن محمد عامة من معه لما بلغهم الخبر وبقى فى نفر يسير من أهل الشام ومن اليمانيين من كان هرب من مروان وكان معه مواليه وأرسل أبو سلمة الخلال ولم يظهر بعد الى محمد يأمره بالخروج من القصر تخوفا عليه من حوثرة ومن معه ولم يبلغ أحدا من الفريقين هلاك قحطبة فابى محمد أن يخرج وبلغ حوثرة تفرق أصحاب محمد عنه فتهيأ للمسير نحوه فبينا محمد فى القصر اذ أتاه بعض طلائعه فقال له قد جاءت خيل من أهل الشام فوجه اليهم عدة من مواليه فنادا هم الشاميون نحن بجيلة وفينا مليح بن خالد البجلى جئنا لندخل فى طاعة الامير فدخلوا ثم جاءت خيل أعظم من تلك فهاجمهم بن الاصبغ الكنانى ثم جاءت خيل أعظم منهما مع رجل من آل بجدل فلما رأى ذلك حوثرة من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط وكتب محمد بن خالد من ليلته الى قحطبة وهو لا يعلم بهلاكه يعلم انه قد ظفر بالكوفة فقدم القاصد على الحسن بن قحطبة فلما دفع اليه

والاسكندرية وما ذكر من دوره وضياعه فعلوم غير مجهول الى هذه الغاية (وبلغ مال الزبير) بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف الزبير ألف فرس والف عبد وألف أمة وخططا بحيث ذكرنا من الامصار وكذلك طلحة بن عبيد الله التيمى ابتنى داره بالكوفة المشهورة به هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحتين وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وبناحية سراة أكثر مما ذكرنا وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج وكذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا (وابتنى سعد) بن أبى وقاص داره بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات (وقد ذكر) سعيد ابن المسيب أن زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار (وابتنى

كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ثم ارتحل نحو الكوفة فاقام محمد بالكوفة يوم الجمعة ويوم السبت والاحد وصبحه الحسن يوم الاثنين وقد قيل ان الحسن بن قحطبة أقبل نحو الكوفة بعد هزيمة ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير البجلي فهرب عنها فسود محمد بن خالد وخرج في أحد عشر رجلا و بايع الناس ودخلها الحسن من الغد فلما دخلها الحسن هو وأصحابه أتوا أبا سلمة وهو في بني سلمة فاستخرجوه فعسكر بالنخيلة يومين ثم ارتحل الى حمام أعين ووجه الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة و بايع الناس أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع وكان يقال له وزير آل محمد واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله على الكوفة وكان يقال له الامير حتى ظهر أبو العباس السفاح ووجه حميد بن قحطبة الى المدائن في قواد وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك الى دير قنى وبعث المهلبي وشراحيل الى عين التمر و بسام بن ابراهيم بن بسام الى الاهواز ومعها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة فلما أتى بسام الاهواز خرج عنها عبد الواحد الى البصرة بعد ان قاتله وهزمه بسام وبعث الى البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب عاملا عليها فقدمها وكان عليها مسلم بن قتيبة الباهلي عاملا لابن هبيرة وقد لحق به عبد الواحد بن هبيرة كما تقدم ذكره فارسل سفيان بن معاوية الى مسلم يأمره بالتحول من دار الامارة ويعلمه ما أتاه من رأي أبي سلمة وامتنع وجمع معه قيسا ومضر وص بالبصرة من بني أمية وجمع سفيان جميع اليمانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم وأتاهم قائد من قواد ابن هبيرة كان بعثه مددا لمسلم في ألفي رجل من كلب فاتى مسلم سوق الابل ووجه الخيول في سكك البصرة ونادى من جاء برأس فله خمسمائة ومن جاء بأسير فله ألف درهم ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة وخاصته فلقيه خيل تميم فقتل معاوية وأتى برأسه الى مسلم فاعطى قاتله عشرة آلاف وانكسر سفيان بقتل ابنه فانهزم وقدم على مسلم بعد ذلك أربعة آلاف من عند مروان فاراد وانهب من بقي من الازد فقاتلهم قتالا شديدا وكثرت القتلى بينهم وانهزمت الازد ونهبت دورهم وسبيت نساؤهم وهدموا البيوت ثلاثة أيام ولم يزل مسلم بالبصرة حتى أتاه قتل ابن هبيرة فشخص عنها واجتمع من بالبصرة من ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياما يسيرة حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل ابي مسلم فلما قدم أبو العباس ولاها سفيان بن معاوية وكان حرب سفيان ومسلم بالبصرة في صفر وفيها عزل مروان عن المدينة الوليد بن عروة واستعمل أخاه يوسف بن عروة في شهر ربيع الاول (انقضت الدولة الاموية)

﴿ذكر ابتداء الدولة العباسية وبيعة أبي العباس﴾

في هذه السنة بويع ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة في شهر ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر لثلاث عشرة مضت منه وقيل في جمادى الاولى وكان بدء ذلك وأوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس بن عبد المطلب ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك و يتحدثون به بينهم ثم ان أبا هاشم بن الحنفية خرج الى الشام فلقي محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس فقال له ان هذا الامر الذي يرتجيه الناس فيكم فلا يسمعنه منكم أحد وقد تقدم في خبر ابن الاشعث قول خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان أما اذا كان الفتق من سجستان فليس عليك منه بأس انما كنا نخوف لو كان من خراسان وقال محمد بن علي بن عبد الله لنا ثلاثة أوقات موت الطاغية يزيد بن معاوية ورأس المائة وفتق افريقية فعند ذلك يدعو لنا دعاة ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيلهم و يستخرجون ما كنز الجبارون فلما قتل يزيد

المقداد) داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجعلها محصصة الظاهر والباطن (ومات يعلى) بن أمية وخلف خمسمائة ألف دينار وديونا على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال في أيامه ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة (وحج عمر) وأنفق في ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا وقال لولده عبد الله لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا واقد شكا الناس أميرهم سعد ابن أبي وقاص وذلك في سنة احدى وعشرين فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصاري حليف بني عبد الاشهل فحرق عليه باب قصر الكوفة وجمعهم في مساجد الكوفة يسألهم عنه فحمده بعضهم وساءه بعض فعزله وبعث الى الكوفة عمار بن ياسر على الثغر وعثمان بن حنيف على الخراج وعبد الله بن مسعود على بيت المال وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين

بن أبي مسلم بافريقية ونقضت البربر بعث محمد بن علي الى خراسان داعيا وأمره أن يدعو الى الرضا ولا يسمي أحدا وقد ذكرنا فيما تقدم خبر الدعاة وخبر أبي مسلم وقبض مروان على ابراهيم بن محمد وكان مروان لما أرسل القبض عليه وصف للرسول صفة أبي العباس لانه كان يجد في الكتب ان من هذه صفته يقتلهم ويسلبهم ملكهم وقال له ليأتيه بابراهيم بن محمد فتقدم الرسول فاخذ أبا العباس بالصفة فلما ظهر ابراهيم وأمن قيل للرسول انما أمرت بابراهيم وهذا عبد الله فترك أبا العباس وأخذ ابراهيم فانطلق به الى مروان فلما رآه قال ليس هذه الصفة التي وصفت لك فقالوا قد رأينا الصفة التي وصفت وانما سميت ابراهيم فهذا ابراهيم فامر به فحبس وأعاد الرسل في طلب أبي العباس فلم يروه وكان سبب مسيره من الحميمة ان ابراهيم لما أخذه الرسول نعى نفسه الى اهل بيته وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد و بالسمع له و بالطاعة وأوصى الى أبي العباس وجعله الخليفة بعده فسار أبو العباس ومن معه من أهل بيته منهم أخوه أبو جعفر المنصور وعبد الوهاب ومحمد ابنا أخيه ابراهيم وأعمامه داود وعيسى وصالح واسمعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي بن عبد الله بن عباس وابن عمه داود وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ويحيى بن جعفر بن تمام بن عباس حتى قدموا الكوفة في صفر وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فانزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني داود ركتم أمرهم نحو اربعين ليلة من جميع القواد والشيعة وأراد فيما ذكر ان يحول الامر الى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت ابراهيم الامام فقال له أبو الجهم ما فعل الامام قال لم يقدم فالح عليه فقال ليس هذا وقت خروجه لان واسطا لم تفتح بعده وكان أبو سلمة اذا سئل عن الامام يقول لا تعجلوا فلم يزل ذلك من امره حتى دخل أبو حميد محمد بن ابراهيم الحميري من حمام أعين يريد الكناسة فلقي خادما لابراهيم الامام يقال له سابق الخوارزمي فعرفه فقال له ما فعل ابراهيم الامام فاخبره ان مروان قتله وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبي العباس واستخلفه من بعده وانه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته فسأله أبو حميد ان ينطلق به اليهم فقال له سابق الموعد بيني و بينك غدا في هذا الموضع وكره سابق ان يدله عليهم الا باذنهم فرجع أبو حميد الى أبي الجهم فاخبره وهو في عسكر أبي سلمة فامره ان يلطف للقائهم فرجع أبو حميد من الغد الى الموضع الذي وعد فيه سابقا فلقيه فانطلق به الى أبي العباس وأهل بيته فلما دخل عليهم سأل أبو حميد عن الخليفة منهم فقال داود بن علي هذا امامكم وخليفتكم وأشار الى أبي العباس فسلم عليه بالخلافة وقبل يديه ورجليه وقال مرنا بامرك وعزاه بابراهيم الامام ثم رجع وصحبه ابراهيم بن سلمة رجل كان يخدم بني العباس الى أبي الجهم فاخبره عن منزلهم وان الامام أرسل الى أبي سلمة يسأله مائة دينار يعطيها الجمال كراء الجمال التي حملتهم ولم يبعث بها اليهم فشى أبو الجهم وابو احمد وابراهيم بن سلمة الى موسى بن كعب وقصوا عليه القصة وبعثوا الى الامام بمائتي دينار مع ابراهيم بن سلمة واتفق رأي جماعة من القواد على ان يلقوا الامام فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربعي وسلمة بن محمد وابراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي واسحق بن ابراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حميد محمد بن ابراهيم وسليمان بن الاسود ومحمد بن الحصين الى الامام ابي العباس وبلغ ذلك ابا سلمة فسأل عنهم فقيل انهم دخلوا الكوفة في حاجة لهم وأتى القوم ابا العباس فقال وأيكم عبد الله ابن محمد بن الحارثية فقالوا هذا فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في ابراهيم ورجع موسى بن كعب وابو الجهم وامر ابو الجهم الباقين فتخلفوا عند الامام فارسل ابو سلمة الى أبي الجهم أين كنت قال ركبت

وفرض لهم في كل يوم شاة فجعل شطرها وسواقطها لعمار بن ياسر والشطر الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف فاين عمر ممن ذكرنا وأين هو عمن وصفنا (وقدم) على عثمان عمه الحكم بن أبي العاص وعمه مروان وغيرهما من بني أمية ومروان هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غربه عن المدينة ونفاه عن جواره وكان عماله جماعة منهم الوليد ابن عقبة بن أبي معيط على الكوفة وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار وعبد الله ابن أبي سرح على مصر ومعاوية بن أبي سفيان على الشام وعبد الله بن عامر على البصرة وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص وكان السبب في صرف الوليد وولاية سعيد على ما روي أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلا في غلائله فتقدم الى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعا وقال تريدون أن أزيدكم وقيل انه قال في

الى امامى فركب أبو سلمة الى الامام فارسل أبو الجهم الى ابى حميد ان اباسلمة قد اتاكم فلا يدخلن على الامام الا وحده فلما انتهى اليهم ابو سلمة منعوه ان يدخل معه احد فدخل وحده فسلم بالخلافة على أبى العباس فقال له أبو حميد على رغم انفك يا ماص بظر امه فقال له ابو العباس مه وأمر أباسلمة بالعود الى معسكره فعاد وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول فلبسوا السلاح واصطنعوا الخروج أبى العباس وأتوا بالدواب فركب برذونا أبلق وركب من معه من أهل بيته فدخلوا دار الامارة ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة فقام فى اعلاه وصعد عمه داود بن على فقام دونه فتكلم أبو العباس فقال الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا فايده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له فالزمنا كلمة التقوى وجعلنا احق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته وأنشأنا من آبائنا وانتمائنا من شجرته واشتقنا من بعثته جعله من أنفسنا عزيزا عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤفا رحيما ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وقال وانذر عشيرتك الاقربين وقال وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا واحل من الفىء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم ورحمت الشامية الضلال أن غيرنا احق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم واطهر بنا الحق ودحض الباطل واصلح بنا امرهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيسة ونعم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة فى دنياهم واخوانا على سرر متقابلين فى آخرتهم فتح الله ذلك منة وبحجة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله اليه وقام بالامر من بعده اصحابه وأمرهم شورى بينهم حووا ميراث الامم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها واعطوها أهلها وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتذوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فاملأ الله لهم حينا حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بايدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتا وولى نصرنا والقيام بامرنا اليمن بنا على الذين استضعفوا فى الارض وختم بنا كما افتتح بنا وانى لارجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت الا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا أنتم الذين لم تتغير واعن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا واتاكم الله بدولتنا فأنتم اسعد الناس بنا واكرمهم علينا وقد زدتكم فى اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المنيح وكان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على مراقى المنبر فقال الحمد لله شكرا الذى أهلك عدونا واصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيها الناس الآن اقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها واشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السهم الى منزعه ورجع الحق فى نصابه فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم أيها الناس انا والله

سجوده وقد أطال اشرب واسقنى فقال له بعض من كان خلفه فى الصف الاول ما تريد لا زادك الله مزيد الخير والله لا أعجب الا ممن بعثك الينا واليا وعلينا أميرا وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفى (وخطب) الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد فدخل قصره يترنح ويتمثل بابيات اتأبط شرا

ولست بعيدا عن مدام وقينه
ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى
وأمشى الملا بالساحب المتسلسل

﴿وفى ذلك يقول الحطيئة﴾

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
ان الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم
أ أزيدكم غلا ومايدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك فى الصلاة ولو
خلوا عنانك لم ترل تجرى
وأشاعوا بالكوفة فعله
وطهر فسقه ومداومته
شرب الخمر فهجم عليه
جماعة من المسجد منهم
أبو زينب بن عوف الازدى
وأبو جندب بن زهير الازدى
وغيرهما فوجدوه سكران
مضطجعا على سريره لا يعقل

ماخرجنا فى طلب هذا الامر لنكثر لجبنا ولا عقيانا ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا وانما أخرجتنا الانفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبنى عمنا وما كرهنا من أموركم فلقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله علينا ان نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا تبا لبنى حرب بن أمية وبنى مروان آثروا فى مدتهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الانام وانتهكوا المحارم وغشوا بالجرائم وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسنتهم فى البلاد وخرجوا فى أعنة المعاصى وركضوا فى ميدان التى جهلا باستدراج الله وأمنا لمكر الله فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون فاصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعدا للقوم الظالمين وأدال النا الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل لعدو الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خطامه أظن عدو الله ان لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحاضلاله وجعل دائرة السوء به واحيا شرفنا وعزنا ورد الينا حقنا وارثنا أيها الناس ان أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا انما عاد الى المنبر بعد الصلاة لانه كاره ان يخلط بكلام الجمعة غيره وانما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله لامير المؤمنين بالعافية وقد بدا لكم الله مروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع السفلة الذين افسدوا فى الارض بعد اصلاحها بادال الدين وانتهاك حريم المسلمين الشاب المكتحل المتمهل المقتدى بسلفه الابرار الاخيار الذين اصلحوا الارض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى فعج الناس له بالدعاء ثم قال يا أهل الكوفة انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج بهم حجتنا واظهر بهم دولتنا وأراكم الله بهم ما الستم تنتظرون فاظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأداكم على أهل الشام ونقل اليكم السلطان واعز الاسلام ومن عليكم بامام منحه العدالة واعطاه حسن الايالة فحدوا ما آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فان الامر أمركم وان لكل أهل بيت مصرا وانكم مصرنا الا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امير المؤمنين على بن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد واشار بيده الى أبى العباس السفاح واعلموا أن هذا الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله على ما ابلانا وأولانا ثم نزل أبو العباس وداود على امامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور يأخذ البيعة على الناس فى المسجد فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنهم الليل فدخل وقيل ان داود بن على لما تكلم قال فى آخر كلامه أيها الناس انه والله ما كان بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة الا على بن أبى طالب وأمير المؤمنين الذى خلفى ثم نزلا وخرج أبو العباس يعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلمة ونزل معه فى عمرته بينهما ستر وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على وبعث عمه عبد الله بن على الى أبى عون بن يزيد بشهرزور وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى الى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ بحلوان وبعث ابن هبيرة بواسط وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس الى حميد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر الى بسام بن ابراهيم بن بسام بالاهواز

فايقظوه من رقدته فلم يستيقظ ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم الى المدينة فاتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر فقال عثمان وما يدريكما أنه شرب خمرا فقالا لاهى الخمر التى كنا نشربها فى الجاهلية وأخرجا خاتمه فدفعاه اليه فرزأهما ودفع فى صدورهما وقال تنحيا عنى فخرجا وأتيا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخبراه بالقصة فاتى عثمان وهو يقول دفعت الشهود وأبطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى قال أرى أن تبعث الى صاحبك فان أقاما الشهادة عليه فى وجهه ولم يدل بحجة أقمت عليه الحد فلما حضر الوليد دعاهما عثمان فاقاما الشهادة عليه ولم يدل بحجة فالقى عثمان السوط الى على فقال على لابنه الحسن قم يا بنى فاقم عليه ما أوجب الله عليه فقال يكفيه بعض ماترى فلما نظر الى امتناع الجماعة عن اقامة الحد عليه توقى العضب عثمان لقرابته منه أخذ على السوط ودنا منه فلما قال نحوه سبه الوليد وقال يا صاحب مكس فقال عقيل بن أبى

وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان الى مالك بن الطواف واقام السفاح بالعسكر اشهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية بقصر الامارة وكان تنكر لابي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك وقد قيل ان داود ابن علي وابنه موسى لم يكونوا بالشام عند مسير بني العباس الى العراق انما كان بالعراق أو بغيره فخرجا يريدان الشام فلقيهما أبو العباس وأهل بيته يريدون الكوفة بدومة الجندل فسألهم داود عن خبرهم فقص عليه أبو العباس قصتهم وانهم يريدون الكوفة ليطهروا بها ويطهروا أمرهم فقال له داود يا أبا العباس تأتي الكوفة وشيخ بني أمية مروان بن محمد بحران مطل على العراق في أهل الشام والجزيرة وشيخ العرب يزيد بن هبيرة بالعراق في جند العرب فقال يا عمي من أحب الحياة ذل ثم تمثل بقول الاعشى

فما مية ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فالتفت داود الى ابنه موسى فقال صدق والله ابن عمك فارجع بنا معه نعش اعزاء ونموت كراما فرجعوا جميعا وكان عيسى بن موسى يقول اذا ذكر خروجهم من الجهمية يريدون الكوفة ان نفرا أربعة عشر رجلا خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون ما طلبنا العظيمة همتهم كبيرة أنفسهم شديدة قلوبهم

﴿ذكر هزيمة مروان بالزاب﴾

فذكرنا ان قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الازدي الى شهرزور وانه قتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل وان مروان بن محمد سار اليه من حران حتى بلغ الزاب وحفر خندقا وكان في عشرين ومائة ألف وسار أبو عون الى الزاب فوجه أبو سلمة الى أبي عون عيينة بن موسى والمنهال بن قتان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين ووداس بن نضلة في خمسمائة الى أبي عون ثم قال من يسير الى مروان من أهل بيتي فقال عبد الله بن علي انا فسيره الى أبي عون فقدم عليه فتحول أبو عون عن مرادقه وخلاه له وما فيه فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن علي عن مخاضة فدل عليها بالزاب فامر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى الى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ورجع الى عبد الله بن علي وأصبح مروان فعقد الجسر وعبر عليه فنهاه وزراؤه عن ذلك فلم يقبل وسير ابنه عبد الله فنزل اسفل من عسكر عبد الله بن علي فبعث عبد الله بن علي المخارق في أربعة آلاف نحو عبد الله ابن مروان فسرح اليه ابن مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فالتقيا فانهزم أصحاب المخارق وثبت هو فأسر هو وجماعة وسيرهم الى مروان مع رؤوس القتلى فقال مروان أدخلوا علي رجلا من الاسرى فاتوه بالمخارق وكان نحيفا فقال أنت المخارق قال لا انا عبد من عبيد أهل العسكر قال فتعرف المخارق قال نعم قال فانظر هل تراه في هذه الرؤوس فنظر الى رأس منها فقال هو هذا فخلى سبيله فقال رجل مع مروان حين نظر المخارق وهو لا يعرفه لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم وقيل ان المخارق لما نظر الى الرؤوس قال ما أرى رأسه فيها ولا اراه الا قد ذهب فخلى سبيله ولما بلغت الهزيمة عبد الله بن علي أرسل الى طريق المنهزمين من يمنعهم من دخول العسكر لئلا يسكر قومهم واشار عليه أبو عون ان يبادر مروان بالقتال قبل ان يظهر أمر المخارق فيفت ذلك في اعضاد الناس فنادى فيهم بلبس السلاح والخروج الى الحرب فركبوا واستخلف على عسكره محمد بن صول وسار نحو مروان وجعل على ميمنته أبا عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية

وكان

طالب وكان ممن حضر انك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت علج من أهل صفورية وهي قرية بين عكا واللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية كان ذكر أن أباه كان يهوديا منها فاقبل الوليد يزوغ من على فاجتذبه فضرب به الارض وعلاه بالسوط فقال عثمان ليس لك أن تفعل به هذا قال بلى وشر من هذا اذا فسق ومنع حق الله تعالى أن يؤخذ منه (وولى الكوفة) بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة واليا بى أن يصعد المنبر حتى يغسل وأمر بغسله وقال ان الوليد كان نجسا رجسا فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة واشتبه بالاموال وقال في بعض الايام وكتب به الى عثمان انما هذا السواد قطير لتريش فقال له الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعي أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستانا لك ولقومك ثم خرج الى عثمان في سبعين راكبا من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص

وكان عسكره عشرين ألفا وقيل اثنى عشر ألفا وقيل غير ذلك فلما التقى العسكران قال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ان زالت اليوم الشمس ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها الى المسيح عليه السلام وان قاتلونا قبل الزوال فانا لله وانا اليه راجعون وأرسل مروان الى عبد الله يسأله المواعدة فقال عبد الله كذب ابن رزيق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله فقال مروان لاهل الشام قفوا لا تبدؤهم بالقتال وجعل ينظر الى الشمس فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم وهو ختن مروان بن محمد على ابنته فغضب وشقه وقاتل ابن معاوية أباعون فانحاز أبو عون الى عبد الله بن علي فقال لموسى بن كعب يا عبد الله مر الناس فلينزلوا فنودي الارض فنزل الناس وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم وجعل أهل الشام يتأخرون كانهم يدفعون ومشى عبد الله بن علي فدعا ربه يقول يا رب حتى متى نقتل فيك ونادى يا أهل خراسان يا لثارات ابراهيم يا محمد يا منصور واشتد بينهم القتال فقال مروان لقضاعة انزلوا فقالوا قل لبني سليم فلينزلوا فارسل الى السكاسك ان احملوا فقالوا قل لبني عامر فليحملوا فارسل الى السكون ان احملوا فقالوا قل لغطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطته انزل فقال والله ما كنت لاجعل نفسي غرضا قال اما والله لاسوأنك فقال وددت والله انك قدرت على ذلك وكان مروان ذلك اليوم لا يدبر شيأ الا كان فيه الخلل فامر بالاموال فأخرجت وقال للناس اصبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك فقيل له ان الناس قد مالوا على هذا المال ولا أمنهم ان يذهبوا به فارسل الى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك الى قوم عسكرك فاقتل من أخذ من المال فامنعهم فقال عبد الله برايته وأصحابه فقال الناس الهزيمة الهزيمة فانهزم مروان وانهزموا وقطع الجسر وكان من غرق يومئذ اكثر ممن قتل فكان ممن غرق يومئذ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن المخلوع فاستخرجوه في الغرقى فقر أعبد الله واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وقيل بل قتله عبد الله بن علي بالشام وقتل في هذه الوقعة سعيد بن هشام بن عبد الملك وقيل بل قتله عبد الله بالشام واقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان

لج الفرار بمروان فقلت له * عاد الظلوم ظليما همه الهرب
أين الفرار وترك الملك اذ ذهبت * عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراشة الحلم فرعون العقاب وان * تطلب نداه فكلب دونه كلب

وكتب يومئذ عبد الله بن علي الى السفاح بالفتح وحوى عسكر مروان بما فيه فوجد سلاحا كثيرا وأموالا ولم يجد فيه امرأة الا جارية كانت لعبد الله بن مروان فلما أتى الكتاب السفاح صلى ركعتين وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة دينار ورفع ارزاقهم الى ثمانين وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة وكان فيمن قتل معه يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وهو أخو عبد الرحمن صاحب الاندلس فلما تقدم الى القتال رآى عبد الله بن علي فتى عليه ابهة الشرف يقاتل مستقتلا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال ان لم أكنه فلست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم قال

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما * فسيري الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل فاذا هو مسلمة بن عبد الملك

وسألوا عزله عنهم فمكث الاشتر وأصحابه أياما لا يخرج لهم من عثمان في سعيد شيء وامتدت أيامهم بالمدينة وقدم على عثمان أمراؤه من الامصار منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر ومعاوية من الشام وعبد الله بن عامر من البصرة وسعيد ابن العاص من الكوفة فأقاموا بالمدينة أياما لا يردهم الى أمصارهم كراهة أن يرد سعيدا الى الكوفة وكره أن يعزله حتى كتب اليه من بامصارهم يشكون كثرة الخراج وتعطيل الثغور فجمعهم عثمان وقال ما ترون فقال معاوية أما أنا فراض بي جندي وقال عبد الله ابن عامر بن كريز ليكفك امرؤ ما قبلك أكفك ما قبلي وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح ليس بكثير عزل عامل للعامة وتولية غيره وقال سعيد بن العاص انك ان فعلت هذا كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون وقد صاروا حلقا في المسجد ليس لهم غير الاحاديث والخوض فجهزهم في البعوث حتى يكون همّ أحدهم أن يموت على ظهر دابته قال فسمع مقالته عمرو بن العاص

﴿ذكر قتل ابراهيم بن محمد بن على الامام﴾

قد ذكرنا سبب حبسه واختلف الناس فى موته فقيل ان مروان حبسه بحران وحبس سعيد ابن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد بن عبد الملك وأبا محمد السفيانى هلك منهم فى وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم بن محمد بن على الامام وعبد الله بن عمر فلما كان قبل هزيمة مروان من الزاب بجمعة خرج سعيد بن هشام وابن عمه ومن معه من المحبوسين فقتلوا صاحب السجن وخرجوا فقتلهم أهل حران ومن فيها من الغوغاء وكان فيمن قتله أهل حران شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر التغلبى وبطريق ارمينية الرابعة واسمه كوشان وتخلف أبو محمد السفيانى فى الحبس فلم يخرج فيمن خرج ومعه غيره لم يستطيعوا الخروج من الحبس فقدم مروان منهزما من الزاب فجاء فخلى عنهم وقيل ان مروان هدم على ابراهيم بيته فقتله وقد قيل ان شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك كان محبوسا مع ابراهيم فكانا يتزاوران فصار بينهما مودة فاتى رسول من شراحيل الى ابراهيم يوما بلبن فقال يقول لك أخوك انى شربت من هذا اللبن فاستطبته فاحببت ان تشرب منه فشرب منه فتكسر جسده من ساعته وكان يومئذ يزور فيه شراحيل فابطأ عليه فارسل اليه شراحيل انك قد أبطأت فاحبسك فاعاد ابراهيم انى لما شربت اللبن الذى أرسلت به قد اسهلنى فاتاه شراحيل فقال والله الذى لا اله الا هو ما شربت اليوم لبنا ولا أرسلت به اليك فانا لله وانا اليه راجعون احتيل والله عليك فمات ابراهيم ليلته وأصبح ميتا فقال ابراهيم بن هرثمة يرثيه

قد كنت احسبنى جلدا فضعضعنى * قبر بحران فيه عصمة الدين
فيه الامام وخير الناس كلهم * بين الصفائح والاحجار والطين
فيه الامام الذى عمت مصيبته * وعيلت كل ذى مال ومسكين
فلا عفا الله عن مروان مظلمة * لكن عفا الله عمن قال آمين

وكان ابراهيم خيرا فاضلا كريما قدم المدينة مرة ففرق فى أهلها مالا جليلا وبعث الى عبد الله ابن الحسن بن الحسن بخمسمائة دينار وبعث الى جعفر بن محمد بالف دينار فبعث الى جماعة العلويين بمال كثير فاتاه الحسين بن زيد بن على وهو صغير فاجلسه فى حجره قال من أنت قال أنا الحسين بن زيد بن على فبكى حتى بل رداءه وأمر وكيله باحضار ما بقى من المال فاحضر أربعمائة دينار فسلمها اليه وقال لو كان عندنا شئ آخر لسلمته اليك وسير معه بعض مواليه الى أمه ريطة بنت عبد الملك بن محمد بن الحنفية يعتذر اليها وكان مولده سنة اثنتين وثمانين وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى وكان ينبغى ان يقدم ذكر قتله على هزيمة مروان وانما قدمنا ذلك لتتبع الحادثة بعضها بعضا

﴿ذكر قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم﴾

وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد وكان قتله ببوصير من اعمال مصر لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مروان لما هزمه عبد الله بن على بالزاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبى وبشر بن خزيمة الاسدى فقطعا الجسر فناداهم أهل الشام هذا أمير المؤمنين مروان فقالوا كذبتم أمير المؤمنين لا يفر وسبه أهل الموصل وقالوا يا جعدى يا معطل الحمد لله الذى أزال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذى أتانا باهل بيت نبينا فلما سمع ذلك سار الى بلد فعبر دجلة وأتى حران وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن مروان عامله عليها فاقام بها نيفا

فخرج الى المسجد فاذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه فقالا له الينا فصار اليهما فقالا فاوراءك قال الشر ما تركت شيأ من المنكر الا أتيته وأمر به وجاء الاشتر فقالا له ان عاملكم الذى قتم فيه خطباءه قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث وبكذا وكذا فقال الاشتر والله قد كنا نشكو سوء سيرته وما قتلنا به خطباءه فكيف وقد قتلناهم والله على ذلك لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لسبقته الى الكوفة حتى أمنعه دخولها فقالا له فعندنا حاجتك التى تفوتك فى سفرك قال فأسلفانى اذن مائة ألف درهم قال فاسلفه كل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج الى الكوفة فسبق سعيد وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد ثم قال أما بعد فان عاملكم الذى أنكرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم فى البعوث فبايعونى على أن لا يدخلها فبايعه عشرة آلاف من أهل الكوفة وخرج راكبا متخفيا يريد المدينة أو مكة فلقى سعيدا

وعشرين يوما وسار عبد الله بن علي حتى أتى الموصل فدخلها وعزل عنها هشاما واستعمل عليها محمد ابن صول ثم سار في أثر مروان بن محمد فلما دنا منه عبد الله حمل مروان أهله وعياله ومضى منهزما وخلف بمدينة حران ابن أخيه أبان بن يزيد وتحته أم عثمان ابنة مروان وقدم عبد الله بن علي حران فلقيه ابان مسودا صبيانه له فبايعه له ودخل في طاعته فأمنه ومن كان بحران والجزيرة ومضى مروان الى حمص فلقيه أهلها بالسمع والطاعة فاقام بها يومين أو ثلاثا ثم سار منها فلما رأى قلة من معه طمع وافيه وقالوا مر عوبا منهزما فاتبعوه بعد ما رحل عنهم فلحقوه على اميال فلما رأى غبرة الخيل كمن لهم فلما جاوزوا الكمين صافهم مروان فيمن معه وناشدهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وأتاهم الكمين من خلفهم فانهزم أهل حمص وقتلوا حتى انتهوا الى قريب المدينة وأتى مروان دمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان فخلفه بها وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام ومضى مروان حتى أتى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي فارسل مروان الى عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي فاجاره وكان بيت المال في يد الحكم وكان السفاح قد كتب الى عبد الله بن علي يأمره باتباع مروان فسار حتى أتى الموصل فتلقاه من بها مسودين وفتحوا له المدينة ثم سار الى حران فتلقاه أبان بن يزيد مسودا كما تقدم فأمنه وهدم عبد الله الدار التي حبس فيها ابراهيم ثم سار من حران الى منبج وقد سودوا فاقام بها وبعث اليه أهل قنسرين ببيعتهم وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن علي أرسله السفاح مددا له في أربعة آلاف فسار بعد قدوم عبد الصمد بيومين الى قنسرين وكانوا قد سودوا فاقام يومين ثم سار الى حمص وبايع أهلها واقام بها اياما ثم سار الى بعلبك فاقام يومين ثم سار فنزل مرج دمشق وهي قرية من قرى الغوطة وقدم عليه أخوه صالح بن علي مددا فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف ثم تقدم عبد الله فنزل على الباب الشرقي ونزل صالح على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ونزل بسام ابن ابراهيم على باب الصغير ونزل حميد بن قحطبة على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن معاوية فحصروه ودخلوها عنوة يوم الاربعاء لخمس مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أول من صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي ومن ناحية باب الصغير بسام بن ابراهيم فقاتلوا بها ثلاث ساعات وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل واقام عبد الله بن علي في دمشق خمسة عشر يوما ثم سار يريد فلسطين فلقيه أهل الاردن وقد سودوا وأتى نهر أبي فطرس وقد ذهب مروان فاقام عبد الله بفلسطين ونزل بالمدينة يحيى بن جعفر الهاشمي فاتاه كتاب السفاح يأمره بارسال صالح بن علي في طلب مروان فسار صالح من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتان وعامر بن اسمعيل فقدم صالح أبا عون وعامر بن اسمعيل الحرثي فسار واحتى بلغوا العريش فاحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام وسار صالح فنزل الميل ثم سار حتى أتى الصعيد وبلغه ان خيلا لمروان يحرقون الاعلاف فوجه اليهم فأخذوا وقدم بهم على صالح وهو بالفسطاط وسار فنزل موضعا يقال له ذات السلاسل وقدم أبو عون عامر بن اسمعيل الحرثي وشعبة بن كثير المازني في خيل أهل الموصل فلقوا خيلا لمروان فهزموهم وأسروا منهم رجالا فقتلوا بعضا واستحيوا بعضا فسألوهم عن مروان فاخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم وساروا فوجدوه نازلا في كنيسة في بوصير فقاتلوه ليلا وكان أصحاب أبي عون قليلين فقال لهم عامر بن اسمعيل ان أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم ينج منا أحد وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا على أصحاب مروان

بواقصة فأخبره بالخبر فانصرف الى المدينة وكتب الاشتر الى عثمان انا والله ما منعنا عاملك الا ليفسد عليك عملك ول من أحببت فكتب اليهم انظروا من كان عاملكم أيام عمر بن الخطاب فولوه فنظروا فاذا هو أبو موسى الاشعري فولوه (وفي سنة خمس وثلاثين) كثر الطعن على عثمان رضي الله عنه وظهر عليه النكير لاشياء ذكروها من فعله (منها) ما كان بينه وبين عبد الله ابن مسعود وانحراف هذيل عن عثمان من أجله (ومن ذلك) ما نال عمار بن ياسر من النتن والضرب وانحراف بني مخزوم عن عثمان من أجله (ومن ذلك) فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة وذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل يقال له زرارة يعمل أنواعا من الشعبذة والسحر يعرف بعطروى فأحضر فأراه في المسجد ضربا من التخاييل وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج

فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فاخذه عامر فبعث به الى أبى عون وبعثه أبو عون الى صالح فلما وصل اليه أمر أن يقص لسانه فانقطع لسانه فاخذه هر فقال صالح ماذا ترينا الايام من العجائب والعبر هذا السان مروان قد أخذته هر وقال شاعر

قد فتح الله مصر عنوة لكم * وأهلك الفاجر الجعدى اذ ظلما
فلا لك مفوله هر يجتره * وكان ربك من ذى الكفر منتقما

وسيره صالح الى أبى العباس السفاح وكان قتله لليلتين بقيتا من ذى الحجة ورجع صالح الى الشام وخلف أباعون بمصر وسلم اليه السلاح والاموال والرقيق ولما وصل الرأس الى السفاح كان بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين وقتل

لو يشربون دمى لم يروشاربهم * ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله الى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء فقاتلهم الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله فى عدة ممن معه فبقى الى خلافة المهدى فاخذه نصر بن محمد بن الاشعث عامل فلسطين فبعث به الى المهدى ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التى فيها حرم مروان وكان قد وكل بهن خادما وأمره ان يقتلهن بعده فاخذه عامر وأخذ نساء مروان وبناته فسيرهن الى صالح بن على بن عبد الله بن عباس فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا قال والله لا أستبقى منكم واحدا ألم يقتل أبوك ابن اخى ابراهيم الامام ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن على بن الحسين وصلبه فى الكوفة ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان ألم يقتل ابن زياد الدعى مسلم بن عقيل ألم يقتل يزيد ابن معاوية الحسين بن على وأهل بيته ألم يخرج اليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا ووقفهن موقف السبى ألم يحمل رأس الحسين وقد قرع دماغه فما الذى يحملنى على الابقاء عليكن قالت فليسعنا عفوكم فقال أما هذا فنعم وان أحببت زوجتك ابنى الفضل فقالت وأى خير من هذا بل تلحقنا بحران فحملهن اليها فلما دخلنها ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء قيل كان يوما بكير بن ماهان مع أصحابه قبل ان يقتل مروان يتحدث اذ مر به عامر بن اسمعيل وهو لا يعرفه فاتى دجلة واستقى من مائها ثم رجع فدعاه بكير فقال ما اسمك يا فتى قال عامر بن اسمعيل بن الحرث قال فكن من بنى مسلية قال فانا منهم قال انت والله تقتل مروان فكان هذا القول هو الذى قوى طمع عامر فى قتل مروان ولما قتل مروان كان عمره اثنتين وستين سنة وقيل تسعا وستين سنة وكانت ولايته من حين بويع الى ان قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما وكان يكنى أبا عبد الملك وكانت أمه أم ولد كردية كانت لابراهيم بن الاشتر أخذها محمد بن مروان يوم قتل ابراهيم فولدت مروان فلهذا قال عبد الله بن عياش المنتوف للسفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وكان مروان يلقب بالحمار والجعدى لانه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك وقيل ان الجعد كان زنديقا وعظه ميمون بن مهران فقال اشاه فباذا أحب الى مما تدين به فقال له قتلك الله وهو قاتلك وشهد عليه ميمون وطلبه هشام فظفر به وسيره الى خالد القسرى فقتله

من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ثم أمر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الازدى فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان ومن عمل يبعد من الرحمن وعلم أن ذلك هو ضرب من التخييل والسحر فاخترط سيفه وضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد قيل ان ذلك كان نهارا وأن جنديا خرج الى السوق ودنا من بعض الصياقلة وأخذ سيفا ودخل فضرب به عنق اليهودى وقال ان كنت صادقا فأحى نفسك فانكر عليه الوليد ذلك وأراد أن يقيده به فمنعه الازد فحبسه وأراد قتله غيلة وانتظر السجان الى قيام الليل الى الصبح فقال له انج بنفسك فقال له جندب تقتل بى قال ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله والدفع عن ولى من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله فلم يجده فسأل السجان فاخبره بهربه فضرب عنق السجان وصلبه بالكناس

فكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه وكان مروان أبيض أشهل شديد الشهلة ضخم الهامة كث اللحية أبيض بهار بعة وكان شجاعا حازما الا ان مدته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته (عياش بالياء تحتها نقطتان والشين المعجمة)

﴿ ذكر من قتل من بني أمية ﴾

دخل سديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه فقال سديف

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتني يا شيخ ودخل السفاح وأخذ سليمان فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلا على الطعام فاقبل عليه شبل فقال

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وترهاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهرا لتودد منها * وبها منكم لخزا المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من غارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسي

فامر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الانطاع فاكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية بدمشق فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجد وافيه الا خيطا مثل الهباء ونبش قبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فوجد وافيه حطاما كأنه الرماد ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد واجمجمته وكان لا يوجد في القبر الا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فانه وجد صحيحا لم يبل منه الا أرنبة أنفه فضربه بالسياط وصلبه وحرقه وذراه في الريح وتتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فاخذهم ولم يفلت منهم الا رضيع أو من هرب الى الاندلس فقتلهم بنهر أبي فطرس وكان فيمن قتل محمد بن عبد الملك بن مروان والعمر بن يزيد بن عبد الملك وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وسعيد بن عبد الملك وقيل انه مات قبل ذلك وأبو عبيدة بن الوليد بن عبد الملك وقيل ان ابراهيم بن يزيد المخلوع قتل معهم واستصفى كل شيء لهم من مال وغيره لك فلما فرغ منهم قال

بني أمية قد أفنيت جمعكم * فكيف لي منكم بالاول الماضي
يطيب النفس ان النار تجمعكم * عوضتم من لظاها شر معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم * بليث غاب الى الاعداء نهاض
ان كان غيظي لفوت منكم فلقد * منيت منكم بمارب به راض

وقيل ان سديفا انشد هذا الشعر للسفاح رمعه كانت الحادثة وهو الذي قتلهم وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة أيضا جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة وأمر بهم فجروا برجلهم فالقوا على الطريق فاكلهم الكلاب فلما رأى بنو أمية ذلك اشتد خوفهم وتشتت شملهم واختفى من قدر على الاختفاء وكان ممن اختفى منهم عمرو بن معاوية بن عمرو بن

(ومن ذلك) ما فعل بابي ذر وهو أنه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا أمير المؤمنين فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية فقال عثمان أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فنتفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه فقال كعب لا بأس بذلك فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان ما أكثر أذاك لي غيب وجهك عني فقد آذيتني فخرج أبو ذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان أبا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب اليه عثمان يحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن أموت حتى أنفى وذكر

سفيان بن عتبة بن أبي سفيان قال وكنت لا آتي مكانا لا أعرفت فيه فضاقت علي الارض فقدمت على سليمان بن علي وهو لا يعرفني فقلت لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك فامنتني فاستريحت وامارددتني سالما فامنت فقال ومن أنت فعرفته نفسي فقال مرحبا بك ما حاجتك فقلت ان الحرم اللواتي أنت أولى الناس بهن وأقربهم اليهن قد خفن خوفنا ومن خاف خيف عليه قال فبكى كثيرا ثم قال يحقن الله دمك ويوفر مالك ويحفظ حرمك ثم كتب الى السفاح يا أمير المؤمنين انه قد وفد وافد من بني أمية علينا وانا انما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم فاننا بجمعنا واياهم عبد مناف والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع فان رأى أمير المؤمنين ان يهبهم لي فليفعل وان فعل فيجعل كتابا عاما الى البلدان نشكر الله تعالى على نعمه عندنا واحسانه الينا فاجابه الى ما سأل فكان هذا أول امان بني أمية

﴿ذكر خلع حبيب بن مرة المري﴾

وفي هذه السنة بيض حبيب بن مرة المري وخلع هو ومن معه من أهل البثنية وحوران وكان خلعهم قبل خلع أبي الورد فسار اليه عبد الله وقاتله دفعات وكان حبيب من قواد مروان وفرسانه وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه ومونه فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم فلما بلغ عبد الله خروج أبي الورد وتبييضه دعا حبيبا الى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه وسار نحو أبي الورد

﴿ذكر خلع أبي الورد وأهل دمشق﴾

وفيها خلع أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحرث الكلابي وكان من أصحاب مروان وقواده وكان سبب ذلك ان مروان لما انهزم قام أبو الورد بقنسرين فقدمها عبد الله بن علي فبايعه أبو الورد ودخل فيما دخل فيه جنده وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له بالس والناعورة فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن علي فبعث بولد مسلمة ونسائهم فشكا بعضهم ذلك الى أبي الورد فخرج من مزرعة يقال لها خسان فقتل ذلك القائد ومن معه وأظهر التبييض والخلع لعبد الله ودعا أهل قنسرين الى ذلك فبيضوا اجمعهم والسفاح يومئذ بالحيرة وعبد الله بن علي مشتغل بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء وحوران والبثنية على ما ذكرناه فلما بلغ عبد الله تبييض أهل قنسرين وخلعهم صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء أبي الورد فر بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف وكان بدمشق أهل عبد الله وأمهات أولاده وثقله فلما قدم حمص انتقض له أهل دمشق وتبيضوا وقاموا مع عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي فلقوا أبا غانم ومن معه فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ما كان عبد الله خلف من ثقله ولم يعرضوا لاهله واجتمعوا على الخلاف وسار عبد الله وكان قد اجتمع مع أبي الورد جماعة من أهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر فقدم منهم الوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ودعوا اليه وقالوا هذا السفياني الذي كان يذكر وهم في نحو من أربعين ألفا فعسكروا بمرج الاخرم ودنا منهم عبد الله بن علي ووجه اليهم أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف وكان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال فناهضهم القتال وكثر القتل في الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل منهم الوف ولحق باخيه عبد الله فاقبل عبد الله معه وجماعة القواد فالتقوا ثانية بمرج الاخرم فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت عبد الله فانهزم أصحاب أبي الورد وثبت هو في نحو من خمسمائة من قومه وأصحابه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ودخلوا في طاعته ثم انصرف

راجعا

جوامع ما نزل به بعد ومن يتولى دفنه فأحسن اليه في داره أياما ثم دخل اليه بفراس على ركبتيه وتكلم بأشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم فقال عثمان اني لأرجو لعبد الرحمن خيرا لانه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الاحبار صدقت يا أمير المؤمنين فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الالم وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يسرني أن أموت وأدع ما بين قيراط فقال له عثمان وارعني وجهك فقال أسير الى مكة قال لا والله قال فقنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت

راجعا الى أهل دمشق لما كان من تبييضهم فلما دنا منهم هرب الناس ولم يكن منهم قتال وأمن عبد الله أهلها وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم ولم يزل أبو محمد السفياني متغيبا هاربا ولحق بارض الحجاز وبقي كذلك الى أيام المنصور فبلغ زياد بن عبد الله الحرثي عامل المنصور بمكانه فبعث اليه خيلا فقاتلوه فقتلوه وأخذ ابنين له أسيرين فبعث زياد برأس أبي محمد بن عبد الله السفياني وبابنيه فاطلقهما المنصور وأمنهما وقيل ان حرب عبد الله وأبي الورد كانت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة

﴿ ذكر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم ﴾

وفي هذه السنة بيض أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس السفاح وساروا الى حران وبها موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من جند السفاح فحاصروه بها وليس على أهل الجزيرة رأس يجمعهم فقدم عليهم اسحق بن مسلم العقيلي من أرمينية وكان سار عنها حين بلغه هزيمة مروان فاجتمع عليه أهل الجزيرة وحاصر موسى بن كعب نحو امن الشهرين ووجه أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر فيمن كان معه من الجنود بواسط محاصرين ابن هبيرة فسار بقرقيسيا والرقة وأهلهما قد بيضوا وسار نحو حران فرحل اسحق بن مسلم الى الرها وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة وخرج موسى بن كعب من حران فلقي أبا جعفر ووجه اسحق بن مسلم أخاه بكار بن مسلم الى ربيعة بدارا وماردين ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يقال له بريكة فعبد الهم أبو جعفر فلقيهم فقاتلوه قتالا شديدا وقتل بريكة في المعركة وانصرف بكار الى أخيه اسحق بالرها فخلفه اسحق بها وسار الى سميساط في عظم عسكره وأقبل أبو جعفر الى الرها وكان بينهم وبين بكار وقعات وكتب السفاح الى عبد الله بن علي يأمره أن يسير في جنوده الى سميساط فسار حتى نزل بازاء اسحق بسميساط واسحق في ستين ألفا وبينهم الفرات وأقبل أبو جعفر من الرها وحاصر اسحق بسميساط سبعة أشهر وكان اسحق يقول في عنق بيعة فانا لا أدعها حتى أعلم ان صاحبها مات أو قتل فارسل اليه أبو جعفر ان مروان قد قتل فقال حتى أتيقن فلما تيقن قتله طلب الصلح والامان فكتبوا الى السفاح بذلك وأمرهم أن يؤمنوه ومن معه فكتبوا بينهم كتابا بذلك وخرج اسحق الى أبي جعفر وكان عنده من أثرة صحابته واستقام أهل الجزيرة والشام وولى أبو العباس أخاه أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل عليها حتى استخلف وقد قيل ان عبيد الله بن علي هو الذي أمن اسحق ابن مسلم

﴿ ذكر قتل أبي سلمة الخلال وسليمان بن كثير ﴾

قد ذكرنا ما كان من أبي سلمة في أمر أبي العباس السفاح ومن كان معه من بني هاشم عند قدومهم الكوفة بحيث صار عندهم متهما ونغير السفاح عليه وهو بعسكره بحمام أعين ثم تحول عنه الى المدينة الهاشمية فنزل قصر الامارة بها وهو متنكر لابي سلمة وكتب الى أبي مسلم يعلمه رأيه فيه وما كان هم به من الغش وكتب اليه أبو مسلم ان كان أمير المؤمنين اطلع على ذلك منه فليقتله فقال داود بن علي للسفاح لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج بها أبو مسلم عليك وأهل خراسان الذين معك أصحابه وحاله فيهم حاله ولكن اكتب الى أبي مسلم فليبعث اليه من يقتله فكتب اليه فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي لقتله فقدم على السفاح فاعلمه بسبب قدومه وأمر السفاح منايا فنادى ان أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ودعاه فكساه ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل ثم انصرف الى منزله وحده فعرض له مرار بن أنس ومن معه من أعوانه فقتلوه

قال اي والله قال فالى الشام قال لا والله قال البصرة قال لا والله فاخترغير هذه البلاد ان قال لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيأ من البلدان فسيرني حيث شئت من البلاد قال فاني مسيرك الى الربذة قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرني بكل ما أنا لاق قال عثمان وما قال لك قال أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة واموت بالربذة ويتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث أبو ذر الى جمل له فحمل عليه امرأته وقبل ابنته وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها اذ طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار ابن ياسر فاعترض مروان فقال يا علي ان أمير المؤمنين قد نهى الناس ان يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط بين اذني راحلته وقال تنح

وقالوا قتله الخوارج ثم أخرج من الغد فصلى عليه يحيى بن محمد بن علي ودفن بالمدينة الهاشمية عند الكوفة فقال سليمان بن المهاجر البجلي

ان الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك صار وزيرا

وكان يقال لابي سلمة وزير آل محمد ولابي مسلم أمير آل محمد فلما قتل أبو سلمة وجه السفاح أخاه أبا جعفر الى أبي مسلم فلما قدم على أبي مسلم سايره عبيد الله بن الحسن الاعرج وسليمان بن كثير فقال سليمان بن كثير لعبيد الله يا هذا انا كنا نرجو أن يتم أمركم فاذا شئتم فادعونا الى ما تريدون فظن عبيد الله انه دسيس من أبي مسلم فأتى أبا مسلم فأخبره وخاف ان لم يعلمه ان يقتله فأحضر أبو مسلم سليمان بن كثير وقال له احفظ قول الامام لي من اتهمته فاقتله قال نعم قال فاني قد اتهمتك قال انشدك الله قال لا تناشدني فانت منطو على غش الامام وأمر بضرب عنقه ورجع أبو جعفر الى السفاح فقال لست خليفة ولا أمرك بشئ ان تركت أبا مسلم ولم تقتله قال وكيف قال والله ما يصنع الا ما أراد قال أبو العباس فاكتمها وقد قيل ان أبا جعفر انما سار الى أبي مسلم قبل ان يقتل أبو سلمة وكان سبب ذلك ان السفاح لما ظهر تذاكروا ما صنع أبو سلمة فقال بعض من هناك لعل ما صنع كان من رأي أبي مسلم فقال السفاح لئن كان هذا عن رأيه انا لنعرض بلاءه الا أن يدفعه الله عنا وأرسل أخاه أبا جعفر الى أبي مسلم ليعلم رأيه فسار اليه وأعلمه ما كان من أبي سلمة فارسل مرار بن أنس فقتله

﴿ذكر محاصرة ابن هبيرة بواسط﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر يزيد بن هبيرة والجيش الذين لقوه من أهل خراسان مع قحطبة ثم مع ابنه الحسن وانهزامه الى واسط وتحصنه بها وكان لما انهزم قد وكل بالاثقال قوما فذهبوا بها فقال له حوثرة أين تذهب وقد قتل صاحبهم يعني قحطبة أمضي الى الكوفة ومعك جند كثير فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر قال بل ناتي واسطا فننظر قال ما تريد ان تمكنه من نفسك وتقتل وقال يحيى بن حصين انك لو تأتي مروان بشئ أحب اليه من هذه الجنود فالزم الفرات حتى تأتيه وايالك وواسطا فتصير في حصار وليس بعد الحصر الا القتل فأبى وكان يخاف مروان لانه كان يكتب اليه بالامر فيخالفه فخاف ان يقتله فاتى واسطا فتحصن بها وسير أبو سلمة اليه الحسن بن قحطبة فحصره وأول وقعة كانت بينهم يوم الاربعاء قال أهل الشام لابن هبيرة ائذن لنا في قتالهم فأذن لهم فخرجوا وخرج ابن هبيرة وعلى ميمنته ابنه داود فالتقوا وعلى ميمنة الحسن خازم بن خزيمة فحمل خازم على ابن هبيرة فانهزم هو ومن معه وغص الباب بالناس ورمى اصحابه بالعمادات ورجع أهل الشام فكر عليهم الحسن واضطرهم الى دجلة فغرق منهم ناس كثير فتلقوهم بالسفن وتحاجزوا فمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا اليهم فاقتتلوا وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة فدخلوا المدينة فمكثوا ما شاء الله لا يقاتلون الا رميا وبلغ ابن هبيرة وهو في الحصار ان أبا أمية التغلبي قد سود فاخذه وحبسه فتكلم ناس من ربيعة في ذلك ومعن بن زائدة الشيباني وأخذوا ثلاثة نفر من فزارة رهط ابن هبيرة فحبسوهم وشتموا ابن هبيرة وقالوا لا نترك ما في أيدينا حتى يترك ابن هبيرة صاحبنا وأبى ابن هبيرة ان يطلقه فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير الحلي فيمن معهما فقيل لابن هبيرة هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم وان تمادى في ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك فدعا أبا أمية فكساه وخلى سبيله فاصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان الى الحسن فأوفد الحسن وفدا الى السفاح بقدوم أبي نصر عليه وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله

نحاك الله الى النار ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف فلما اراد علي الانصراف بكى أبو ذر وقال رحمكم الله أهل البيت اذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا مروان الى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب فقال عثمان يا معشر المسلمين من يعذرني من علي رد رسولي عما وجهته له وفعل كذا والله لنعطينه حقه فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا ان أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر فقال علي غضب الخيل على اللجم ثم جاء فلما كان بالعشي جاء الى عثمان فقال له ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت علي ورددت رسولي وأمري قال اما مروان فانه استقبلني بردي فرددته عن ردي وأما أمرك فلم أرده قال عثمان أولم يبلغك أني قد نهيت الناس عن أبي ذر وعن تشييعه فقال علي أوكل ما أمر نفسه به من شئ يرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك بالله لا نفعل قال عثمان أقد مروان قال وما أقيده

الخزاعي وكان غيلان واجدا على الحسن لانه سرحه الى روح بن حاتم مدد الله فلما قدم على السفاح وقال أشهد أنك أمير المؤمنين وانك حبل الله المتين وانك امام المتقين قال حاجتك ياغيلان قال أستغفرك قال غفر الله لك قال غيلان يا أمير المؤمنين من علينا برجل من بيتك قال أوليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قحطبة قال يا أمير المؤمنين من علينا برجل من أهل بيتك ننظر الى وجهه وتقر عيننا به فبعث أخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيرة عند رجوعه من خراسان وكتب الى الحسن ان العسكر عسكرك والقواد قوادك ولكن أحببت ان يكون أخي حاضرا فاسمع له وأطع وأحسن موازرته وكتب الى مالك بن الهيثم بمثل ذلك وكان الحسن هو المدبر لامر ذلك العسكر فلما قدم أبو جعفر المنصور على الحسن تحول الحسن عن خيمته وأنزله فيها وجعل الحسن على حرس المنصور عثمان بن نهيك وقاتلهم مالك بن الهيثم يوما فانهزم أهل الشام الى خنادقهم وقد كن لهم معن وأبو يحيى الجذامي فلما جازهم أصحاب مالك خرجوا عليهم فقاتلهم حتى جاء الليل وابن هبيرة على برج الخلالين فاقتتلوا ماشاء الله من الليل وسرح ابن هبيرة الى معن يأمره بالانصراف فانصرف فمكثوا أياما وخرج أهل واسط أيضا مع معن ومحمد بن نباتة فقاتلهم أصحاب الحسن فهزموهم الى دجلة حتى تساقطوا فيها ورجعوا وقد قتل ولد مالك بن الهيثم فلما رآه أبوه قتيلا قال لعن الله الحياة بعدك ثم حملوا على أهل واسط فقاتلوهم حتى أدخلوهم المدينة وكان مالك يملأ السفن حطبا ثم يضرمها نارا ليحرق ما مرت به فكان ابن هبيرة يجر تلك السفن بكلاليب فمكثوا كذلك احد عشر شهرا فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح ولم يطلبوا حتى جاءهم خبر قتل مروان أتاهم به اسمعيل بن عبد الله القسري وقال لهم علام تقتلون أنفسكم وقد قتل مروان وتجنى أصحاب ابن هبيرة عليه فقالت اليمانية لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره وقالت النزارية لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية وكان يقاتل معه صعاليك الناس وفتيانهم وهم ابن هبيرة بان يدعو الى محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي فكتب اليه فأبطأ جوابه وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة واطمعهم فخرج اليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحارثيان ووعدا ودعا ابن هبيرة ان يصلحا له ناحية ابي العباس فلم يفعلا وجرت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى جعل له أمانا وكتب به كتابا مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوما حتى رضيه فانفذه الى أبي جعفر فانفذه أبو جعفر الى أخيه السفاح فامره بامضائه وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه وكان السفاح لا يقطع أمرا دون أبي مسلم وكان أبو الجهم عينا لابي مسلم على السفاح فكتب السفاح الى أبي مسلم يخبره أمر ابن هبيرة فكتب أبو مسلم اليه ان الطريق السهل اذا ألقيت فيه الحجارة فسد لا والله لاصلح طريق فيه ابن هبيرة ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة الى أبي جعفر في ألف وثلثمائة وأراد ان يدخل على دابته فقام اليه الحاجب سلام بن سليم فقال مرحبا ياخالد انزل راشدا وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان فنزل ودعاله بوسادة ليجلس عليها وأدخل القواد ثم اذن لابن هبيرة وحده فدخل وحادثه ساعة ثم قام ثم مكث يأتيه يوما ويتركه يوما فكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فقيل لابي جعفر ان ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر ومانقص من سلطانه شيء فأمره أبو جعفر ان لا يأتي الا في حاشيته فكان يأتي في ثلاثين ثم صار يأتي في ثلاثة او اربعة وكلم ابن هبيرة المنصور يوما فقال له ابنه هبيرة ياهناه أو ياأيها المرء ثم رجع فقال ايها الامير ان عهدي بكلام الناس مثل ما خاطبتك به لقريب فسبقني لساني الى ما لم ارده فالح السفاح على ابي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة وهو يراجعه

قال ضربت بين أذني راحلته قال على أمارا حلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل وأما أنا فوالله لئن شتمني لاشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول الا حقا قال عثمان ولم لا يشتمك اذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه فغضب علي بن أبي طالب وقال أبى تقول هذا القول وبمروان تعدلني فأنا والله افضل منك وأبي أفضل من أبيك وأمي أفضل من أمك وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع اليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والانصار فلما كان من الغد واجتمع الناس الى عثمان شكا اليهم عليا وقال انه يعيبني ويظاهر من يعيبني يريد بذلك أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما فدخل الناس بينهما وقال له علي والله ما أردت تشييع أبي ذر الا لله وقد كان عمار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صخر بن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان ودخل داره ومعه بنو أمية فقال أبو سفيان

حتى كتب اليه والله لتقتلنه اولارسلن اليه من يخرجه من حجرتك ثم أتولى قتله فعزم على قتله فبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة بن ظهير وامرهما بختم بيوت الاموال ثم بعث الى وجوه من مع ابن هبيرة من القيسية والمضرية فاحضرهم فأقبل محمد بن نباتة وحوثرة بن سهيل فى اثنين وعشرين رجلا فخرج سلام بن سليم فقال اين ابن نباتة وحوثرة فدخلا وقد احلس أبو جعفر عثمان بن نهيك وغيره فى مائة فى حجرة دون حجرته فنزعت سيوفهما وكتفا واستدعى رجلين رجلين يفعل بهما مثل ذلك فقال بعضهم اعطيتمونا عهد الله ثم غدرتم بنا انا لنرجو ان يدركم الله وجعل ابن نباتة يضرط فى لحية نفسه وقال كانى كنت انظر الى هذا وانطلق خازم والهيثم بن شعبة فى نحو من مائة الى ابن هبيرة فقالوا نريد حمل المال فقال لحاجبه دلهم على الخزائن فأقاموا عند كل بيت نفرا واقبلوا نحوه وعنده ابنه داود وعدة من مواليه وبنى له صغير فى حجره فلما أقبلوا نحوه قام حاجبه فى وجوههم فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه وقاتل ابنه داود وأقبل هو اليه ونحى ابنه من حجره فقال دونكم هذا الصبى وخرساجدا فقتل وحملت رؤسهم الى ابى جعفر ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومى وعمر بن ذر فاستأمن زياد بن عبيد الله لابن ذر فأمنه وهرب الحكم وأمن ابو جعفر خالدا فقتله السفاح ولم يجز أمان ابى جعفر فقال ابو العطاء السندى يرثى ابن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود
عشية قام الباكيات وصفقت * اكف بأيدى مأتم وخدود
فان تنس مهجور الفناء فربما * اقام به بعد الوفود وفود
فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

﴿ذكر قتل عمال ابى سلمة بفارس﴾

وفى هذه السنة وجه أبو مسلم الخراسانى محمد بن الاشعث على فارس وامره ان يقتل عمال ابى سلمة ففعل ذلك فوجه السفاح عمه عيسى بن على الى فارس وعليها محمد بن الاشعث فاراد محمد قتل عيسى فقيل له ان هذا لا يسوغ لك فقال بلى أمرنى أبو مسلم ان لا يقدم احد على بدعى الولاية من غيره الا ضربت عنقه ثم ترك عيسى خوفا من عاقبة قتله واستحلف عيسى بالايمان المحرجة ان لا يعلو منبرا ولا يتقلد سيفا الا فى جهاد فلم يتول عيسى بعد ذلك ولاية ولم يتقلد سيفا الا فى غزو ثم وجه السفاح بعد ذلك اسمعيل بن على واليا على فارس

﴿ذكر ولاية يحيى بن محمد الموصل وما قيل فيها﴾

وفى هذه السنة استعمل السفاح اخاه يحيى بن محمد على الموصل عوض محمد بن صول وكان سبب ذلك ان اهل الموصل امتنعوا من طاعة محمد بن صول وقالوا بلى علينا مولى الخثعم واخرجوه عنهم فكتب الى السفاح بذلك واستعمل عليهم اخاه يحيى بن محمد وسيره اليها فى اثنى عشر الف رجل فنزل قصر الامارة بجانب مسجد الجامع ولم يظهر لاهل الموصل شيأ ينكرونه ولم يعترضهم فيما يفعلونه ثم دعاهم فقتل منهم اثنى عشر رجلا فنفر اهل البلد وحملوا السلاح فاعطاهم الامان وامر فنودى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون اليه فاقام يحيى الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا اسرفوا فيه فقيل انه قتل فيه أحد عشر ألفا ممن له خاتم وممن ليس له خاتم خلقا كثيرا فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فسأل عن ذلك الصوت فأخبر به فقال اذا كان الغد فاقتلوا النساء والصبيان ففعلوا ذلك وقتل منهم ثلاثة

أفيكم أحد من غيركم وقد كان عمى قالوا لا قال يابنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة فانتهره عثمان وساءه ماقال ونمى هذا القول الى المهاجرين والانصار وغير ذلك من الكلام فقام عمار فى المسجد فقال يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن ان ينزعه الله فيضعه فى غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى غير أهله وقام المقداد فقال ما رأيت مثل ما أوذى به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف وما أنت وذاك يامقداد بن عمرو فقال انى والله لاحبهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الحق معهم وفيهم ياعبد الرحمن أعجب من قريش وأنت تطولهم على الناس أهل هذا البيت قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده من أيديهم اما وايم الله ياعبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالى اياهم مع رسول الله صلى الله عليه

أيام وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجى فأخذوا النساء قهرا فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل فى اليوم الثالث ركب اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته فأراد أصحابه قتلها فنهاهم عن ذلك فقالت له ألست من بنى هاشم ألست ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تأنف للعربيات المسلمات ان ينكحهن الزنج فامسك عن جوابها وسير معها من يبلغها مأمنها وقد عمل كلا مهما فيه فلما كان الغد جمع الزنج للعطاء فاجتمعوا فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وقيل كان السبب فى قتل أهل الموصل ما ظهر منهم من محبتهم بنى أمية وكراهة بنى العباس وان امرأة غسلت رأسها وألقت الخطمى من السطح فوقع على رأس بعض الخراسانية فظنها فعلت ذلك تعمدا فهجم الدار وقتل أهلها فثار أهل البلد وقتلوه وثارت الفتنة وفيمن قتل معروف بن أبى معروف وكان زاهدا عابدا وقد أدرك كثيرا من الصحابة وروى عنهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها وجه السفاح أخاه المنصور واليا على الجزيرة واذربيجان وارمينية وفيها عزل عمه داود بن على عن الكوفة وسوادها وولاه المدينة ومكة واليمن واليمامة وولى موضعه من عمل الكوفة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد فاستقضى عيسى على الكوفة ابن أبى ليلى وكان العامل على البصرة هذه السنة سفيان بن عيينة المهلبى وعلى قضائها الحجاج بن ارطاة وعلى السند منصور بن جمهور وعلى فارس محمد بن الاشعث وعلى الجزيرة وارمينية واذربيجان أبو جعفر بن محمد بن على وعلى الموصل يحيى بن محمد بن على وعلى الشام عبد الله بن على وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد وعلى خراسان والجبال أبو مسلم وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وحج بالناس هذه السنة داود بن على وفيها مات عبد الله بن أبى نجيح واسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى وفيها قتل يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك مع مروان بن محمد بالزاب ويحيى أخو عبد الرحمن الداخل الى الاندلس وفيها قتل يونس بن مغيرة بن حلبس بدمشق لما دخلها عبد الله بن على وكان عمره عشرين ومائة سنة قتله رجلان من خراسان ولم يعرفاه فلما عرفاه بكيا عليه وقيل بل عضته دابة من دوابه فقتلته وكان ضريرا وفيها مات صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن وفيها توفى محمد بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم بالمدينة وكان قاضيها وفيها مات همام بن منبه وعبد الله بن عوف وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الانصارى وخبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يسار الانصارى وهو خال عبد الله بن عمر العمرى (خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة) وعمارة بن أبى حفصة واسم أبى حفصة ثابت مولى العتيك بن الازد وهو الدحرمى كنيته أبو روح (حرمى بفتح الحاء والراء المهملتين) وفيها توفى عبد الله بن طاوس بن كيسان الهمدانى من عباد أهل اليمن وفقهائهم

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر ملك الروم ملطية﴾

فى هذه السنة أقبل قسطنطين ملك الروم الى ملطية وكمخ فنازل كمخ فأرسل أهلها الى أهل ملطية يستنجدونهم فسار اليهم منها ثمانمائة مقاتل فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون ونازل الروم ملطية وحصروها والجزيرة يومئذ مفتونة بما ذكرناه وعاملها موسى بن كعب بحران فأرسل قسطنطين الى أهل ملطية انى لم أحصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم فلكم الامان وتعودون الى بلاد المسلمين حتى احترثت ملطية فلم يجيبوه الى ذلك فنصب المجانيق فاذعنوا وسلموا البلد على الامان

وسلم يوم بدر وجرى بينهم من الكلام خطب طويل قد أتينا على ذكره فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار الشورى والدار (ولما كان) سنة خمس وثلاثين سار مالك بن الحرث النخعى من الكوفة فى مائتى رجل وحكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل من أهل البصرة ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وقد ذكر الواقدى وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة الى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الجوح الخزاعى وسودان بن أحمد التجيبى ومنهم محمد بن أبى بكر الصديق وقد كان تكلم بمصر وحرض الناس على عثمان لامر يطول ذكره كان السبب فيه مروان بن الحكم فنزلوا فى الموضع المعروف بخشب فلما علم عثمان بنزولهم بعث الى على بن أبى طالب فأحضره وسأله ان يخرج اليهم ويضمن لهم عنه كل ما يريدون من العدل وحسن السيرة فسار على اليهم فكان بينهم خطب طويل فأجابوه الى ما أرادوا وانصرفوا فلما صاروا الى الموضع المعروف بحمس

اذاهم بغلام على بعير وهو مقبل من المدينة فتأملوه فاذا هو ورش غلام عثمان فقرروه فأقر وأظهر كتابا الى ابن أبي سرح صاحب مصر اذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان واقتل فلانا وافعل بفلان كذا وأحص اكثر من في الجيش وأمر فيهم بما أمر وعلم القوم ان الكتاب بخط مروان فرجعوا الى المدينة واتفق رأيهم ورأي من قدم من العراق ونزلوا المسجد وتكلموا وذكروا ما نزل بهم من عمالهم ورجعوا الى عثمان فحصروه في داره ومنعوه الماء فاشرف على الناس وقال ألا أحد يسقينا وقال بم تستحلون قتلي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس ووالله ما فعلت ذلك في جاهلية ولا اسلام فبلغ عليا طلبه للماء فبعث اليه بثلاث قرب ماء فاوصل اليه ذلك حتى جرح جماعة من موالي بني هاشم وبني أمية وارتفع الصوت وكثر الضجيج وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فأبى أن يخلي عنه وفي

وانتقلوا الى بلاد الاسلام وحملوا ما أمكنهم حمله ومالم يقدروا على حمله ألقوه في الآبار والمجاري فلما سار واعنها أخربها الروم ورحلوا عنها عائدين وتفرق أهلها في بلاد الجزيرة وسار ملك الروم الى قاليقلا فنزل مرج الحصى وأرسل كوشان الارمني فحصرها فنقب اخوان من الارمن من أهل المدينة ردما كان في سورها فدخل كوشان ومن معه المدينة وغلبوا عليها وقتلوا رجالها وسبوا النساء وساق الغنائم الى ملك الروم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة وجه السفاح عمه سليمان واليا على البصرة واعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ومهرجانقذق واستعمل عمه اسمعيل بن علي على الاهواز وفيها قتل داود بن علي من ظفر به من بني أمية بمكة والمدينة ولما أراد قتلهم قال له عبد الله بن الحسن بن الحسن يا أخي اذا قتلت هؤلاء فمن تباهي بملكك أما يكفيك ان يروك غاديا ورائحا فيما يذلهم ويسوءهم فلم يقبل منه وقتلهم وفيها مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الاول واستخلف حين حضرته الوفاة ابنه موسى ولما بلغت السفاح وفاته استعمل على مكة والمدينة والطائف واليمامة خاله يزيد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي ووجه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المدان على اليمن فلما قدم زياد المدينة وجه ابراهيم ابن حسان السلمي وهو أبو حماد الابرص بن المثنى الى يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليمامة فقتله وقتل أصحابه وفيها توجه محمد بن الاشعث الى افريقية فقاتل أهلها قتالا شديدا حتى فتحها وفيها خرج شريك بن شيخ المهري بخارا على أبي مسلم ونقم عليه وقال ما على هذا اتبعنا آل محمد ان تسفك الدماء وان يعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا فوجه اليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله وقتله زياد وفيها توجه أبو داود خالد بن ابراهيم الى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حبيش بن الشبل ملكها بل تحصن منه هو واناس من الدهاقين فلما ألح عليه أبو داود خرج من الحصن هو ومن معه من دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا الى أرض فرغانة ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى ملك الصين وأخذ أبو داود ممن ظفر به منهم فبعث بهم الى أبي مسلم وفيها قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بالموصل قتله سليمان الذي يقال له الاسود بامان كتبه له وفيها وجه صالح ابن علي سعيد بن عبد الله ليغزو الصائفة وراء الدروب وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه اسمعيل بن علي وانما عزل يحيى لقتله أهل الموصل وسوء أثره فيهم وحج بالناس هذه السنة زياد بن عبيد الله الحرثي وكان العمال من ذكرنا الا الحجاز واليمن والموصل فقد ذكرنا من استعمل عليها وفيها تخالف اخشيد فرغانة وملك الشاش فاستمد اخشيد ملك الصين فامده بمائة ألف مقاتل فحصر وا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين فلم يتعرض له ولا صحابه بما يسوءهم وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين ألفا وأسروا نحو عشرين ألفا وهرب الباقون الى الصين وكانت الوقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وفيها توفي مروان بن أبي سعيد وابن المعلى الزرقي الانصاري وعلي بن بذيمة مولى جابر بن سمرة السوائي (بذيمة بفتح الباء الموحدة وكسر الذال المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خلع بسام بن ابراهيم﴾

وفي هذه السنة خلع بسام بن ابراهيم بن بسام وكان من أهل خراسان وسار من عسكر السفاح هو وجماعة على رأيه سرا الى المدائن فوجه اليهم السفاح خازم بن خزيمة فاقتتلوا فانهزم بسام

واصحابه

وأصحابه وقتل أكثرهم وقتل كل من لحقه منهزما ثم انصرف فمر بذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان وهم خمسة وثلاثون رجلا ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ومن مواليهم سبعة عشر فلم يسلم عليهم فلما جازهم شتموه وكان في قلبه عليهم لما بلغه من حال المغيرة من الفزع وانه لجأ اليهم وكان من أصحاب بسام فرجع اليهم وسألهم عن المغيرة فقالوا مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنا فقال لهم أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوه ويأمن في قريتكم فهلا اجتمعتم فأخذتموه فأغلظوا له في الجواب فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعا وهدم دورهم ونهب أموالهم ثم انصرف فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا ودخل زياد بن عبيد الله الحارثي معهم على السفاح فقالوا له ان خازما اجترأ عليك واستخف بحقك وقتل اخوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك حتى صاروا في جوارك فقتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه فهم بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية فدخلا على السفاح وقالا يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء وانك هممت بقتل خازم وانا نعيذك بالله من ذلك فان له طاعة وسابقة وهو يحتمل له ما صنع فان شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من تعمد اساءة مسيئهم فان كنت لا بد مجمعا على قتله فلا تتول ذلك بنفسك وابعثه لامر ان قتل فيه كنت قد بلغت الذي تريد وان ظفر كان ظفره لك وأشاروا عليه بتوجيهه الى من بعمان من الخوارج والى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري فأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل وكتب الى سليمان بن علي وهو على البصرة يحملهم الى جزيرة بركاوان وعمان فسار خازم

﴿ ذكر أمر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز ﴾

فلما سار خازم الى البصرة في الجند الذين معه وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ من يثق به فلما وصل البصرة حملهم سليمان في السفن وانضم اليه بالبصرة أيضا عدة من بني تميم فسار وا في البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان فوجه خازم فضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة الى شيبان فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا الى عمان وهم صفرية فلما صاروا الى عمان قاتلهم الجلندى وأصحابه وهم اباضية واشتد القتال منهم فقتل شيبان ومن معه وقد تقدم سنة تسع وعشرين ومائة قتل شيبان على هذا السياق ثم سار خازم في البحر بمن معه حتى أرسوا الى ساحل عمان فخرجوا الى الصحراء فلقيهم الجلندى وأصحابه واقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم وقتل منهم أخ له من أمه في تسعين رجلا ثم اقتتلوا من الغد قتالا شديدا فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة وأحرق منهم نحو من تسعين رجلا ثم التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم على رأي أشار به بعض أصحاب خازم أشار عليه ان يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أستتهم المشاقة ويروها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجلندى وكانت من خشب فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم وأهاليهم فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتلوا الجلندى فيمن قتل وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف وبعث برؤسهم الى البصرة فأرسلها سليمان الى السفاح وأقام خازم بعد ذلك أشهرا حتى استقدمه السفاح فقدم

﴿ ذكر غزوة كش ﴾

وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن ابراهيم أهل كش فقتل الآخر يد ملكها وهو ساع مطيع

الناس بنو زهرة لاجل عبد الله بن مسعود لانه كان من احلافها وهذيل لانه كان منها وبنو مخزوم واحلافها لعمار وغفار وأحلافها لاجل أبي ذر وتيم بن مرة مع محمد بن أبي بكر وغيرهؤلاء مما لا يحمل ذكره كتابنا فلما بلغ عليا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح الى بابه لنصرته وأمرهم أن يمنعوه منهم وبعث الزبير ابنه عبد الله وبعث طلحة ابنه محمدا وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا فصدوهم عن الدار فرمى من وصفنا بالسهام واشتبك القوم وجرح الحسن وشج قنبر وجرح محمد بن طلحة فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتركوا القوم في القتال على الباب ومضى نفر منهم الى دار قوم من الانصار فتسوروا عليها وكان ممن وصل اليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران وعند عثمان زوجته وأهله ومواليه مشاغيل بالقتال فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته فقال يا محمد والله لو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده وخرج عنه الى الدار ودخل رجلان

وقتل أصحابه وأخذ منهم من الاوانى الصينية المنقوشة المذهبة مالم يرمثلها ومن السروج ومتاع الصين كله من الديباج والطرف شيأ كثيرا فحمله الى أبى مسلم وهو بسمرقند وقتل عدة من دهاقينهم واستحياطاران أخا الاخريد وملكه على كش وانصرف أبومسلم الى مرو بعد ان قتل فى أهل الصغد وبخارا وأمر ببناء سور سمرقند واستخلف زياد بن صالح عليها وعلى بخارا ورجع أبوداود الى بلخ

﴿(ذكر حال منصور بن جمهور)﴾

وفى هذه السنة وجه السفاح موسى بن كعب الى السند لقتال منصور بن جمهور فسار واستخلف مكانه على شرط السفاح المسيب بن زهير وقدم موسى السند فلقى منصورا فى اثنى عشر ألفا فانهزم منصور ومن معه ومضى فمات عطشانا الرمال وقد قيل أصابه بطنه فمات وسمع خليفته على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور وثقله فدخل بهم بلاد الخزر

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

وفيها توفى محمد بن يزيد بن عبيد الله وهو على اليمن فاستعمل السفاح مكانه على بن الربيع بن عبيد الله وفيها تحول السفاح من الحميرة الى الانبار فى ذى الحجة وفيها ضرب المنار من الكوفة الى مكة والاميال وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى وهو على الكوفة وكان على قضاء الكوفة ابن أبى ليلى وعلى المدينة ومكة والطائف واليمامة زياد بن عبد الله وعلى اليمن على بن الربيع الحرثى وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة وعمان سليمان بن على وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى السند موسى بن كعب وعلى خراسان والجبال أبومسلم وعلى فلسطين صالح بن على وعلى مصر أبوعون وعلى الموصل اسمعيل بن على وعلى أرمينية يزيد بن أسيد وعلى أذربيجان محمد بن صول وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وعلى الجزيرة أبوجعفر المنصور وكان عامله على اذربيجان وأرمينية من ذكرنا وعلى الشام عبد الله بن على وفيها توفى محمد بن اسمعيل بن سعد بن أبى وقاص وسعد بن عمر بن سليم الزرقى

﴿(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة)﴾

﴿(ذكر خروج زياد بن صالح)﴾

وفى هذه السنة خرج زياد بن صالح وراء النهر فسار أبومسلم من مرو مستعدا للقائه وبعث أبوداود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ مخافة ان يبعث زياد بن صالح الى الحصن والسفن فيأخذها ففعل ذلك نصر وأقام بها فخرج عليه ناس من الطالقان مع رجل يكنى أبا اسحق فقتلوا نصرا فلما بلغ ذلك أباداود بعث عيسى بن ماهان فى تتبع قتلة نصر وتتبعهم فقتلهم ومضى أبومسلم مسرعا حتى انتهى الى آمل ومعه سباع بن النعمان الازدى وهو الذى كان قد أرسله السفاح الى زياد بن صالح وأمره ان رأى فرصة ان يثب على أبى مسلم فيقتله فاخبر أبومسلم بذلك فحبس سباعا بآمل وعبر أبومسلم الى بخارا فلما نزلها أتاه عدة من قواد زياد قد خلعوا زيادا فاخبروا أبامسلم ان سباع ابن النعمان هو الذى أفسد زيادا فكتب الى عامله بآمل ان يقتله ولما أسلم زيادا قواده ولحقوا بابى مسلم لجأ الى دهقان هناك فقتله وحمل رأسه الى أبى مسلم وتأخر أبوداود عن أبى مسلم لحال أهل الطالقان فكتب اليه أبومسلم يخبره بقتل زياد فاتى كش وأرسل عيسى بن ماهان الى بسام وبعث جندا الى ساغر فطلبوا الصلح فاجيبوا الى ذلك وأما بسام فلم يصل عيسى الى شئ منه وكتب عيسى الى كامل بن مظفر صاحب أبى مسلم يعتب أباداود وينسبه الى العصبية فبعث أبومسلم

فوجداه فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه فصعدت امرأته فصرخت وقالت قد قتل أمير المؤمنين فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية فوجدوه قد قاضت نفسه رضى الله عنه فبكوا فبلغ ذلك عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم من المهاجرين والانصار فاسترجع القوم ودخل على الدار وهو كالوالد الحزين فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ولم يلم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير فقال له طلحة لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن لو دفع مروان ما قتل وهرب مروان وغيره من بنى أمية وطلبوا ليقتلوا فلم يوجدوا وقال على لزوجته نائلة بنت الفرافصة من قتله وأنت كنت معه فقالت دخل اليه رجلان وقصت خبر محمد بن أبى بكر فلم ينكر ما قالت وقال والله لقد دخلت عليه وانا أريد قتله فلما خاطبنى بما قال خرجت ولا أعلم بخلاف الرجلين على والله ما كان لى فى قتله سبب ولقد قتل وأنا لا أعلم بقتله وكان مدة

بالكتب الى أبي داود وكتب اليه ان هذه كتب العلج الذى صيرته عدل نفسك فشأنك به فكتب أبو داود الى عيسى يستدعيه فلما حضر عنده حبسه وضربه ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه ورجع أبو مسلم الى مرو

﴿ذكر غزو جزيرة صقلية﴾

وفى هذه السنة غزا عبد الله بن حبيب جزيرة صقلية وغنم بها وسبى وظفر بها مالم يظفره أحد قبله بعد ان غزا تلمسان واشتغل ولاة افريقية بالفتنة مع البربر فأمن الصقلية وعمرها الروم من جميع الجهات وعمروا فيها الحصون والمعاقل وصاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتذب عنها وربما طارقوا تجارا من المسلمين فيأخذونهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة سليمان بن على وهو على البصرة واعمالها وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو خازم الاعرج وقيل سنة أربعين وقيل سنة أربع وأربعين وفيها مات عطاء بن عبد الله مولى المطلب وقيل مولى المهلب وقيل هو عطاء بن ميسرة ويكنى أبا عثمان الخراسانى وقيل سنة أربع وثلاثين وفيها مات يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بفارس وكان أميرا عليها وكان قبل ذلك أميرا على الموصل وفيها توفى ثور بن زيد الدؤلى وكان ثقة وزياد بن أبى زياد مولى عبد الله ابن عياش بن أبى ربيعة المخزومى وكان من الابطال (عياش بالياء المثناة من تحت وبالشين المعجمة)

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر حج أبى جعفر وأبى مسلم﴾

وفى هذه السنة كتب أبو مسلم الى السفاح يستأذنه فى القدوم عليه والحج وكان مذ ملك خراسان لم يفارقها الى هذه السنة فكتب اليه السفاح يأمره بالقدوم عليه فى خمسمائة من الجند فكتب أبو مسلم اليه انى قد وترت الناس ولست آمن على نفسى فكتب اليه أن أقبل فى ألف فاغا أنت فى سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل العسكر فسار فى ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور والرى وقدم بالاموال والخزائن فخلفها بالرى وجمع أيضا أموال الجبل وقدم فى ألف فأمر السفاح القواد وسائر الناس أن يتلقوه فدخل أبو مسلم على السفاح فاكرمه وأعظمه ثم استأذن السفاح فى الحج فأذن له وقال لولا ان أبا جعفر يعنى أخاه المنصور يريد الحج لاستعملتك على الموسم وأنزله قريبا منه وكان ما بين أبى جعفر وأبى مسلم متباعدا الان السفاح كان بعث أبا جعفر الى خراسان بعد ما صفت الامور له ومعه عهد أبى مسلم بخراسان وبالبيعة للسفاح وأبى جعفر المنصور من بعده فبايع لهما أبو مسلم وأهل خراسان وكان أبو مسلم قد استخف بأبى جعفر فلما رجع أخبر السفاح ما كان من أمر أبى مسلم فلما قدم أبو مسلم هذه المرة قال أبو جعفر للسفاح أطعنى واقتل أبا مسلم فوالله ان فى رأسه لغدرة فقال قد عرفت بلاءه وما كان منه فقال أبو جعفر انما كان بدولتنا والله لو بعثت سنور القمام مقامه وبلغ ما بلغ فقال كف مقتله قال اذا دخل عليك وحادثته ضربته اناس خلفه ضربة قتلته بها قال فكيف بأصحابه قال أبو جعفر لو قتل لتفرقوا وذلوا فأمره بقتله وخرج أبو جعفر ثم ندم السفاح على ذلك فأمر أبا جعفر بالكف عنه وكان أبو جعفر قبل ذلك بحران وسار منها الى الانبار وبها السفاح واستخلف على حران مقاتل ابن حكيم العكى وحج أبو جعفر وأبو مسلم وكان أبو جعفر على الموسم وفيها مات زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب

ما حوصر عثمان فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل أكثر من ذلك (وقتل) فى ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذى الحجة وذكر أن أحد الرجلين كنانة بن بشر التجيبى ضربه بعمود على جبهته والآخر منهما سودان بن حمران المرادى ضربه بالسيف على حبل عاتقه فخله (وقد قيل) ان عمرو بن الحمق طعنه بسهم تسع طعنات وكان فيمن مال عليه عمير بن ضابئ البرجمى التميمى وخضخض بسيفه بطنه (ودفن) على ما وصفنا فى الموضع المعروف بحش كوكب وهذا الموضع فيه مقابر بنى أمية ويعرف أيضا بحل وصلى عليه جبير ابن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة (ولما حوصر عثمان) كان أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه يصلى بالناس ثم امتنع فصلى بهم سهل بن حنيف فلما كان يوم النحر صلى بهم على وقيل ان عثمان قتل ومعه فى الدار من بنى أمية ثمانية عشر رجلا فيهم مروان بن الحكم (وفى مقتله) تقول زوجته نائلة بنت الفرافصة ألا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

ومالى لا أبكى وتبكى قرابتى

﴿ذكر موت السفاح﴾

في هذه السنة مات السفاح بالانبار لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة وقيل لاثنتي عشرة مضت منه بالجدري وكان له يوم مات ثلاث وثلاثون سنة وقيل ست وثلاثون وقيل ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته من لدن قتل مروان الى أن توفي أربع سنين ومن لدن بويع له بالخلافة الى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقيل وتسعة أشهر منها ثمانية أشهر يقاتل مروان وكان جعدا طويلا أبيض أقنى الانف حسن الوجه واللحية وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان وزيره ابا الجهم بن عطية وصلى عليه عمه عيسى بن علي ودفنه بالانبار العتيقة وخلف تسع جباب وأربعة أقصة وخمسة سراويلات وأربعة طيالسة وثلاثة مطارف خز قال ابن النقاح بيتين من الشعر ووجه برجل الى عسكر مروان ليقدم على الخيل ليلا فصبح فيها وشمس في الناس ولا يوجدوهما

يا آل مروان ان الله مهلككم * ومبدل بكم خوفا وتشريدا
لا عمر الله من انشأتكم أحدا * وبثكم في بلاد الخوف تطريدا

قال فعلت ذلك فدخلت قلوبهم مخافة قال جعفر بن يحيى نظر السفاح يوما في المرآة وكان أجمل الناس وجها فقال اللهم اني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك أنا الملك الشاب ولكني أقول اللهم عمرني طويلا في طاعتك ممتعا بالعافية فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر الاجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام فتطير من كلامه وقال حسبي الله ولا قوة الا بالله عليك توكلت وبك أستعين فما مضت الايام حتى أخذته الحمى واتصل مرضه فمات بعد شهرين وخمسة أيام

﴿ذكر خلافة المنصور﴾

وفي هذه السنة عقد السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لاخيه أبي جعفر عبد الله ابن محمد بالخلافة من بعده وجعله ولي عهد المسلمين ومن بعد أبي جعفر ولد أخيه عيسى بن موسى ابن محمد بن علي وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه الى عيسى بن موسى فلما توفي السفاح كان أبو جعفر بمكة فاخذ البيعة لابي جعفر عيسى بن موسى وكتب اليه يعلمه وفاة السفاح والبيعة له فلقيه الرسول بمنزل صفية فقال صفت لنا ان شاء الله وكتب الى أبي مسلم يستدعيه وكان أبو جعفر قد تقدم فاقبل أبو مسلم اليه فلما جلس وألقى اليه كتابه قرأه وبكى واسترجع ونظر الى أبي جعفر وقد جزع جزعا شديدا فقال ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة قال اتخوف شر عمي عبد الله بن علي وشغبه علي قال لا تخفه فأنا أكفيكه ان شاء الله اغا عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصونني فسري عنه وبايع له أبو مسلم والناس وأقبلا حتى قدما الكوفة وقيل ان أبا مسلم هو الذي كان تقدم على أبي جعفر فعرف الخبر قبله فكتب اليه عافاك الله ومتع بك انه أتاني أمر قطعني وبلغ مني مبلغا لم يبلغه مني شيء قط وفاة أمير المؤمنين فنسأل الله أن يعظم أجرك ويحسن الخلافة عليك انه ليس من أهلك أحد أشد تعظيما لحقك وأصفى نصيحة وحرصا على ما يسرك مني ثم مكث يومين وكتب الى أبي جعفر ببيعته وانما أراد ترهيب أبي جعفر قال وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله الى مكة وكان عاملا عليها وعلى المدينة للسفاح وقيل كان قد عزله قبل موته عن مكة وولاها العباس بن عبد الله بن سعيد بن العباس ولما بايع عيسى بن موسى الناس لابي جعفر أرسل الى عبد الله بن علي بالشام يخبره بوفاة السفاح وبيعة المنصور ويأمره بأخذ البيعة للمنصور وكان قد قدم قبل ذلك على السفاح فجعله على الصائفة وسيره معه أهل الشام وخراسان

وقد غيبوا عنا فضول أبي عمرو
وقال حسان بن ثابت فيمن تخلف عنه وخذله من الانصار وغيرهم وأعان على قتله والله أعلم بما قاله من أبيات
خذلته الانصار اذ حضر الموت وكانت ولا نه الانصار
من عذيري من الزبير ومن طا عة اذ جا أمره مقدارا
فتولى محمد بن أبي بكر رعيانا وخلفه عمار
في شعر له طويل يذكر فيه غير من ذكرنا وينسبهم الى التمالي على قتله والرضا بما فعل به والله أعلم وكان حسان عثمانيا منحرفا عن غيره وكان عثمان اليه محسنا وهو المتوعد للانصار في قوله في شعره
ياليت شعري وليت الطير يخبرني
ما كان شأن علي وابن عفانا
لنسمعن وشيكا في ديارهم
الله أكبر يا ثارات عثمانا
وكان عثمان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد أبياتا قالها وبطيل ذكرها مالا يعرف لغيرها منه وهي
تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الاثم والعار
يلقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار
وكان الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لامه فسمع في الليلة الثانية من

فسار حتى بلغ دلوك ولم يدرك فأتاه موت السفاح فعاد بمن معه من الجيوش وقد بايع لنفسه

﴿ذكر الفتنة بالاندلس﴾

وفي هذه السنة خرج في الاندلس الحباب بن رواحة بن عبد الله الزهري ودعا الى نفسه واجتمع اليه جمع من اليمانية فسار الى الصميل وهو أمير قرطبة فحصره بها وضيق عليه فاستمد الصميل يوسف الفهري أمير الاندلس فلم يفعل لتوالي الغلاء والجوع على الاندلس ولان يوسف قد كره الصميل واختار هلاكه ليستريح منه وثار بها أيضا عامر العبدري وجمع جمعا واجتمع مع الحباب على الصميل وقاما بدعوة بني العباس فلما اشتد الحصار على الصميل كتب الى قومه ليستمدهم فساروا الى نصرته واجتمعوا وساروا اليه فلما سمع الحباب بقربهم سار الصميل عن سرقسطة وفارقها فعاد الحباب اليها وملكها واستعمل يوسف الفهري الصميل على طليطلة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى الشام عبد الله بن علي وعلى مصر صالح بن علي وعلى البصرة سليمان بن علي وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحرثي وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد وفيها مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن وهو ربيعة الرأي وقيل مات سنة خمس وثلاثين ومائة وقيل سنة اثنتين وأربعين ومائة وفيها مات عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وفيها توفي عبد الملك ابن عمير بن سويد اللخمي القرشي وانما قيل له القرشي بالفاء (٣) وعطاء بن السائب أبو زيد الثقفي وعروة بن رويم وفي هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين من مكة فدخل الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وسار الى الانبار فأقام بها وجمع اليه أطرافه وكان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الاموال والخزائن والدواوين على قدم أبي جعفر فسلم الامر اليه

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خروج عبد الله بن علي وهزيمته﴾

قد ذكرنا مسير عبد الله بن علي الى الصائفة في الجنود وموت السفاح وارسال عيسى بن موسى الى عمه عبد الله بن علي يخبره بموته ويأمره بالبيعة لابي جعفر المنصور وكان السفاح قد أمر بذلك قبل وفاته فلما قدم الرسول على عبد الله بذلك لحقه بدلوك وهي بأفواه الدروب وأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فاجتمعوا عليه فقرأ عليهم الكتاب بوفاة السفاح ودعا الناس الى نفسه وأعلمهم ان السفاح حين أراد ان يوجه الجنود الى مروان بن محمد دعا بني أبيه فأراد هم على المسير اليه فقال من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي فلم ينتدب غيري وعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المرورزي وغيرهما من القواد فبايعوه وفيهم حميد ابن قحطبة وغيرهم من أهل خراسان والشام والجزيرة الا ان حميدا فارقه على ما ذكره ثم سار عبد الله حتى نزل حران وبها مقاتل العكي قد استخلفه أبو جعفر لما سار الى مكة فتحصن منه مقاتل فحصره أربعين يوما وكان أبو مسلم قد عاد من الحج مع المنصور كما ذكرناه فقال للمنصور ان شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك وان شئت أتيت خراسان فأمددتك بالجنود وان شئت سرت الى حرب عبد الله بن علي فأمره بالمسير لحرب عبد الله فسار أبو مسلم في الجنود نحو عبد الله فلم يتخلف عنه أحد وكان قد لحقه حميد بن قحطبة فسار معه وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي فلما بلغ عبد الله وهو يحاصر حران اقبال أبي مسلم خشي أن يهجم عليه عطاء العتكي اماما فنزل اليه فيمن معه وأقام معه أياما ثم وجهه الى عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي بالرقة ومعه ابناه

مقتل عثمان يندبه وهو يقول

بني هاشم ايه فما كان بيننا
وسيف ابن أروى عندكم وحرائبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه ما تحل مناهبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
وهي أبيات فأجابه عن هذا الشعر وفيما رمى به بني هاشم ونسب اليهم الفضل ابن العباس بن أبي لهب فقال
فلا تسألونا سيفكم ان سيفكم
أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا
فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد
علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهر دينه
وأنت مع الاشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤ من أهل صيفور مارح
فسالك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن أنك فاسق
فسالك في الاسلام سهم تطالبه
(قال المسعودي) رحمه الله ولعثمان أخبار وسير وما ثر حسان قد أتينا

على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وكذلك ما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث والفتوح والحروب مع الروم وغيرهم والله ولى التوفيق

ذكر خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه

بويع على بن أبى طالب فى اليوم الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فكانت خلافته الى أن استشهد أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وقيل أربع سنين وتسعة أشهر الا يوما وكانت الفرقة بينه وبين معاوية على ماذكرنا فى خلافته وكان مولده فى الكعبة وقيل ان خلافته كانت خمس سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال واستشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة وعاش بعد الضربة الجمعة والسبت وتوفى ليلة الاحد وقد قيل فى مقدار عمره أقل مما ذكرنا وقد تنوزع فى موضع قبره فمنهم من قال انه دفن فى مسجد الكوفة ومنهم من قال انه حمل الى المدينة فدفن عند فاطمة ومنهم من قال حمل فى تابوت على جمل وان

وكتب معه كتابا فلما قدموا على عثمان دفع العتكى الكتاب اليه فقتل العتكى وحبس ابنيه فلما هزم عبد الله قتلهما وكان عبد الله بن على قد خشى ان لا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم نحوا من سبعة عشر ألفا واستعمل حميد بن قحطبة على حلب وكتب معه كتابا الى زفر بن عاصم عامله يأمره بقتل حميد اذا قدم عليه فسار حميد والكتاب معه فلما كان ببعض الطريق قال ان ذهابى بكتاب لا أعلم مافيه لغرر فقرأه فلما رأى مافيه أعلم خاصته مافى هذا الكتاب وقال من أراد المسير معى منكم فليسر فاتبعه ناس كثير منهم وسار على الرصافة الى العراق فامر المنصور محمد بن صول بالمسير الى عبد الله بن على ليمكر به فلما أتاه قال له انى سمعت أبا العباس يقول الخليفة بعدى عمى عبد الله فقال له كذبت انما وضعك أبو جعفر فضرب عنقه ومحمد بن صول هو جد ابراهيم بن العباس الكاتب الصولى ثم أقبل عبد الله بن على حتى نزل نصيبين وخندق عليه وقدم أبو مسلم فيمن معه وكان المنصور قد كتب الى الحسن بن قحطبة وكان خليفته بارمينية يأمره ان يوافى أبا مسلم فقدم على أبى مسلم بالموصل وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية نصيبين فاخذ طريق الشام ولم يعرض لعبد الله وكتب اليه انى لم أومر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولانى الشام فأنا أريده فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام لعبد الله كيف نكون معك وهذا يأتى بلادنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبى ذرارينا ولكن نخرج الى بلادنا فنمنعه ونقاتله فقال لهم عبد الله انه والله ما يريد الشام وما توجه الا لقتالكم وان أقمتم ليأتينكم فابوا الا المسير الى الشام وأبو مسلم قريب منهم فارتحل عبد الله نحو الشام وتحول أبو مسلم فنزل فى معسكر عبد الله بن على فى موضعه وغور ماء وله من المياه وألقى فيها الجيف وبلغ عبد الله ذلك فقال لاصحابه ألم أقل لكم ورجع فنزل فى موضع عسكر أبى مسلم الذى كان به فاقتتلوا خمسة أشهر وأهل الشام أكثر فرسانا وأكمل عدة وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيلى وعلى ميسرته حبيب بن سويد الاسدى وعلى الخيل عبد الصمد بن على أخو عبد الله وعلى ميمنة أبى مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته خازم بن خزيمة فاقتتلوا شهرا ثم ان أصحاب عبد الله حملوا على عسكر أبى مسلم فازالوهم عن مواضعهم ورجعوا ثم حمل عليهم عبد الصمد بن على فى خيل مجردة فقتل منهم ثمانية عشر رجلا ورجع فى أصحابه ثم تجمعوا وحملوا ثانية على أصحاب أبى مسلم فأزالوا صفهم وجالوا جولة فقيل لابى مسلم لو حولت دابتك الى هذا التل ليراك الناس فيرجعوا فانهم قد انهزموا فقال ان أهل الحجى لا يعطفون دوابهم على هذه الحال وأمر مناديا فنادى يا أهل خراسان ارجعوا فان العافية لمن اتقى فتراجع الناس وارتجز أبو مسلم يومئذ فقال

من كان ينوى أهله فلا رجع * فر من الموت وفى الموت وقع

وكان قد عمل لابى مسلم عريش فكان يجلس عليه اذا التقى الناس فينظر الى القتال فان رأى خللا فى الجيش سده وأمر مقدم تلك الناحية بالاحتياط وبما يفعل فلا تزال رسله تختلف اليهم حتى ينصرف الناس بعضهم عن بعض فلما كان يوم الثلاثاء والاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين التقوا فاقتتلوا فكر بهم أبو مسلم وأمر الحسن بن قحطبة ان يعبى الميمنة أكثرها الى الميسرة وليترك فى الميمنة جماعة أصحابه وأشداءهم فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم وانضموا الى ميمنتهم بازاء ميسرة أبى مسلم وأمر أبو مسلم أهل القلب فحملوا مع من بقى فى ميمنته على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم فحطموهم وجال القلب والميمنة وركبهم أصحاب أبى مسلم فانهزم أصحاب عبد الله فقال عبد الله بن على لابن سراقة الازدى يا ابن سراقة ماترى قال أرى

ان تصبر وتقاتل حتى تموت فان الفرار قبيح بمثلك وقد عتبته على مروان قال فانى آتى العراق قال فأنا معك فانهزموا وتركوا عسكرهم فحواه أبو مسلم وكتب بذلك الى المنصور فارسل أبا الخصيب مولاه يحصى ما أصابوا من العسكر فغضب أبو مسلم ومضى عبد الله وعبد الصمد ابنا على فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فامنه المنصور وقيل بل أقام عبد الصمد بن على بالرصافة حتى قدمها جمهور بن مرار العجلى فى خيول أرسلها المنصور فأخذه فبعث به الى المنصور موثقا مع أبى الخصيب فأطلقه وأما عبد الله بن على فأتى أخاه سليمان بن على بالبصرة فأقام عنده زمانا متواريا ثم ان أبا مسلم أمن الناس بعد الهزيمة وأمر بالكف عنهم

﴿ ذكر قتل أبى مسلم الخراسانى ﴾

وفى هذه السنة قتل أبو مسلم الخراسانى قتله المنصور وكان سبب ذلك ان أبا مسلم كتب الى السفاح يستأذنه فى الحج على ما تقدم وكتب السفاح الى المنصور وهو على الجزيرة وارمينية واذربيجان ان أبا مسلم كتب الىّ يستأذننى فى الحج وقد أذنت له وهو يريد ان يسألنى أن أوليه الموسم فاكتب الىّ تستأذننى فى الحج فآذن لك فانك ان كنت بمكة لم يطمع ان يتقدمك فكتب المنصور الى أخيه السفاح يستأذنه فى الحج فأذن له فقدم الانبار فقال أبو مسلم أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا وحقدها عليه وجامعا فكان أبو مسلم يكسو الاعراب ويصلح الآبار والطريق وكان الذى كرله وكان الاعراب يقولون هذا المكذوب عليه فلما قدم مكة ورأى أهل اليمن قال أى جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان غزير الدمعة فلما صدر الناس عن الموسم تقدم أبو مسلم فى الطريق على أبى جعفر فأتاه خبر وفاة السفاح فكتب الى أبى جعفر يعزيه عن أخيه ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع فغضب أبو جعفر وكتب اليه كتابا غليظا فلما أتاه الكتاب كتب اليه يهنئه بالخلافة وتقدم أبو مسلم فأتى الانبار فدعا عيسى بن موسى الى ان يبايع له فأتى عيسى وقدم أبو جعفر وخلع عبد الله بن على فسير المنصور أبا مسلم الى قتاله كما تقدم مكانا مع الحسن بن قحطبة فارسل الحسن الى أبى أيوب وزير المنصور انى قد رأيت بأبى مسلم انه يأتيه كتاب أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلقى الكتاب من يده الى مالك بن الهيثم فيقرأه ويضحكان استهزاء فلما ألقيت الرسالة الى أبى أيوب ضحك وقال نحن لابى مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن على الا أن رجو واحدة نعلم ان أهل خراسان لا يحبون عبد الله وقد قتل منهم من قتل وكان قتل منهم سبعة عشر ألفا فلما انهزم عبد الله وجمع أبو مسلم ما غنم من عسكره بعث أبو جعفر أبا الخصيب الى أبى مسلم ليكتب ما أصاب من الاموال فأراد أبو مسلم قتله فتكلم فيه فخلى سبيله وقال أنا أمين على الدماء خائن فى الاموال وشتم المنصور فرجع أبو الخصيب الى المنصور فأخبره فخاف ان يمضى أبو مسلم الى خراسان فكتب اليه انى قد وليتك مصر والشام فهى خير لك من خراسان فوجه الى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فانى أحب لقاءك أتيته من قريب فلما أتاه الكتاب غضب وقال يولينى الشام ومصر وخراسان لى فكتب الرسول الى المنصور بذلك وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف وخرج عن وجهه يريد خراسان فسار المنصور من الانبار الى المدائن وكتب الى أبى مسلم فى المسير اليه فكتب اليه أبو مسلم وهو بالزاب انه لم يبق لامير المؤمنين اكرمه الله عدو الا امكنه الله منه وقد كما نروى عن ملوك آل ساسان ان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء فنحن نافرون عن قربك حريصون على الوفاء لك ما وفيت حريون بالسمع والطاعة غيرانهما من بعيد حيث يقارنها السلامة

الجمل تاه ووقع الى وادئ طيئ وقد قيل من الوجوه غير ماذكرنا وقد أتينا على ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (ونذكر نسبه ولمعا من أخباره وسيره) هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ويكنى أبا الحسن وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف ولم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من خلافة المتقى من اسمه على غيره والمكتفى بالله على بن المعتضد وكان أول من ولدها شميا من الخلفاء وقد قيل انه بويع البيعة العامة بعد قتل عثمان بأربعة أيام وقد ذكرنا البيعة الاولى فيما سلف من هذا الكتاب وتنازع الناس فى اسم أبى طالب أبيه وولد أبى طالب بن عبد المطلب أربعة ذكور وابنتان فطالب وعقيل وجعفر وعلى وفاختة وجمانة لأب وأم أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وبين كل واحد من البنين عشر سنين بين جعفر وعلى عشر سنين وبين جعفر وعقيل عشر سنين وبين عقيل وطالب عشر سنين

فان ارضاك ذلك فأنا كاحسن عبيدك وان أبيت الا ان تعطى نفسك ارادتها نقضت ما ابرمت من عهدك ضننا بنفسى فلما وصل الكتاب الى المنصور كتب الى أبى مسلم قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشيشة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم فاغمارا حتهم فى انتشار نظام الجماعة فلم سويت نفسك بهم فأنت فى طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الامر على ما أنت به وليس مع الشريطة التى أوجبت منك سمعا ولا طاعة وحمل اليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن اليها ان اصغيت وأسأل الله ان يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده وأقرب من الباب الذى فتحه عليك وقيل بل كتب اليه أبو مسلم أما بعد فانى اتخذت رجلا اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان فى محلة العلم نازلا وفى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا فاستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فكان كالذى دلى بغرور وأمرنى ان اجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقيل العثرة ففعلت توطئة لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يحملكم ثم استنقذنى الله بالتوبة فان يعف عنى فقدما عرف به ونسب اليه وان يعاقبنى فبما قدمت يداى وما الله بظلام للعبيد وخرج أبو مسلم مراغما مشاقا وسار المنصور من الانبار الى المدائن وأخذ أبو مسلم طريق حلوان فقال المنصور لعمه عيسى بن على ومن حضر من بنى هاشم اكتبوا الى أبى مسلم فكتبوا اليه يعظمون أمره ويشكرونه ويسألونه ان يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة البغى ويأمرونه بالرجوع الى المنصور وبعث المنصور الكتاب مع أبى حميد المروروذى وقال له كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحدا منه وأعلمه انى رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد ان هو صلح وراجع ما أحب فان أبى ان يرجع فقل له يقول لك أمير المؤمنين لست من العباس وانى برىء من محمد ان مضيت مشاقا ولم تأتنى ان وكلت أمرك الى أحد سواى وان لم أل طلبك وقتالك بنفسى ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك ولا تقولن هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه ولا تطمع منه فى خير فسار أبو حميد فقدم على أبى مسلم بحلوان فدفع اليه الكتاب وقال له ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه منك حسدا وبغيا يريدون ازالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك وكله وقال يا أبا مسلم انك لم تزل أمير آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الاجر عنده فى ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان فقال له أبو مسلم متى كنت تكلمنى بهذا الكلام فقال انك دعوتنا الى هذا الامر والى طاعة أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بنى العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف ما بين قلوبنا وأعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلا الا بما قذف الله فى قلوبنا حتى أتيناهم فى بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة أفترى حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا ان تفسد أمرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلونى فأقبل أبو مسلم على أبى نصر مالك بن الهيثم فقال اما تسمع ما يقول لى هذا ما كان بكلامه يا مالك قال لا تسمع قوله ولا يهولنك هذا منه فلعمرى ما هذا كلامه ولما بعد هذا أشد منه فامض لامرك ولا ترجع فوالله لئن أتيته ليقتلنك ولقد وقع فى نفسه منك شىء لا يأمنك أبدا فقال قوم وافهضوا فارسل أبو مسلم الى نيزك فعرض عليه الكتب وما قالوا فقال لا أرى ان تأتيه وأرى ان تأتى الرى فتقيم بها ما بين خراسان والرى

وأخرج مشركو قريش طالب بن أبى طالب يوم بدر الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرها ومضى ولم يعرف له خبر وحفظ من قوله هذا اليوم

يارب اما خرجوا بطالب
فى معشب من تلكم المعاقب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب
والرجل المسلوب غير السالب

وكان زوج فاختة بنت أبى طالب أبو وهب هبيرة ابن عمرو بن عابد بن عمرو ابن مخزوم وخلف عليها ابنا وبنتا وهاجرت ومات زوجها بنجران مشركا وفيها يقول ببلاد نجران من أبيات كثيرة

أشاقتك هند أم نأتك سؤالها
كذاك النوى أسبابها وانتقالها
وأرقنى فى رأس حصن عمرد
بنجران يسرى بعد نوم خيالها
فان تك قد تابعت دين محمد
وقطعت الارحام منك حبالها

وهى طويلة وكانت تكنى أم هانئ وقد استعمل على حين أفضت الخلافة اليه ابنها جعدة بن هبيرة وجعدة هو القائل

لك وهم جندك لا يخالفك أحد فان استقام لك استقمت له وان أبى كنت فى جندك وكانت خراسان وراءك ورأيت رأيك فدعا أبا حميد فقال ارجع الى صاحبك فليس من رأيى ان آتيه قال قد عزمت على خلافه قال نعم قال لا تفعل قال لا أعود اليه أبدا فلما يئس من رجوعه معه قال له ما أمره به أبو جعفر فوجم طويلا ثم قال قم فكسره ذلك القول ورعبه وكان أبو جعفر المنصور قد كتب الى أبى داود خليفة أبى مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم ان لك امرة خراسان ما بقيت فكتب أبو داود الى أبى مسلم انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن اماما لك ولا ترجعن الا باذنه فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعبا وهما فارسل الى أبى حميد فقال له انى كنت عازما على المضى الى خراسان ثم رأيت ان أوجه أبا اسحق الى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه فانه ممن اثق به فوجهه فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له المنصور اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه فرجع أبو اسحق وقال لابى مسلم ما أنكرت شيأ رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لانفسهم وأشار عليه ان يرجع الى أمير المؤمنين فيعتذر اليه مما كان منه فاجتمع على ذلك فقال له نيزك قد أجمعت على الرجوع قال نعم وتمثل

ما للرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الاقوام

قال اذا عزمت على هذا فاختار لله لك احفظ عنى واحدة اذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت فان الناس لا يخالفونك وكتب أبو مسلم الى المنصور يخبره انه منصرف اليه وسار نحوه واستخلف أبا نصر على عسكره وقال له أقم حتى يأتيك كتابى فان أتاك مختوما بنصف خاتم فأنا كتبته وان أتاك بخاتم كله فلم أختمه وقدم المدائن فى ثلاثة آلاف رجل وخلف الناس بحلوان ولما ورد كتاب أبى مسلم على المنصور قرأه وألقاه الى أبى أيوب وزيره فقرأه وقال له المنصور والله لئن ملأت عينى منه لاقتلنه فخاف أبو أيوب من أصحاب أبى مسلم ان يقتلوه المنصور ويقتلوه معه فدعا سلمة بن سعيد ابن جابر وقال له هل عندك شكر فقال نعم قال ان وليتك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق تدخل معك أخى حاتما وأراد بادخال أخيه معه ان يطمع ولا ينكر وتجعل له النصف قال نعم قال له ان كسكر كانت عام أول بكذا وكذا ومنها العام أضعاف ذلك فان دفعتها اليك بما كانت أو بالامانة أصبت ما يضيق به ذرعا قال كيف لى بهذا المال قال له أبو أيوب تأتى أبا مسلم فتلقاه وتكلمه ان يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه فان أمير المؤمنين يريد ان يوليه اذا قدم ما وراء بابه ويريح نفسه قال فكيف لى ان يأذن لى أمير المؤمنين فى لقائه فاستأذن له أبو أيوب فى ذلك فأذن له المنصور وأمره ان يبلغ سلامه وشوقه الى أبى مسلم فلقيه سلمة بالطريق وأخبره الخبر وطابت نفسه وكان قبل ذلك كئيبا حزينا ولم يزل مسرورا حتى قدم فلما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه فتلقاه بنو هاشم والناس ثم قدم فدخل على المنصور فقبل يده وأمره ان ينصرف ويروح نفسه لثلاثة ويدخل الحمام فانصرف فلما كان الغد دعا المنصور عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس منهم شبيب بن واج وأبو حنيفة حرب بن قيس فأمرهم بقتل أبى مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق وأرسل الى أبى مسلم يستدعيه وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى فدخل على المنصور فقال له المنصور اخبرنى عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن على قال هذا أحدهما قال أرنيه فانضاه وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه وقال له اخبرنى عن كتابك الى السفاح تنهاه عن الموات أردت ان تعلمنا الدين قال ظننت ان أخذه لا يحل فلما أتانى كتابه علمت انه أهل بيت معدن العلم قال فاخبرنى عن تقدمك اياى بطريق مكة قال

وانى من مخزوم ان كنت سائلا
ومن هاشم أمى لخير قبيل
فمن ذا الذى ينأى على بحاله
وخالى على ذو الندى وعقيل

وحمانة بنت أبى طالب كان بعلها سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهى أول هاشمية ولدت بهاشمى كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى أنساب قريش وأخبارها وهاجرت وماتت بالمدينة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسير على البصرة فى سنة ست وثلاثين وفيها كانت وقعة الجمل وذلك فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى منها وقتل فيها من أصحاب الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف وقد تنازع الناس فى مقدار ما قتل من الفريقين فمن مقل ومكثر فالمقال بقول قتل بينهم سبعة آلاف على حسب ميل الناس وأهوائهم الى كل فريق منهم وكانت وقعة واحدة فى يوم واحد وقيل انه كان بين خلافة على الى وقعة الجمل وبين أول الهجرة خمس وثلاثون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وبين دخول على الى الكوفة وبين التقائه مع معاوية للقتال بصفين ستة أشهر وثلاثة عشر يوما وبين ذلك وأول الهجرة ست وثلاثون سنة وثلاثة عشر يوما وقتل بصفين سبعون ألفا من أهل الشام ومن أهل العراق خمسة

كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق قال فقولك لمن أشار اليك بالانصراف الى بطريق مكة وحين أتاك موت أبي العباس الى ان تقدم فنرى رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت الى قال منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الكوفة وليس عليك من خلاف قال فجارية عبد الله أردت ان تتخذها قال لا ولكني خفت ان تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها قال فمن أرفقك وخروجك الى خراسان قال خفت ان يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فاكتب اليك بعذري فاذهب ما في نفسك قال فالمال الذي جمعته بخراسان قال أنفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحا قال ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة ابنة علي وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن عباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقاصعبا ثم قال وما الذي دعاك الى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبل ان يدخلك في هذا الامر قال أراد الخلاف وعصاني فقتلته فلما طال عتاب المنصور قال لا يقال هذا الى بعد بلائي وما كان مني قال يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاحرزت انما عملت في دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا فاخذ أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور ما رأيت كاليوم والله ما زدتني الا غضبا قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت ما أخاف الا الله تعالى فغضب المنصور وشتمه وصفق بيده على الاخرى فخرج عليه الحرس فضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين فقال لا أبقاني الله اذا أعد واعدى لي منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو فقال المنصور يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك فقتلوه في شعبان خمس بقين منه فقال المنصور

زعمت أن الدين لا ينقضي * فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كاسا كنت تسقي بها * أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته سبعمائة ألف صبرا فلما قتل أبو مسلم دخل أبو الجهم على المنصور فرأى أبا مسلم قتيلا فقال الا أردك الناس قال بلى فهو متاع يحمل الى رواق آخر وخرج أبو الجهم فقال انصرفوا فان الامير يريد القائلة عند أمير المؤمنين ورأوا المتاع ينقل فظنوه صادقا فانصرفوا وأمر لهم المنصور بالجوائز فاعطى أبا اسحق مائة ألف ودخل عيسى بن موسى على المنصور بعد قتل أبي مسلم فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم فقال قد كان ههنا فقال عيسى قد عرفت نصيحته وطاعته ورأي الامام ابراهيم كان فيه فقال يا أحمق والله ما أعلم في الارض عدوا أعدى لك منه هاهو ذا في البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون وكان لعيسى فيه رأي فقال له المنصور خلع الله قلبك وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر او نهي مع أبي مسلم ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال ما تقول في أمر أبي مسلم قال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل فقال له المنصور وفقك الله فلما نظر الى أبي مسلم مقتولا قال يا أمير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك ثم دعا المنصور بابي اسحق فلما دخل عليه قال له أنت المانع عدو الله على ما أجمع عليه وقد كان بلغه انه اشار عليه بإتيان خراسان قال فكف أبو اسحق وجعل يلتفت يمينا وشمالا خوفا من أبي مسلم فقال له المنصور تكلم بما أردت فقد قتل الله الفاسق وأمر باخراجه فلما رآه أبو اسحق خر ساجدا لله فاطال ورفع رأسه وهو يقول الحمد لله الذي أمنني بك اليوم والله ما أمنته يوما وما خفته يوما واحدا وما جئته يوما قط الا وقد أوصيت وتكفنت وتحنطت ثم رفع ثيابه الظاهرة فاذا تحتها ثياب أكفان جدد وقد تحنط فلما رآى أبو جعفر حاله رحمه وقال له استقبل

وعشرون ألفا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وقتل بها من الصحابة ممن كان مع علي خمسة وعشرون رجلا منهم عمار بن ياسر أبو اليقظان المعروف بابن سمية وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وكانت عدة الوقائع بين أهل العراق والشام سبعون وقعة وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الاشعري بأرض البلقاء من أرض دمشق وقيل بدومة الجندل وهي على عشرة أميال من دمشق وكان من أمرهما ما قد شهر وسنورد في هذا الكتاب جوامع ما ذكرنا وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما سلف من كتبنا وفي هذه السنة حملت الخوارج وهم الشراة وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبع وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الانصار وشهد معه من الانصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة وفي سنة ثمان وثلاثين كان خروجه مع أهل النهروان من الخوارج وقعد عن بيعته جماعة عثمانية لم يروا الا الخروج عن الامر منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبايع يزيد بعد ذلك والحجاج لعبد الملك بن مروان

طاعة خليفتك واحمد الله الذى أراحك من الفاسق هذا ثم قال له فرق هذه الجماعة ثم كتب المنصور بعد قتل أبى مسلم الى أبى نصر مالك بن الهيثم عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده وان يقدم وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم فلما رأى الخاتم تاماعلم أن أبامسلم لم يكتب فقال فعلتموها وانحدر الى همذان وهو يريد خراسان فكتب المنصور لابى نصر عهده على شهرزور وكتب الى زهير بن الترکى وهو على همذان ان مر بك أبونصر فاحبسه فسبق الكتاب الى زهير وأبونصر بهمذان فقال له زهير قد صنعت لك طعاما فلو أكرمتنى بدخول منزلى فحضر عنده فاخذه زهير فحبسه وكتب أبو جعفر الى زهير كتابا يأمره بقتل أبى نصر وقدم صاحب العهد على أبى نصر بعهده على شهرزور فخلى زهير سبيله لهواه فيه فخرج ثم وصل بعد يوم الكتاب الى زهير بقتل أبى نصر فقال جاءنى كتاب بعده فخليت سبيله وقدم أبونصر على المنصور فقال له أشرت على أبى مسلم بالمضى الى خراسان قال نعم كانت له عندى اياد فنصحت له وان اصطنعنى أمير المؤمنين نصحت له وشكرت فعما عنه فلما كان يوم الراوندية قام أبونصر على باب القصر وقال أنا البواب اليوم لايدخل أحد وأناحى فسأل عنه المنصور فأخبر به فعلم ان قد نصح له وقيل ان زهيرا سير أبانصر الى المنصور مقيدا فمن عليه واستعمله على الموصل ولما قتل المنصور أبامسلم خطب الناس فقال أيها الناس لاتخرجوا من انس الطاعة الى وحشة المعصية ولاتشوا فى ظلمة الباطل بعد سعيكم فى ضياء الحق ان أبامسلم أحسن مبتدأ واساء معقبا وأخذ من الناس نبأ أكثر مما اعطانا وربح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته مالو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا فى قتله وعنفنا فى امهالنا ومازال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته واباحنا دمه فحكمنا فيه حكمه لنا فى غيره ولم يمنعنا الحق له من امضاء الحق فيه وما أحسن ماقال النابغة الذبيانى للنعمان

فمن أطاعك فانفعه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولاتقصد على صمد

ثم نزل وكان أبومسلم قد سمع الحديث من عكرمة وأبى الزبير المكى وثابت البنانى ومحمد بن على ابن عبد الله بن عباس والسدى وروى عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ وعبد الله بن المبارك وغيرهما خطب يوما فقام اليه رجل فقال ماهذا السواد الذى أرى عليك فقال حدثنى أبوالزبير عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة ياغلام اضرب عنقه قيل لعبد الله بن المبارك أبومسلم كان خيرا أوالحجاج قال لاأقول ان أبامسلم كان خيرا من أحد ولكن الحجاج كان شرا منه وكان أبومسلم نازكا شجاعا ذا رأى وعقل وتدبير وحزم ومروأة وقيل له بم نلت ماأنت فيه من القهر للاعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتى وأدركت نهاية بغيتى ثم قال

قد نلت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى ساسان اذ حشدوا
مازلت أضربهم بالسيف فانتهبوا * من رقدة لم ينمها قبلهم أحد
طفقت أسعى عليهم فى ديارهم * والقوم فى ملكهم بالشام قد رقدوا
ومن رعى غنما فى أرض معشبة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

وقيل ان أبامسلم ورد نيسابور على حمار باكاف وليس معه آدمى فقصد فى بعض الليالى دار الفاذوسيان فدق عليه الباب ففزع أصحابه وخرجوا اليه فقال لهم قولوا للدهقان ان أبامسلم

ومنهم قدامة بن مظعون ووهبان بن صيفى وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة الثقفى وممن اعتزل من الانصار كعب ابن مالك وحسان بن ثابت وكانا شاعرين وأبوسعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة حليف بنى عبد الاشهل وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة ومسلمة ابن خالد فى آخرين ممن لم نذكرهم من العثمانية من الانصار وغيرهم من بنى أمية وسواهم وانتزع على أملاكا كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسم مافى بيت المال على الناس ولم يفضل أحدا على أحد وبعث أم حبيبة بنت أبى سفيان الى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضبا بدمائه مع النعمان بن بشير الانصارى واتصلت بيعة على بالكوفة وغيرها من الامصار وكانت أهل الكوفة أسرع اجابة الى بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبوموسى الاشعرى حتى تكاثر الناس عليه وكان عليها عاملا لعثمان وأتاه جماعة ممن تخلف عن بيعته من بنى أمية منهم سعيد بن العاص ومروان ابن الحكم والوليد بن عقبة ابن أبى معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل وقال له الوليد انا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك لكنا قوم وترنا الناس وخفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح أما أنا فقتلت أبى صبرا وضرب بنى حدا وقال سعيد بن العاص كلا ما

بالباب ويطلب منك ألف درهم ودابة فقالوا للدهقان ذلك فقال الدهقان فى أى زى هو وأى عدة فاخبروه انه وحده فى أدون زى فسكت ساعة ثم دعا بألف درهم ودابة من خواص دوابه وأذن له وقال يا أبا مسلم قد أسعفناك بما طلبت وان عرضت حاجة أخرى فنحن بين يديك فقال ما نضيع لك ما فعلته فلما ملك قال له بعض اقاربه ان فتحت نيسابور أخذت كل ما تريده من مال الفاذوسيان دهقانها المجوسى فقال أبو مسلم له عندنا يد فلما ملك نيسابور أتته هدايا الفاذوسيان فقيل له لا تقبلها واطلب منه الاموال فقال له عندى يد ولم يتعرض له ولا لاحد من أصحابه وأمواله وهذا يدل على علو همة وكمال مروءة وفى هذه السنة استعمل المنصور اباداود على خراسان وكتب اليه بعهده

﴿ذكر خروج سنباد بخراسان﴾

وفى هذه السنة خرج سنباد بخراسان يطلب بدم أبى مسلم وكان مجوسيا من قرية من قرى نيسابور يقال لها اهر وانه كان ظهوره غضبا لقتل أبى مسلم لانه كان من صنائعه وكثر اتباعه وكان عامتهم من أهل الجبال وغلب على نيسابور وقومس والرى وتسمى فيروزا صبهذ فلما صار بالرى أخذ خزائن أبى مسلم وكان أبو مسلم خلفها بالرى حين نهض الى أبى العباس وسبى الحرم ونهب الاموال ولم يعرض للتجار وكان يظهر انه يقصد الكعبة ويهدمها فوجه اليه المنصور جمهور ابن مرار العجلى فى عشرة آلاف فارس فالتقوا بين همذان والرى على طرف المفازة وعزم جمهور على مطاولته فلما التقوا قدم سنباد السبايا من النساء المسلمات على الجمال فلما رأين عسكر المسلمين قمن فى المحامل ونادين وامحمداه ذهب الاسلام ووقعت الريح فى أثوابهن فنفرت الابل وعادت على عسكر سنباد فتفرق العسكر وكان ذلك سبب الهزيمة وتبع المسلمون الابل ووضعوا السيوف فى المجوس ومن معهم فقتلوهم كيف شاؤا وكان عدد القتلى نحوا من ستين ألفا وسبى ذراريهم ونساءهم ثم قتل سنباد بين طبرستان وقومس وكان بين مخرج سنباد وقتله سبعون ليلة وكان سبب قتله انه قصد طبرستان ملتجئا الى صاحبها فارسل الى طريقه عاملا له اسمه طوس فتكبر عليه سنباد فضرب طوس عنقه وكتب الى المنصور بقتله وأخذ ما معه من الاموال وكتب المنصور الى صاحب طبرستان يطلب منه الاموال فانكرها فسير الجنود اليه فهرب الى الديلم

﴿ذكر خروج ملبد بن حرملة﴾

وفى هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيبانى فحكم بناحية الجزيرة فثارت اليه روابط الجزيرة وهو فى نحو ألف فارس فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه ملبد وأخذ جاريته له كان يطؤها فوجه اليه المنصور مولاه مهلهل بن صفوان فى ألفين من نخبة الجند فهزمهم ملبد واستباح عسكرهم ثم وجه اليه نزارا قائدا من قواد خراسان فقتله ملبد وانهزم أصحابه ثم وجه زياد بن مشكان فى جمع كثير فلقيهم ملبد فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن صبيح فى جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة فهزمهم ملبد ثم سار اليه حميد بن قحطبة وهو على الجزيرة يومئذ فلقيه ملبد فهزمه وتحصن منه حميد بن قحطبة واعطاه مائة ألف درهم على ان يكف عنه وقيل ان خروج ملبد كان سنة ثمان وثلاثين ومائة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

ولم يكن للناس هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سنباد وحج بالناس هذه السنة اسمعيل ابن على بن عبد الله بن عباس وهو على الموصل وكان على المدينة زياد بن عبيد الله وعلى مكة العباس

كثيرا وقال له الوليد أما سعيد فقتلت أباه صبرا وأهنت مثواه وأما مروان فانك شتمت أباه وكتبت عثمان فى صنعه اياه وقد ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص اتوا عليا فى آخرين من العثمانية فقال كعب ابن مالك يا أمير المؤمنين ليس مسيئا من أعتب وخير كفه ما محاه عذر فى كلام كثير ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعا وقد كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعته على كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب به اليه ما كنت صانعا اذا فشرت من كل شئ تملكه فاصنع ما أنت صانع فبعث اليه معاوية فسار اليه فقال له معاوية بايعنى قال والله لا أعينك من دينى حتى أنال من دنياك قال سل قال مصر طعمة فأجابه الى ذلك وكتب له به كتابا وقال عمرو بن العاص فى ذلك

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل
به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطنى مصرا فاربح صفقة
أخذت بها شيخا يضر وينفع

وأتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له ان حق الطاعة النصيحة وان الرأى اليوم تحوز به ما فى غد وان التضارع اليوم تضيع به ما فى غد أقر معاوية على عمله

ابن عبد الله بن سعيد ومات العباس عند انقضاء الموسم فضم اسمعيل عمله الى زياد بن عبيد الله وافره المنصور عليه وكان على الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن على وعلى قضائها عمر بن عامر السلمى وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم وعلى مصر صالح بن على وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة وعلى الموصل اسمعيل بن على بن عبد الله وهى على ما كانت عليه من الاجتدال

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر خلع جهور بن مرار المجلى﴾

وفيها خلع جهور بن مرار المنصور بالرى وكان سبب ذلك ان جهورا لما هزم سنباد حوى ما فى عسكره وكان فيه خزائن أبى مسلم فلم يوجهها الى المنصور فخاف فخلع ووجه اليه المنصور محمد بن الاشعث فى جيش عظيم نحو الرى ففارقها جهور نحو اصبهان ودخل محمد الرى وملك جهور اصبهان فارسل اليه محمد عسكرا وبقى فى الرى فأشار على جهور بعض أصحابه ان يسير فى نخبة عسكره نحو محمد فانه فى قلة فان ظفر لم يكن لمن بعده بقية فسار اليه مجدا وبلغ خبره محمدا فحذر واحتاط وأتاه عسكر من خراسان فقوى بهم فالتقوا بقصر العير وزان بين الرى واصبهان فاقتتلوا قتالا عظيما ومع جهور نخبة فرسان العجم فهزم جهور وقتل من أصحابه خلق كثير وهرب جهور فلحق باذربيجان ثم انه بعد ذلك قتل باسباذر واقتله أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور

﴿ذكر قتل ملبد الخارجى﴾

قد ذكرنا خروجه فى السنة قبلها وتحصن حميد منه ولما بلغ المنصور ظفر ملبد وتحصن حميد منه وجه اليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار وضم اليه زياد بن مشكان فاكمن له ملبد مائة فارس فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكمين فهزموه وقتلوا عامة أصحابه فوجه اليه خازم بن خزيمة فى نحو ثمانية آلاف من المروروذية فسار خازم حتى نزل الموصل وبعث الى ملبد بعض أصحابه وعبر ملبد دجلة من بلد وسار نحو خازم وسار اليه خازم وعلى مقدمته وطلائعه فضله بن نعيم ابن خازم بن عبد الله النهشلى وعلى ميمنته زهير بن محمد العامرى وعلى ميسرته أبو حماد الابرص وخازم فى القلب فلم يزل يسايرملبدا وأصحابه الى الليل ويواقعهم الليل فلما كان الغد سار ملبد نحو كورة حزة وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل واصبحوا من الغد سار ملبد كانه يريد الهرب فخرج خازم فى أثره وتركوا خندقهم وكان خازم قد خندق على أصحابه بالحسك فلما خرجوا منه حمل عليهم ملبد وأصحابه فلما رأى ذلك خازم القى الحسك بين يديه وبين يدى أصحابه فحملوا على ميمنة خازم فطووها ثم حملوا على الميسرة فطووها ثم انتهوا الى القلب وفيه خازم فنادى خازم فى أصحابه الارض الارض فنزلوا ونزل ملبد وأصحابه وعقروا عامة دوابهم ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت وأمر خازم فضله بن نعيم ان اذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضا فارجع الى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ثم ارموهم بنشاب ففعل ذلك وتراجع أصحاب خازم من الميمنة والميسرة ثم رشقوا ملبدا وأصحابه بالنشاب فقتل ملبد فى ثمانمائة رجل ممن ترجل وقتل منهم قبل ان يترجلوا زهاء ثلثمائة وهرب الباقون وتبعهم فضله فقتل منهم مائة وخمسين رجلا

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خرج قسطنطين ملك الروم الى بلاد الاسلام فدخل ملطية عنوة وقهرا وغلب أهلها وهدم سورها وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية وفيها غزا العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الصائفة مع صالح بن على وعيسى بن على وقيل كانت سنة تسع وثلاثين فبنى صالح

وأقر ابن عامر على عمله وأقر العمال على أعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد اليه من الغد فقال انى أشرت عليك بالامس برأى وتعقبته وانما الرأى ان تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقل امرك ثم خرج فتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى الى على قال رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك قال جاءنى أمس يكيت وكيت وجاءنى اليوم بذيت وذيت فقال أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك قال فما الرأى قال كان الرأى أن تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتى مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فان العرب كانت لجاهلة مضطرة فى أثرك لا تجد غيرك فأما اليوم فان بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون فيك على الناس وقال المغيرة نصحته فلم يقبل فغششته وذكر انه قال وأما أنا فنصحته قبلها ولا أنصحه بعدها (قال المسعودى) وجدت فى وجه آخر من الروايات ان ابن عباس قال قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت عليا ادخل عليه فقيل لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على وقال منى

ما كان ملك الروم اخربه من سور ملطية وفيها بايع عبد الله بن علي للمنصور وهو مقيم بالبصرة مع اخيه سليمان بن علي وفيها وسع المنصور المسجد الحرام وحج بالناس هذه السنة الفضل بن صالح ابن علي وكان على المدينة ومكة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثي وعلى الكوفة وسوادها عيسى ابن موسى وعلى البصرة سليمان بن علي وعلى قضائها سوار بن عبد الله وعلى خراسان أبو داود وعلى مصر صالح بن علي وفيها توفي السوادبن رفاعة بن أبي مالك القرطبي وسعيد بن جهان أبو حفص الاسلمي يروي عن سفينة حديث الخلافة ثلاثون ويونس بن عبيد البصري وقيل توفي سنة تسع وثلاثين ومائة

﴿ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة﴾

﴿ذكر غزو الروم والفداء معهم﴾

في هذه السنة فرغ صالح بن علي والعباس بن محمد من عمارة ما أخربه الروم من ملطية ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا في أرض الروم وغزا مع صالح اخناه ام عيسى ولبابة بنتا علي وكانتا نذرتا ان زال ملك بني أمية ان تجاهدا في سبيل الله وغزا من درب ملطية جعفر بن حنظلة المهراني وفي هذه السنة كان الفداء بين المنصور وملك الروم فاستفدى المنصور اسرى قالى قلا وغيرهم من الروم وبناها وعمرها وردالها اهليها وندب اليها جندا من أهل الجزيرة وغيرهم فاقاموا بها وحموها ولم يكن بعد ذلك صائفة فيما قيل الا سنة ست واربعين لاشتغال المنصور بابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الا ان بعضهم قال ان الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام في سنة أربعين وأقبل قسطنطين ملك الروم في مائة ألف فبلغ جيحان فسمع كثرة المسلمين فاحجم عنهم ثم لم يكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين

﴿ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس﴾

قد ذكرنا في سنة اثنتين وتسعين فتح الاندلس وعزل موسى بن نصير عنها فلما عزل عنها وسار الى الشام استخلف عليها ابنه عبد العزيز وضبطها وحمى ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة وكان خيرا فاضلا وبقي أميرا الى سنة سبع وتسعين وقيل ثمان وتسعين فقتل بها وقد تقدم سبب قتله فلما قتل بقي أهل الاندلس ستة أشهر لا يجمعهم وال ثم اتفقوا على أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى بن نصير فكان يصلي بهم لصلاحه وتحول الى قرطبة وجعلها دار امارة في أول سنة تسع وتسعين وقيل سنة ثمان وتسعين ثم ان سليمان بن عبد الملك استعمل بعده الحر بن عبد الرحمن الثقفي فقدمها سنة ثمان وتسعين فاقام والياعليها سنتين وتسعة أشهر فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة استعمل على الاندلس السمح بن مالك الخولاني وأمره ان يميز أرضها ويخرج منها ما كان عنوة ويأخذ منه الخمس ويكتب اليه بصفة الاندلس وكان رأيه اقفال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين فقدمها السمح سنة مائة في رمضان وفعل ما أمره عمر وقتل عند انصرافه من دار الحرب سنة اثنتين ومائة وكان قد بدد العمر في نقل أهلها عنها ثم تركهم ودعا لاهلها ثم وليها بعد السمح عنبسة بن سحيم الكلبي سنة ثلاث ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع ومائة عند انصرافه من غزوه الافرنج ثم وليها بعده يحيى بن سلمى الكلبي في ذي القعدة سنة سبع فبقي عليها والياسنتين وستة أشهر ثم دخل الاندلس حذيفة بن الابرص الاشجعي سنة عشر ومائة فبقي والياعليها ستة أشهر ثم عزل ثم وليها عثمان بن أبي نسعة الخثعمي فقدمها سنة عشر ومائة وعزل آخر سنة عشر ومائة أيضا وكانت ولايته خمسة أشهر ثم وليها الهيثم بن عبيد الكناني فقدمها

قدمت قلت الساعة ودخلت على علي وسلمت عليه فقال أين لقيت الزبير وطلحة قلت بالنواصف قال ومن معهما قلت أبو سعيد بن الحرث بن هشام بن قتيبة من قريش فقال علي اما انهم لم يكن لهم بد ان يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله يعلم انهم قتلة عثمان فقلت اخبرني عن شأن المغيرة ولم خلابك قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال اخلني ففعلت فقال ان النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح وأنا أشير عليك ان لا تردّ عمال عثمان عاملك هذا فاكتب اليه بانباتهم على أعمالهم فاذا بايعوالك واطمأن أمرك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت له والله لا أداهن في ديني ولا أعطي الرياء في أمري قال فان كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فان له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه ولك حجة في اثباته فقد كان عمر ولاه الشام كلها فقلت له لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا اخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال اني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي فنظرت في الامر واذا أنت مصيب لا ينبغي ان تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون فيه دنسة قال ابن عباس فقلت له أما أول ما أشار عليك فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك وأنا أشير عليك ان تثبت معاوية فان

في المحرم سنة احدى عشرة ومائة فاقام واليا عليها عشرة أشهر وأياما ثم توفي في ذي الحجة فقدم أهل الاندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الاشجعي وكانت ولايته شهرين وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في صفر سنة اثنتي عشرة ومائة واستشهد في أرض العدو في رمضان سنة أربع عشرة ومائة ثم وليها عبد الملك بن قطن الفهري فاقام عليها سنتين وعزل ثم وليها بعده عقبة بن الحجاج السلولي دخلها سنة ست عشرة ومائة فوليها خمس سنين وثار أهل الاندلس به فخلعوه فولوا بعده عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية وقد ذكر بعض مؤرخي الاندلس انه توفي فولي أهل الاندلس عبد الملك ثم وليها بلج بن بشر القشيري بايعه أصحابه فهرب عبد الملك ولحق بداره وهرب ابناه قطن وأمية فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة ثم ثارت اليمن على بلج وسألوه قتل عبد الملك بن قطن فلما خشي فسادهم أمر به فقتل وصلب وكان عمره تسعين سنة فلما بلغ ابنيه قتله حشدا من ماردة الى اربونة فاجتمع اليهما مائة ألف وزحفوا الى بلج ومن معه بقرطبة فخرج اليهم بلج فلقيهم فيمن معه من أهل الشام بقرب قرطبة فهزمهما ورجع الى قرطبة فمات بعد أيام يسيرة وكان سبب قدوم بلج الاندلس انه كان مع عمه كلثوم بن عياض في وقعة البربر سنة ثلاث وعشرين وقد تقدم ذكرها فلما قتل عمه سار الى الاندلس فاجازه عبد الملك بن قطن اليها وكان سبب قتله ثم ولي أهل الشام على الاندلس مكانه ثعلبة بن سلامة العاملي فاقام الى ان قدم أبو الخطار واليا على الاندلس سنة خمس وعشرين ومائة فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك فامنهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا ذا رأي وكرم وكثر أهل الشام عنده فلم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد فانزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص وأنزل أهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين وأنزل أهل الاردن بريه وسماها الاردن وأنزل أهل فلسطين بشذونة وسماها فلسطين وانزل أهل مصر بتدمير وسماها مصر لشبهها بها ثم تعصب اليمانية وكان ذلك سبب التألب الصميل بن حاتم عليه مع مضر وحربه وخلعه وقامت هذه الفتنة سنة سبع وعشرين ومائة وكان الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن قد قدم الاندلس في امداد الشام فرأس بها فاراد أبو الخطار ان يضع منه فامر به يوما وعنده الجند فشتم وأهين فخرج وعمامته مائلة فقال له بعض الحجاب مابال عمامتك مائلة فقال ان كان لي قوم فسيقيمونها وبعث الى قومه فشكا اليهم ما لقي فقالوا نحن لك تبع وكتبوا الى ثوابة بن سلامة الجذامي وهو من أهل فلسطين فوفد عليهم وأجابهم وتبعهم لخم وجذام فبلغ ذلك الى أبي الخطار فسار اليهم فقاتلوه فانهزم أصحابه وأسر أبو الخطار ودخل ثوابة قصر قرطبة وأبو الخطار في قيوده فولي ثوابة الاندلس سنتين ثم توفي فاراد أهل اليمن اعادة أبي الخطار وامتنعت مضر ورأسهم الصميل وافترقت الكلمة فاقامت الاندلس أربعة أشهر بغير أمير وقد تقدم أبسط من هذا سنة سبع وعشرين ومائة فلما بقوا بغير أمير قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للاحكام فلما تفاقم الامر اتفق رأيهم على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري فوليها يوسف سنة تسع وعشرين فاستقر الامر ان يلي سنة ثم يرد الامر الى اليمن فيولون من أحبوا من قومهم فلما انقضت السنة أقبل أهل اليمن باسرهم يريدون أن يولوا رجلا منهم فبيتهم الصميل فقتل منهم خلقا كثيرا فهي وقعة شقندة المشهورة وفيها قتل أبو الخطار واقتتلوا بالرماح حتى تقطعت وبالسيوف حتى تكسرت ثم تجاذبوا بالشعور وكان ذلك سنة ثلاثين واجتمع الناس على يوسف ولم يعترضه أحد وقد قيل غير ماذكرنا وقد تقدم ذكره سنة سبع

بايعك فعلى أن أقتله من منزله قال لا والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

فاصبر ان منها غير عاجز
بعار اذا ما غالت النفس غالها

فقال يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال علي بلى قلت أما والله لئن أطعتني لاصدرن بهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون في آثارهم الامر ولا يدرون ما كان وجهها من غير نقص لك ولا اثم عليك فقال يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معاوية في شيء يسير مالك عندي الطاعة والله ولي التوفيق

﴿ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغيره﴾

ودخل طلحة والزبير مكة وقد كانا استأذنا عليا في العمرة فقال لعلكما تريدان البصرة والشام فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة وقد كانت عائشة رضي الله عنها بمكة وقد كان عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة هرب عنها حين أخذ البيعة لعلي بها على الناس حارثة بن قدامة السعدي ومصير عثمان بن حنيف الانصاري اليها على خراجها من قبل علي رضي الله عنه وانصرف من اليمن عامل عثمان وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة درهم وكراعا وسلاحا وبعث الى عائشة بالجمل المسمى عسكرا وكان

وعشرين ومائة ثم توالى القحط على الاندلس وجلا أهلها عنها وتضعضعت الى سنة ست وثلاثين ومائة وفيها اجتمع تميم بن معبد الفهرى وعامر العبدرى بمدينة مرقسطة وحاربهما الصميل ثم سار اليهما يوسف الفهرى فحاربهما فقتلهما وبقى يوسف على الاندلس الى ان غلب عليها عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام هذا ما ذكرناه من ولاة الاندلس على الاختصار وقد تقدم أبسط من هذا متفرقا واغما أوردناه ههنا متتابعا ليتصل بعض أخبار الاندلس ببعض لانها وردت متفرقة ونرجع الى ذكر عبور عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اليها وأما سبب مسير عبد الرحمن الى الغرب فانه يحكى عنه انه لما ظهرت الدولة العباسية وقتل من بنى أمية من قتل ومن شيعتهم فر منهم من نجا فى الارض وكان عبد الرحمن بن معاوية بذات الزيتون ففر منها الى فلسطين وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار فحكى عنه انه قال لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر أبى فطرس وأبيحت دماؤنا أتانا الخبر وكنت منتبذا من الناس فرجعت الى منزلى آيسا ونظرت فيما يصلحنى وأهلى وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض فبينا أنا ذات يوم بها وولدى سليمان يلعب بين يدى وهو يومئذ ابن أربع سنين فخرج عنى ثم دخل الصبى من باب البيت باكيا فزعا فتعلق بى وجعلت أدفعه وهو يتعلق بى فخرجت لانظر واذا بالخوف قد نزل بالقرية واذا بالرايات السود منحطة عليها وأخ لى حدث السن يقول لى النجاء النجاء فهذه رايات المسودة فاخذت دنانير معى ونجوت بنفسى وأخى واعلمت اخواتى بتوجهى فامرتهن ان يلحقننى مولاى بدرا وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لى أثرا فاتيت رجلا من معارفى وأمرته فاشترى لى دواب ومما يصلحنى فدل على عبد له العامل فاقبل فى خيله يطلبنى فخرجنا على أرجلنا هاربا واوالخيل تبصرنا فدخلنا فى بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا فاما أنا فنجوت والخيل تنادوننا بالامان ولا أرجع واما أخى فانه عجز عن السباحة فى نصف الفرات فرجع اليهم بالامان وأخذوه فقتلوه وأنا أنظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه ثكلا ومضيت لوجهى فتواريت فى غيضة اشبة حتى انقطع الطلب عنى وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية ثم ان أخته أم الاصبغ ألحقته بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر فلما بلغ افريقية لج عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى قيل هو والد يوسف أمير الاندلس وكان عبد الرحمن عامل افريقية فى طلبه واشتد عليه فهرب منه فاتى مكناسة وهم قبيل من البربر فاتى عندهم شدة يطول ذكرها ثم هرب من عندهم فاتى نفزاوة وهم أخواله وبدر معه وقيل أتى قوما من الزناتيين فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم وأخذ فى تدبير المكاتبة الى الامويين من أهل الاندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم الى نفسه ووجه بدرا مولاه اليهم وأمير الاندلس حينئذ يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فسار بدر اليهم وأعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهم اليه فاجابوه ووجهوا الدهر كما فيه تمامة بن علقمة ووهب ابن الاصفر وشاكر بن أبى الاسمط فوصلوا اليه وأبلغوه طاعتهم له وأخذوه ورجعوا الى الاندلس فارسى فى المنكب فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين ومائة فاتاه جماعة من رؤسائهم من أهل اشبيلية وكانت أيضا نفوس أهل اليمن حنقة على الصميل ويوسف الفهرى فاتوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم أتى شذونة فبايعه غياث بن علقمة اللخمى ثم أتى مورور فبايعه ابراهيم بن شجرة عاملها ثم اتى اشبيلية فبايعه أبو الصباح يحيى بن يحيى ونهد الى قرطبة فبلغ خبره الى يوسف وكان غائبا عن قرطبة بنواحى طليطلة فاتاه الخبر وهو راجع الى قرطبة فسار عبد الرحمن نحو قرطبة فلما أتى قرطبة تراسل هو ويوسف فى الصلح فخادعه نحو يومين

شراؤه عليه باليمن مائتى دينار فارادوا الشام فصدهم ابن عامر وقال ان به معاوية ولا ينقاد اليكم ولا يطيعكم لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدد فخرهم بألف ألف درهم ومائة من الابل وغير ذلك وسار القوم نحو البصرة فى ستمائة راكب فانتهوا فى الليل الى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب عليه ناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب فقالت عائشة ما اسم هذا الموضع فقال لها السائق لجملها الحوأب فاسترجعت وذكرت ما قيل لها فى ذلك فقالت ردونى الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى فى المسير فقال ابن الزبير بالله ما هذا الحوأب ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب وشهد معه ما خمسون رجلا عمر كان معهم فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت فى الاسلام فاتوا البصرة فخرج اليهم عثمان ابن حنيف فمانعهم وجرى قتال قال ثم انهم اصطلحوا بعد ذلك على كف الحرب الى قدوم على فلما كان فى بعض الليالى بيتوا عثمان بن حنيف فاسروه وضربوه ونتفوا لحيته ثم ان القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل ابن حنيف وغيره من الانصار فخلوا عنه وأرادوا بيت المال فمانعهم الخزان والموكلون به وهم السالحون فقتل منهم

احدهما

أحدهما يوم عرفة ولم يشك أحد من أصحاب يوسف ان الصلح قد ابترم وأقبل على اعداد الطعام ليأكله الناس على السماط يوم الاضحى وعبد الرحمن مرتب خيله ورجله وعبر النهر فى أصحابه ليلا ونشب القتال ليلة الاضحى وصبر الفريقان الى ان ارتفع النهار وركب عبد الرحمن على بغل لئلا يظن الناس انه يهرب فلما رأوه كذلك سكنت نفوسهم وأسرع القتل فى أصحاب يوسف وانهزم وبقى الصميل يقاتل مع عصابة من عشيرته ثم انهزموا فظفر عبد الرحمن ولما انهزم يوسف أتى ماردة وأتى عبد الرحمن قرطبة فاخرج حشم يوسف من القصر على عودة ودخله بعد ذلك ثم سار فى طلب يوسف فلما أحس به يوسف خالفه الى قرطبة فدخلها وملك قصرها فاخذ جميع أهله وماله ولحق بمدينة البيرة وكان الصميل لحق بمدينة شوذر وورد الى عبد الرحمن الخبر فرجع الى قرطبة طمعا ان لحاقه بها فلما لم يجده عزم على النهوض اليه فسار الى البيرة وكان الصميل قد لحق بيوسف وتجمع لهما هناك جمع فتراسلوا فى الصلح فاصطلحوا على ان ينزل يوسف بامان هو ومن معه وان يسكن مع عبد الرحمن بقرطبة ورهنه يوسف ابنيه أبا الاسود محمدا وعبد الرحمن وسار يوسف مع عبد الرحمن فلما دخل قرطبة تمثل

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

واستقر عبد الرحمن بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد الجماعات ووافاه جماعة من أهل بيته وكان يدعو للمنصور وقد ذكر أبو جعفر ان دخول عبد الرحمن كان سنة تسع وثلاثين وقيل سنة ثمان وثلاثين على ما ذكرنا وهذا القدر كاف فى ذكر دخوله الاندلس لئلا نخرج عن الذى قصدناه من الاختصار

﴿ ذكر حبس عبد الله بن على ﴾

ولما عزل سليمان عن البصرة اختفى أخوه عبد الله بن على ومن معه من أصحابه خوفا من المنصور فبلغ ذلك المنصور فارسل الى سليمان وعيسى ابنى على بن عبد الله بن عباس يشخاص عبد الله وأعطاهما الامان لعبد الله وعزم عليهما ان يفعلا فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وقواده وموالية حتى قدموا على المنصور فى ذى الحجة فلما قدموا عليه أذن لسليمان وعيسى فدخلا عليه وأعلماه حضور عبد الله وسألاه الاذن له فاجابهما الى ذلك وشغلهما بالحديث وكان قد هيأ لعبد الله مكانا فى قصره فامر به ان يصرف اليه بعد دخول سليمان وعيسى ففعل به ذلك ثم نهض المنصور وقال لسليمان وعيسى خذا عبد الله معكما فلما خرجا لم يجدا عبد الله فعلما أنه قد حبس فرجعا الى المنصور فنعاه عنه وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحابه وخشوا وقد كان خفاف بن منصور حذرهم ذلك وندم على مجيئه معهم وقال ان اطعمونى شدة واحدة على أبى جعفر فوالله لا يحول بينه وبيننا حائل حتى نأتى عليه ولا يعرض لنا أحد الا قتلناه ونجو بانفسنا فعصوه فلما أخذت سيوفهم وحبسوا جعل خفاف يضرط فى لحية نفسه ويتفل فى وجوه أصحابه ثم أمر المنصور بقتل بعضهم بحضرته وبعث الباقين الى أبى داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

عزل سليمان بن على عن امارة البصرة وقيل سنة أربعين واستعمل عليها سفيان بن معاوية فى رمضان وحج بالناس هذه السنة العباس بن محمد بن على وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحرثى وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى قضائها استوار ابن عبد الله وعلى خراسان أبو داود وفيها مات عبد ربه سعيد بن قيس الانصارى وقيل سنة احدى

سبعون رجلا غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الاسر وهؤلاء أول من قتلوا ظلما فى الاسلام وصبروا وقتلوا حكيم ابن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس وزهاد ربيعة ونساكها وتشاح طلحة والزبير فى الصلاة بالناس ثم اتفقوا على أن يصلى بالناس عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما فى خطب طويل كان بين طلحة والزبير الى أن اتفقا على ما وصفنا وسار على من المدينة بعد أربعة أشهر وقيل غير ذلك فى سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والانصار منهم سبعون بدريا وباقيهم من الصحابة وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الانصارى فانتهى الى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة وفاته طلحة والزبير وقد كان على أرادهم فانصرف حين فاتوه الى العراق فى طلبهم ولحق بعلى من أهل المدينة جماعة من الانصار فيهم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين وأتاه من طيئ مستمائة راكب وكاتب علىّ من الربذة أبا موسى الاشعرى ليستنفر الناس فثبطهم أبو موسى وقال انما هى فتنة فمى ذلك الى على فولى على الكوفة قرظة بن كعب الانصارى وكتب الى أبى موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا فما هذا أول

وأربعين وفيها مات العلى بن عبد الرحمن مولى الحرقة ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أبى صعصعة المازنى ويزيد بن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى وكان مولده بالاسكندرية

﴿ثم دخلت سنة أربعين ومائة﴾

﴿ذكر هلاك أبى داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار﴾

وفى هذه السنة هلك أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلى عامل خراسان وكان سبب هلاكه ان ناسا من الجند ثاروا به وهو بكشماهن ووصلوا الى المنزل الذى هو فيه فأشرف عليهم من الحائط ليلا فوطئ حرف آجرة خارجة وجعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته فانكسرت الآجرة تحته عند الصبح فسقط على الارض فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر فقام عاصم صاحب شرطته بعده حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدى عاملا على خراسان فلما قدمها أخذ جماعة من العوادا تهمهم بالدعاء الى ولد على بن أبى طالب منهم مجاشع بن حريث الانصارى عامل بخارا وأبو المغيرة خالد بن كثير مولى بنى تميم عامل قوهستان والحريش بن محمد الذهلى وهو ان عم أبى داود فقتلهم وحبس جماعة غيرهم وألح على عمال أبى داود فى استخراج ما عندهم من الاموال

﴿ذكر قتل يوسف الفهرى﴾

فى هذه السنة نكث يوسف الفهرى الذى كان أميرا الاندلس عهد عبد الرحمن الاموى وكان سبب ذلك ان عبد الرحمن كان يضع عليه من يمينه وينازعه فى اعماله فاذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها وفطن لما يراد منه فقصد مارده واجتمع عليه عشرون ألفا فسار نحو عبد الرحمن وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه الى حصن المدور ثم ان يوسف رأى ان يسير الى عبد الملك بن عمر بن مروان وكان واليا على اشبيلية والى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المدور فسار نحوهما وخرجا اليه فالتقيا فاقتتلا قتالا شديدا وهزم الفريقان وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير وهرب يوسف وبقى متردّدا فى البلاد فقتله بعض أصحابه فى رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحى طليطلة وحمل رأسه الى عبد الرحمن فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذى كان عنده رهينة ونصب رأسه مع رأس أبيه وبقى ابو الاسود بن يوسف عند عبد الرحمن الاموى رهينة وسيأتى ذكره وأما الصميل فانه لما هزم يوسف من قرطبة لم يهرب معه فدعاه الامير عبد الرحمن وسأله عنه فقال لم يعلمنى بأمره ولا أعرف خبره فقال لابدّ ان تخبر فقال لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه فسجنه مع ابنى يوسف فما هربا من السجن أنف من الهرب والفرار فبقى فى السجن ثم أدخل اليه بعد ذلك مشيخة مضر فوجدوه ميتا وعنده كاس ونقل فقالوا يا أبا جوشن قد علمنا انك ما شربت ولكن سقيت ودفع الى أهله فدفنوه

﴿ذكر حوادث﴾

فى هذه السنة هلك اذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه ذو يلية وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطا له وكان ملك أبيه ثمانى عشرة سنة ولما ملك ابنه قوى أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك وبرطقال وشلمقة وشمورة وايلة وشقوبية وفشتيالة وكل هذه من الاندلس وفيها سير المنصور عبد الوهاب ابن أخيه ابراهيم الامام والحسن ابن قحطبة فى سبعين ألفا من المقاتلة الى ملطية فنزلوا عليها وعمروا ما كان خربه الروم منها وفرغوا من العمارة فى سنة أشهر وكان للحسن فى ذلك أثر عظيم وأسكنها المنصور بأربعة آلاف من الجند وأكثر فيها من السلاح والذخائر وبنى حصن قلوذية ولما سمع ملك الروم بمسير عبد الوهاب

والحسن

يومنا منك وان لك فيها لهنات
وهنيات وسار على عن معه
حتى نزل بذى قار وبعث ابنيه
الحسن وعمارا الى الكوفة
يستنفر الناس فسارا عنها
ومعهما من أهل الكوفة نحو
من سبعة آلاف وقيل ستة
آلاف وخمسمائة وستون رجلا
فانتهى الى البصرة وراسل
القوم وناشدهم الله فأبوا
الا قتاله وذكر عن المنذر بن
الجارود فيما حدث به أبو حنيفة
الفضل بن الحباب الجمحى عن
ابن عائشة عن معن بن عيسى
عن المنذر بن الجارود قال لما
قدم على رضى الله عنه البصرة
دخل مما يلى الطف وأتى
الزاوية فخرجت أنظر اليه
فورد موكب نحو ألف فارس
يقدمهم فارس على فرس
أشهب عليه قلنسوة وثياب
بيض متقلد سيفا معه راية
واذا تيجان القوم الاغلب
عليها البياض والصفرة
مدججين فى الحديد والسلاح
فقلت من هذا فقيل أبو أيوب
الانصارى صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهؤلاء
الانصار وغيرهم ثم تلاهم
فارس آخر عليه عمامة صفراء
وثياب بيض متقلد سيفا
متنكب قوسا معه راية على
فرس أشقر فى نحو ألف فارس
فقلت من هذا فقيل هذا
خزيمة بن ثابت الانصارى ذو
الشهادتين ثم مر بنا فارس
آخر على فرس كميت معتم
بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

والحسن الى ملطية سار اليهم فى مائة ألف مقاتل فنزل جيحان فبلغه كثرة المسلمين فعاد عنهم ولما عمرت ملطية عاد اليها من كان باقيا من أهلها وفيها هاج المنصور فأحرم من الحيرة فلما قضى حجه توجه الى بيت المقدس وسار منه الى الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامرى وعاد الى هاشمية الكوفة وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرئيل بن يحيى وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل فبنى السور وسماها المعمورة وبنى بها مسجدا جامعا وفرض فيها الألف رجل وأسكنها كثيرا من أهلها وفيها توفى سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة وعمرو بن يحيى بن أبى حسن الانصارى وعمارة بن غزية الانصارى وكان ثقة وأبو العلاء أيوب القصاب وأبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى وهو من متكلمى المعتزلة وأئمتهم وله طائفة تنسب اليه واسماء بن عبيد بن مخارق والدحوبزة بن أسماء

﴿ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر خروج الراوندية﴾

وفى هذه السنة كان خروج الراوندية على المنصور وهم قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الارواح يزعمون ان روح آدم فى عثمان بن نهيك وان ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرئيل هو لهيثم بن معاوية فلما ظهروا أتوا قصر المنصور فقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشا وحملوا السرير وليس فى النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد فخرج المنصور من القصر ماشيا ولم يكن فى القصر دابة فجعل بعد ذلك يرتبط دابة معه فى القصر فلما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه وجاء معن بن زائدة الشيبانى وكان مستترا من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه والمنصور شديد الطلب له وقد بذل فيه مالا كثيرا فلما كان هذا اليوم حضر عند المنصور متلثما وترجل وقاتل قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا وكان المنصور راكبا على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه فأتى معن وقال تنح فأنا أحق بهذا اللجام منك فى هذا الوقت واعظم غناء فقال المنصور صدق فادفعه اليه فلم يزل يقاتل حتى تكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال آمنك الله على نفسك ومالك وأهلك مثلك يصطنع وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب المنصور وقال أنا اليوم بواب ونودى فى أهل السوق فرموهم وقاتلوهم وفتح باب المدينة فدخل الناس فجاء خازم بن خزيمة فحمل عليهم حتى ألجأهم الى الحائط ثم حملوا عليه وكشفوه مرتين فقال خازم للهيثم بن شعبة اذاكروا علينا فاستبقهم الى الحائط فاذا رجعوا فاقتلهم فحملوا على خازم فاطرد لهم وصار الهيثم من ورائهم فقتلوا جميعا وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فعلموا فرموه بسهم عند رجوعه فوقع بين كتفيه فمرض أياما ومات منها فصلى عليه المنصور وجعل على حرسه بعده عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات فجعل على الحرس أبو العباس الطوسى وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية فلما صلى المنصور الظهر دعا بالعشاء وأحضر معنا ورفع منزلته وقال لعمه عيسى بن على ابن عبد الله بن عباس يا أبا العباس أسمعت بأشد رجل قال لهم قال لو رأيت اليوم معنا لعلمت انه منهم فقال معن والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وانى لوجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانة

بيضاء وعليه قباء أبيض مصقول متقلد سيفا متنكب قوسا فى نحو ألف فارس من الناس ومعه راية فقلت من هذا فقيل لى أبو قتادة بن ربعى ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافع صوته بقراءة القرآن متقلد سيفا متنكب قوسا معه راية بيضاء فى ألف من الناس مختلفى التيجان حوله مشيخة وكهول وشباب كأن قد أوقفوا للحساب أثر السجود قد أثر فى جباههم فقلت من هذا فقيل عمار بن ياسر فى عدة من الصحابة من المهاجرين والانصار وابنائهم ثم مر بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض وفلنسوة بيضاء وعمامة صفراء متنكب قوسا متقلد سيفا تخط رجلاه فى الارض فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض معه راية صفراء قلت من هذا قيل هذا قيس بن سعد بن عبادة فى الانصار وابنائهم وغيرهم من قحطان ثم مر بنا فارس على فرس أشهل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها بين يديه بلواء قلت من هذا قيل هو عبد الله ابن العباس فى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالاولين قلت من

بهم وشدة الاقدام عليهم رأيت مالم أره من خلق فى حرب فشد ذلك من قلبى وحملنى على ما رأيت منى وقيل كان معن متخفيا من المنصور لما كان منه من قتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه وكان اختفاؤه عند أبى الخصيب حاجب المنصور وكان على ان يطلب الامان فلما خرجت الراوندية جاء معن فوقف بالباب فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب فقال معن بن زائدة فقال المنصور رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب أدخله فلما دخل قال ايه يا معن ما الرأى قال الرأى ان تنادى فى الناس فتأمرهم بالاموال فقال وأين الناس والاموال ومن يقدم على ان يعرض نفسه لهؤلاء العلوج لم تصنع شيأ يا معن الرأى ان أخرج فاقف للناس فاذا رأونى قاتلوا وتراجعوا الى وان أقمت تهاونوا وتخاذلوا فأخذ معن بيده وقال لا أمير المؤمنين اذا والله تقتل الساعة فأنشدك الله فى نفسك فقال له أبو الخصيب مثلها فجذب ثوبه منها وركب دابته وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه وأتاه رجل فقتله معن حتى قتل أربعة فى تلك الحالة حتى اجتمع اليه الناس فلم يكن الا ساعة حتى أفنوهم ثم تغيب معن فسأل المنصور عنه أبا الخصيب فقال لا أعلم مكانه فقال المنصور أيظن معن أن لا أغفر ذنبه بعد بلائه أعطه الامان وادخله على وأدخله اليه فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم ولاه اليمن

﴿ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدى اليه﴾

فى هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان للمنصور وسبب ذلك ان عبد الجبار لما استعمله المنصور على خراسان عمد الى القواد فقتل بعضهم وحبس بعضهم فبلغ ذلك المنصور وأتاه من بعضهم كتاب فدعا الاديم فقال لابى أيوب ان عبد الجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل ذلك الا وهو يريد ان يخلع فقال له اكتب اليه انك تريد غزو الروم فليوجه اليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فاذا خرجوا منها فابعث اليه من شئت فلا تمنع فكتب المنصور اليه بذلك وأجابه ان الترك قد جاشت وان فرقت الجنود ذهبت خراسان فالقى الكتاب الى أبى أيوب وقال له ما ترى قال قد أمكنك من قياده اكتب اليه ان خراسان أهم الىّ من غيرها وأنا موجه اليك الجنود ثم وجه اليه الجنود ليكونوا بخراسان فان هم بخلع أخذوا بعنقه فلما ورد الكتاب بهذا على عبد الجبار أجابه ان خراسان لم تكن قط اسوأ حالا منها العام وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء فلما أتاه الكتاب ألقاه الى أبى أيوب فقال له أبو أيوب قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره ووجه المنصور ابنه المهدى وأمره بنزول الرى فسار اليها المهدى ووجه خازم ابن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار وسار المهدى فنزل نيسابور فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا الى عبد الجبار وحاربوه وقاتلوه قتالا شديدا فانهزم منهم ولجأ الى معطنة فتوارى فيها فعبر اليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيرا فلما قدم خازم أتاه به فألبسه جبة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلى عجز البعير وحمله الى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج منهم الاموال ثم أمر فقطعت يدا عبد الجبار ورجلاه وضرب عنقه وأمر بسير ولده الى دهلك وهى جزيرة باليمن فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا ثم فودوا بعد ذلك وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن عبد الجبار صحب الخلفاء ومات أيام الرشيد سنة سبعين ومائة قيل وكان أمر عبد الجبار سنة اثنتين وأربعين فى ربيع الاول وقيل سنة أربعين

﴿ذكر فتح طبرستان﴾

ولما ظفر المهدى بعبد الجبار بغير تعب ولا مباشرة قتال كره المنصور ان تبطل تلك النفقات التى

هذا قيل قثم بن العباس أو سعيد بن العاص ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضا واشتبكت الرماح ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات فى أوله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنما كسر وجبر (قال ابن عائشة وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره الى الارض اكثر من نظره الى فوق كذلك تخبر العرب فى وصفها اذا أخبرت عن الرجل انه كسر وجبر) كأنما على رؤسهم الطير وعن ميسرتهم شاب حسن الوجه قلت من هؤلاء قيل هذا على ابن أبى طالب وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والانصار فسار وا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية فصلى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو اللهم رب السموات وما أظلت والارضين وما اقلت ورب العرش العظيم هذه البصرة أسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين اللهم هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتى وبغوا على

أنفق على المهدى فكتب اليه ان يغزو طبرستان وينزل الرى ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود الى الاصبهبذ وكان الاصبهبذ يومئذ محاربا للمصمغان ملك دنباوند معسكرا بازائه فلما بلغه دخول الجنود بلاده وخول أبى الخصيب سايره فقال المصمغان للاصبهبذ متى قهر وك صاروا الى فاجتمعوا على حرب المسلمين فانصرف الاصبهبذ الى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب فوجه المنصور عمر بن العلاء الى طبرستان وهو الذى يقول فيه بشار

اذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم

وكان عاملا بيلاد طبرستان فأخذ الجنود وقصد الرويان وفتحها وأخذ قلعة الطاق ومافيها وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر وسار الاصبهبذ الى قلعته فطلب الامان على ان يسلم القلعة بمافيها من الذخائر وكتب المهدى بذلك الى المنصور فوجه المنصور صالحا صاحب المصلى فحصوا ما فى الحصن وانصرفوا ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم فمات بها وأخذت ابنته وهى أم ابراهيم بن العباس بن محمد وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالحيرة أم منصور بن المهدى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة عزل زياد بن عبيد الله الحرثى عن مكة والمدينة والطائف واستعمل على المدينة محمد ابن خالد بن عبد الله القسرى فى رجب وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكى من أهل خراسان وفيها توفى موسى بن كعب وهو على شرط المنصور وعلى مصر والهند وخليفته على الهند عيينة ابنه وكان قد عزل موسى عن مصر وليها محمد بن الاشعث ثم عزل وليها نوفل بن محمد بن الفرات وحج بالناس هذه السنة صالح بن على بن عبد الله بن عباس وهو على الشام وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى خراسان المهدى وخليفته بها السرى بن عبد الله وعلى الموصل اسمعيل بن على وفيها مات سعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الانصارى وأبان ابن تغلب القارئ

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة ﴾

﴿ ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب ﴾

فى هذه السنة خلع عيينة بن موسى بالسند وكان عاملا عليها وسبب خلعه ان أباه كان استخلف المسيب بن زهير على الشرط فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلى من الشرط وخاف ان يحضر المنصور عيينة فيوليه ما كان الى أبيه فكتب اليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب الى نفسه

فارضك أرضك ان تأتنا * تنم نومة ليس فيها حلم

فخلع الطاعة فلما بلغ الخبر الى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة ووجه عمر بن حفص ابن أبى صفراء العتكى عاملا على السند والهند فحاربه عيينة فسار حتى ورد السند فغلب عليها

﴿ ذكر نكث الاصبهبذ ﴾

وفى هذه السنة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فلما انتهى الخبر الى المنصور سير مولاه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة وروح بن حاتم فأقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب فى ذلك فقال لاصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك به ولحق بالاصبهبذ فقال له فعل بى هذا تهمة منهم لى ان يكون هواى معك واخبره أنه معه وانه دليل على عورة عسكرهم فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله

ونكثوا بيعتى اللهم احقن دماء المسلمين وبعث اليهم من يناشدهم الله فى الدماء وقال علام يقاتلونى فأبوا الا الحرب فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعو الى الله فرموه بسهم فقتلوه فحمل الى على وقالت أمه

يارب ان مسلما أتاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم
وأمه قائمة تراهم

وأمر على رضى الله عنه ان يصافوهم ولا يبدؤهم بقتال ولا يرموهم بسهم ولا يضربوهم ولا يطعنوهم برمح حتى جاء عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى من الميمنة بأخ له مقتول وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمى بسهم فقتل فقال على اللهم اشهد وأعذروا الى القوم ثم قام عمار بن ياسر بين الصفين فقال أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كفقتم عتقاء تلك الحدور وأبرزتم عقيلته للسيوف وعائشة على جمل فى هودج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود قد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فنادى الى ماذا تدعينى قالت الى الطلب بدم عثمان فقال قتل الله فى هذا اليوم الباغى والطالب بغير الحق ثم قال أيها الناس انكم لتعلمون أينا المماليك فى قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل

فمنك البكاء ومنك العويل

ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام

وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه فقال ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب فقام علي رضي الله عنه فقال أيها الناس اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ولا تهتكوا سترا ولا تقربوا من أموالهم الا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله وخرج على بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير اخرج الي فخرج شاكا في سلاحه فقيل لعائشة فقالت واحرباه باسماء فقيل لها ان عليا حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له علي ويحك يا زبير ما الذي أخرجك قال دم عثمان قال قتل الله أولادنا بدم عثمان أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني بياضة وهو راكب حماره فضحك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحكت أنت معه فقلت أنت يا رسول الله ما يدعني على زهوه فقال لك ليس به زهو أتحبه يا زبير فقلت اني والله لاحبه فقال لك انك والله ستقاتله

في خاصته وألطفه وكان باب حصنهم من حرير يلقى القاء يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وكان الاصبهبذ يوكل به ثقات أصحابه نوبا بينهم فلما وثق الاصبهبذ الى أبي الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به ثم كتب أبو الخصيب الى روح وخازم وألقى الكتاب في سهم واعلمهم انه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة في فتح الباب فلما كان تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من في الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية وأخذوا اسكار أم ابراهيم بن المهدي وكان مع الاصبهبذ فشربه فمات وقد قيل ان ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها مات سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على البصرة في جمادى الآخرة وعمره تسع وخمسون سنة وصلى عليه أخوه عبد الصمد وفيها عزل نوفل بن الفرات عن مصر وولي حميد بن قحطبة وحج بالناس اسمعيل بن علي بن عبد الله وكان العمال من تقدم ذكرهم وولى المنصور الجزيرة والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد وعزل المنصور عمه اسمعيل بن علي عن الموصل فاستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعي جد احمد بن نصير الذي قتله الواثق وكان خيرا أمير وفيها مات يحيى بن سعد الانصاري أبو سعيد قاضي المدينة وقيل سنة ثلاث وقيل سنة أربع وأربعين وفيها مات موسى بن عتبة مولى آل الزبير وفيها توفي أيضا عاصم بن سليمان الاحول وقيل سنة ثلاث وأربعين وفيها مات حميد بن أبي حميد طرخان وقيل مهران مولى طلحة بن عبد الله الخزاعي وهو حميد الطويل يروي عن أنس بن مالك وعمره خمس وسبعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة ﴾

في هذه السنة ثار الديلم بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة فبلغ ذلك المنصور فندب الناس الى قتال الديلم وجهادهم وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف وولى ذلك السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس وكان على اليمامة فسار الى مكة واستعمل المنصور على اليمامة قثم بن عباس ابن عبد الله وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر واستعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل واستعمل عليها يزيد بن حاتم وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وكان اليه ولاية الكوفة وفيها ثار بالاندلس رزق بن النعمان الغساني على عبد الرحمن وكان رزق على الجزيرة الخضراء فاجتمع اليه خلق عظيم فسار الى شذونة فملكها ودخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وضيق على من بها فتقربوا اليه بتسليم رزق اليه فقتله فأمنهم ورجع عنهم وفيها مات عبد الرحمن بن عطاء صاحب الشارعة وهي نخل وسليمان بن طرخان التيمي وأشعث بن سوار ومجالد بن سعيد

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة ﴾

في هذه السنة سير أبو جعفر الناس من الكوفة والبصرة والجزيرة والموصل الى غزو الديلم واستعمل عليهم محمد بن أبي العباس السفاح وفيها رجع المهدي من خراسان الى العراق وبنى بريطة ابنة عمه السفاح وفيها حج المنصور واستعمل على عسكره والحيرة خازم بن خزيمة

﴿ ذكر استعمال رياح بن عثمان المري على المدينة وأمر محمد بن عبد الله بن الحسن ﴾

وفيها استعمل المنصور على المدينة رياح بن عثمان المري وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري عنها وكان سبب عزله وعزل زياد قبله ان المنصور أتهم أمر محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وتخافهما عن الحضور عنده مع من حضره من بني هاشم عام حج أيام

السفاح سنة ست وثلاثين وذكر ان محمد بن عبد الله كان يزعم ان المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان بن محمد فلما جاء المنصور سنة ست وثلاثين سأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثي ما يهمك من أمرهما انا آتيك بهما وكان معه بمكة فرده المنصور الى المدينة فلما استخلف المنصور لم يكن همه الا أمر محمد والمسئلة عنه وما يريد فدعا بني هاشم رجلا رجلا يسأله سرا عنه فكلهم يقول قد علم انك عرفته يطلب هذا الامر فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافا وما أشبه هذا الكلام الا الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب فانه أخبره خبره وقال له والله ما آمن وثوبه عليك فانه لا ينام عنك فايقظ بكلامه من لا ينام فكان موسى بن عبد الله بن الحسن يقول بعد ذلك اللهم اطلب حسن بن زيد بما شئت ثم ألح المنصور على عبد الله بن الحسن في احضار ابنه محمد سنة حج فقال عبد الله لسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يا أخي بيننا من الصهر والرحم ما تعلم فما ترى فقال سليمان والله لكأني أنظر الى أخي عبد الله بن علي حين حال المية بينه وبينناوهو يشير الينا هذا الذي فعلتم بي فلو كان عافيا عفا عن عمه فقبل عبد الله رأي سليمان وعلم أنه قد صدقه ولم يظهر ابنه ثم ان المنصور اشترى رقيقا من رقيق الاعراب وأعطى الرجل منهم البعير والرجل البعيرين والرجل الذود وفرقهم في طلب محمد في ظهر المدينة وكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال يسألون عنه وبعث المنصور عينا آخر وكتب معه كتابا على ألسن الشيعة الى محمد يذكرون طاعتهم ومسارعتهم وبعث معه بمال والطاف وقدم الرجل المدينة فدخل على عبد الله بن الحسن بن الحسن فسأله عن ابنه محمد فذكر له فكتم له خبره فتردد الرجل اليه وألح في المسئلة فذكر أنه في جبل جهينة فقال له امر ربعلي ابن الرجل الصالح الذي يدعى الاغر وهو بذي الابرقهو يرشدك فاتاه فارشده وكان للمنصور كاتب على سره يتشيع فكتب الى عبد الله بن الحسن يخبره بذلك العين فلما قدم الكتاب ارتاع واله وبعثوا أبا هبار الى محمد والى علي بن الحسن يحذرهما الرجل فخرج أبو هبار فنزل بعلي بن الحسن وأخبره ثم سار الى محمد بن عبد الله في موضعه الذي هو به فاذا هو جالس في كهف ومعه جماعة من أصحابه وذلك العين معهم أعلاهم صوتا وأشدهم انبساطا فلما رأى أبا هبار خافه فقال أبو هبار لمحمد لي حاجة فقام معه وأخبره الخبر فقال فما الرأي قال أرى احدى ثلاث قال وما هي قال تدعني أقتل هذا الرجل قال ما أنا مقارف دما الا كرها قال أثقله حديدا وتنقله معك حيث تنقلب قال وهل لنا قرار مع الخوف والاعجال قال نشده ونودعه عند بعض أهلك من جهينة قال هذه اذا فرجها فلم يريا الرجل فقال محمد أين الرجل قالوا تركوه مهملا وتوارى بهذا الطريق يتوضأ فطلبوه فلم يجدوه فكأنما الارض التأمت عليه وسعى على قدميه حتى اتصل بالطريق فربه الاعراب معهم حمولة الى المدينة فقال لبعضهم قرغ هذه الغرارة فاخلنها أكن عدلا لصاحبتها ولك كذا وكذا ففعل وحمله حتى أقدمه المدينة ثم قدم على المنصور وأخبره خبره كله ونسي اسم أبي هبار وكنيته وقال وبار وكتب أبو جعفر في طلب وبار المري فحمل اليه رجل اسمه وبر فسأله عن قصة محمد فحلف له انه لا يعرف من ذلك شيأ فامر به وضرب سبعمائة سوط وحبس حتى مات المنصور ثم انه أحضر عقبة ابن سلم الازدي فقال أريدك لامر أنا به معن لم أزل ارتاد له رجلا عسى ان تكونه وان كفيتنيه رفعتك فقال أرجو ان أصدق ظن أمير المؤمنين في قال فأخف شخصك واستر أمرك واتني يوم كذا وكذا في وقت كذا فأتاه ذلك الوقت فقال له ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيد الملك واغتيالا له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم والطاف

وأنت له ظالم فقال الزبير أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت فقال يا زبير ارجع فقال وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي لا يغسل فقال يا زبير ارجع بالعار قبل ان تجمع العار والنار فرجع الزبير وهو يقول

اخترت عارا على نار موجعة
ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بامر لست أجهله
عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن
ببعض هذا الذي قد قلت يكفيني
فقال ابنه عبد الله أين تدعنا
فقال يا بني اذكرني أبو حسن
بأمر كنت قد أنسيته فقال
لا والله ولكنك فررت من
سيوف بني عبد المطلب فانها
طوال حداد تحملها فتية انجاد
قال لا والله ولكني ذكرت
ما أنسانيه الدهر فاخترت العار
على النار أيا لجبن تعيرني
لا أبا لك ثم أمال سنانه وشد في
الميمنة فقال علي افرجوا له فقد
هاجوه ثم رجع فشد في
الميسرة ثم رجع فشد في القلب
ثم عاد الى ابنه فقال أيفعل
هذا جبان ثم مضى منصرفا
حتى اتى وادي السباع
والاحنف بن قيس معتزل في
قومه من بني تميم فاتاه آت فقال
له هذا الزبير مارا فقال ما أصنع
بالزبير وقد جمع بين فئتين
عظيمتين من الناس يقتل
بعضهم بعضا وهو مار الى منزله
سالما فلحقه نفر من بني تميم
فسبقهم اليه عمرو بن جرموز

من ألطاف بلادهم فاخرج بكتبي وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكرا بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تعلم حالهم فان كانوا نزعوا عن رأيهم فاحبب واللهبهم وأقرب وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر فاشخص حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا ومتقشفا فان جهك وهو فاعل فاصبر وعاوده حتى يأنس بك وباين لك ناحيته فاذا أظهر لك ما قبله فاعجل على فشخص حتى قدم على عبد الله فلقيه بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم فلم يزل يتردد اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به فسأله عقبة الجواب فقال أما الكتاب فاني لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فأقرئهم السلام واعلمهم انني خارج لوقت كذا وكذا ورجع عقبة الى المنصور فأعلمه الخبر فأنشأ المنصور الحج وقال لعقبة اذا لقيني بنو الحسن فيهم عبد الله بن الحسن فأنا مكرمه ورافع محلته وداع بالغداء فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثل بين يديه قائما فانه سيصرف عنك بصره فاستدر حتى ترمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينه منك ثم حسبك واياك ان يرى شمادام يأكل فخرج الى الحج فلما لقيه بنو الحسن أجلس عبد الله الى جانبه ثم دعا بالغداء فاصابوا منه ثم رفع فاقبل على عبد الله بن الحسن فقال له قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيدني سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين فلحظ المنصور عقبة بن سلم فاستدار حتى وقف بين يدي عبد الله فاعرض عنه فاستدار حتى قام وراء ظهره فغمزه باصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه فوثب حتى قعد بين يدي المنصور فقال اماني يا أمير المؤمنين أما لك الله قال لا أماني الله ان أملتك ثم أمر بحبسه وكان محمد قد قدم قبل ذلك البصرة فنزلها في بني راسب يدعو الى نفسه وقيل نزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مرة بن عبيد ثم خرج منها فبلغ المنصور مقدمه البصرة فسار اليها مجدا فنزل عند الحر الاكبر فلقيه عمر بن عبيد فقال له يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا قال لا قال فانتصر على قولك وانصرف قال نعم وكان محمد قد سار عنها قبل مقدم المنصور فرجع المنصور واشتد الخوف على محمد وابراهيم ابني عبد الله فخرجا حتى أتيا عدن ثم سارا الى السند ثم الى الكوفة ثم الى المدينة وكان المنصور قد حج سنة أربعين ومائة فقسم أموال الاعظمة في آل أبي طالب فلم يظهر محمد وابراهيم فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال لا علم لي بهما فتغاظ فامصه أبو جعفر المنصور حتى قال له امصص كذا وكذا من أمك فقال يا أبا جعفر بأي أمهاتي تمصني أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت الحسين بن علي أم بأم اسحق بنت طلحة أم بخديجة بنت خويلد لا بواحدة منهن ولكن بالحرباء بنت قسامة بن زهير وهي امرأة من طيء فقال المسيب بن زهير يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة فقام زياد ابن عبيد الله فالقى عليه رداءه وقال هبه الي أمير المؤمنين فاستخرج لك ابنيه فتخلصه وكان محمد وابراهيم ابنا عبد الله قد تغيبا حين حج المنصور سنة أربعين ومائة عن المدينة وحج أيضا فاجتمعوا بمكة وأرادوا اغتيال المنصور فقال لهم الاشتر عبد الله بن محمد انا أكفيكموه فقال محمد لا والله لا أقتله أبدا غيلة حتى أدعوه لينقض ما كانوا أجمعوا عليه وكان قد دخل عليهم قائد من قواد المنصور من أهل خراسان اسمه خالد بن حسان يدعى أبا العساكر على ألف رجل ففي الخبر الى المنصور فطلب فلم يظفر به فظفر باصحابه فقتلهم وأما القائد فانه لحق بمحمد بن عبد الله بن محمد ثم ان المنصور حث زياد بن عبيد الله على طلب محمد وابراهيم فضمن له ذلك ووعده به فقدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زيادا فتلطف له وأعطاه الامان على ان يظهر وجهه للناس فوعده محمد ذلك فركب زياد مع المساء ووعد محمد سوق الظهر وركب محمد فتصايح الناس يا أهل المدينة المهدي المهدي فوقف هو

وقد نزل الزبير الى الصلاة فقال
أتؤمني أو أؤمك فامه الزبير
فقتله عمرو في الصلاة وقتل
الزبير رضي الله عنه وله خمس
وسبعون سنة وقد قيل ان
الاحنف بن قيس قتله بارسال
من أرسل من قومه وقد رثته
الشعراء وذكرت غدر ابن
جرموز به وممن رثاه زوجته
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن
نفيل أخت سعيد بن زيد
فقالت

غدر ابن جرموز بفارس بهمة
يوم اللقاء وكان غير معدد
يا عمرو لو نبهته لوجدته
لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
هبلتك أمك أن قتلت لمسلما
حلت عليك عقوبة المتعمد
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
فيمن مضى ممن يروح ويغتدي
وأتى عمرو عليا بسيف الزبير
وخاتمه ورأسه وقيل انه لم يأت
برأسه فقال على سيف طال
ما جلا الكرب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكنه الجبن
ومصارع السوء وقاتل ابن
صفية في النار في ذلك يقول
عمرو بن جرموز التميمي
أتيت عليا برأس الزبير
وقد كنت أرجو به الزلفه
فبشر بالنار قبل العيان
وبئس بشارة ذي التحفة
لسيان عندي قتل الزبير
ورضرطة عنز بذي الجحفة
ثم نادى علي رضي الله عنه
طلحة حين رجع الزبير يا أبا محمد
ما الذي أخرجك قال الطلب
بدم عثمان قال علي قتل الله

وزياد فقال زياد يا أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قال له الحق بأى بلاد الله شئت فتوارى محمد وسمع المنصور الخبر فارسل أبا الازهر فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ومائة الى المدينة فامره ان يستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب وان يقبض على زياد وأصحابه ويسير بهم اليه فقدم أبو الازهر المدينة ففعل ما أمره وأخذ زيادا وأصحابه وسار نحو المنصور وخلف زياد فى بيت مال المدينة ثمانين ألف دينار فسجنهم المنصور ثم من عليهم بعد ذلك واستعمل المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وأمره بطلب محمد بن عبد الله وبسط يده فى النفقة فى طلبه فقدم المدينة فى رجب سنة احدى وأربعين فاخذ المال ورفع فى محاسبته أموالا كثيرة انفقها فى طلب محمد فاستبطأه أبو جعفر واتهمه فكتب اليه يأمره بكشف المدينة واعراضها فطاف ببيوت الناس فلم يجد محمدا فلما رأى المنصور ما قد أخرج من الاموال ولم يظفر بمحمد استشار أبا العلاء رجلا من قيس عيلان فى أمر محمد بن عبد الله وأخيه فقال أرى ان تستعمل رجلا من ولد الزبير أو طلحة فانهم يطلبونهما بدخل ويخرجونهما اليك فقال قاتلك الله ما أجود ما رأيت والله ما خفى على هذا ولكنى أعاهد الله لا انتقم من بنى عمى وأهل بيتى بعدوى وعدوهم ولكنى أبعث عليهم صعلوكا من العرب يفعل بهم ما قلت فاستشار يزيد بن يزيد السلمى وقال له دلنى على فتى عقل من قيس أعينه وأشرفه وأمكنه قال هو سيد اليمن يعنى ابن القشيرى وهو رياح بن عثمان بن حيان المرى فسيره أميرا على المدينة فى رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ان رياحا ضمن للمنصور ان يخرج محمدا وابراهيم ابنى عبد الله ان استعمله على المدينة فاستعمله عليها فسار حتى دخلها فلما دخل دار مروان وهى التى كان ينزلها الامراء قال لحاجب كان له يقال له أبو البختري هذه دار مروان قال نعم قال أما انها محلال مظعان ونحن أول من يظعن منها فلما تفرق الناس عنه قال لحاجبه يا أبا البختري خذ بيدى ندخل على هذا الشيخ يعنى عبد الله بن الحسن فدخلا عليه فقال رياح أيها الشيخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة ولا ليد سلفت اليه والله لا لعبت فى كما لعبت بزياد وابن القسرى والله لازهقن نفسك أو لتأتينى بابنيك محمد وابراهيم فرفع رأسه اليه وقال نعم اما والله انك لازرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة قال أبو البختري فانصرف والله رياح آخذا بيدى اجد برديه وان رجليه ليخطان الارض مما كلمه قال فقلت له ان هذا ما اطلع على الغيب فقال ايها ويلك فوالله ما قال الا ما سمع فذبح كما تذبح الشاة ثم انه دعا بالقسرى وسأله عن الاموال وضربه وسجنه وأخذ كاتبه زراعا وعاقبه فاكثر وطلب اليه ان يذكر ما أخذ محمد بن خالد من الاموال وهو لا يجيبه فلما طال عليه العذاب أجابه الى ذلك فقال له رياح احضر الرفيعة وقت اجتماع الناس ففعل ذلك فلما اجتمع الناس احضره فقال أيها الناس ان الامير أمرنى ان أرفع على بن خالد وقد كتب كتابا خان فيه وانا لنشهدكم ان كل ما فيه باطل فامر رياح فضرب مائة سوط ورد الى السجن وجد رياح فى طلب محمد فأخبر انه فى شعب من شعاب رضوى جبل جهينة وهو فى عمل ينبع فامر عامله فى طلب محمد فهرب منه راجلا فافلت وله ابن صغير ولد فى خوفه وهو مع جارية له فسقط من الجبل فقطع فقال محمد

منخرق السربال يشكو الوجى * مسكبه اطراف مرو حداد
شرّده الخوف فازرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

وبينا رياح يسير فى الحرة اذ لقى محمدا فعدل محمد الى بئر هناك فجعل يستقى فقال رياح قاتله الله أعرابيا أولانا بدم عثمان أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنت أول من باديني ثم نكثت وقد قال الله عز وجل ومن نكث فانما ينكث على نفسه فقال أستغفر الله ثم رجع فقال مروان بن الحكم رجع الزبير ويرجع طلحة ما أبالى رميت ههنا أم ههنا فرماه فى أكحله فقتله فثربه على بعد الوقعة فى موضعه فى قنطرة قرة فوقف عليه فقال انا لله وانا اليه راجعون والله لكنت كارها لهذا أنت والله كما قال القائل

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه
وفى خده الشعرى وفى الآخر البدر

وذكر أن طلحة رضى الله عنه لما ولى سمع وهو يقول

ندامة هاندمت وضل حلمى
ولهفى ثم لهف أبى وأمى
ندمت ندامة الكسعى لما
طلبت رضا بنى حزم بزعمى

وهو يمسح عن جبينه الغبار وهو يقول وكان أمر الله قدرا مقدورا وقيل انه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه فى جبهته عبد الملك ورماه مروان فى أكحله وقد وقع صريعا يجود بنفسه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان ابن عبيد الله بن عمر بن كعب ابن سعيد بن تيم الله وهو ابن عم أبى بكر الصديق ويكنى أبا محمد

ما أحسن ذراعه

﴿ذكر حبس أولاد الحسن﴾

قد ذكرنا قبل ان المنصور حبسهم وقد قيل أيضا ان رياحا هو الذى حبسهم قال على بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على حضرنا باب رياح فى المقصورة فقال الآذن من كان ههنا من بنى الحسين فليدخل فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان ثم قال من ههنا من بنى الحسن فليدخل فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدادون من بنى مروان فدعا بالقيود فقيدهم وحبسهم وكانوا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على والحسن وابراهيم ابنى الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن بن الحسن وسليمان وعبد الله ابنى داود بن الحسن بن الحسن ومحمدا واسمعيل واسحق بنى ابراهيم بن الحسن بن الحسن وعباس بن الحسن بن الحسن بن على وموسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن فلما حبسهم لم يكن فيهم على بن الحسن بن الحسن بن على العابد فلما كان الغد بعد الصبح واذ قد أقبل رجل متلفف فقال له رياح مرحبا بك ما حاجتك قال جئتك لتحبسنى مع قومى فاذا هو على بن الحسن بن الحسن فحبسه معهم وكان محمد قد أرسل ابنه عليا الى مصر يدعو اليه فبلغ خبره عامل مصر وقيل ابه على الوثوب بك والقيام عليك بمن شايعه فقبضه وأرسله الى المنصور فعرف له وسمى أصحاب أبيه وكان فيمن سمى عبد الرحمن بن أبى الوالى وأبو حبير فضربهما المنصور وحبسهما وحبس عليا فبقى محبوسا الى ان مات وكتب المنصور الى رياح ان يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالديباج وكان أخا عبد الله بن الحسن بن الحسن لان امهما جميعا فاطمة بنت الحسين بن على فأخذه معهم وقيل ان المنصور حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وحده وترك باقى أولاد الحسن فلم يزل محبوسا فبقى الحسن بن الحسن بن الحسن قد فصل خطابه حزنا على أخيه عبد الله وكان المنصور يقول ما فعلت الجادة ومر الحسن بن الحسن بن الحسن على ابراهيم بن الحسن وهو يعلف ابلا له فقال اتعلف ابلك وعبد الله محبوس يا غلام أطلق عقالها فاطلقها ثم صاح فى ادبارها فلم يوجد منها بعير فما طال حبس عبد الله بن الحسن قال عبد العزيز بن سعيد للمنصور اتطمع فى خروج محمد وابراهيم وبنو الحسن مخلون والله للواحد منهم اهيب فى صدور الناس من الاسد فكان ذلك سبب حبس الباقين

﴿ذكر حملهم الى العراق﴾

ولما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة ارسل محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس الى بنى الحسن وهم فى الحبس يسألهم ان يدفعوا اليه محمدا وابراهيم ابنى عبد الله فدخلا عليهم وعبد الله قائم يصلى فابلغاهم الرسالة فقال الحسن بن الحسن أخو عبد الله هذا عمل ابنى المشومة اما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملامنا ولنا فيه حكم فقال له أخوه ابراهيم علام تؤذى اخالك فى ابنيه وتؤذى ابن أخيك فى أمه ثم فرغ عبد الله من صلاته فابلغاه الرسالة فقال لا والله لا أردّ عليه كما حرفا ان أحب ان يأذن لى فالقاه فليفعل فانطلق الرسولان فابلغا المنصور فقال أيسخر بى لا والله لا ترى عينه عينى حتى يأتينى بابنيه وكان عبد الله لا يحدث أحدا قط الا قبله عن رأيه ثم سار المنصور لوجهه فلما جاز ورجع لم يدخل المدينة ومضى الى الربذة فخرج اليه رياح الى الربذة فردّه الى المدينة وأمره باشخاص بنى الحسن اليه ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخو بنى الحسن لامهم فرجع رياح فأخذهم وسار بهم الى الربذة وجعلت القيود والسلاسل فى رجلهم وأعناقهم وجعلهم فى محامل بغير وطاء ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد من وراء ستر يراهم ولا يرونه وهو يبكى ودموعه تجرى على لحيته وهو يدعو الله ثم قال والله

وأمه الصعبة وكانت ابنة أبى سفيان صخر بن حرب كذلك ذكر الزبير بن بكار فى كتابه فى انساب قريش وقتل وهو ابن أربع وستين سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبصرة وقبره ومسجده الى هذه الغاية وقبر الزبير بوادى السباع وقتل محمد ابن طلحة مع أبيه فى ذلك اليوم ومر به على فقال هذا رجل قتله بره بابيه وطاعته وكان يدعى بالسجاد وقد تنوزع فى كنيته فقال الواقدى كان يكنى بابى سليمان وقال الهيثم بن عدى كان يكنى بابى القاسم وفيه يقول قاتله

وأشعث مجاد بآيات ربه
قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه
فخر صريعا لليدين وللفم
على غير شئ غير ان ليس تابعا
عليا ومن لا يتبع الحق يندم
يذكرنى حاميم والرمح شارع
فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة على وميسرته فكشفوها فاتاه بعض ولد عقيل وعلى يخفق نعاسا على قربوس سرجه فقال له يا عم قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى وأنت تخفق نعاسا فقال اسكت يا ابن اخى فان لعمك يوما لا يعدوه والله لا يبالى عمك وقع على الموت أو وقع الموت عليه ثم بعث الى ولد محمد بن الحنفية وكان صاحب رايته احمل على القوم فابطأ محمد عليه وكان بازائه قوم من الرماة ينتظر

لا يحفظ الله حرميه بعد هؤلاء ولما ساروا كان محمد وابراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الاعراب فيتساران مع أبيهما ويستأذنان بالخروج ويقول لا تفعلا حتى يمكنكما ذلك وقال لهما ان منعكما أبو جعفر يعني المنصور ان تعيشا كريمين فلا يمنعكما ان تموتا كريمين فلما وصلوا الى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثماني على المنصور وعليه قميص وازار رقيق فلما وقف بين يديه قال ايها الباديوث قال محمد سبحان الله لقد عرفتني بغير ذلك صغيرا وكبيرا قال فمن حملت ابنتك رقية وكانت تحت ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وقد أعطيتني الأيمان ان لا تغشني ولا تعاني على عدوا أنت ترى ابنتك حاملا وزوجها غائب وأنت بين ان تكون حائنا أو ديوثا وايم الله اني لاهم برجمها قال محمد أما أيماني فهي علي ان كنت دخلت لك في أمر غش علمته وأما ما رميت به هذه الجارية فان الله فداكرمها بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها ولكني ظننت حين ظهر حملها ان زوجها الم بها على حين غفلة فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه عن ازاره فحكى ان عورته قد كشفت ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفتري عليه لا يكني فاصاب سوط منها وجهه فقال ويحك اكفف عن وجهي فان له حرمة برسول الله صلى الله عليه وسلم فاغرى المنصور فقال للجلاد الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا وأصاب احدى عينيه سوط فسالت ثم أخرج وكأنه نجي من الضرب وكان من أحسن الناس وكان يسمى الديباج لحسنه فلما أخرج وثب اليه مولى له فقال ألا أطرح ركائي عليك قال بلى جزيت خيرا والله انك لمشغوف ازاري أشد على من الضرب وكان سبب أخذه ان رياحا قال للمنصور يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب وأما أهل الشام فوالله ما على عندهم الا كافر ولكن محمد ابن عبد الله العثماني لودعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد فوقعت في نفس المنصور فأمر به فأخذ معهم وكان حسن الرأي فيه قبل ذلك ثم ان أباعون كتب الى المنصور ان أهل خراسان قد تغاشوا عني وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله فأمر المنصور بمحمد بن عبد الله بن عمرو العثماني فقتل وأرسل رأسه الى خراسان وأرسل معه من يحلف انه رأس محمد بن عبد الله وان أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن انا لله وانا اليه راجعون ان كنا لنأمن به في سلطانهم ثم قد قتل بنا في سلطاننا ثم ان المنصور أخذهم وساربهم من الربذة فتربهم على بغلة شقراء فناداه عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا باسرائكم يوم بدر فأخسأه أبو جعفر وثقل عليه ومضى فلما قدموا الى الكوفة قال عبد الله لمن معه اما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية قال فلقيه الحسن وعلي ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد قال قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيأ فانصرفا ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن وكان أحسن الناس صورة فقال له أنت الديباج الاصغر قال نعم قال لاقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبني عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم ثم عبد الله بن الحسن فدفن قريبا من حيث مات فان يكن في القبر الذي يزعم الناس انه قبره والا فهو قريب منه ثم مات علي بن الحسن وقيل ان المنصور أمر بهم فقتلوا وقيل بل أمر بهم فسقوا السم وقيل وضع المنصور على عبد الله من قال له ان ابنه محمدا قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات والله أعلم ولم ينج منهم الا سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن علي واسحق واسمعيل ابنا ابراهيم بن الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن وانقضى أمرهم

نفاد سهامهم فأتاه علي فقال هلا حملت فقال لا أجد متقدما الا على سهم أو سنان واني لمنتظر نفاد سهامهم وأحمل فقال احمل بين الاسنة فان للموت عليك جنة فحمل محمد فسكن بين الرماح والنشاب فوقف فاتاه علي فضربه بقائم سيفه وقال أدركك عرق من أمك وأخذ الراية وحمل وحمل الناس معه فما كان القوم الا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وطافت بنو أمية بالجمل وأقبلوا يرتجزون ويقولون

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل
ننازل الموت اذا الموت نزل

ردوا علينا شيخنا ثم بجل

عثمان ردوه بأطراف الاسل والموت أحلى عندنا من العسل

وقطع علي خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة معهم كعب ابن سور القاضي متقلدا مصحفا كلما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الخطام وقال انا الغلام الضبي ورمى الهودج بالنشاب والنبل حتى صار كأنه قنفد وعرقب الجمل وهو لا يقع وقد قطعت أعضاؤه وأخذته السيوف حتى سقط ويقال ان عبد الله بن الزبير قبض على خطام الجمل وهو لا يقع وقد ناشده علي فخلى عنه ولما سقط الجمل ووقع الهودج جاء محمد بن أبي بكر فادخل يده فقالت من أنت قال أقرب الناس قرابة وأبغضهم اليك أنا محمد أخوك فيقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شيء قالت ما أصابني

﴿ذكر عدة حوادث﴾

كان على مكة هذه السنة السرى بن عبد الله وعلى المدينة رياح بن عثمان وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سفيان بن معاوية وعلى مصر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وهو الذى قال فيه يزيد بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السلمى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

فى أبيات كثيرة وكان ممدحا جوادا وفيها ثار هشام بن عذرة الفهرى وهو من بنى عمرو ويوسف ابن عبد الرحمن الفهرى بطليطلة على الامير عبد الرحمن الاموى فاتبعه من فيها فسار اليه عبد الرحمن فحاصره وشدد عليه الحصار فمال الى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأخذه عبد الرحمن ورجع الى قرطبة فرجع هشام وخلع عبد الرحمن فعاد اليه عبد الرحمن وحاصره ونصب عليه المجانيق فلم يؤثر فيها لحصانتها فقتل أفلح ابنه ورمى رأسه فى المنجنيق ورحل الى قرطبة ولم يظفر بهشام وفيها مات عبد الله بن شبرمة وعمرو بن عبيد المعتزلى وكان زاهدا وبريد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية وعقيل بن خالد الايلى صاحب الزهرى وكان موته بمصر فجأة ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى أبو الحسن المدنى وهاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المدنى (بريد بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وعقيل بضم العين المهملة وفتح القاف

﴿ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن﴾

فى هذه السنة كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وقيل رابع عشر شهر رمضان وقد ذكرنا فيما تقدم أخباره وتبعته وحمل المنصور أهله الى العراق فلما حملهم وسار بهم رد رياحا الى المدينة أميرا عليها فالح فى طلب محمد وضيق عليه وطلبه حتى سقط ابنه فمات وأرهقه الطلب يوما فتدلى فى بئر بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس فى الماء الى حلقه وكان بدنه لا يخفى لعظمه وبلغ رياحا خبر محمد وانه بالمذار فركب نحوه فى جنده فتنحى محمد عن طريقه واختفى فى دار الجهنية فحيث لم يره رياح رجع الى دار مران وكان الذى أعلم رياحا سليمان بن عبد الله بن أبي سبرة فلما اشتد الطلب بمحمد خرج قبل وقته الذى واعد أخاه ابراهيم على الخروج فيه وقيل بل خرج محمد ليعاده مع أخيه وانما أخوه تأخر لجدرى لحقه وكان عبيد الله بن عمرو بن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمد بن عبد الله ما تنتظره بالخروج فوالله ما على هذه الامة اشأم منك اخرج ولو وجدك فتحرك بذلك أيضا وأتى رياحا الخبر ان محمدا خارج الليلة فاحضر محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضى المدينة والعباس بن عبد الله بن الحرث بن العباس وغيرهما عنده فصمت طويلا ثم قال لهم يا أهل المدينة أمير المؤمنين يطلب محمدا فى شرق الارض وغربها وهو بين اظهركم واقسم بالله لئن خرج لاقتلنكم أجمعين وقال لمحمد بن عمران أنت قاضى أمير المؤمنين فادع عشيرتك فارسل تجمع بنى زهرة فارسل فجاؤا فى جمع كثير فاجلسهم بالباب فارسل فأخذ نفرا من العلويين وغيرهم فيهم جعفر بن محمد بن على ابن الحسين والحسين بن على بن الحسين بن على والحسن بن على بن الحسن بن على بن الحسين بن على ورجال من قريش فيهم اسمعيل بن أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وابنه خالد فبينما هم عنده اذ ظهر محمد فسمعوا التكبير فقال ابن مسلم بن عقبة المرى اطعى فى هؤلاء واضرب أعناقهم فقال له الحسين بن على بن الحسين بن على والله ما ذا اليك انا لعلى السمع والطاعة وأقبل محمد من

الاسهم لم يضرنى فجاء على حتى وقف عليها فضرب الهودج بقضيب وقال ياحميراء رسول الله أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقرى فى بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك اذ صانوا عقائلهم وأبرزوك وأمر أخاها محمدا فأنزلها فى دار صفية بنت الحرث بن أبي طلحة العبدى وهى أم طلحة الطلحات ووقع الهودج والناس مفترقون يقتتلون والتقى الاشتر بن مالك بن الحرث النخعى وعبد الله بن الزبير فاعتركا وسقطا الى الارض عن فرسيهما والناس حولهم يجولون وابن الزبير ينادى

اقتلونى ومالكا

واقتلوا مالكا معى

فلا يسمعهما احد لشدة الجلاد ووقع الحديد ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج وجاء ذوا الشهادتين خزيمة بن ثابت الى على فقال يا أمير المؤمنين لا تنكس اليوم رأس محمد واردد اليه الراية فدعا به ورد عليه الراية وقال

اطعنهم طعن أبيك تحمد

لا خير فى حرب اذا لم توقد

بالمشرفى والقنا المسرد

ثم استسقى فأتى بعسل وماء فحسا منه حسوة وقال هذا الطائى وهو غريب البلد فقال له عبد الله بن جعفر ما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا قال انه والله يا بنى ما حلا بصدر عمك شئ قط من أمر الدنيا ثم دخل البصرة وكانت الوقعة

المذار فى مائة وخمسين رجلا فاتى فى بنى سلمة بهؤلاء تفاؤلا بالسلامة وقصد السجن فكسر بابه وأخرج من فيه وكان فيهم محمد بن خالد بن عبد الله القسرى وابن أخى النذير بن يزيد ورزام فاخرجهم وجعل على الرجالة خوات بن بكير بن خوات بن جبير وأتى دار الامارة وهو يقول لاصحابه لا تقتلوا الا ان يقتلوا فامتنع منهم رياح فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحا أسيرا وأخاه عباسا وابن مسلم بن عقبة المرى فحبسهم فى دار الامارة ثم خرج الى المسجد فصعد المنبر فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه قد كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبى جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندة لله فى ملكه وتصغيرا للكعبة الحرام وانما أخذ الله فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى وان احق الناس بالقيام فى هذا الدين ابناء المهاجرين والانصار المواسين اللهم انهم لا أحلوا حرامك وحرموا حلالك وأمنوا من أخفت وأخافوا من أمنت اللهم فاحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا أيها الناس انى والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولا شدة ولكنى اخترتكم لنفسى والله ما جئت هذه وفى الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذلى فيه البيعة وكان المنصور يكتب الى محمد على ألسن قواده يدعونه الى الظهور ويخبرونه انهم معه فكان محمد يقوله ويقول لو التقينا مال الى القواد كلهم واستولى محمد على المدينة واستعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردى وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وقيل كان على شرطته عبد الحميد بن جعفر فعزله وأرسل محمد الى محمد بن عبد العزيز انى كنت لا أظنك ستنصرنا وتقوم معنا فاعتذر اليه وقال افعل ثم انسل منه وأتى مكة ولم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس الا نفر منهم الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله ابن خالد وأبو سلمة بن عبيد الله بن عبيد الله بن عمرو وحبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان أهل المدينة قد استفتوا مالك بن أنس فى الخروج مع محمد وقالوا ان فى أعناقنا بيعة لابى جعفر فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد ولزم مالك بيته فارسل محمد الى اسمعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكان شيخا كبيرا فدعاه الى بيعته فقال يا ابن أخى أنت والله مقتول فكيف أبايعك فارتدع الناس عنه قليلا وكان بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر قد أسرعوا الى محمد فأتت حمادة بنت معاوية الى اسمعيل بن عبد الله وقالت له يا عم ان اخوتى قد اسرعوا الى ابن خالهم وانك ان قلت هذه المقالة تبطت الناس عنه فيقتل ابن خالى واخوتى فابى اسمعيل الا النهى عنه فيقال ان حمادة عدت عليه فقتلته فاراد محمد الصلاة عليه فمنعه عبد الله بن اسمعيل وقال أتأمر بقتل أبى وتصلى عليه فنحاه الحرس وصلى عليه محمد ولما ظهر محمد كان محمد بن خالد القسرى بالمدينة فى حبس رياح فاطلقه وقال ابن خالد فلما سمعت دعوته التى دعا اليها على المنبر قلت هذه دعوة حق والله لا بلين لله فيها بلاء حسنا فقلت يا أمير المؤمنين انك قد خرجت بهذا البلد والله لو وقف على نقب من انقابه أحد من أهله جوعا وعطشا فانهض معى فاغاثهى عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف فابى على فبينا انا عنده اذ قال ما وجدنا من خير المتاع شيأ أجود من شئ وجدناه عند ابن أبى فروة ختن أبى الحصيب وكان انتهبه قال فقلت الا أراك قد أبصرت خير المتاع فكتبت الى المنصور فاخبرته بقلة من معه فاخذنى محمد فحبسنى حتى أطلقنى عيسى بن موسى بعد قتله بايام وكان رجل من آل أويس بن أبى سرح العامرى عامر بن لؤى اسمه الحسين

فى الموضع المعروف بالحريبة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين على حسب ما قدمنا آنفا من التاريخ وخطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التى يقول فيها أهل المسجد يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلك من الدهر ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة يا أتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم رقاق واعمالكم نفاق ودينكم زيغ وشقاق وماؤكم اجاج زعاق وقد ذم على أهل البصرة بعد هذا الموقف مرارا كثيرة وبعث بعبد الله بن عباس الى عائشة يأمرها بالخروج الى المدينة فدخل اليها بغير اذنها واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها دخلت الينا بغير اذننا وجلست على رحلنا بغير أمرنا فقال لها لو كنت فى البيت الذى خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخلنا الا باذنك وما جلسنا على رحلك الا باذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الاوبة والتأهب للخروج الى المدينة فقالت ابيت ما قلت وخالفت ما وصفت فمضى الى على فخبره بامتناعها فرده اليها وقال ان أمير المؤمنين يعزم عليك ان ترجعى فأنعمت وأجابت الى الخروج وجهزها على وأتاها فى اليوم الثانى ودخل عليها

ابن صخر بالمدينة لما ظهر محمد سار من ساعته الى المنصور فبلغه فى تسعة أيام فقدم ليلا فقام على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به وأدخلوه فقال الربيع ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم قال لا بد لى منه فدخل الربيع على المنصور فاخبره خبره وانه قد طلب مشافهته فاذن له فدخل عليه فقال يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبد الله بالمدينة قال قتلته والله ان كنت صادقا اخبرنى من معه فسمى له من معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته قال أنت رأيته وعاينته قال أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فادخله أبو جعفر بيتا فلما أصبح جاء رسول لسعيد بن دينار غلام عيسى بن موسى يلى أمواله بالمدينة فاخبره بامر محمد وتواترت عليه أخباره فاخرج الاويسى فقال لا وطئن الرجال عقبيك ولا عيننك فامر له بتسعة آلاف درهم لكل ليلة ألف درهم واشفق من محمد فقال له الحرثى المنجم يا أمير المؤمنين ما يجزعك منه والله لو ملك الارض ما لبث الا تسعين وما فارسل المنصور الى عمه عبد الله بن على وهو محبوس ان هذا الرجل قد خرج فان كان عندك رأى فاشر به علينا وكان ذا رأى عندهم فقال ان المحبوس محبوس الرأى فارسل اليه المنصور لوجاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك وأنا خير لك منه وهو ملك أهل بيتك فاعاد عليه عبد الله ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة فاحشم على اكتافهم فانهم شيعة أهل هذا البيت وأنصاره ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها الى وجه من الوجوه أوتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه وابعث الى مسلم بن قتيبة يتحدر اليك وكان بالرى واكتب الى أهل الشام فرهم ان يحملوا اليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد فاحسن جوائزهم ووجههم مع سلم ففعل وقيل أرسل المنصور الى عبد الله مع اخوته يستشيرونه فى أمر محمد وقال لهم لا يعلم عبد الله انى أرسلتكم اليه فلما دخلوا عليه قال لامر ما جئتم ماجاء بكم جميعا وقد هجرتم فى مذهر قالوا انا استأذنا أمير المؤمنين فاذن انما قال ليس هذا بشئ فما الخبر قالوا خرج محمد بن عبد الله قال فما ترون ابن سلامة صانعا يعنى المنصور قالوا لا ندرى والله قال ان البخل قد قتله فهو يخرج الاموال وليعط الاجناد فان غلب فما أسرع ما يعود اليه ماله وان غلب لم يقدم صاحبه على دينار ولا درهم ولما ورد الخبر على المنصور بخروج محمد كان المنصور قد خط مدينة بغداد بالقصب فسار الى الكوفة ومعه عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن المدان فقال له المنصور ان محمدا قد خرج بالمدينة فقال عبد الله هلك وأهلك خرج فى غير عدد ولا رجال حدثنى سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومى قال كنت مع مروان يوم الزاب واقفا فقال لى مروان من هذا الذى يقاتلنى قلت عبد الله ابن على بن عبد الله بن عباس قال وددت والله ان على بن أبى طالب يقاتلنى مكانه ان عليا وولده لاحظ لهم فى هذا الامر وهل هو الا رجل من بنى هاشم وابن عم رسول الله معه ريح الشام ونصر الشام يا ابن جعدة تدرى ما حملنى ان عقدت لعبد الله وعبيد الله بعدى وتركت عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله قال ابن جعدة لا قال وجدت الذى لى فى هذا الامر عبد الله وعبيد الله وكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك فعقدت له فاستحلفه المنصور على صحة ذلك فحلف له فسرى عنه ولما بلغ المنصور خبر ظهور محمد قال لابى أيوب وعبد الملك هل من رجل تعرفانه بالرأى يجمع رأيه الى رأينا قالا بالكوفة بديل بن يحيى وكان السفاح يشاوره فارسل اليه وقال له ان محمدا قد ظهر بالمدينة قال فاشحن الاهواز بالجنود قال انه ظهر بالمدينة قال قد فهمت وانما الاهواز الباب الذى تؤتون منه فلما ظهر ابراهيم بالبصرة قال له المنصور ذلك قال فعاجله بالجنود واشغل الاهواز عليه وشاور المنصور أيضا جعفر بن حنظلة البهرانى عند ظهور محمد فقال وجه الجنود الى البصرة

وسعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد اخوته وفتيان أهله من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه وقلن يا قاتل الاحبة فقال لو كنت قاتل الاحبة لقتلت من فى هذا البيت واشار الى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عامر وغيرهم فضرب من كان معه بأيديهم الى قوائم سيوفهم لما علموا من فى البيت مخافة ان يخرجوا فيغتالوهم فقالت لهم عائشة بعد خطب طويل كان بينهما انى أحب ان أقيم معك فاسير الى قتال عدوك عند سيرك فقال بل ارجعى الى البيت الذى تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان يؤمن ابن أختها عبد الله بن الزبير فأمنه وتكلم الحسن والحسين فى مروان فأمنه وآمن الوليد ابن عقبة وولد عثمان وغيرهم من بنى أمية وآمن الناس جميعا وقد كان نادى يوم الوقعة من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن واشتد حزن على على من قتل من ربيعة قبل ورود البصرة وهم الذين قتلهم طلحة والزبير من عبد القيس وغيرهم من ربيعة وجدد حزنه قتل زيد بن صوحان قتله فى ذلك اليوم عمرو بن سبره ثم قتل عمار بن ياسر عمرو بن سبرة فى ذلك اليوم أيضا وكان

قال انصرف حتى أرسل اليك فلما صار ابراهيم الى البصرة أرسل اليه فقال له ذلك فقال انى خفت بادرة الجنود قال وكيف خفت البصرة قال لان محمدا ظهر بالمدينة وليسوا أهل الحرب بحسبهم ان يقيموا شأن أنفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشام اعداء آل أبي طالب فلم يبق الا البصرة ثم ان المنصور كتب الى محمد بسم الله الرحمن الرحيم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض الآيتين ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ان أومنك وجميع ولدك واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم وأسوغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان أطلق من شئت حبسي من أهل بيتك وان أومن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل فى شئ من أمرك ثم لا أتبع أحدا منهم بشئ كان منه أبدا فان أردت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من أحببت يأخذ لك منى الامان والعهد والميثاق ما تتوثق به والسلام فكتب اليه محمد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل ما عرضت على فان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضله فان أبانا عليا كان الوصى وكان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ثم قد علمت انه لم يطلب الامر أحد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا السنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية وبنو بنته فاطمة فى الاسلام دونكم ان الله اختارنا واختار لنا فوالدنا من النبيين محمد أفضلهم ومن السلف أولهم اسلاما على ومن الازواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى الى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين وانى أوسط بنى هاشم نسبا وأصرحهم أبا لم تعرف فى العجمة ولم تنازع فى أمهات الاولاد فما زال يختارلى الآباء والامهات فى الجاهلية والاسلام حتى يختارلى فى الاشرار فانا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة وأهونهم عذابا فى النار ولك الله على ان دخلت فى طاعتى وأجبت دعوتى أن أومنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمنى من ذلك وأنا أولى بالامر منك وأوفى بالعهد لانك أعطيتنى من الامان والعهد ما أعطيته رجالا قبلى فاى الامانات تعطينى أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن على أم أمان أبى مسلم فلما ورد كتابه على المنصور قال له أبو أيوب الوزير ائذن لى أجبه عليه قال لا اذا تقارعنا على الاحساب فدعنى واياه ثم كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغنى كلامك وقرأت كتابك فاذا جل نخرك بقرابة النساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة والاولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا ولو كان اختار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحما وأعظمهن حقا وأولى من يدخل الجنة ولكن اختار الله لخلقه على علمه فيما مضى منهم واصطفائه لهم وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب وولادتها فان الله لم يرزق أحدا من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا ولو ان رجلا رزق الاسلام بالقرابة رزقه عبد الله

على يكثر من قوله

يالهف نفسى على ربيعة
ربيعة السامعة المطيعه

وخرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى فوجدت ابنين لها قد قتلا وقد كان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجيء على البصرة فانشأت تقول

شهدت الحروب فشيبتنى
فلم أر يوما كيوم الجمل
أضر على مؤمن من فتنة
واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة فى بيتها
وليتك عسكر لم ترتحل

وقد ذكر المدائنى أنه رأى بالبصرة رجلا مصطلم الاذن فسأله عن قصته فذكر انه خرج يوم الجمل ينظر الى القتلى فنظر الى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا
فلم ننصرف الا ونحن رواء
أطعنا بنى تيم لشقوة جدنا
وما تيم الا أعبد واماء

فقلت سبحان الله اتقول هذا عند الموت قل لا اله الا الله فقال يا ابن اللخناء اياى تأمر بالجزع عند الموت فوليت عنه متعجبا منه فصاح بى ادن منى لقنى الشهادة فصرت اليه فلما قربت منه استدنانى ثم التقم أذنى فذهب بها فجعلت ألعنه وأدعو عليه فقال اذا صرت الى امك فقالت من فعل هذا بك فقل عمير بن الاهلب الضبى مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين وخرجت عائشة من البصرة وقد بعث

ولكان أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء قال الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ولقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فانزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الاقربين فانذرهم ودعاهم فاجاب اثنان أحدهما أبي وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينه وبينهما الا ولادة ولا ميراثا وزعمت انك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس في الكفر بالله صغير ولا عذاب الله خفيف ولا يسير وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله ان يفخر بالنار ويستر فتعلم وسيعلم الذين ظلموا الآية وأما أمر حسن وان عبد المطلب ولده مرتين وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة ولا عبد المطلب الا مرة وزعمت انك أوسط بني هاشم وأصرحهم أما وأبا وأنه لم يلدك الهجم ولم تعرف فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا فانظر ويحك أين أنت من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نفسا وأبا وأولادا وأخا ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لام ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسين وما كان فيكم بعده مثل محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد وهو خير منك وأما قولك انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يقول في كتابه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكنكم بنو بنته وانها القرابة قريبة ولكنها لا يجوز لها الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الامامة فكيف تورث بها ولقد طلبها أبوك بكل وجه فاخرج فاطمة نهارا وهرضها سرا ودفنها ليلا فابى الناس الا الشيخين ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها من المسلمين ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يورثون وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاله عنها ولم يروا له حقا فيها وأما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته فاغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل الحكومة ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الامر الى غير أهله وأخذ ما لا من غير ولاية ولا حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين علي ابن مرجانة فكاثر الناس معه عليه حتى قتلوه وأنوا برأسه اليه ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي الجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثاركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت انا اغاذكرنا أبالك للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر وليس ذلك كما ظننت ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلما منهم مجتمعا عليهم بالفضل وابتلى أبوك بالقتال والحرب وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا وذكرناهم فضله وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه فلقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين أخوته فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر فلم نزل

منها على أخاها عبد الرحمن ابن أبي بكر وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما البسهن العمائم وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن نسوة كأنكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما أتت المدينة قيل لها كيف رأيت مسيرك قالت كنت بخير والله لقد أعطى علي بن أبي طالب فاكثر ولكنه بعث معي رجالا فعرفها النسوة أمرهن فسجدت وقالت ما أزددت والله يا ابن أبي طالب الا كرما وودت أني لم أخرج وان أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها وانما قيل لي تخرجين فتصلحين بين الناس فكان ما كان وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا وقيل غير ذلك ووقف علي على عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية وهو قتيل يوم الجمل فقال لهفي عليك يعسوب قريش قتلت الفطاريف من بني عبد مناف شفيت نفسي وجدعت أنفي فقال له الاشتر ما أشد جزعك عليهم يا أمير المؤمنين وقد أرادوا بك ما نزل بهم فقال لي انه قامت عني وعنهم نسوة لم يقمن عنك وأصيب كف ابن

نلها فى الجاهلية والاسلام ولقد قسط أهل المدينة فلم يتوسل عمر الى ربه ولم يتقرب اليه الا بأبينا حتى يغيثهم الله فسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به ولقد علمت انه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وسلم غيره فكانت وراثة من عمومته ثم طلب هذا الامر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبى له والخلافة فى ولده فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا اسلام فى الدنيا والآخرة الا والعباس وارثه ومورثه وأما ما ذكرت من بدر فان الاسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للازمة التى أصابته ولولا ان العباس اخرج الى بدر كارها لمات طالب وعقيل جوعا وللحاجفان عتبة وشيبة ولكنه كان من المطعمين فاذهب عنكم العار والسبة وكفاكم النفقة والمؤنة ثم فدى عقيلا يوم بدر فكيف تفخر علينا وقد علمنا كم فى الكفر وفدينا كم وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثناد ونكم خاتم الانبياء وطلبنا بثأركم فادركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوه والانفسكم والسلام عليكم ورحمة الله فكان محمد قد استعمل محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب على مكة والقاسم بن اسحق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشام فاما محمد بن الحسن والقاسم فسارا الى مكة فخرج اليهما لسرى بن عبد الله عامل المنصور على مكة فلقيهما ببطن اذاخر فهزمه ودخل محمد مكة وأقام بها يسيرا فأتاه كتاب محمد بن عبد الله يأمره بالمسير اليه فيمن معه ويخبره بمسير عيسى بن موسى اليه ليحاربه فسار اليه من مكة هو والقاسم فبلغه بنواحى قديد قتل محمد فهرب هو وأصحابه وتفرقوا فلحق محمد بن الحسن بابراهيم فأقام عنده حتى قتل ابراهيم واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له ابنة عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر امرأة عيسى الامان له ولاخوته معاوية وغيره وأما موسى بن عبد الله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسرى فانسل منه رزام تيمنا وسار الى المنصور برسالة من مولاه محمد القسرى فظهر محمد بن عبد الله على ذلك فحبس محمدا القسرى ووصل موسى الى الشام فرأى منهم سوء ردّ عليه وغلظة فكتب الى محمد أخبرك أنى لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولا الذى قال والله لقد ملأنا البلاء وضقنا حتى ما فينا لهذا الامر موضع ولا لنا به حاجة ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد لنرفعن أمرنا فكتبت اليك وقد غيبت وجهى وخفت على نفسى ثم رجع الى المدينة وقيل أتى البصرة وأرسل صاحباله يشترى له طعاما فاشتراه وجاء به على حمار أسود فادخله الدار التى سكنها وخرج فلم يكن بأسرع من ان كبست الدار وأخذ موسى وابنه عبد الله وغلامه فأخذوا وحملوا الى محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فلما رأى موسى قال لا قرب الله قرابتكم ولا حيا وجوهكم تركت البلاد كلها الا بلدا أنا فيه فان وصلت أرحامكم أغضبت أمير المؤمنين وان أطعته قطعت أرحامكم ثم أرسلهم الى المنصور فأمر فضرب موسى وابنه كل واحد خمسمائة سوط فلم يتأوها فقال المنصور ما عذرت أهل الباطل فى صبرهم فما بال هؤلاء فقال موسى أهل الحق أولى بالصبر ثم اخرجهم وأمر بهم فسجنوا (خبيب بن ثابت بالخاء المعجمة المضمومة وبباءين موحدتين وبينهما ياء مثناة من تحتها)

﴿ ذكر مسير عيسى بن موسى الى محمد بن عبد الله وقتله ﴾

ثم ان المنصور أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأمره بالمسير الى المدينة لقتال محمد فقال شاور عمومتك يا أمير المؤمنين ثم قال وأين قول ابن هرثمة

نزور امرأ لا يمخض القوم سره * ولا ينتحى الادنين عما يحاول
اذا ما أتى شيأ مضى كالذى أتى * وان قال انى فاعل فهو فاعل

على بيت مال الكوفة فى جماعة من المهاجرين والانصار فنظر الى ما فيه من العين والورق فجعل يقول يا صفراء غرّى غيرى وأدام النظر الى المال مفكرا ثم قال اقسموه بين أصحابى ومن معى خمسمائة خمسمائة ففعلوا فانقص درهم واحد وعدد الرجال اثنا عشر ألفا وقبض ما كان فى عسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك فباعه وقسمه بين أصحابه وأخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله خمسمائة درهم فاتاه رجل من أصحابه فقال يا أمير المؤمنين انى لم آخذ شيأ وخلفنى عن الحضور كذا وأدلى بعذر فاعطاه الخمسمائة التى كانت له وقيل لابى لبيد الجهمى من الازد أتحب عليا قال وكيف أحب رجلا قتل من قومى فى بعض يوم ألفين وخمسمائة وقتل من الناس حتى لم يكن أحد يعزى أحدا واشتغل أهل كل بيت عن لهم وولى على البصرة عبد الله بن عباس وسار الى الكوفة فكان دخوله اليها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب وبعث الى الاشعث بن قيس يعزله عن اذربيجان وأرمينية وكان عاملا لعثمان فكان فى نفس

وأدعوه الى أن يسلم هذا الامر وأدعو أهل الشام الى طاعتك فقال الاشتر لا تبعثه ولا تصدقه فوالله انى لاظن هواه هواهم ونيته نيتهم فقال على دعه حتى ننظر ما يرجع به الينا فبعث به وكتب الى معاوية معه يعلمه مبايعة المهاجرين والانصار اياه واجتماعهم عليه ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما ويأمره بالدخول فى طاعته ويعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله أن ينظره وكتب الى عمرو بن العاص على ما قدمنا فى صدر هذا الباب فاشار عليه عمرو بالبعثة الى وجوه الشام وأن يلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم به فقدم جرير على على فاخبره خبرهم واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته ومنع منهم وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم فقال الاشتر قد كنت أخبرتك يا أمير المؤمنين بعداوته وغشه لو بعثتنى لكنت خيرا من هذا الذى أرخى خناقه وأقام حتى لم يدع بابا نرجو منه الا فتحه ولا بابا يخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك والله لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان قال الاشتر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعنى جوابهم ولا ثقل على خطابهم

فقال المنصور امض أيها الرجل فوالله ما يراد غيرى وغيرك وما هو الا ان تشخص أنت أو أشخص انا فسار وسير معه الجنود وقال المنصور لما سار عيسى لا أبالى أيهما قتل صاحبه وبعث معه محمد بن أبى العباس السفاح وكثير بن حصين العبدى وابن قحطبة وهزارمرد وغيرهم وقال له حين ودعه يا عيسى انى ابعثك الى ما بين هذين وأشار الى جنبيه فان ظفرت بالرجل فاحمد سيفك وابذل الامان وان تغيب فضمنهم اياه فانهم يعرفون مذاهبه ومن لقيك من آل أبى طالب فاكتب الىّ باسمه ومن لم يلقك فاقبض ماله وكان جعفر الصادق تغيب عنه فقبض ماله فلما قدم المنصور المدينة قال له جعفر فى معنى ماله فقال قبضه مهديكم فلما وصل عيسى الى فيد كتب الى الناس فى خرق حرير منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومى وعبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحى وكتب الى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب يأمره بالخروج من المدينة فيمن أطاعه فخرج هو وعمر ابن محمد بن عمر وأبو عقيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل وأبو عيسى ولما بلغ محمدا قرب عيسى من المدينة استشار أصحابه فى الخروج من المدينة أو المقام بها فأشار بعضهم بالخروج عنها وأشار بعضهم بالمقام بها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتنى فى درع حصينة فأولتها المدينة فاقام ثم استشارهم فى حفر خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جابر بن أنس رئيس سليم يا أمير المؤمنين نحن اخوالك وجيرانك وفينا السلاح والكراع فلا تخندق الخندق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق خندقه لما الله أعلم به وان خندقته لم يحسن القتال رجاله ولم توجه لما الخيل بين الازقة وان الذين يخندق دونهم هم الذين يحول الخندق دونهم فقال أحد بنى شجاع خندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتد به وترید أنت أن تدع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك قال انه والله يا ابن شجاع ما شئ اثقل علىك وعلى أصحابك من لقائهم وما شئ أحب الينا من مناجزتهم فقال محمد انما اتبعنا فى الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يردنى احد عنه فلست بتاركه وأمر به فحفر وبدأ هو فحفر بنفسه الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب وسار عيسى حتى نزل الاعوص وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون وخطبهم محمد بن عبد الله فقال لهم ان عدو الله وعدوكم قد نزل الاعوص وان أحق الناس بالقيام بهذا الامر لابناء المهاجرين والانصار الا وانا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق وعدوكم عدد كثير والنصر من الله والامر بيده وانه قد بدا لى أن آذن لكم فمن أحب منكم ان يقيم اقام ومن احب ان يظعن ظعن فخرج عالم كثير وخرج ناس من أهل المدينة بذراريهم واهليهم الى الاعراض والجبال وبقى محمد فى شرذمة يسيرة فامر أبا القلمس بردم من قدر عليه فاعجزه كثير منهم فتركهم وكان المنصور قد ارسل ابن الاصم مع عيسى ينزله المنازل فلما قدموا نزلوا على ميل من المدينة فقال ابن الاصم ان الخيل لا عمل لها مع الرجالة وانى اخاف ان كشفوكم كشفة أن يدخلوا عسكركم فتأخروا الى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف وهى على أربعة أميال من المدينة وقال لا يهرول الراجل أكثر من ميلين وثلاث حتى يأخذه الخيل وأرسل عيسى خمسمائة رجل الى بطحاء ابن ازهر على ستة أميال من المدينة فاقاموا بها وقال أخاف ان ينهزم محمد فيأتى مكة فيرده هؤلاء فاقاموا بها حتى قتل وارسل عيسى الى محمد يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله فاعاد الجواب يا هذا انك لست برسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة وانى ادعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته واحذرك نقمته وعذابه وانى والله ما أنا منصرف عن هذا الامر حتى ألقى الله عليه واياك أن يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل أو تقتله فيكون أعظم لوزرك فلما بلغته الرسالة قال عيسى ليس بينه وبينه الا القتال وقال محمد للرسول علام تقتلونى وانما أنا رجل

فر من أن يقتل قال القوم يدعونك الى الامان فان أبيت الا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك طلحة والزبير على نكث بيعتهم وكيد ملكه فلما سمع المنصور قوله قال ما سرني انه قال غير ذلك ونزل عيسى بالجرف لاثنتي عشرة من رمضان يوم السبت فاقام السبت والاحد وغدا يوم الاثنين فوقف على سلع فنظر الى المدينة ومن فيها فنادى يا أهل المدينة ان الله حرم دماءنا بعضنا على بعض فهلموا الى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فما لنا وماله فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة وأخلى ناحية مسجد أبي الجراح وهو على بطحان فانه أخلى تلك الناحية لخروج من ينهزم وبرز محمد في أصحابه وكانت رايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وكان شعاره أحد أحد فبرز أبو القلمس وهو من أصحاب محمد فبرز اليه أخو أسد واقتتلوا طويلا فقتله أبو القلمس وبرز اليه آخر فقتله فقال حين ضربه خذها وأنا ابن الفاروق فقال رجل من أصحاب عيسى قتلت خيرا من ألف فاروق وقاتل محمد بن عبد الله يومئذ قتالا عظيما فقتل بيده سبعين رجلا وأمر عيسى حميد بن قحطبة فتقدم في مائة كلهم راجل سواه فزحفوا حتى بلغوا جدارا دون الخندق عليه ناس من أصحاب محمد فهدم حميد الحائط وانتهى الى الخندق ونصب عليه أبوابا وعبر هو وأصحابه عليها فجاز والخندق وقاتلوا من ورائه أشد قتال من بكرة الى العصر وأمر عيسى أصحابه فألقوا الحقائب وغيرها في الخندق وجعل الابواب عليها وجازت الخيل فاقتتلوا قتالا شديدا فانصرف محمد قبل الظهر فاغتسل وتحنط ثم رجع فقال له عبد الله بن جعفر بأبي أنت وأمي والله مالك بما ترى طاقة فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة فان معه جل أصحابك فقال لو خرجت لقتل أهل المدينة والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل وأنت مني في سعة فاذهب حيث شئت فمشى معه قليلا ثم رجع عنه وتفرق عنه جل أصحابه حتى بقي في ثلثمائة رجل يزيدون قليلا فقال لبعض أصحابه نحن اليوم بعدة أهل بدر وصلى محمد الظهر والعصر وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده الا ذهبت الى البصرة أو غيرها ومحمد يقول والله لا تبتلون بي مرتين ولكن اذهب أنت حيث شئت فقال ابن خضير وأين المذهب عنك ثم مضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعه وأقبل رياح بن عثمان وأخوه عباس بن عثمان وأقبل ابن مسلم بن عقبة المري ومضى الى محمد بن القسري وهو محبوس ليقتله فعلم به فردم الابواب دونه فلم يقدر عليه ورجع الى محمد فقاتل بين يديه وتقدم حميد بن قحطبة وتقدم محمد فلما صار بنظر ميل سلع عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخمسيون دوابهم ولم يبق أحد الا كسر جفن سيفه فقال لهم محمد قد بايعتموني ولست بارجا حتى أقتل فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له واشتد القتال فهزموا أصحاب عيسى مرتين وثلاثا وقال يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر ويل أمه فتحالوكان له رجال فصعد نفر من أصحاب عيسى على جبل سلع وانحدروا منه الى المدينة وأمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بخمار أسود فرفع على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب محمد دخلت المدينة فهربوا فقال يزيد لكل قوم جبل يعصمهم ولنا جبل لا نؤتى الا منه يعني سلعا وفتح بنو أبي عمرو العفاريون طريقا في بني غفار لاصحاب عيسى ودخلوا منه أيضا وجاؤا من وراء أصحاب محمد ونادى محمد حميد بن قحطبة ابرز الي فانا محمد بن عبد الله فقال حميد قد عرفتك وأنت الشريف ابن الشريف الكريم ابن الكريم لا والله لا أبرز اليك وبين يدي من هؤلاء الاعمار أحد فاذا فرغت منهم فسابرز اليك وجعل حميد يدعو ابن خضير الى الامان ويشح به على الموت وابن خضير يحمل على الناس راجلا لا يصغي الى

منه حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير عند ذلك الى بلاد قرقيسيا والرحبة من شاطئ الفرات وكتب الى معاوية يعلمه ما نزل به وأنه أحب مجاورته والمقام في داره فكتب اليه معاوية بالمسير اليه وبعث معاوية الى المغيرة بن شعبة الثقفي عند منصرفه على من الجمل وقبل مسيره الى صفين بكتاب يقول فيه قد ظهر من رأي ابن أبي طالب ما كان يقدم من وعده لك في طلحة والزبير فما الذي بقي في رأيه فينا وذلك أن المغيرة بن شعبة لما قتل عثمان وبايع الناس عليا دخل عليه المغيرة فقال يا أمير المؤمنين ان لك عندي نصيحة فقال وما هي قال ان أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة ابن عبيد الله على الكوفة والزبير بن العوام على البصرة وابعث الى معاوية بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك فاذا استقر قرارها رأيت فيه رأيك قال أما طلحة والزبير فسأري رأيي فيهما وأما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به ما دام على الناس أبدا ولكني أدعوه الى ما عرفته فان أجاب والا حاكمته الى الله فانصرف المغيرة وقال نصحت عليا في ابن هند مقالة

فردت فلا يسمع لها الدهر ثانيه * وقلت له أرسل اليه بعهده * على الشام حتى يستقر معاويه * ويعلم أهل الشام أن قد ملكته

قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ما كان من المغيرة مع على وما أشار به وهذا أحد الوجوه المروية فى ذلك فهذه جوامع ما يحتاج اليه من أخبار يوم الجمل وما كان فيه دون الاكثار والتطويل وتكرار الاسانيد فى ذلك والله ولى التوفيق

* (ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين) *

(قال المسعودى) رحمه الله وقد ذكرنا جملا وجوامع من أخبار على رضى الله عنه بالبصرة وما كان يوم الجمل فلنذكر الآن جوامع من سيره الى صفين وما كان فيها من الحروب ثم نعقب ذلك بشأن الحكمين والنهروان ومقتله عليه السلام وكان سيره على من الكوفة الى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر الانصارى فاجتاز فى مسيره بالمدائن ثم أتى الانبار وسار حتى نزل الرقة فعقد له هناك جسرا فعبر الى جانب الشام وقد تنوزع فى مقدار ما كان معه من الجيش فكثر ومقل والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا وقال رجل من أصحاب على لما استقر وا يمانيا بالشام من أبيات كتب بها الى معاوية اثبت معاوى قد اتاك الحافل * تسعون ألفا كلهم مقاتل * عما قليل يضمحل الباطل * وسار معاوية من فاذن

أمانه وهو يأخذه بين يديه فضربه رجل من أصحاب عيسى على أليته فخلها فرجع الى أصحابه فشدها بثوب ثم عاد الى القتال فضربه انسان على عينه فغاص السيف وسقط فابتدروه فقتلوه وأخذوا رأسه وكأنه باذنجانة مغلقة من كثرة الجراح فيه فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيفته فجعل يهد الناس هدا وكان أشبه الناس بقتال حمزة ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبته وجعل يذب عن نفسه ويقول ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم فطعنه ابن قحطبة فى صدره فصرعه ثم نزل اليه فاخذ رأسه وأتى به عيسى وهو لا يعرف من كثرة الدماء وقيل ان عيسى اتهم ابن قحطبة وكان فى الخيل فقال له ما أراك تبالغ فقال له اتهمنى فوالله لاضربن محمدا حين أراه بالسيف أو أقتل دونه قال فرآه وهو مقتول فضربه ليبر يمينه وقيل بل رمى بسهم وهو يقاتل فوقف الى جدار فتحاماه الناس فلما وجد الموت تحامل على سيفه فكسره وهو ذو الفقار سيف على وقيل بل أعطاه رجلا من التجار كان معه وله عليه أربعمائة دينار وقال خذه فانك لا تلقى أحدا من آل أبى طالب الا أخذه وأعطاك حقك فلم يزل عنده حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فاخبر به فاخذ السيف منه وأعطاه أربعمائة دينار ولم يزل معه حتى أخذه منه المهدى ثم صار الى الهادى فجربه على كلب فانقطع السيف وقيل بل بقى الى أيام الرشيد وكان يتقلده وكان به ثمانى عشرة فقارة ولما اتى عيسى برأس محمد قال لاصحابه ما تقولون فيه فوقعوا فيه فقال بعضهم كذبتم ما هذا قاتلناه ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وان كان لصواما قواما فسكتوا فارسل عيسى الرأس الى المنصور مع محمد بن أبى الكرام بن عبد الله بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وأرسل معه رؤس بنى شجاع فامر المنصور فطيف برأس محمد فى الكوفة وسيره الى الآفاق ولما رأى المنصور رؤس بنى شجاع قال هكذا فليكن الناس طلبت محمدا فاشتمل عليه هؤلاء ثم نقلوه وانتقلوا معه ثم قاتلوا معه حتى قتلوا وكان قتل محمد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لاربع عشرة خلت من شهر رمضان وكان المنصور قد بلغه ان عيسى قد هزم فقال كلا أين لعب أصحابنا وصبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ما أتى كذلك بعد ثم بلغه ان محمدا هرب فقال كلا انا أهل بيت لا نفر فجاءته بعد ذلك الرؤس ولما وصل رأس محمد الى المنصور كان الحسن بن زيد بن الحسن بن على عنده فلما رأى الرأس عظم عليه فتجلد خوفا من المنصور وقال لنقيب المنصور أهو قال هو فلذهم وقال لوددت أنا الركانة الى طاعته وانه لم يكن فعل ولا قال والا قام موسى طالق وكانت غاية أيمانه ولكنه أراد قتله وكانت نفسه أكرم علينا من نفسه فبصق بعض الغلمان فى وجهه فامر المنصور بانفه فكسر عقوبة له ولما ورد الخبر بقتل محمد على أخيه ابراهيم بالبصرة كان يوم العيد فخرج فصلى بالناس ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه وتمثل على المنبر

أبا المنازل يا خير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا
الله يعلم انى لو خشيتهم * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى أحدا * حتى نموت جميعا أو نعيش معا

ولما قتل محمد أرسل عيسى ألوية فنصبت فى مواضع بالمدينة ونادى مناديه من دخل تحت لواء منها فهو آمن وأخذ أصحاب محمد فصلبهم ما بين ثنية الوداع الى دار عمر بن عبد العزيز صفين وكل بخشبة ابن خضير من يحفظها فاحتمله قوم من الليل فواروه سرا وبقى الآخرون ثلاثا فأمر بهم عيسى فالقوا على مقابر اليهود ثم ألقوا بعد ذلك فى خندق فى أصل ذباب فارسلت زينب بنت عبد الله أخت محمد وابنة فاطمة الى عيسى انكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه فلو أذنتم لنا فى دفنه

الشام وقد تنوزع فى مقدار من كان معه فكثر ومقل والمتفق عليه من قول الجميع خمس ٥٠٠ وثمانون ألفا فسبق عليا الى صفين

فأذن لها فدفن بالبقيع وقطع المنصور الميرة فى البحر الى المدينة ثم أذن فيها المهدى

﴿ذكر بعض المشهورين ممن كان معه﴾

وكان فيمن معه من بنى هاشم أخوه موسى بن عبد الله وحسين وعلى ابنا زيد بن على بن الحسين بن على ولما بلغ المنصور ان ابنى زيد اعانا محمدا عليه قال عجبا لهما قد خرجا على وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه وكان معه حمزة بن عبد الله بن محمد بن الحسين وعلى وزيدا ابنا الحسن بن زيد بن على بن أبى طالب وكان أبوهما مع المنصور والحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب والقاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر والمرجى على بن جعفر بن اسحق بن على بن عبد الله بن جعفر وكان أبوه مع المنصور ومن غيرهم محمد بن عبد الله ابن عمرو بن سعيد بن العباس ومحمد بن عجلان وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم أخذ أسيرا فاتى به المنصور فقال له أنت الخارج على قال لم أجد الا ذلك أو الكفر بما أنزل الله على محمد وكان معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة وعبد الواحد بن أبى عون مولى الازد وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الحميد بن جعفر وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بنى سباع وابراهيم واسحق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان وعبد العزيز بنو عبد الله بن عطاء وعيسى بن خضير وعثمان بن خضير وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير هرب بعد قتل محمد فاتى البصرة فأخذ منها وأتى به المنصور فقال له هيه يا عثمان أنت الخارج على مع محمد قال بايعته أنا وأنت بمكة فوفيت ببيعتى وغدرت ببيعتك قال يا ابن اللخناء قال ذاك من قامت عنه الاماء يعنى المنصور فامر به فقتل وكان مع محمد عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب وأخذ أسيرا فاطلقه المنصور وعبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وعلى ابن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب وابراهيم بن جعفر بن مصعب بن الزبير وهشام بن عمارة ابن الوليد بن عدى بن الخيار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم ممن تقدم ذكرهم

﴿ذكر صفة محمد والاخبار بقتله﴾

كان محمد أسمر شديد السمرة وكان المنصور يسميه محمادا وكان سمينا شجاعا كثير الصوم والصلاة شديدا لقوة كان يخطب على المنبر فاعترض فى حلقه بلغم فتنحنح فذهب ثم عاد فتنحنح فنظر فلم ير موضعا يبصق فيه فرمى بخامته فى سقف المسجد فألصقها فيه وسئل جعفر الصادق عن أمر محمد فقال فتنة يقتل فيها محمد ويقتل أخوه لابيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه فى ماء فلما قتل محمد قبض عيسى أموال بنى الحسن كلها وأموال جعفر فلقى جعفر المنصور فقال له ردّ على قطيعتى من أبى زياد قال اياى تكلم بهذا والله لازهقن نفسك قال فلا تجهل على قد بلغت ثلاثا وستين سنة وفيها مات أبى وجدى وعلى بن أبى طالب وعلى كذا وكذا ان ربك بشئ وان بقيت بعدك ان ربك الذى يقوم بعدك فرق له المنصور ولم يرد عليه قطيعته فردها المهدى على ولده وقال محمد لعبد الله بن عامر الاسلمى تغشانا صحابة فان أمطرتنا ظفرنا وان تجاوزتنا الهم فانظر الى دمى عند أحجار الزيت قال فوالله لقد أظلتنا صحابة فلم تمطرنا وتجاوزتنا الى عيسى وأصحابه فظفروا وقتلوا محمدا ورأيت دمه عند احجار الزيت وكان قتله يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وكان يلقب المهدى والنفس الزكية ومما رثى به هو وأخوه قول عبد الله بن مصعب بن ثابت

ياصاحبى دعا الملامة واعلما * ان لست فى هذا بألوم منكما
وقفا بقبر للنبى فسلما * لابأس ان تقفا به وتسلما

فهبنا الناس اقبل كانوا فرت * فلما فرأها حمى واتى عليا رضى الله عنه فقال له اخرج فى أربعة آلاف من الخيل حتى تهجم فى وسط

وعسكر فى موضع سهل افيح اختاره قبل قدوم على على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع أسهل منها للوارد الى الماء وما عداها أخراق عالية ومواضع الى الماء وعرة ووكل أبا الاعور السلمى بالشريعة مع أربعين ألفا وكان على مقدمته وبات على وجيشه فى البر عطاشا قد حيل بينهم وبين الورود الى الماء فقال عمرو بن العاص لمعاوية ان عليا لا يموت عطشا هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم ولكن دعهم يشربون ونشرب فقال معاوية لا والله أو يموتوا عطشا كما مات عثمان وعلى يدور فى عسكره بالليل فسمع قائلا وهو يقول

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا الرماح وفينا الحجف
وفينا على له صولة
اذا حوقفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير
وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا اليوم أسد العرين
وما بالنا اليوم شاة النجف
وألقى فى فسطاط الاشعث
ابن قيس رقعة فيها
لئن لم يجل الاشعث اليوم
كربة
من الموت عنا للنفوس تعلت
ونشرب من ماء الفرات
بسيفه

لاوردن خيلي الفراتا
شعث النواصي أو يقال ماتا

ثم دعا على الاشتر فسرحه في أربعة آلاف من الخيل والرجالة فصار يؤم الاشعث صاحب رايته وهو رجل من النخع يرتجز ويقول

يا أشتر الخيرات يا خير النخع
وصاحب النصر اذا عال الفزع

قد خرج القوم وعالوا بالفزع
ان تسقنا اليوم فاهو بالبدع

ثم سار على رضي الله عنه وراء الاشتر بباقي الجيش ومضى الاشعث فاردد وجهه حتى هجم على عسكر معاوية فازال أبا الاعور عن الشريعة وغرق منهم بشرا وخيلا وأورد خيله الفرات وذلك ان الاشعث داخلته الحمية في هذا اليوم وكان يقدم رمحه ثم يحث أصحابه فيقول ارجوهم مقدار هذا الرمح فيريلوهم عن ذلك المكان فبلغ ذلك من فعل الاشعث عليا فقال هذا اليوم نصرنا فيه بالحمية وفي ذلك يقول رجل من أهل العراق كشف الاشعث عنا

كربة الموت عيانا
بعد ما طارت كلانا
طيرة مست لهانا
فله المن علينا
وبه درات رحانا

وارتحل معاوية عن الموضع وورد الاشتر وقد كشف الاشعث القوم عن الماء وازالهم عن مواضعهم وورد على فنزل في الموضع الذي كان فيه

قبر تضمن خير أهل زمانه * حسبا وطيب سجية وتكرما
رجل بغى بالعدل جور بلادنا * وعفا عظيمات الامور وأنعما
لم يجتنب قصد السبيل ولم يجز * عنه ولم يفتح بفاحشة فما
لو أعظم الحدثان شيأ قبله * بعد النبي به لكنت المعظما
أو كان أقنع بالسلامة قبله * أحدا لكان قصاره ان يسلما
ضحوا بابراهيم خير ضحية * فتصرمت أيامه فتصرما
بطلا يخوض بنفسه غمراته * لا طائشا رعشا ولا مستسلما
حتى مضت فيه السيوف وربما * كانت حتوفهم السيوف وربما
أغنى بنو حسن أبيح حريمهم * فينا وأصبح نهبهم متقسما
ونساؤهم في دورهن نوائح * سجع الحمام اذا الحمام ترنما
يتوصلون بقتله وبرونه * شرفا لهم عند الامام ومغنما
والله لو شهد النبي محمد * صلى الاله على النبي وسلما
اشراع أمته الاسنة لابنه * حتى تقطر من ظباتهم دما
حقا لايقن انهم قد ضيعوا * تلك القرابة واستحلوا المحرما

ولما قتل محمد قام عيسى بالمدينة أياما ثم سار عنها صبح تسع عشرة خلت من رمضان يريد مكة معتمرا واستخلف على المدينة كثير بن خضير فأقام بها شهرا ثم استعمل المنصور عليها عبد الله بن الربيع الحارثي

﴿ذكر وثوب السودان بالمدينة﴾

وفيها ثار السودان بالمدينة على عاملها عبد الله بن الربيع الحارثي فهرب منهم وسبب ذلك ان المنصور استعمل عبد الله بن الربيع على المدينة وقدمها خمس بقين من شوال فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه منهم فشكا ذلك التجار الى ابن الربيع فانتهرهم وشتمهم فتراید طمع الجند فيهم فعدوا على رجل صيرفي فنازعوه كيسه فاستعان بالناس فخلص ماله منهم وشكا أهل المدينة ذلك منهم فلم ينكره ابن الربيع ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزار لحما يوم جمعة ولم يعطه ثمنه وشهر عليه السيف فضربه الجزار بشفرة في خاصرته فقتله واجتمع الجزارون وتنادى السودان على الجند وهم يروحون الى الجمعة فقتلوهم بالعمد ونفخوا في بوق لهم فسمعه السودان من العالية والسافلة فاقبلوا واجتمعوا وكان رؤساؤهم ثلاثة نفر وثيق ويعقل وزمعة ولم يزالوا على ذلك من قتل الجند حتى أمسوا فلما كان الغد قصدوا ابن الربيع فهرب منهم وأتى بطن نخل على ليلتين من المدينة فنزل به فانتهبوا طعاما للمنصور وزيتا وقصبا فباعوا الحمل الدقيق بدرهمين وراوية الزيت باربعة دراهم وسار سليمان بن مليح ذلك اليوم الى المنصور فأخبره وكان أبو بكر بن أبي سبرة في الحبس قد أخذ مع محمد بن عبد الله فضرب وحبس مقيدا فلما كان من السودان ما كان خرج في حديده من الحبس فأتى المسجد فارسل الى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما فاحضرهم عنده فقال أنشدكم الله وهذه البلية التي وقعت فوالله ان ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الاولى انه لهلاك البلد وأهله والعبيد في السوق باجمعهم فاذهبوا اليهم فكلموهم في الرجعة والعود الى رأيكم فانهم أخرجتهم الحمية فذهبوا الى العبيد فكلموهم فقالوا مرحبا بوالينا والله ما قلنا الا انفة مما عمل بكم فامرنا اليكم فاقبلوا بهم الى المسجد فخطبهم ابن أبي سبرة وحثهم على الطاعة فتراجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمعة فلما كان وقت العشاء الآخرة لم يجب المؤذن أحدا الى الصلاة بهم فقدم الاصبغ بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فلما

معاوية فقال معاوية لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله ما ظنك بالرجل اتراه يمنعنا الماء لمنعنا اياه وقد انحاز باهل الشام الى ناحية فى البرنا ئيا عن الماء فقال له عمرو لا ان الرجل جاء لغير هذا وانه لا يرضى حتى تدخل فى طاعته أو يقطع حبال عاتقك فارسل اليه معاوية يستأذنه فى ورود مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخل رسله عسكره فاباحه على كل ماسال وطلب منه ولما كان أول يوم من ذى الحجة بعد نزول على على هذا الموضع بيومين بعث الى معاوية يدعوه الى اتحاد الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين وطالت المراسلة بينهما فاتفقوا على الموادعة الى آخر المحرم سنة سبع وثلاثين وامتنع المسلمون عن الغزو فى البحر والبر لشغلهم بالحروب وقد كان معاوية صالح ملك الروم على مال يحمله اليه لشغله بعلى ولم يتم بين على ومعاوية صلح على غير ما اتفقا عليه من الموادعة فى المحرم وعزم القوم على الحرب بعد انقضاء المحرم فى ذلك يقول حابس بن سعد الطائى صاحب راية معاوية

فادون المنايا غير سبع
بقين من المحرم أو ثمان

ولما كان فى اليوم الآخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث الى أهل

وقف للصلاة واستوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه ونادى بأعلى صوته أنا فلان بن فلان أصلى بالناس على طاعة أمير المؤمنين ثم يقول ذلك مرتين وثلاثا ثم تقدم فصلى بهم فلما كان الغد قال لهم ابن أبى سبرة انكم قد كان منكم بالامس ما قد علمتم ونهبتم طعام أمير المؤمنين فلا يبقين عند أحد منه شئ الا رده فردوه ورجع ابن الربيع من بطن نخل فقطع يد وثيق ويعقل وغيرهما

﴿ ذكر بناء مدينة بغداد ﴾

فيها ابتدأ المنصور فى بناء مدينة بغداد وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحى الكوفه فلما ثارت الراوندية فيها كره مسكناها ذلك ولجوار أهل الكوفة أيضا فانه كان لا يأمن أهلها على نفسه وكانوا قد أفسدوا جنده فخرج بنفسه يرتاد له موضعا يسكنه هو وجنده فانحدر الى جرجرايا ثم أصعد الى الموصل وسار نحو الجبل فى طلب منزل يبنى به وكان قد تخلف بعض جنده بالمدائن لرمد لحقه فسأله الطبيب الذى يعالجه عن سبب حركة المنصور فاخبره فقال انا نجد فى كتب عندنا ان رجلا يدعى مقلاصا يبنى مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا أسسها وبنى بعضها أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها وأصلح ذلك الفتق ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منه فلم يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها فيتمه ثم يعمر عمرا طويلا ويبقى الملك فى عقبه فقدم ذلك الجندى الى عسكر المنصور وهو بنواحى الجبل فاخبره الخبر فرجع وقال انى أنا والله كنت أدعى مقلاصا وأنا صبى ثم زال عنى وسار حتى نزل الدير الذى حذاه قصره المعروف بالخلد ودعا بصاحب الدير وبالبطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب بستان النفس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواضعهم وكيف هى فى الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فاخبره كل منهم بما عنده ووقع اختيارهم على صاحب بغداد فاحضره وشاوره فقال يا أمير المؤمنين سألتنى عن هذه الامكنة وما تختار منها وانى أرى ان تنزل أربعة طساسيج فى الجانب الغربى طسوجين وهما بقطربل وبادرويا وفى الجانب الشرقى طسوجين وهما نهربوق وكلواذى فيكون بين نخل وقرب الماء وان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان فى الطسوج الآخر العمارات وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجبيك الميرة فى السفن من الشام والرقة والغرب فى طوائف مصر وتجبيك الميرة من الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل وغيرها فى دجلة وتجبيك الميرة من أرمينية وما اتصل بها فى تامرا حتى يتصل بالزاب فانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر وأخربت القنطرة لم يصل اليك ودجلة والفرات والصراة خنادق هذه المدينة وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد وأنت قريب من البر والبحر والجبل فازداد المنصور عزما على النزول فى ذلك الموضع وقيل ان المنصور لما أراد ان يبنى مدينته بغداد رأى راهبا فناداه فاجابه فقال هل تجدون فى كتبكم انه يبنى ههنا مدينة قال نعم يبنيها مقلاص قال فانا كنت أدعى مقلاصا فى حداثتى قال فاذا أنت صاحبها فابتدأ المنصور بعملها لاربع خلون من سنة خمس وأربعين وكتب الى الشام والجبل والكوفة وواسط والبصرة فى معنى انفاذ الصناع والفعلة وأمر باختيار قوم من ذوى الفضل والعدالة والفقه وأمر باختيار قوم من ذوى الامانة والمعرفة بالهندسة فكان ممن احضر لذلك الحجاج بن ارطاة وأبو حنيفة وأمر فخطت المدينة وحفر الاساس وضرب اللبن وطبخ الآجر فكان أول ما ابتدأ به منها أنه أمر بخطها بالرماد فدخلها من أبوابها وفصلانها وطاقاتها ورحابها وهى مخطوطة بالرماد ثم أمر ان يجعل على الرماد حب القطن ويشعل بالنار ففعلوا فنظر اليها وهى تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر ان يحفر الاساس على ذلك الرسم . وكل بها أربعة من القواد كل قائد

الشام انى قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه وانى قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلم يردوا عليه جوابا

امام الناس وأخرج اليه معاوية وقد تصاف أهل الشام وأهل العراق حبيب بن مسلم الفهري وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا فلما كان يوم الخميس وهو اليوم الثاني أخرج على هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص واغا سمي المرقال لانه كان يرقل في الحرب وكان أعور ذهبت عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي وقد أتينا على خبره في اليوم الذي ذهبت فيه عينه وحسن بلائه في ذلك اليوم في الكتاب الاوسط في فتوح الشام فاخرج اليه معاوية أبا الاعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي وكان بينهم الحرب سجالا وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير وأخرج علي في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أبا اليقظان عمار بن ياسر في عدة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار فيمن شرع معهم من الناس وأخرج اليه معاوية عمرو بن العاص في تنوخ ونهر وغيرهما من أهل الشام وكانت بينهم سجالا الى الظهر ثم حمل عمار بن ياسر فيمن ذكرنا فازال عمرا عن موضعه وألحقه بعسكر معاوية اطلبه

بربع ووكل أبا حنيفة بعدد الآجر واللبن وكان قبل ذلك قد أراد أبا حنيفة ان يتولى القضاء والمظالم فلم يجب فحلف المنصور انه لا يقلع عنه أو يعمل له فاجابه الى ان ينظر في عمارة بغداد ويعد اللبن والآجر بالغصب وهو أول من فعل ذلك وجعل المنصور عرض أساس السور من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا وجعل في البناء القصب والخشب ووضع بيده أول لبنة وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله فلما بلغ السور مقدار قامة جاءه الخبر بظهور محمد بن عبد الله فقطع البناء ثم أقام بالكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه ابراهيم ثم رجع الى بغداد فاتم بناءها وأقطع فيها القطائع لاصحابه وكان المنصور قد أعد جميع ما يحتاج اليه من بناء المدينة من خشب وساج وغير ذلك واستخلف حين شخص الى الكوفة على اصلاح ما اعدا سلم مولاه فبلغه ان ابراهيم قد هزم عسكر المنصور فاحرق ما كان خلفه عليه المنصور فبلغ المنصور ذلك فكتب اليه يلومه فكتب اليه أسلم يخبره انه خاف ان يظفر بهم ابراهيم فيأخذه فلم يقل له شيأ وسنذكر كيفية بنائها في سنة ست وأربعين ان شاء الله

﴿ذكر ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن أخي محمد﴾

وهو كان ظهور ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أخو محمد المقدم ذكره وكان قبل ظهوره قد طلب أشد الطلب فحكت جارية له انه لم تقرهم أرض خمس سنين مرة بفارس ومرة بكرمان ومرة بالجبل ومرة بالحجاز ومرة باليمن ومرة بالشام ثم انه قدم الموصل وقدمها المنصور في طلبه فحكى ابراهيم قال اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور ثم خرجت وقد كف الطلب وكان قوم من أهل العسكر يتشيعون فكتبوا الى ابراهيم يسألونه القدوم اليهم ليثبوا بالمنصور فقدم عسكر أبي جعفر وهو ببغداد وقد خطها وكانت له مرآة ينظر فيها فيرى عدوه من صديقه فنظر فيها فقال يا مسيب قد رأيت ابراهيم في عسكري وما في الارض أعدى لي منه فانظر أي رجل يكون ثم ان المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة فخرج ابراهيم ينظر اليهم مع الناس فوقعت عليه عين المنصور فجلس ابراهيم وذهب في الناس فاتى فاميا فلجأ اليه فاصعده غرفة له وجد المنصور في طلبه ووضع الرصد بكل مكان فنشب ابراهيم مكانه فقال له صاحبه سفيان بن حيان القمي قد نزل بنا ما ترى ولا بد من المخاطرة قال فانت وذاك فاقبل سفيان الى الربيع فسأله الاذن على المنصور فادخله عليه فلما رآه شتمه فقال يا أمير المؤمنين أنا أهل لما تقول غير اني أتيتك تائبا ولك عندي كل ما تحب وأنا آتيك بابراهيم بن عبد الله اني قد بلوتهم فلم أجد فيهم خيرا فاكتب لي جوازا ولغلام معي يحملني على البريد ووجه معي جندا فكتب له جواز ودفع اليه جندا وقال هذه ألف دينار فاستعن بها قال لا حاجة لي فيها وأخذ منها ثلثمائة دينار وأقبل والجند معه فدخل البيت وعلى ابراهيم جبة صوف وقباء كاقبية الغلمان فصاح به فوثب وجعل يأمره وينهاه وسار على البريد وقيل لم يركب البريد وسار حتى قدم المدائن فمنعه صاحب القنطرة بها فدفع جوازه اليه فلما جازها قال له الموكل بالقنطرة ما هذا غلام وانه لابراهيم بن عبد الله اذهب راشدا فاطلقهما فركبا سفينة حتى قدما البصرة فجعل يأتي بالجند الدار لها بابان فيقعد البعض منهم على أحد البابين ويقول لا تبرحوا حتى آتيكم فيخرج من الباب الآخر ويتركهم حتى فرق الجند عن نفسه وبقي وحده وبلغ الخبر سفيان بن معاوية أمير البصرة فارسل اليهم فجمعهم وتطلب القمي فأعجزه وكان ابراهيم قد قدم الاهواز قبل ذلك واختفى عند الحسن بن خبيب وكان محمد بن الحصين يطلبه فقال يوما ان أمير المؤمنين كتب الي يخبرني ان المنجمين اخبروه ان ابراهيم نازل بالاهواز في جزيرة بين نهرين وقد طلبته في الجزيرة وليس هناك وقد عزمت ان

اطلبه غدا بالمدينة لعل أمير المؤمنين يعنى بقوله بين نهرين بين دجيل والمسرقان فرجع الحسن بن خبيب الى ابراهيم فاخبره وأخرجه الى ظاهر البلد ولم يطلبه محمد ذلك اليوم فلما كان آخر النهار خرج الحسن الى ابراهيم فادخله البلد وهما على حمارين وقت العشاء الآخرة فلقيه اوائل خيل ابن الحصين فنزل ابراهيم عن حماره كأنه يبول فسأل ابن الحصين الحسن بن خبيب عن مجيئه فقال من عند بعض أهلى فمضى وتركه ورجع الحسن الى ابراهيم فاركبه وأدخله الى منزله فقال له ابراهيم والله لقد بلت دما قال فأتيت الموضع فرأيته قد بال دما ثم ان ابراهيم قدم البصرة فقيل قدمها سنة خمس وأربعين بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة وقيل قدمها سنة ثلاث وأربعين ومائة وكان الذى أقدمه وتولى قراه فى قول بعضهم يحيى بن زياد بن حيان النبطى وأنزله فى داره فى بنى ليث وقيل نزل فى دار أبى فروة ودعا الناس الى بيعة أخيه وكان أول من بايعه غيلة بن مرة العبشمى وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد بن زياد وعمرو بن سلمة الهجيمى وعبد الله بن يحيى بن حصين الرقاشى وندبوا الناس فاجابهم المغيرة بن الفزع واشباه له وأجابه أيضا عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ وعباد بن العوام واسحق بن يوسف الازرق ومعاوية بن هشيم بن بشير وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم حتى احصى ديوانه أربعة آلاف وشهر امره فقالوا له لو تحولت الى وسط البصرة أتاك الناس وهم مستريحون فتحول فنزل دار أبى مروان مولى بنى سليم فى مقبرة بنى يشكر وكان سفيان بن معاوية قدما لا على أمره ولما ظهر أخوه محمد كتب اليه يأمره بالظهور فوجم لذلك واغتم فجعل بعض أصحابه يسهل عليه ذلك وقال له قد اجتمع لك أمرك فتخرج الى السجن فتكسره من الليل فتصبح وقد اجتمع لك عالم من الناس وطابت نفسه وكان المنصور بظاهر الكوفة كما تقدم فى قلة من العساكر وقد أرسل ثلاثة من القواد الى سفيان بن معاوية بالبصرة مددا له ليكونوا عونا له على ابراهيم ان ظهر فلما اراد ابراهيم الظهور أرسل الى سفيان فأعلمه فجمع القواد عنده وظهر ابراهيم أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فغنم دواب أولئك الجند وصلى بالناس الصبح فى الجامع وقصد دار الامارة وبها سفيان متحصنا فى جماعة فحصره وطلب سفيان منه الامان فامنه ابراهيم ودخل الدار ففرشوا له حصيرا فهبت الريح فقلبته قبل أن يجلس فتطير الناس بذلك فقال ابراهيم انا لا نتطير وجلس عليه مقلوبا وحبس القواد وحبس أيضا سفيان بن معاوية فى القصر وقيده بقيد خفيف ليعلم المنصور انه محبوس وبلغ جعفرا ومحمدا ابنى سليمان بن على ظهور ابراهيم فأتيا فى ستمائة رجل فارسل اليهما ابراهيم المضاء بن القاسم الجزرى فى خمسين رجلا فهزمهما ونادى منادى ابراهيم لا يتبع مهزوم ولا يذفف على جريح ومضى ابراهيم بنفسه الى باب زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس والها ينسب الزينبيون من العباسيين فنادى بالامان وان لا يعرض لهم أحد فصفت له البصرة ووجد فى بيت مالها ألفى ألف درهم قوى بذلك وفرض لاصحابه لكل رجل خمسين خمسين فلما استقرت له البصرة أرسل المغيرة الى الاهواز فبلغها فى مائتى رجل وكان بها محمد بن الحصين عاملا للمنصور فخرج اليه فى أربعة آلاف فالتقوا فانهزم ابن الحصين ودخل المغيرة الاهواز وقيل انما وجه المغيرة بعد مسيره الى باخمرى وسير ابراهيم الى فارس عمرو بن شداد فقدمها وبها اسمعيل وعبد الصمد ابنا على بن عبد الله بن عباس فبلغهما دنو عمرو وهما باصطخر فقصدا دارابجرد فتحصنا بها فصارت فارس فى يد عمرو وأرسل ابراهيم مروان بن سعيد البجلى فى سبعة عشر ألفا الى واسط وبها هرون بن حميد الايادى من قبل المنصور فخلكها البجلى وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسمعيل المسلى فى خمسة آلاف وقيل فى عشرين ألفا فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون من ابراهيم

محمد بن الحنفية فى همدان وغيرها ممن خف معه من الناس فاخرج اليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى جمير ولخم وجذام وقد كان عبيد الله بن عمر لحق بمعاوية خوفا من على ان يقيده بالهرمزان وذلك أن ابا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر كان فى أرض العجم غلاما للهرمزان فلما قتل عمر شد عبيد الله على الهرمزان فقتله وقال لا أترك بالمدينة فارسيا ولا فى غيرها الا قتلته وكان الهرمزان عليلا فى الوقت الذى قتل فيه عمر فلما صارت الخلافة الى على اراد قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان لقتله اباه ظلما من غير سبب استحقه فلجأ الى معاوية فاقتتلوا فى ذلك اليوم وكانت على أهل الشام ونجا ابن عمر فى آخر النهار هربا واخرج على فى اليوم الخامس وهو يوم الاحد عبد الله بن العباس فاخرج اليه معاوية الوليد بن عقبة بن أبى معيط فاقتتلوا واكثر الوليد من سب بنى عبد المطلب بن هاشم فقاتله ابن عباس قتالا شديدا وناداه ابرز الى يا صفوان وكان لقب الوليد وكانت الغلبة لابن عباس وكان يوما صعبا واخرج على فى

اليه معاوية ذا الكلاع وكانت بينهما الى آخر النهار وأسفرت عن قتلى وانصرف الفريقان جميعا وأخرج على فى اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر فى النخع وغيرهم فاخرج اليه معاوية حبيب ابن سلمة الفهرى فكانت بينهم سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح فى أهل الشام اعم وخرج فى اليوم الثامن وهو يوم الاربعاء على رضى الله تعالى عنه بنفسه فى الصحابة من البدريين وغيرهم من المهاجرين والانصار وربيعة وهمدان قال ابن عباس رأيت فى هذا اليوم عليا وعليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليط وهو يقف على طوائف الناس فى مراتبهم يحثهم ويحرضهم حتى انتهى الى وأنا فى كثيف من الناس فقال يا معشر المسلمين عموا الاصوات وأكملوا اللامة واستشعروا الخشية واقلقوا السيوف فى الاجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا الهبر وناخوا الصباوصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفسا فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله عاودوا الكر واستفيحوا الفر فانه عار فى الاحساب ونار يوم الحساب ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكب صعبه معترض ذراعيه قد قدم للوثبة يدا وأخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى يفض الله جمعهم وهو خير

والمنصور فلما قتل ابراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما فاختفى حتى مات فلم يزل ابراهيم بالبصرة يفرق العمال والجيوش حتى أتاه نعى أخيه محمد قبل عيد الفطر بثلاثة أيام فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار فصلى بهم وأخبرهم بقتل محمد فازداد وافى قتال المنصور بصيرة وأصبح من الغد فعسكر واستخلف على البصرة غيلة وخلف ابنه حسنا معه

﴿ذكر مسير ابراهيم وقتله﴾

ثم ان ابراهيم عزم على المسير فأشار أصحابه البصريون أن تقيم وترسل الجنود فيكون اذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم فخيف مكانك وانفاك عدوك وجبيت الاموال وثبتت وما أتك فقال من عنده من أهل الكوفة ان بالكوفة اقواما لو رأولك ماتوا دونك وان لم يروك قعدت بهم أسباب شتى فسار عن البصرة الى الكوفة وكان المنصور لما بلغه ظهور ابراهيم فى قلة من العسكر فقال والله ما أدرى كيف أصنع ما فى عسكرى الا ألف رجل فرقت جندى مع المهدى بالرى ثلاثون ألفا ومع محمد ابن الاشعث بافريقية أربعون ألفا والباقون مع عيسى بن موسى والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفا ثم كتب الى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعا فأتاه الكتاب وقد احرم بعمرة فتركها وعاد وكتب الى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرى فقال له المنصور اعمد الى ابراهيم ولا يروعنك جمعه فوالله انهم اجلاب بنى هاشم المقتولان فثق بما أقول وضم اليه غيره من القواد وكتب الى المهدى يأمره بانفاذ خزيمة بن خازم الى الاهواز فسيره فى أربعة آلاف فارس فوصلها وقاتل المغيرة فرجع المغيرة الى البصرة واستباح خزيمة الاهواز ثلاثا وتوالت على المنصور الفتوق من البصرة والاهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد والى جانبه أهل الكوفة فى مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحة فلما توالت الاخبار عليه بذلك أنشد

وجعلت نفسى للرماح دريئة * ان الرئيس لمثل ذاك فعول

ثم انه رمى كل ناحية بحجرها وبقى المنصور على مصلاه خمسين يوما ينام عليه وجلس عليه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها لا غيرها ولا هجر المصلى الا أنه كان اذا ظهر للناس لبس السواد فاذا فارقهم رجع الى هيئته وأهديت اليه امرأتان من المدينة احداهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله والاخرى أم الكريم ابنة عبد الله من ولد خالد بن أسيد فلم ينظر اليهما فقيل له انهما قد سائت ظنونهما فقال ليست هذه أيام نساء ولا سبيل اليهما حتى انظر رأس ابراهيم لى أو رأسى له قال الحجاج بن قتيبة لما تتابعت الفتوق على المنصور دخلت مسلما عليه وقد أتاه خبر البصرة والاهواز وفارس وعساكر ابراهيم قد عظمت وبالكوفة مائة ألف سيف بازاء عسكره ينتظر صيحة واحدة فيثبون به فرأيته أحوذيا مشمرا قد قام الى مانزل به من النوائب يعركها فقام بها ولم تقعد به نفسه وانه كما قال الاول

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته ملكا هماما

ثم وجه المنصور الى ابراهيم عيسى بن موسى فى خمسة عشر ألفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة فى ثلاثة آلاف وقال له لما ودعه ان هؤلاء الحبناء يعنى المنجمين يزعمون انك اذا لاقيت ابراهيم تحول أصحابك جولة حتى تلقاه ثم يرجعون اليك وتكون العاقبة لك ولما سار ابراهيم عن البصرة مشى ليلته فى عسكره سرا فسمع أصوات الطنابير ثم فعل ذلك مرة أخرى فسمعها أيضا فقال ما أطمع فى نصر عسكر فيه مثل هذا وسمع ينشد فى طريقه أبيات القطامى

أمور لو يدبرها حكيم * اذن لتهى وهيب ما استطاعا
ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه اسماعا

وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه اتباعا
ولكن الاديم اذا تغرى * بلى وتعيبا غلب الصناعا

فعلموا انه نادم على مسيره وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف وقيل كان معه فى طريقه عشرة آلاف وقيل له فى طريقه ليأخذ غير الوجه الذى فيه عيسى ويقصد الكوفة فان المنصور لا يقوم له وينضاف أهل الكوفة اليه ولا يبقى للمنصور مرجع دون حلوان فلم يفعل فقيل له ليبيت عيسى فقال أكره البيات الا بعد الانذار وقام بعض أهل الكوفة ليأمره بالمسير اليهم اليدعو اليه الناس وقال ادعوهم سرا ثم اجهر فاذا سمع المنصور الهيعة بارجاء الكوفة لم يرد وجهه شيء دون حلوان فاستشار بشيرا الرحال فقال لو وثقنا بالذى تقول لكان رأيا ولكنا لا نامن أن تجيئك منهم طائفة فيرسل اليهم المنصور الخيل فيأخذ البرىء والصغير والمرأة فيكون ذلك تعرضا للاثم فقال الكوفى كأنكم خرجتم لقتال المنصور وأنتم تتوقون قتل الضعيف والمرأة والصغير أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سراياه ليقاتل ويكون نحو هذا فقال بشير أولئك كفار وهؤلاء مسلمون واتبع ابراهيم رأيه وسار حتى نزل باخمرا وهى من الكوفة على ستة عشر فرسخا مقابل عيسى بن موسى فارسل اليه سلم بن قتيبة انك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت نخندق على نفسك حتى لا تؤتى الا من مأتى واحد فان أنت لم تفعل فقد أغرى أبو جعفر عسكره فتخفف فى طائفة حتى تأتيه فتأخذ بقفاه فدعا ابراهيم أصحابه وعرض عليهم ذلك فقالوا نخندق على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم لا والله لا نفعل قال فنأتى أبا جعفر قالوا ولم وهو فى أيدينا متى أردناه فقال ابراهيم للرسول اتسمع فارجع راشدا ثم انهم تصافوا فصف ابراهيم أصحابه صفا واحدا فأشار عليه بعض أصحابه بان يجعلهم كراديس فاذا انهزم كردوس ثبت كردوس فان الصف اذا انهزم بعضه تداعى سائره فقال الباقون لا نصف الا صف أهل الاسلام يعنى قول الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا الآية فاقتتل الناس قتالا شديدا وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه فاقبل حميد منهزما فقال له عيسى اتق الله والطاعة فقال لا طاعة فى الهزيمة ومر الناس فلم يبق مع عيسى الا نفر يسير فقيل له لو تنحيت عن مكانك حتى تؤوب اليك الناس فتكر بهم فقال لا أزول عن مكانى هذا أبدا حتى اقتل أو يفتح الله على يدى والله لا ينظر أهل بيتى الى وجهى أبدا وقد انهزمت عن عدوهم وجعل يقول لمن يمر به اقرئ أهل بيتى السلام وقولوا لهم لم أجد فداء أفديكم به أعز من نفسى وقد بذلتها دونكم فبيناهم على ذلك لا يلوى أحد على أحد اذ أتى جعفر ومحمدا ابنا سليمان بن على من ظهور أصحاب ابراهيم ولا يشعر بأحد فى أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم فرأى القتال من ورائهم فعطفوا نحوه ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم فكانت الهزيمة على أصحاب ابراهيم فلولا جعفر ومحمد لتمت الهزيمة وكان من صنع الله للمنصور ان أصحابه لقيهم نهر فى طريقهم فلم يقدروا على الوثوب ولم يجدوا مخاضة فعادوا بأجمعهم وكان أصحاب ابراهيم قد ضخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار وثبت ابراهيم فى نفر من أصحابه يبلغون ستمائة وقيل أربعمائة وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤس الى عيسى وجاء ابراهيم سهم عائر فوقع فى حلقه فنحره فتنحى عن موقفه وقال انزلونى فانزلوه عن مركبه وهو يقول وكان امر الله قدرا مقدورا أردنا أمرا وأراد الله غيره واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه فقال حميد بن قحطبة لاصحابه شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه فشدوا عليهم فقاتلوهم أشد قتال حتى أفرجوهم عن ابراهيم ووصلوا اليه وحزوا رأسه فاتوا به عيسى فأراه ابن

وقال عمار بن ياسر انى لارى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكنا على

للحرب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء وخرج معاوية فى عدد أهل الشام فانصرفوا عند المساء وكل غير طافر وخرج فى اليوم التاسع على وهو يوم الخميس وخرج معاوية فاقتتلوا الى ضحوة من النهار وبرز أمام الناس عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى أربعة آلاف من الحضرية معممين بشقق الحرير الاخضر متقدمين للموت يطلبون بدم عثمان وابن عمر يقدمهم وهو يقول

انا عبيد الله يمينى عمر
خير قريش من مضى ومن غبر
غير نبى الله والشيخ الاغر

فدا بطأت فى نصر عثمان مضر والزبيريون فلا أسقوا المطر فناداه على ويحك يا ابن عمر علام تقاتلنى والله لو كان أبوك حيا ما قاتلنى قال أطلب بدم عثمان قال أنت تطلب بدم عثمان والله يطلبك بدم الهرمزان وأمر على الاشتر النخعى بالخروج اليه فخرج الاشتر اليه وهو يقول

انى أنا الاشتر معروف السير
انى انا الافعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيع أو مضر
لكننى من مذحج ابيض الغرر

فانصرف عنه عبيد الله ولم يبارزه وكثرت القتلى يومئذ

أبي الكرام الجعفري فقال نعم هذا رأسه فنزل عيسى الى الارض فسجد وبعث برأسه الى المنصور وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة ومكث منذ خرج الى ان قتل ثلاثة أشهر الا خمسة أيام وقيل كان سبب انهزام أصحابه انهم لما هزموا أصحاب المنصور وتبعوهم نادى منادي ابراهيم ألا لا تتبعوا مدبرا فرجعوا فلما رآهم أصحاب المنصور راجعين ظنوهم منهزمين فعطفوا في آثارهم وكانت الهزيمة وبلغ المنصور الخبر بهزيمة أصحابه أولا فعزم على اتيان الري فاتاه نوبخت المنجم وقال يا أمير المؤمنين الظفر لك وسيقتل ابراهيم فلم يقبل منه فبينما هو كذلك اذ جاءه الخبر بقتل ابراهيم فتمثل

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاقطع المنصور نوبخت ألفي جريب بنهر حويزة وحمل رأس ابراهيم الى المنصور فوضع بين يديه فلما رآه بكى حتى خرجت دموعه على خد ابراهيم ثم قال أما والله اني كنت لهذا كارها ولكنك ابتليت بي وابتليت بك ثم جلس مجلسا عاما وأذن للناس فكان الداخل يدخل فيتناول ابراهيم ويسيء القول فيه ويذكر فيه القبيح القاسا لرضا المنصور والمنصور متمسك متغير لونه حتى دخل جعفر ابن حنظلة الدارمي فوقف فسلم ثم قال أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال يا أبا خالد مر حبا بهذا فعلم الناس ان ذلك يرضيه فقالوا مثل قوله وقيل لما وضع الرأس بصق في وجهه رجل من الحرس فامر به المنصور فضرب بالعمد فهشمت أنفه ووجهه وضرب حتى خمد وأمر به فجروا رجله فالقوه خارج الباب قيل نظر المنصور الى سفيان بن معاوية بعد مدة راكبا فقال لله العجب كيف يقتلني ابن الفاعلة انقضى أمر ابراهيم رضي الله عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفيها خرجت الترك والخزر بباب الابواب فقتلوا من المسلمين بارمينية جماعة كثيرة وحج بالناس هذه السنة السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس وكان على مكة وكان على المدينة عبد الله بن الربيع وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة مسلم بن قتيبة الباهلي وعلى قضائها عباد بن منصور وعلى مصر يزيد بن حاتم وفيها عزل المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل بابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور وسير معه حرب بن عبد الله وهو من أكابر قواده وهو صاحب الحربية ببغداد وبنى باسفل الموصل قصرا وسكنه فهو يعرف الى اليوم بقصر حرب وفيه ولدت زبيدة بنت جعفر زوجة الرشيد وعنده بوصنا هذا قرية كانت ملكا لنا فبنينا فيها رباطا للصوفية ووقفنا القرية عليه فجمعت كثيرا من هذا الكتاب في هذه القرية في دار لنا بها وهي من أنزه المواضع وأحسنها وأثر القصر باق بها الى الآن سبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور وفيها مات عمرو بن ميمون بن مهران والحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان موته في حبس المنصور لانه أخذه من المدينة كما ذكرناه وهو عم محمد وابراهيم وفيها مات عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ويحيى بن الحرث الذماري وله سبعون سنة واسمعيل بن أبي خالد البجلي وحبيب بن الشهيد مولى الازد وكنيته أبو شهيد

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر انتقال المنصور الى بغداد وكيفية بنائها﴾

وفيها في صفر تحول المنصور من مدينة ابن هبيرة الى بغداد وبنى مدينتها وقد ذكرنا في سنة خمس وأربعين ومائة السبب الباعث للمنصور على بناء مدينة بغداد ونذكر الآن بناءها ولما عزم المنصور على بناء بغداد شاور أصحابه وكان فيهم خالد بن برمك فاشار أيضا بذلك وهو خطها فاستشاره في نقض المدائن وايوان كسرى ونقل نقضها الى بغداد فقال لا أرى ذلك لانه علم من اعلام الاسلام

من صافهم بعس فيه لبن فدفعته اليه فقال الله اكبر الله اكبر اليوم ألقى الاحبة تحت الاسنة صدق الصادق وبذلك خبر الناطق وهو اليوم الذي وعدت فيه ثم قال أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله وتقدم وهو يقول نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله أو يرجع الحق الى سبيله فتوسط القوم واشتبكت عليه الاسنة فقتله أبو الهادية العاملي وأبو حواء السكسكي واختلفا في سلبه فاحتكما الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال لهما اخرجا عني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغت قريش بمعارمالهم ولمعاريدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وكان قتله عند المساء وله ثلاث وتسعون سنة وقبره بصفين وصلى عليه علي عليه السلام ولم يغسله وكان يغير شيبه وقد تنوزع في نسبه فمن الناس من الحقه ببني مخزوم ومنهم من رأى انه من حلفائهم ومنهم من رأى غير ذلك وقد اتينا على خبره في كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الآثار عند ذكرنا لاشتراط الخمسين يستدل

يستدل به الناظر على انه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بامر الدنيا وانما هو على أمر دين ومع هذا ففيه مصلى على بن أبى طالب قال المنصور لا أبيت يا خالد الا بالميل الى أصحاب الهجم وأمر بنقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر فكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد فدعا خالد بن برمك فاعلمه ذلك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أرى أن لا تفعل فاما اذ فعلت فانى أرى ان تهدم لئلا يقال انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فاعرض عنه وترك هدمه ونقل أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد وبابا جى به من الشام وبابا آخر جى به من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله القسرى وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب الى السلطان من بعض وعمل لها سورين السور الداخل أعلى من الخارج وبنى قصره فى وسطها والمسجد الجامع بجانب القصر وكان الحجاج بن ارطاة هو الذى خط المسجد وقبلته غير مستقيمة يحتاج المصلى ان ينحرف الى باب البصرة لانه وضع بعد القصر وكان القصر غير مستقيم على القبلة وكان اللبن الذى بنى به ذراع فى ذراع ووزن بعضها المانقض فكان وزن لبنة منه مائة رطل وستة عشر رطلا وكانت مقاصير جماعة من قواد المنصور وكتابه تشرع أبوابها الى رحبة الجامع فطلب اليه عمه عيسى بن على أن يأذن له فى الركوب من باب الرحبة الى القصر لضعفه فلم يأذن له قال فاحسبنى راوية فامر الناس باخراج أبوابهم من الرحبة الى فصلان الطاقات وكانت الاسواق فى المدينة فجاء رسول لملك الروم فامر الربيع فطاف به فى المدينة فقال كيف رأيت قال رأيت بناء حسنا الا أنى رأيت أعداءك معك وهم السوقة فلما عاد الرسول عنه أمر باخراجهم الى ناحية الكرخ وقيل انما أخرجهم لان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها وربما كان فيهم الجاسوس وقيل ان المنصور كان يتبع من خرج مع ابراهيم بن عبد الله وكان أبو زكريا يحيى بن عبد الله محتسب بغداد له مع ابراهيم ميل فجمع جماعة من السفلة فشغبوا على المنصور فسكنهم وأخذ أبا زكريا فقتله وأخرج الاسواق فكلم فى بقال فامر أن يجعل فى كل ربع بقال يبيع البقل والخل حسب وجعل الطريق أربعين ذراعا وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق وأبوابها اربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما وكان الاستاد من البنائين يعمل يومه بقيراط فضة والروزكارى بحبتين وحاسب القواد عند الفراغ منها فالزم كلا منهم بما بقى عنده فاخذه حتى ان خالد بن الصلت بقى عليه خمسة عشر درهما فحبسه وأخذها منه

(ذكر خروج العلاء بالاندلس)

وفيها سار العلاء بن مغيث اليحصبى من افريقية الى مدينة بناحية من الاندلس ولبس السواد وقام بالدولة العباسية وخطب للمنصور واجتمع اليه خلق كثير فخرج اليه الامير عبد الرحمن الاموى فالتقيا بواحى اشبيلية ثم تحاربا أياما فانهزم العلاء وأصحابه وقتل منهم فى المعركة سبعة آلاف وقتل العلاء وأمر بعض التجار بحمل رأسه ورؤس جماعة من مشاهير أصحابه الى القيروان والقائها بالسوق سرا ففعل ذلك ثم حمل منها شئ الى مكة فوصلت وكان بها المنصور وكان مع الرؤس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور للعلاء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل سلم بن قتيبة عن البصرة وكان سبب عزله ان المنصور كتب اليه يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وبعقر نخلهم فكتب سلم يأى ذلك أبدا بالدور أم بالنخل فانكر المنصور ذلك عليه وعزله واستعمل محمد بن سليمان فعاث بالبصرة وهدم دار أبى مروان ودار عون بن مالك ودار عبد الواحد بن زياد وغيرهم وغزا الصائفة هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانى وفيها عزل

فدهاج حزنى أبو اليقظان عمار
اهوى اليه أبو حوّ افوارسه
يدعو السكون وللجيشين اعصار
فاختل صدر أبى اليقظان معترضا
للرمح قد وجبت فيناله النار
الله عن جمعهم لاشك كان عفا
أتت بذلك آيات وآثار
من ينزع الله غلا من صدورهم
على الاسرة لم تمسسهم النار
قال النبى له تقتلك شرذمة
سيطت لحومهم بالبغى فجار
فاليوم يعرف أهل الشام أنهم
أصحاب تلك وفيها النار والعار
ولما صرع عمار تقدم سعيد ابن قيس الهمدانى فى همدان وتقدم سعد بن عباده الانصارى فى الانصار وربيعة وعدى بن حاتم ط وسعيد بن قيس الهمدانى فى أول الناس فخلطوا الجمع بالجمع واشتد القتال وحطمت همدان أهل الشام حتى قذفتهم الى معاوية وقد كان معاوية صمد فيمن كان معه لسعيد بن قيس ومن معه من همدان وأمر على الاشتران يتقدم باللواء الى أهل حمص وغيرهم من أهل قنسرين فاكثر القتل فى أهل حمص وقنسرين بمن معه من القراء وأتى المرقال يومئذ بمن معه فلا يقوم له شئ وجعل يرقل كما يرقل الفحل فى وبده وعلى وراءه يقول يا أعور لا تكن جبانا تقدم والمرقال يقول قد أكثر القوم وما أقلا * أعور يبغى أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا

عن المدينة عبد الله بن الربيع الحرثي وولى مكانه جعفر بن سليمان فقدمها فى ربيع الاول وفيها عزل عن مكة السرى بن عبد الله وولى بها عبد الصمد بن على وحج بالناس هذه السنة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفيها مات هشام بن عروة بن الزبير وقيل سنة سبع وأربعين فى شعبان وعوف الاعرابى وطلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمى الكوفى وفيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمى الذى يقال له مالك الصوائف وهو من أهل فلسطين بلاد الروم ففنم غنائم كثيرة ثم قفل فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميلا بموضع يدعى الرهوة نزل بها ثلاثا وباع الغنائم وقسم سهام الغنيمة فسميت تلك الرهوة رهوة مالك وفيها توفى ابن السائب الكلبى النسابة

﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة﴾

﴿ذكر قتل حرب بن عبد الله﴾

فيها أغار استرخان الخوارزمى فى جمع من الترك على المسلمين بناحية أرمينية وسبى من المسلمين وأهل الذمة خلقا ودخلوا تفليس وكان حرب مقيما بالموصل فى ألفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة وسير المنصور الى محاربة الترك جبرائيل بن يحيى وحرب بن عبد الله فقاتلوهم فهزم جبرائيل وقتل حرب وقتل من أصحاب جبرائيل خلق كثير

﴿ذكر البيعة للمهدى وخلع عيسى بن موسى﴾

وفيها خلع عيسى بن موسى بن محمد بن على من ولاية العهد وبويع للمهدى محمد بن المنصور وقد اختلف فى السبب الذى خلع لاجله نفسه فقيل ان عيسى لم يزل على ولاية العهد وامارة الكوفة من أيام السفاح الى الآن فلما كبر المهدى وعزم المنصور على البيعة له كلم عيسى بن موسى فى ذلك وكان يكرمه ويجلسه عن يمينه ويجلس المهدى عن يساره فلما قال له المنصور فى معنى خلع نفسه وتقديم المهدى عليه أبى وقال يا أمير المؤمنين كيف بالايمان على وعلى المسلمين من العتق والطلاق وغير ذلك ليس الى الخلع سبيل فتغير المنصور عليه وباعده بعض المباعدة وصار يأذن للمهدى قبله وكان يجلس عن يمينه فى مجلس عيسى ثم يأذن لعيسى فيدخل فيجلس الى جانب المهدى ولم يجلس عن يسار المنصور فاغتاظ منه ثم صار يأذن للمهدى ولعمه عيسى بن على ثم لعبد الصمد بن على ثم لعيسى بن موسى وربما قدم وأخر الا انه يبدأ بالاذن للمهدى على كل حال وتوهم عيسى أنه يقدم اذنهم لحاجة له اليهم وعيسى صامت لا يشكو ثم صار حال عيسى الى أعظم من ذلك فكان يكون فى المجلس معه بعض ولده فيسمع الحفر فى أصل الحائط وينثر عليه التراب وينظر الى الخشبة من السقف قد حفر عن أحد طرفيها التقلع فيسقط التراب على قلنسوته وثيابه فيأمر من معه من ولده بالتحول ويقوم هو يصلى ثم يأذن له فيدخل بهيئته والتراب على رأسه وثيابه لا ينفضه فيقول له المنصور يا عيسى ما يدخل على أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار والتراب أفكل هذا من الشارع فيقول أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو شيأ وكان المنصور يرسل اليه عمه عيسى بن على فى ذلك فكان عيسى بن موسى لا يؤثره ويتهمه فقيل ان المنصور أمر أن يسقى عيسى بن موسى بعض ما يتلفه فوجد الماء فى بطنه فاستأذن فى العود الى بيته بالكوفة فاذن له فمرض من ذلك واشتد مرضه ثم عوفى بعد أن أشفى وقال عيسى بن على للمنصور ان ابن موسى انما يتربص بالخلافة لابنه موسى فابنه الذى يمنعه فقال له خوفه وتهدده فكلمه عيسى بن على فى ذلك وخوفه فخاف موسى بن عيسى وأتى العباس بن محمد فقال يا عم انى أرى ما يسوءك أبى من اخراج هذا الامر من عنقه وهو يؤذى بصنوف الاذى بالمكروه فهو يهدد مرة ويؤخر اذنه مرة ويهدم عليه الحيطان مرة وتدس اليه الحتوف مرة وأبى لا يعطى على ذلك شيأ ولا يكون ذلك أبدا ولكن ههنا طريق لعله

لا بد ان يفل أو يفلا * أسلمهم بذى الكعوب سلا ثم قصدها شم بن عتبة المرقال لذى الكلاع وهو من حمير
فحمل عليه صاحب لواء ذى الكلاع وكان رجلا من عذرة وهو يقول
اثبت فانى لست من فزعى مضر
نحن اليمانيون ما فينا ضجر
كيف ترى وقع غلام من عذر
ينمى ابن عفان ويلحى من غدر
يا أعور العين رمى فيها العور
سيان عندى من سعى ومن أمر
فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم المرقال فقتله وقتل بعده سبعة عشر رجلا وحمل هاشم المرقال وحمل ذو الكلاع ومع المرقال جماعة من أسلم قد آلوا أن لا يرجعوا أو يقتصوا أو يقتلوا فاجتلد الناس فقتل هاشم المرقال وقتل ذو الكلاع جميعا فتناول ابن المرقال اللواء حين قتل أبوه فى وسط المعركة وكر فى الهجاج وهو يقول
يا هاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش هالك
يخبط الخيلين بالسنابك
أبشر بحور العين فى الارائك
والروح والريحان عند ذلك
ووقف على رضى الله عنه عنده مصرع المرقال ومن مصرع حوله من الاسلميين وغيرهم فدعا لهم وترحم عليهم وقال من أبيات
جزى الله خيرا عصبة أسلمية
صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر بن معبد * وسفيان وابناها شم ذى المكارم وعروة لا ينفد ثناه وذكره *

يعطى عليها والا فلا قال وما هو قال يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له انى أعلم انك لا تبخل بهذا الامر لنفسك لكبر سنك وانه لا تطول مدتك فيه وانما تبخل به لابنك افترانى أدع ابنك يبقى بعدك حتى يلى على ابنى كلا والله لا يكون ذلك أبدا ولا ئن على ابنك وأنت تنظر حتى ييأس منه فان فعل ذلك فلعله أن يجيب الى ما يراد منه فجاء العباس الى المنصور وأخبره بذلك فلما اجتمعوا عنده قال ذلك وكان عيسى بن على حاضرا فقام ليسول فامر عيسى بن موسى ابنه موسى ليقوم معه يجمع عليه ثيابه فقام معه فقال له عيسى بن على بابى أنت وبابى ولدك والله انى لاعلم انه لا خير فى هذا الامر بعد كما وانكما لا حق به ولكن المرء مغرى بما تعجل فقال موسى أمكننى هذا والله من مقاتلته وهو الذى يغرى بابى والله لاقتلنه فلما رجعا قال موسى لابيه ذلك سرا فاستأذنه فى أن يقول للمنصور ما سمع منه فقال له أبوه ان لهذا رأيا ومذهبا أيأتمك عمك على مقالة أراد أن يسرك بها فجعلتها سببا لمكروهه لا يسمعن هذا أحد ارجع الى مكانك فلما رجع الى مكانه أمر المنصور الربيع فقام الى موسى فخنقه بحمائله وموسى يصيح الله الله فى دمى يا أمير المؤمنين وما يبالى عيسى أن تقتلنى وله بضعة عشر ذكرا والمنصور يقول يا ربيع ازهق نفسه والربيع يوهم أنه يريد تلفه وهو يرفق به وموسى يصيح فلما رأى ذلك أبوه قال والله يا أمير المؤمنين ما كنت أظن ان الامر يبلغ منك هذا كله فكف عنه فها أنا ذا أشهدك ان نسائى طوالق وعمالى كله وما أملك فى سبيل الله تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين وهذه يدى بالبيعة للمهدى فبايعه للمهدى ثم جعل عيسى ابن موسى بعد المهدى فقال بعض أهل الكوفة هذا الذى كان غدا فصار بعد غد وقيل ان المنصور وضع الجند وكانوا يسمعون عيسى بن موسى ما يكره فشكا ذلك من فعلهم فنهاهم المنصور عنه وكانوا يكفون ثم يعودون ثم انهما تكاتبا مكاتبات أغضبت المنصور وعاد الجند معه لاشد مما كانوا منهم أسد بن المرزبان وعقبة بن سلم ونصر بن حرب بن عبد الله وغيرهم فكانوا يمنعون من الدخول عليه ويسمعونه فشكاهم الى المنصور فقال له يا ابن أخى انا والله أخافهم عليك وعلى نفسى فانهم يحبون هذا الفتى فلو قدمته بين يديك لكفوا فاجاب عيسى الى ذلك وقيل ان المنصور استشار خالد بن برمك فى ذلك وبعثه الى عيسى فاخذ معه ثلاثين من كبار شيعة المنصور ممن يختارهم وقال لعيسى فى أمر البيعة فامتنع فرجعوا الى المنصور وشهدوا على عيسى انه خلع نفسه فبايع للمهدى وجاء عيسى فانكر ذلك فلم يسمع منه وشكر خالد صنيعه وقيل بل اشترى المنصور منه ذلك بمال قدره أحد عشر ألف ألف درهم له ولاولاده وأشهد على نفسه بالخلع وكانت مدة ولاية عيسى بن موسى الكوفة ثلاث عشرة سنة وعزله المنصور واستعمل محمد بن سليمان بن على عليها اليؤذى عيسى ويستخف به فلم يفعل ولم يزل معظما له مبجلا

﴿ ذكر موت عبد الله بن على ﴾

وكان المنصور قد احضر عيسى بن موسى بعد ان خلع نفسه وسلم اليه عمه عبد الله بن على وأمره بقتله وقال له ان الخلافة صائرة اليك بعد المهدى فاضرب عنقه واياك ان تضعف فتنقض على أمرى الذى دبرته ثم مضى الى مكة وكتب الى عيسى من الطريق يستعلم منه ما فعل فى الامر الذى أمره فكتب عيسى فى الجواب قد انفذت ما أمرت به فلم يشك أنه قتله وكان عيسى حين أخذ عبد الله من عند المنصور ردعا كاتبه يونس بن فروة وأخبره الخبر فقال أراد ان تقتله ثم يقتلك لانه أمر بقتله سرا ثم يدعيه عليك علانية فلا تقتله ولا تدفعه اليه سرا أبدا واكتم أمره ففعل ذلك عيسى فلما قدم المنصور وضع على أعمامه من يحركهم على الشفاعة فى أخيهم عبد الله ففعلوا وشفعوا فشفعهم وقال لعيسى انى كنت دفعت اليك عمى وعمك عبد الله ليكون فى منزلك وقد كلمنى

عليا بالكوفة فى سنة ست وثلاثين فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلى فقال أخرجونى وادعوا الصلاة جامعة فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وعلى آله ثم قال أيها الناس ان الناس قد بايعوا عليا فعليكم بتقوى الله وانصروا عليا وازروه فوالله انه لعلى الحق آخرا وأولا وانه لخيركم من مضى بعد نبيكم ومن بقى الى يوم القيامة ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال اللهم اشهد أنى قد بايعت عليا وقال الحمد لله الذى أبقانى الى هذا اليوم وقال لا بنيه صفوان وسعد احملانى وكونا معه فسيكون له حروب كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا ان تستشهدا معه فانه والله على الحق ومن خالفه على الباطل ومات حذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام وقيل بأربعين يوما واستشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الاشتر واستشهد فيه عبد الله وعبد الرحمن ابنا بديل ابن ورقاء الخزاعى فى خلق من خزاعة وكان عبد الله فى ميسرة على وهو يرتجز ويقول

لم يبق الا الصبر والتوكل
وأخذك الترس وسيف مصقل
ثم التمشى فى الرعيل الاول

فقتل ثم قتل عبد الرحمن أخوه بعده فيمن ذكرنا من خزاعة ولما رأى معاوية القتل فى أهل الشام وكلب أهل العراق عليهم

عمومتك فيه وقد صفحت عنه فأتنا به قال يا أمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله فقتلته قال ما أمرتك قال بلى أمرتنى قال ما أمرتك الا بحبسه وقد كذبت ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم قالوا فادفعه الينا نقيده به فسلمه اليهم وخرجوا به الى الرحبة واجتمع الناس وشهر الامر وقام أحدهم ليقتله فقال له عيسى أفاعل أنت قال اى والله قال ردونى الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال له انما أردت بقتله ان تقتلنى هذا عمك حى سوى فقال ائتنا به فاتاه به قال يدخل حتى أرى رأيى ثم انصرف فوائم أمر به فجعل فى بيت أساسه ملح وأجرى الماء فى أساسه فسقط عليه فمات فدفن فى مقابر باب الشام فكان أول من دفن فيها وكان عمره اثنتين وخمسين سنة قيل ركب المنصور يوما ومعه ابن عياش المنتوف فقال له المنصور تعرف ثلاثة خلفاء أسماؤهم على العين فتلت ثلاثة خوارج مبدأ أسمائهم على العين قال لا أعرف الا ما يقول العامة ان عليا قتل عثمان وكذبوا وعبد الملك قتل عبد الرحمن بن الاشعث وعبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن على سقط عليه البيت فقال المنصور اذا سقط عليه فاذنبى أنا قال ما قلت ان لك ذنبا قوله ابن الزبير قتل عمرو بن سعيد ليس بصحيح انما قتله عبد الملك (عياش بالياء المثناة من تحت والشين المعجمة)

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ولى المنصور محمدا ابن أخيه أبى العباس السفاح البصرة فاستعفى منها فاعفاه فانصرف الى بغداد واستخلف بها نخبة بن سالم فاقره المنصور عليها فلما رجع الى بغداد مات بها وجع بالناس هذه السنة المنصور وكان عامله على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن على وعلى المدينة جعفر بن سليمان وعلى مصر يزيد بن حاتم المهلبى وفيها أغزى عبد الرحمن الاموى صاحب الاندلس مولاه بدرا وتمام بن علقمة طليطلة وبها هاشم بن عذرة وضيقا عليه ثم اسراه هو وحياة ابن الوليد اليحصبى وعثمان بن حزرة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وأتيا بهم الى عبد الرحمن فى جباب صوف وقد حلقت رؤسهم ولحاهم وقد اركبوا الحمير وهم فى السلاسل ثم صلبوا بقرطبة وفيها قدم رسول عبد الرحمن الذى أرسله الى الشام فى احضار ولده الاكبر سليمان فحضر وسليمان معه وكان قد ولد لعبد الرحمن بالاندلس ولده هشام فقدمه الامير عبد الرحمن على سليمان فحصل بينهما حقد وغل أوجبا ما نذكره فيما بعد وفيها تناثرت النجوم وفيها مات أشعث بن عبد الملك الحرانى البصرى وهشام بن حسان مولى لعتيك وقيل مات سنة ثمان وأربعين وعبد الرحمن بن زبيد بن الحرث اليامى أبو الاشعث الكوفى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة ﴾

﴿ ذكر خروج حسان بن مجالد ﴾

وفيها خرج حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الاجدع الهمدانى ومالك هذا هو أخو مسروق ابن الاجدع وكان خروجه بنواحى الموصل بقرية تسمى بالنفارى قريب من الموصل على دجلة فخرج اليه عسكر الموصل وعليها الصقر بن نجدة وكان قد وليها بعد حرب بن عبد الله فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل الى الجسر واحرق الخوارج أصحاب حسان السوق هناك ونهبوه ثم ان حسان سار الى الرقة ومنها الى البحر ودخل الى بلد السند وكانت الخوارج من أهل عمان يدخلونهم ويدعونهم فاستأذنهم فى المصير اليهم فلم يجيبوه فعاد الى الموصل فخرج اليه الصقر أيضا والحسن بن صالح بن حسان الهمدانى وبلال القيسى فالتقوا فانهزم الصقر وأسر الحسن بن صالح وبلال فقتل حسان بلالا واستبقى الحسن لانه من همدان ففارقه بعض أصحابه لهذا وكان حسان قد أخذ رأى الخوارج عن خاله حفص بن اشيم وكان من علماء الخوارج وفقهائهم ولما بلغ

هو خير منك مقدما وانصح منك دينا فقال له النعمان انا لو كنا ندعى الى جيش ممنوع لكان فى لكع بعد الاناة فكيف ونحن ندعوهم الى سيوف قاطعة وردينية شاغرة وقوم ذوى بصائر نافذة والله لقد نصحتك على نفسى وآثرت ملكك على دينى وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره وما وفقت لرشد حين أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول مؤمن به ومهاجر معه ولو أعطيناه ما أعطيناك لكان أرأف بالرعية وأجزل فى العطية ولكن قد بذلنا لك الامر ولا بد من اتمامه كان غيا أو رشدا وحاشا ان يكون رشدا وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها اذا حرمنا أثمار الجنة وأنهارها وخرج الى قومه وصمد الى الحرب وكان عبيد الله بن عمر اذا خرج الى القتال قام اليه نساؤه فشددن عليه سلاحه ما خلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة فخرج فى هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها انى قد عبأت اليوم لقومك وايم الله انى لارجو أن أربط بكل طنب من اطناب فسطاطى سيدا منهم فقالت ما أبغض الا ان تقاتلهم قال ولم قالت لانه لم يتوجه اليهم صنديد الا أبادوه وأخاف ان يقتلوك وكانى بك قتيلا وقد أتيتهم

المنصور خروج حسان قال خارجي من همدان قالوا انه ابن أخت حفص بن اشيم فقال فى هنالك واغا انكر المنصور ذلك لان عامة همدان شيعة لعلى وعزم المنصور على انفاذ الجيوش الى الموصل والفتك باهلها فاحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة وقال لهم ان أهل الموصل شرطوا الى انهم لا يخرجون على فان فعلوا احلت دماؤهم وأموالهم وقد خرجوا فسكت أبو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا رعيتك فان عفوت فاهل ذلك أنت وان عاقبت فبما يستحقون فقال لابي حنيفة أراك سكت ياشيخ فقال يا أمير المؤمنين أباحولك مالا يملكون أرأيت لو أن امرأة أباحت فرجها بغير عقد نكاح وملك يمين اكان يجوز ان توطأ قال لا وكف عن أهل الموصل وأمر أبا حنيفة وصاحبيه بالعود الى الكوفة

﴿ذكر استعمال خالد بن برمك﴾

وفيها استعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك وسبب ذلك انه بلغه انتشار الاكراد بولايتها وافسادهم فقال من لها فقالوا المسيب بن زهير فاشار عمارة بن غمرة بخالد بن برمك فولاه وسيره اليها وأحسن الى الناس وقهر المفسدين وكفهم وهابه أهل البلد هيبة شديدة مع احسانه اليهم وفيها ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك اسبع بقين من ذى الحجة قبل ان يولد الرشيد بن المهدى بسبعة أيام فارضعته الخيزران أم الرشيد بلبن ابنها فكان الفضل بن يحيى أخا الرشيد من الرضاعة ولذلك يقول سلم الخاسر اصبح الفضل والخليفة هرو * ن رضيعي لبان خير النساء

وقال أبو الجنوب كفى لك فضلا ان أفضل حرة * غذتك بثدى والخليفة واحد

﴿ذكر ولاية الاغلب بن سالم افريقية﴾

لما بلغ المنصور خروج محمد بن الاشعث من افريقية بعث الى الاغلب بن سالم بن عقال بن خداجة التميمي عهد ابولاية افريقية وكان هذا الاغلب ممن قام مع أبي مسلم الخراساني وقدم افريقية مع محمد بن الاشعث فلما أتاه العهد قدم القيروان فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة وأخرج جماعة من قواد المضرية وسكن الناس وخرج عليه أبو قرة فى جمع كثير من البربر فسار اليه الاغلب فهرب أبو قرة من غير قتال وسار الاغلب يريد طنجة فاشتد ذلك على الجند وكرهوا المسير وتسللوا عنه الى القيروان فلم يبق معه الا نفر يسير وكان الحسن بن حرب الكندى بمدينة تونس وكاتب الجند ودعاهم الى نفسه فاجابوه فسار حتى دخل القيروان من غير مانع وبلغ الاغلب الخبر فعاد مجدا فقال له بعض أصحابه ليس من الرأى أن تعدل الى لقاء العدو فى هذه العدة القليلة ولكن الرأى ان تعدل الى قابس فان أكثر من معه يجيء اليك لانهم انما كرهوا المسير الى طنجة لاغير وتقوى بهم وتقاتل عدوك ففعل ذلك وكثر جمعه وسار الى الحسن بن حرب فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الحسن وقتل من أصحابه جمع كثير ومضى الحسن الى تونس فى جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة ودخل الاغلب القيروان وحشد الحسن وجمع فصار فى عدة عظيمة فقصد الاغلب فخرج اليه الاغلب من القيروان فالتقوا واقتتلوا فاصاب الاغلب سهم فقتله وثبت أصحابه فتقدم عليهم المخارق بن غفار فحمل المخارق على الحسن وكان فى ميمنة الاغلب فهزمه فمضى منهزما الى تونس فى شعبان سنة خمسين ومائة وولى المخارق افريقية فى رمضان ووجه الخيل فى طلب الحسن فهرب الحسن من تونس الى كتامة فاقام شهرين ثم رجع الى تونس فخرج اليه من بها من الجند فقتلوه وقد قيل ان الحسن قتل بعد قتل الاغلب لان أصحاب الاغلب ثبتوا بعد قتله فى المعركة فقتل الحسن بن حرب أيضا وولى أصحابه منهزمين وصاب الحسن ودفن الاغلب وسمى الشهيد وكانت هذه الوقعة فى شعبان سنة خمسين ومائة

أسألهم ان يهبوا لى جيفتك فرماها بقوس فشجها وقال لها استعلمين بمن آتيك من زعماء قومك ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفى فطعنه فقتله وقيل ان الاشتر النخعى هو الذى قتله وقيل ان عليا ضربه فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه وان عليا قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان لئن فاتنى فى هذا اليوم لا يفوتنى فى غيره وكلمن نساؤه معاوية فى جيفته فامر ان تأتين ربيعة فتبذان فى جيفته عشرة آلاف ففعلن فاستأمرت ربيعة عليا فقال انما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ولكن قد اجبتهم الى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيبانى زوجته فقالوا لنسوة عبيد الله ان شئتن شددناه الى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل الى عسكر معاوية فصرخن وقلن هذا أشد علينا وأخبرن معاوية بذلك فقال لهن ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم فى جيفته ففعلن وأتت القوم وقالت انا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجى القاطع الظالم قد حذرته ما صار اليه فهبوا لى جيفته ففعلوا والقت

﴿ ذكر الفتن بالاندلس ﴾

فى هذه السنة خرج سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى بالاندلس بمدينة لبلة وسبب ذلك انه سكر يوما فتذكر من قتل من أصحابه اليمانية مع العلاء وقد ذكرناه فعقدلواء فلما صحا رآه معقودا فسأل عنه فاخبر به فاراد حله ثم قال ما كنت أعقد لواء ثم أحله بغير شئ وشرع فى الخلاف فاجتمعت اليمانية اليه وقصد اشبيلية وتغلب عليها وكثر جمعه فبادره عبد الرحمن صاحب الاندلس فى جموعه فامتنع المطرى فى قلعة زعواق لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فحصره عبد الرحمن فيها وضيق عليه ومنع أهل الخلاف من الوصول اليه وكان قد وافقه على الخلاف غياث بن علقمة اللخمى وكان بمدينة شذونة وقد انضاف اليه جماعة من رؤساء القبائل يريدون امداد المطرى وهم فى جمع كثير فلما سمع عبد الرحمن ذلك سير اليهم بدرا مولاه فى جيش فحال بينهم وبين الوصول الى المطرى فطال الحصار عليه وقلت رجاله بالقتل ففارقه بعضهم فخرج يوما من القلعة وقاتل فقتل وحمل رأسه الى عبد الرحمن فقدم أهل القلعة عليهم خليفة بن مروان فدام الحصار عليهم فارسل أهلها يطلبون الامان من عبد الرحمن ليسلموا اليه خليفة فاجابهم الى ذلك وأمنهم فسلموا اليه الحصن وخليفة فخرب الحصن وقتل خليفة ومن معه ثم انتقل الى غياث وكان موافقا للمطرى على الخلاف فحصرهم وضيق عليهم فطلبوا الامان فامنهم الا نفرا كان يعرف كراهتهم لدولته فانه قبض عليهم وعاد الى قرطبة فلما عاد اليها خرج عليه عبد الله بن خراشة الاسدى بكورة جيان فاجتمعت اليه جموع فاغار على قرطبة فسير اليه عبد الرحمن جيشا ففرق جمعه فطلب الامان فبذله له عبد الرحمن ووفى له

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها عسكر صالح بن على بدابق ولم يغز وج بالناس أبو جعفر المنصور وكان ولاة الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات سليمان بن مهران الاعمش وكان مولده سنة ستين وفيها مات جعفر بن محمد الصادق وقبره بالمدينة يزار وهو وأبوه وجده فى قبر واحد مع الحسن بن على بن أبى طالب وفيها مات زكريا بن أبى زائدة وأبو أمية عمرو بن الحرث بن يعقوب مولى قيس بن سعد بن عبادة وقيل غير ذلك وكان مولده سنة تسعين وعبد الله بن يزيد مولى الاسود بن سفيان ويقال مولى تميم وهو ثقة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى ومحمد بن الوليد الزبيدى ومحمد بن عجلان المدنى وعوام ابن حوشب بن يزيد بن رويم الشيبانى الواسطى ويحيى بن أبى عمرو السيبانى من أهل الرملة (وسيبان بالسين المهملة ثم بالياء المثناة من تحت ثم بالباء الموحدة بطن من حمير)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة ﴾

وفيها غزا العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الاشعث فمات محمد فى الطريق وفيها استتم المنصور بناء سور بغداد وخندقها وفرغ جميع أمورها وسار الى حديثة الموصل ثم عاد وج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وفيها عزل عبد الصمد بن على عن مكة فى قول بعضهم واستعمل محمد بن ابراهيم وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم سوى مكة والطائف وفيها أغزى عبد الرحمن صاحب الاندلس بدرا مولاه الى بلاد العدو فجاوز اليه وأخذ جزيتها وكان أبو الصباح حى بن يحيى على اشبيلية فعزله فدعا الى الخلاف فانفذ اليه عبد الرحمن وخدعه حتى حضر عنده فقتله وفيها مات سلم بن قتيبة الباهلى بالرى وكان مشهورا عظيم القدر وكهمس بن الحسن أبو الحسن التميمى البصرى وفيها توفى عيسى بن عمر الثقفى النحوى المشهور وعنه أخذ الخليل النحو وله فيه تصنيف

اليهم بطرف خزفادرجوه فيه ودفعوه اليها قد شد رجله الى طنب فسطاط من فساطيطهم ولما قتل عمار ومن ذكرنا فى هذا اليوم حرض على عليه السلام الناس وقال لربيعة أنتم درعى ورمحى فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اكثر من ذلك من ربيعة وغيرهم قد جادوا بانفسهم لله عز وجل وعلى أمامهم على البغلة الشهباء وهو يقول

من أى يومى من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وحمل وحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشأم صف الا انتقض وأهمدوا كل ما أتوا عليه حتى أتوا الى قبة معاوية وعلى لا يمر بفارس الا قتله وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاوية
الا خزر العين العظيم الهاوية
تهوى به فى النار أم هاوية

وقيل ان هذا الشعر للبديل بن ورقاء قاله فى ذلك اليوم ثم نادى على يا معاوية علام يقتل الناس بينى وبينك هلم أحاكمك الى الله فاينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو قد أنصفك الرجل فقال له معاوية ما أنصفت وانك لتعلم انه لم يبارزه

(ثم)

﴿ثم دخلت سنة خمسين ومائة﴾

﴿ذكر خروج استاذسيس﴾

وفيها خرج استاذسيس فى أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من خراسان وكان فيما قيل فى ثلثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وسار حتى التقواهم وأهل مرو الروذ فخرج اليهم الاجشم المروروذى فى أهل مرو الروذ فقاتلوه قتالا شديدا فقتل الاجشم وكثر القتل فى أصحابه وهزم عدة من القواد منهم معاذ بن مسلم وجبرائيل بن يحيى وحماد بن عمرو وأبو النجم السجستانى وداود بن كرار ووجه المنصور وهو بالرى اذان خازم بن خزيمة الى المهدى فولاه المهدى محاربة استاذسيس وضم اليه القواد فسار خازم وأخذ معه من انهزم وجعلهم فى أخريات الناس يكثر بهم من معه وكان معه من هذه الطبقة اثنان وعشرون ألفا ثم انتخب منهم ستة آلاف رجل وضمهم الى اثنى عشر ألفا كانوا معه من المنتخبين وكان بكار بن مسلم فيمن انتخب وتعبى للقتال فجعل الهيثم بن شعبة بن ظهير على ميمنته ونهار بن حصين السعدى على ميسرته وبكار بن سلم العقيلى فى مقدمته وكان لواؤه مع الزبرقان فكرههم وراوغهم فى ان ينقلهم من موضع الى موضع وخندق الى خندق حتى قطعهم وكان أكثرهم رجالة ثم سار خازم الى موضع فنزله وخندق عليه وعلى جميع أصحابه وجعل له أربعة أبواب وجعل على كل باب ألفا من أصحابه الذين انتخبوا وأتى أصحاب استاذسيس ومعهم الفؤس والمروز والزبل ليطموا الخندق فاتوا الخندق من الباب الذى عليه بكار بن سلم فحملوا على أصحاب بكار حملة هزموهم بها فرمى بكار بنفسه فترجل على باب الخندق وقال لاصحابه لا يؤتى المسلمون من ناحيتنا فترجل معه من أهله وعشيرته نحو من خمسين رجلا وقاتلوهم حتى ردوهم من بابهم ثم اقبل الى الباب الذى عليه خازم رجل من أصحاب استاذسيس من أهل سجستان اسمه الحريش وهو الذى كان يدبر أمرهم فلما رآه خازم مقبلا بعث الى الهيثم بن شعبة وكان فى الميمنة يأمره ان يخرج من الباب الذى عليه بكار فان من بازائه قد شغلوا عنهم ويسير حتى يغيب عن أبصارهم ثم يرجع من خلف العدو وقد كانوا يتوقعون قدوم أبى عون وعمرو بن سلم بن قتيبة من طخارستان وبعث خازم الى بكار اذا رأيت رايات الهيثم قد جاءت فكبروا وقولوا قد جاء أهل طخارستان ففعل ذلك الهيثم وخرج خازم فى القلب على الحريش وشغلهم بالقتال وصبر بعضهم لبعض فبيناهم على ذلك نظروا الى اعلام الهيثم تنادوا بينهم جاء أهل طخارستان فلما نظروا اليها حمل عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ولقيهم أصحاب الهيثم فطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب وخرج نهار بن حصين من ناحية الميسرة وبكار بن سلم وأصحابه من ناحيتهم فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف فقتلهم المسلمون فاكثروا وكان عدد من قتل سبعين ألفا وأسروا أربعة عشر ألفا ونجا استاذسيس الى جبل فى نفر يسير فحصرهم خازم وقتل الاسرى ووافاه أبو عون وعمرو بن سلم ومن معهما فنزل استاذسيس على حكم أبى عون فحكم أن يوثق استاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد وان يعتق الباقون وهم ثلاثون ألفا فامضى خازم حكمه وكساكل رجل ثوبين وكتب الى المهدى بذلك فكتب المهدى الى المنصور وقيل ان خروج استاذسيس كان سنة خمسين وكانت هزيمته سنة احدى وخمسين ومائة وقد قيل ان استاذسيس ادعى النبوة وأظهر أصحابه الفسق وقطع السبيل وقيل انه جد المأمون أبو أمه من اجل وابنه غالب خال المأمون وهو الذى قتل ذا الرياستين الفضل بن سهل لمواطأة من المأمون وسيرد ذكره ان شاء الله

﴿ذكر عدة حوادث﴾

رجل قط الا قتله أو أسره فقال له عمرو وما تجعل بك الا مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وحقدها عليه وقد قيل فى بعض الروايات ان معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا ان يبرز الى على فلم يجد عمرو من ذلك بدا فبرز فلما التقيا عرفه على وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال مكره أخوك لا بطل فحول على وجهه وقال قبحت ورجع عمرو الى مصافه وقد ذكر هشام بن محمد الكلبى عن السرى ابن اليقظان أن معاوية قال لعمرو بعد انقضاء الحرب هل غششتنى منذ نصحتنى قال لا قال بلى والله يوم أشرت على ببارزة على وأنت تعلم ما هو قال دعاك الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قاتل الاقران وتزداد شرفا الى شرفك واما ان يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فقال معاوية يا عمرو الثانية أشر من الاولى وكان فى هذا اليوم من القتال ما لم يكن قبل

وجدت فى بعض النسخ

في هذه السنة عزل المنصور جعفر بن سليمان عن المدينة وولاها الحسن بن زيد بن الحسن بن علي وفيها خرج بالاندلس غياث بن المسير الاسدي بناحية فجمع العمال لعبد الرحمن جمعا كثيرا وسار الى غياث فواقعه فانهزم غياث ومن معه وقتل غياث وبعث برأسه الى عبد الرحمن بقرطبة وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور وصلى عليه أبوه ودفن ليلا في مقابر قريش ولم يكن للناس صائفة وحج بالناس عبد الصمد بن علي وكان هو العامل على مكة في قول بعضهم وقال بعضهم بل كان العامل محمد بن ابراهيم وكان على الكوفة محمد بن سليمان بن علي وعلى البصرة عقبة بن سلم وعلى قضائها سوار وعلى مصر يزيد بن حاتم وفي هذه السنة مات الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومعمر بن راشد وعمر بن ذر وقيل مات عمر سنة خمس وخمسين ومائة وكان من الصالحين يقول بالارجاء وفي سنة خمسين مات عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ومحمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي وقيل مات سنة احدى وخمسين وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخي المفسر وكان ضعيفا في الحديث وأبو جناب الكلبي وعثمان بن الاسود وسعيد بن أبي عروبة واسم أبي عروبة مهران مولى بني يشكر كنيته أبو النضر (يسار بالياء تحتها نقطتان وبالسين المهملة)

﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائة﴾

فيها أغارت الكرك على جده

﴿ذكر عزل عمر بن حفص عن السند وولاية هشام بن عمرو﴾

وفيها عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المعروف بهزارمرد يعني ألف رجل عن السند واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي واستعمل عمر بن حفص على افريقية وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها الماظهر محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فوجه محمد ابنه عبد الله المعروف بالاشتر الى البصرة فاشترى منها خيلا عتاقا ليكون سبب وصولهم الى عمر بن حفص لانه كان فيمن بايعه من قواد المنصور وكان يتشيع وسار وافى البحر الى السند فامرهم عمر أن يحضروا خيلهم فقال له بعضهم انا جئناك بما هو خير من الخيل وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة فاعطانا الامان اما قبلت منا واما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج عن بلادك راجعين فامنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد بن عبد الله أرسله أبوه اليه فرحب بهم وبايعهم وأنزل الاشتر عنده مختفيا ودعا كبراء أهل البلد وقواده وأهل بيته الى البيعة فاجابوه فقطع ألويتهم البيض ولبسه من البياض ليخطب فيه وتهيأ لذلك يوم الخميس فوصله مركب لطيف فيه رسول من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله فدخل على الاشتر فاخبره وعزاه فقال له الاشتر ان أمرى قد ظهر ودمى في عنقك قال عمر قد رأيت رأيا ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كثير المملكة وهو على شوكة أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وفي أرسل اليه فاعقد بينك وبينه عقدا فاوجهك اليه فلست ترام معه ففعل ذلك وسار اليه الاشتر فاكرمه وأظهر بره وتسللت اليه الزيدية حتى اجتمع معه أربعمائة انسان من أهل البصائر فكان يركب فيهم ويتصيد في هيئة الملوك وآلاتهم فلما انتهى ذلك الى المنصور بلغ منه ما بلغ وكتب الى عمر بن حفص يخبره ما بلغه فقرأ الكتاب على أهله وقال لهم ان أقررت بالقصة عزلني وان صرت اليه قتلني وان امتنعت حاربني فقال له رجل منهم القى الذنب علي وخذني وقيدني فانه سيكتب في حملي اليه فاحملني فانه لا يقدم على ما نك في السند وحال أهل بيتك بالبصرة فقال عمر أخاف عليك خلاف ما تظن قال ان قتلت فنفسي فداء نفسك فقيده وحبسه وكتب الى المنصور باسره فكتب اليه المنصور يأمره بحمله فلما صار اليه ضرب عنقه ثم استعمل على

السند

من أخبار صفين ان هاشما المرقال لما وقع الى الارض وهو يجود بنفسه رفع رأسه فاذا عبيد الله بن عمر مطروح الى قربه جريحا فجثا حتى دنا منه فلم يزل يمض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة لانه أصيب فوقه ميتا هو ورجل من بكر بن وائل قد زحف الى عبيد الله فخشأه وانصرف القوم الى مواضعهم وخرج كل فريق منهم يحملون من أمكن من قتلاهم ومر معاوية في خواص من أصحابه في الموضع الذي كان ميمنته فنظر الى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي معفرا بدمائه وقد كان على ميسرة علي فحمل على ميمنة معاوية فاصيب على ما قدمنا انفا فاراد معاوية ان يمثل به فقال عبد الله بن عامر وكان صديقا لابن بديل والله لاتركنك واياه فوهبه له فغطاه بعمامته فواراه فقال له معاوية قد والله وأريت كبشا من كباش القوم وسيدا من سادات خزاعة غير مدافع لو ظفرت بنا خزاعة لاكلونا ولو أنا في جندل دون هذا الكبش وأنشأ يقول ممثلا

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها

السند هشام بن عمرو التغلبي وكان سبب استعماله ان المنصور كان تفكر فيمن يوليه السند فبيناهو راكب والمنصور ينظر اليه اذ غاب يسيرا ثم عاد فاستأذن على المنصور فأدخله فقال انى لما انصرفت من الموكب لقيتنى أختى فلانة فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضيتها لامير المؤمنين فاطرق ثم قال اخرج يأتك أمرى فلما خرج قال المنصور لحاجبه الربيع لولا قول جرير

لا تطلبن خؤلة فى تغلب * فالزنج أكرم منهم أخوالا

لتزوجت اليه قل له لو كان لنا حاجة فى النكاح لقبلت فجزاك الله خيرا وقد وليتك السند فتجهز اليها وأمره ان يكاتب ذلك الملك بتسليم عبد الله فان سلمه والا حاربه وكتب الى عمر بن حفص بولايته افريقية فسار هشام الى السند فملكها وسار عمر الى افريقية فوليها فلما صار هشام بالسند كره أخذ عبد الله الاشتر واقبل يرى الناس انه يكاتب ذلك الملك واتصلت الاخبار بالمنصور بذلك فجعل يكتب اليه يستحثه فبيناهو كذلك اذ خرجت خارجة ببلاد السند فوجه هشام أخاه سفنجا فخرج فى جيشه وطريقه بجنبات ذلك الملك فبيناهو يسير اذ غبرة قد ارتفعت فظن أنهم مقدمة العدو الذى يقصده فوجد طلائعه فزحفت اليه فقالوا هذا عبد الله بن محمد العلوى يتنزه على شاطئ مهران فمضى يريده فقال نصحاؤه هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تركه أخوك متعمدا مخافة ان يبوء بدمه فلم يقصده فقال ما كنت لادع أخذه ولا أدع احدا يحظى بأخذه أو قتله عند المنصور وكان عبد الله فى عشرة فقصده فقاتله عبد الله وقاتل أصحابه حتى قتل وقتلوا جميعا فلم يفلت منهم مخبر وسقط عبد الله بين القتلى فلم يشعر به وقيل ان أصحابه قذفوه فى مهران حتى لا يحمل رأسه فكتب هشام بذلك الى المنصور فكتب اليه المنصور يشكره ويأمره بمحاربة ذلك الملك فحاربه حتى ظفر به وقتله وغلب على مملكته وكان عبد الله قد اتخذ سراري فاولد واحدة منهن ولدا وهو محمد بن عبد الله الذى يقال له ابن الاشتر فأخذ هشام السراري والولد معهن فسيرهن الى المنصور فسير المنصور الولد الى عامله بالمدينة وكتب معه بصحة نسبه وتسليمه الى أهله

﴿ذكر ولاية أبى جعفر عمر بن حفص افريقية﴾

وفى هذه السنة استعمل المنصور على افريقية أبا جعفر عمر بن حفص من ولد قبيصة بن أبى صفره أخى المهلب وانما نسب لبيت المهلب لشهرته وكان سبب مسيره اليها ان المنصور لما بلغه قتل الاغلب بن سالم خاف على افريقية فوجه اليها عمر واليا فقدم القيروان فى صفر سنة احدى وخمسين ومائة فى خمسمائة فارس فاجتمع وجوه البلد فوصلهم وأحسن اليهم وأقام والامور مستقيمة ثلاث سنين فسار الى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور واستخلف على القيروان حبيب بن حبيب المهلبى فخلت افريقية من الجند فثار بها البربر فخرج اليهم حبيب فقتل واجتمع البربر بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم الاباضى واسمه يعقوب بن حبيب مولى كندة وكان عامل عمر ابن حفص على طرابلس الجنيد بن بشار الاسادى وكتب الى عمر يستمده فامده بعسكر فالتقوا وقاتلوا أبا حاتم الاباضى فهزمهم فسار والى قابس وحصرهم أبو حاتم وعمر مقيم بالزاب على عمارة طبنة وانتقضت افريقية من كل ناحية ومضوا الى طبنة فاحاطوا بها فى اثنى عشر عسكرا منهم أبو قرة الصفرى فى أربعين ألفا وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألفا وأبو حاتم فى عسكر كثير وعاصم السدراتى الاباضى فى ستة آلاف والمسعود الزناتى الاباضى فى عشرة آلاف فارس وغيرهم ذكرنا فلما رأى عمر بن حفص احاطتهم به عزم على الخروج الى قتالهم فمنعه أصحابه وقالوا ان أصبت تلف العرب فعدل الى اعمال الحيلة فأرسل الى أبى قرة مقدم الصفرية يبذل له ستين

وان شمرت يوما به الحرب شمر
كليث هزبر كان يحمى ذماره
رمته المنايا فصدها فتقطرا
ونظر على الى غسان فى
مصافهم لا يزولون فحرض
أصحابه عليهم وقال ان
هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم
دون طعن يخرج منه النسيم
وضرب يفلق الهام ويطفح
الطعام وتسقط منه المعاصم
والاكف وحتى تشدخ
جباههم بعمد الحديد
وتنشر حواجبهم على
الصدور والاذقان أين
أهل الصبر وطلاب الاجر
فثاب اليه عصابة من المسلمين
من سائر الناس فدعا ابنه
محمدا فدفع اليه الراية وقال
امش بها نحو هذه الراية
مشيا رويدا حتى اذا أشرعت
فى صدورهم الرماح
فامسك حتى يأتيك أمرى
ففعل واتاه على ومعه الحسن
والحسين وشيوخ بدر
وغيرهم من الصحابة وقد
كردس الخيل فحملوا على
غسان ومن يليها فقتلوا منها
بشرا كثيرا وعادت الحرب
فى آخر النهار كحالها فى
أوله وحملت ميمنة معاوية
وفيها عشرة آلاف من
مذحج وعشرون ألفا مقنعون
فى الحديد على ميسرة على
فاقتطعوا ألف فارس
فانتدب من أصحاب على
عبد العزيز بن الحرث
الجعفى وقال لعلى مرنى

ألف درهم ليرجع عنه فقال بعد ان سلم علي بالخلافة أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ولم يجبهم الى ذلك فأرسل الى اخي أبي قرة فدفع اليه أربعة آلاف درهم وثيابا على أن يعمل في صرف أخيه الصفرية فاجابهم وارتحل من ليلته وتبعه العسكر منصرفين الى بلادهم فاضطر أبو قرة الى اتباعهم فلما سارت الصفرية سير عمر جيشا الى ابن رستم وهو في تهوذا قبيلة من البربر فقاتلوه فانهزم ابن رستم الى تاهرت فضعف أمر الاباضية عن مقاومة عمر فسار واعن طبنة الى القيروان فحصرها أبو حاتم وعمر بطبنة يصلح أمورها ويحفظها ممن يجاوره من الخوارج فلما علم ضيق الحال بالقيروان سار اليها ولما سار عمر بن حفص الى القيروان استخلف على طبنة عسكرا فلما سمع أبو قرة بمسير عمر بن حفص سار هو الى طبنة فحصرها فخرج اليه من بها من العساكر وقاتلوه فانهزم منهم وقتل من عسكره خلق كثير وأما أبو حاتم فانه لما حصر القيروان كثر جمعه ولازم حصارها وليس في بيت ما لها دينار ولا في اهرائها شئ من الطعام فدام الحصار ثمانية أشهر وكان الجند يخرجون فيقاتلون الخوارج طرفي النهار حتى جهدهم الجوع وأكلوا دوابهم وكلابهم ولحق كثير من أهلها بالبربر ولم يبق غير دخول الخوارج اليها فاتاهم الخبر بوصول عمر ابن حفص من طبنة فنزل الهريش وهو في سبعمائة فارس فزحف الخوارج اليه باجمعهم وتركوا القيروان فلما فارقوها سار عمر الى تونس فتبعه البربر فعاد الى القيروان مجدا وادخل اليها ما يحتاج من طعام ودواب وحطب وغير ذلك ووصل أبو حاتم والبربر اليه فحصروه فطال الحصار حتى أكلوا دوابهم وفي كل يوم يكون بينهم قتال وحرب فلما ضاق الامر بعمر وبمن معه قال لهم الرأي ان أخرج من الحصار واغير على بلاد البربر واحمل اليكم الميرة قالوا انا نخاف بعدك قال فارسل فلانا وفلانا يفعلان ذلك فاجابوه فلما قال للرجلين قالا لا نترك في الحصار ونسير عنك فعزم على القاء نفسه الى الموت فاتى الخبر ان المنصور قد سير اليه يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب في ستين ألف مقاتل وأشار عليه من عنده بالتوقف عن القتال الى ان يصل العسكر فلم يفعل وخرج وقاتل فقتل منتصف ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وقام بامر الناس حميد بن صخر وهو أخو عمر لامه فودع أبا حاتم وصالحه على ان حميدا ومن معه لا يخلعون المنصور ولا ينازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم وأجابهم الى ذلك وفتحت له القيروان وخرج أكثر الجند الى طبنة وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها وبلغه وصول يزيد بن حاتم فسار الى طرابلس وأمر صاحبه بالقيروان بأخذ سلاح الجند وان يفرق بينهم فخالف بعض أصحابه وقالوا لا نغدر بهم وكان المقدم على المخالفين عمر بن عثمان الفهري وقام في القيروان وقتل أصحاب أبي حاتم فعاد أبو حاتم فهرب عمر بن عثمان من بين يديه الى تونس وعاد أبو حاتم الى طرابلس لقتال يزيد بن حاتم فقيل كان بين الخوارج والجنود من لدن قاتلوا عمر بن حفص الى انقضاء أمرهم ثلثمائة وخمس وسبعون وقعة

﴿ذكر ولاية يزيد بن حاتم افريقية وقتال الخوارج﴾

لما بلغ المنصور ما حل بعمر بن حفص من الخوارج جهز يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة في ستين ألف فارس وسيره الى افريقية فوصلها سنة أربع وخمسين ومائة فلما قارب بها سار اليه بعض جندها واجتمعوا به وساروا معه الى طرابلس فسار أبو حاتم الخارجي الى جبال نفوسة وسير يزيد طائفة من العسكر الى قابس فلقيهم أبو حاتم فهزمهم فعادوا الى يزيد ونزل أبو حاتم في مكان وعر وخندق على عسكره وعبا يزيد أصحابه وسار اليه فالتقوا في ربيع الاول سنة خمس وخمسين فاقتتلوا أشد قتال فانهزمت البربر وقتل أبو حاتم وأهل نجدته وطلبهم يزيد في كل سهل وجبل

فقتلهم

بأمرك فقال شد الله ركبك سر حتى تنتهي الى اخواننا المحاط بهم وقل لهم يقول لكم علي كبر واثم احملوا ونحمل حتى نلتقي فحمل الجعفي فطعن في عرضهم حتى انتهى اليهم فاخبرهم بمقالة علي فكبروا ثم شدوا حتى التقوا بعلي وشدخوا سبعمائة من أهل الشام وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن في أهل الشام وكان على راية هذيل بن سنان وغيرها من ربيعة الحضين ابن المنذر بن الحرث ابن وعلة الذهلي وفيه يقول علي في هذا اليوم لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا اقلت قدمها حضين تقدما فامره بالتقدم واختلط الناس وبطل النبل واستعملت السيوف وجنهم الليل وتنادوا بالشعار وتقصفت الرماح وتصادم القوم وكان يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعا على الارض عن فرسيهما وكانت ليلة الجمعة وهي ليلة الهرير فكان جملة من قتل على يده في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا أكثرهم في اليوم وذلك انه كان اذا قتل رجلا كبرا ذا ضرب ولم يكن يضرب الا قتل ذكر ذلك عنه من كان يليه في

فقتلهم قتلا ذريعا وكان عدة من قتل فى المعركة ثلاثين ألفا وجعل آل المهلب يقتلون الخوارج ويقولون بالشارات عمر بن حفص وأقام شهرا يقتل الخوارج ثم رحل الى القيروان فكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبى حاتم فهرب الى كتامة فسير اليهم يزيد بن حاتم جيشا فحصروا البربر وظفروا بهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وهرب عبد الرحمن وقتل جميع من كان معه وصفت افريقية وأحسن يزيد السيرة وامن الناس الى ان انتقضت ورجومة سنة أربع وستين ومائة بأرض الزاب وعليها أيوب الهوارى فسير اليهم عسكرا كثيرا واستعمل عليهم يزيد بن مجزا المهلبى فالتقوا واقتتلوا فانهزم يزيد وقتل كثير من أصحابه وقتل المخارق بن عقار صاحب الزاب فولى مكانه المهلب بن يزيد المهلبى وأمدهم يزيد بن حاتم بجمع كثير واستعمل عليهم العلاء ابن سعيد المهلبى وانضم اليهم المنهزمون ولقوا ورجومة واقتتلوا واشتد القتال فانهزمت البربر وأيوب وقتلوا بكل مكان حتى أتى على آخرهم ولم يقتل من الجند أحد ثم مات يزيد فى رمضان سنة سبعين ومائة وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر واستخلف ابنه داود على افريقية

﴿ذكر بناء الرصافة للمهدى﴾

وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فى شوال فقدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها فهنؤه بقدمه فاجازهم وحملهم وكساهم وفعل بهم المنصور مثل ذلك وبنى له الرصافة وكان سبب بنائها ان بعض الجند شغبوا على المنصور وحاربوه على باب الذهب فدخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس وهو شيخهم وله الحرمة والتقدم عندهم فقال له المنصور أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا وقد خفت ان تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الامر من ايدينا فما ترى قال يا أمير المؤمنين عندى رأى ان أظهرته لك فسد وان تركته امضيته وصلحت خلافتك وهابك جندك قال له أقتضى فى خلافتى شيأ لا أعلمه فقال له ان كنت عندك منهما فلا تشاورنى فان كنت مأمونا عليها فدعنى افعل رأيى قال له المنصور فامضه فانصرف قثم الى منزله فدعا غلاما له فقال اذا كان الغد فتقدمنى واجلس فى دار أمير المؤمنين فاذا رأيتنى قد دخلت وتوسطت أصحاب المراتب فخذ بعنان بغلتى فاستحلفنى بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق العباس وبحق أمير المؤمنين الا ما وقفت لك وسمعت مسئلتك واجبتك عنها فانى سأنتهرك واغلظ لك فلا تخف وعاود المسئلة فانى سأضرب بك فعاود وقل لى أى الحيين أشرف اليمن ام مضر فاذا أجبتك فاترك البغلة وأنت حر ففعل الغلام ما أمره وفعل قثم به ما قاله ثم قال مضر اشرف لان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وفيها بيت الله ومنها خليفة الله فامتعضت لذلك اليمن اذ لم يذكر لهم شيأ وقال بعض قوادهم ليس الامر كذلك مطلقا بغير فضيلة لليمن ثم قال لغلامه قم الى بغلة الشيخ فاركبها ففعل حتى كاد يعقبها فامتعضت مضر وقالوا يفعل هذا بشيخنا فامر بعضهم غلامه فضرب يد ذلك الغلام فقطعها فنفر الحيان ودخل قثم على المنصور فافترق الجند فصارت مضر فرقة وربيعة فرقة والخراسانية فرقة فقال قثم للمنصور قد فرقت بين جندك وجعلتهم احزابا كل حزب منهم يخاف ان يحدث حدثا فتضربه بالحزب الآخر وقد بقى عليك فى التدبير بقية وهى أن تعبر بابنك فتنزله فى ذلك الجانب وتحول معه قطعة من جيشك فيصير ذلك بلدا وهذا بلدا فان فسد عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء وان فسد عليك هؤلاء ضربتهم بأولئك وان فسد عليك بعض القبائل ضربتهم بالقبيلة الاخرى فقبل رأيه واستقام ملكه وبنى الرصافة وتولى صالح صاحب المصلى ذلك

﴿ذكر قتل سليمان بن حكيم العبدى﴾

حربه ولا يفارقه من ولده وغيرهم وأصبح القوم على قتالهم وكسفت الشمس وارتفع القتام وتقطعت الالوية ولم يعرفوا مواقيت الصلاة وغدا الاشتر يحرز وهو يقول

نحن قتلنا حوشبا
لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله
ومعبدا اذ قدما
ان تقتلوا منا أبا ال
يقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم
سبعين رأسا مجرما
اضحوا بصفين وقد
لاقوا نكالا مؤلما

وكان الاشتر فى هذا اليوم وهو يوم الجمعة على ميمنة على وقد أشرف على الفتح ونادت مشيخة أهل الشام الله الله فى الحرمات والنساء والبنات وقال معاوية هلم نخبأتك يا ابن العاص فقد هلكنا وتذكر ولاية مصر فقال عمرو أيها الناس من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه فكثر فى الجيش رفع المصاحف وارتفعت الضجة ونادوا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ومن لجهاد الروم ومن للترك ومن للكفار ورفع فى عسكر معاوية نحو من خمسمائة

في هذه السنة سار عقبة بن سلم من البصرة واستخلف عليها نافع بن عقبة الى البحرين فقتل سليمان بن حكيم وسبى أهل البحرين وانفذ بعض السبي والاسارى الى المنصور فقتل بعضهم ووهب الباقين للمهدى فاطلقهم وكساهم ثم عزل عقبة عن البصرة لانه لم يستقص على أهل البحرين وزعم بعضهم ان المنصور استعمل معن بن زائدة الشيبانى على سجستان هذه السنة وحج بالناس هذه السنة محمد بن ابراهيم الامام وكان هو العامل بمكه والطائف وعلى المدينة الحسن ابن زيد وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابى وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى مصر يزيد بن حاتم

﴿ذكر ابتداء أمر شقنا وخروجه بالاندلس﴾

وفيها سار فى الشرق من الاندلس رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان وكان اسمه شقنا بن عبد الواحد وكانت أمه تسمى فاطمة وادّعى انه من ولد فاطمة عليها السلام ثم من ولد الحسن عليه السلام وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنت برية واجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظم أمره وسار اليه عبد الرحمن الاموى فلم يقف له وراغ فى الجبال فكان اذا أمن انبسط واذا خاف صعد الجبال بحيث يصعب طلبه فاستعمل عبد الرحمن على طليطلة حبيب بن عبد الملك فاستعمل حبيب على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان وأمره بطلب شقنا فنزل شقنا الى شنت برية وأخذ سليمان فقتله واشتد أمره وطار ذكره وغلب على ناحية قورية وأفسد فى الارض فعاد عبد الرحمن الاموى فغزاه فى سنة اثنتين وخمسين ومائة بنفسه فلم يثبت له فاعياه أمره فعاد عنه وسير اليه سنة ثلاث وخمسين بدرا مولاه فهرب شقنا وأخلى حصنه شطران ثم غزاه عبد الرحمن الاموى بنفسه سنة أربع وخمسين ومائة فلم يثبت له شقنا ثم سير اليه سنة خمس وخمسين أبا عثمان عبيد الله بن عثمان فخدعه شقنا وافسد عليه جنده فهرب عبيد الله وغنم شقنا عسكره وقتل جماعة من بنى أمية كانوا فى العسكر وفى سنة خمس وخمسين أيضا سار شقنا بعد ان غنم عسكر عبيد الله الى حصن الهواريين المعروف بمدائن وبه عامل لعبد الرحمن فذكر به شقنا حتى خرج اليه فقتله شقنا وأخذ خيله وسلاحه وجميع ما كان معه

﴿ذكر قتل معن بن زائدة﴾

فى هذه السنة قتل معن بن زائدة الشيبانى بسجستان وكان المنصور قد استعمله عليها فلما وصلها أرسل الى رتبيل يأمره بحمل القرار الذى عليه كل سنة فبعث اليه عروضا وزاد فى ثمنها فغضب معن وسار الى الرخج وعلى مقدمته ابن أخيه معن بن زائدة فوجد رتبيل قد خرج عنها الى زابلستان ليصيف بها ففتحها وأصاب سبيا كثيرا وكان فى السبي فرج الرخجى وهو صبى وأبوه زياد فرأى معن غبارا ساطعا أثارته حمر الوحش فظن انه جيش أقبل نحوه ليخلص السبي والاسرى فامر بوضع السيف فيهم فقتل منهم عدة كثيرة ثم ظهر له أمر الغبار فامسك فخاف معن الشتاء وهجومه فانصرف الى بست وأنكر قوم من الخوارج سيرته فاندسوا معه فعلة كانوا يبيتون فى منزله فلما بلغوا التسقيف أخفوا سيوفهم فى القصب ثم دخلوا عليه بيته وهو يخنجم فقتلوه وشق بعضهم بطنه يخنجر كان معه وقال أحدهم لما ضربه أنا الغلام الطاق والطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد ثم ان يزيد قام بامر سجستان واشتدت على العرب والعجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه الى المنصور كتابا يخبره فيه ان كتب المهدى اليه قد حيرته وأدهشته ويسأل ان يعفيه من معاملته فاغضب ذلك المنصور وشتمه وأقر المهدى كتابه فعزله وأمر بحبسه وبيع كل شئ له ثم انه كلم فيه فأشخص الى مدينة

السلام

مصحف وفى ذلك يقول النجاشى بن الحرث فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا عليها كتاب الله خير قران ونادوا عليا يا ابن عم محمد أما تتقى أن تهلك الثقلان فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا نجيب الى كتاب الله ونتوب اليه وأحب القوم الموادعة وقيل لعلى قد أعطاك معاوية الحق دعاك الى كتاب الله فاقبل منه وكان أشدهم فى ذلك اليوم الاشعث بن قيس فقال على أيها الناس انه لم يكن من أمركم ما أحب حتى قرحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وانى كنت أمس أميرا فاصبحت اليوم مأمورا وقد أحببتم البقاء فقال الاشتران معاوية لا خلاف له من رجاله ولك بحمد الله الخلاف ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك فاقدع الحديد واستعذ بالله وتكلم رؤساء أصحاب على بنحو من كلام الاشتر فقال الاشعث بن قيس انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس وليس ندرى ما يكون غدا وقد والله فل الحديد وكلت البصائر وتكلم معه غيره بكلام كثير فقال على ويحكم ما رفعوها الا نكم

السلام فلم يزل بها محفوا حتى لقيه الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا ثم وجه الى يوسف البرم بخراسان فلم يزل في ارتفاع الى ان مات

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم الامام وفيها استعمل المنصور على الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله القسري وفيها مات عبد الله بن عون وكان مولده سنة ست وستين وفيها مات أسيد بن عبد الله في ذي الحجة وهو أمير خراسان وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي وعلي بن صالح ابن حي أخو الحسن بن صالح وكانا توأمين فيهما تشيع

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة ﴾

فيها غزا حميد بن قحطبة كابل وكان قد استعمله المنصور على خراسان سنة احدى وخمسين وغزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم وقيل أخوه محمد بن ابراهيم الامام ولم يدرب وفيها عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة واستعمل عليها يزيد بن منصور وفيها قتل المنصور هاشم بن الاسا جيج وقد خالف وعصى بافريقية فحمل اليه فقتله وحج بالناس هذه السنة المنصور وفيها عزل يزيد بن حاتم عن مصر واستعمل عليها محمد بن سعيد وكان عمال الامصار سوى ما ذكرنا الذين تقدم ذكرهم وفيها مات محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن شهاب وهو ابن أخي محمد بن شهاب الزهري روى عنه عمه وفيها مات يونس بن يزيد الايلي روى عن الزهري أيضا وفيها مات طلحة بن عمر الحضرمي وابراهيم بن أبي عبلة واسم أبي عبلة شمر بن يقظان بن عامر العقيلي (الايلي بفتح الهمزة وبالياء تحتها نقطتان والعقيلي بضم العين وفتح القاف)

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة ﴾

فيها عاد المنصور من مكة الى البصرة فجهز جيشا في البحر الى الكرك الذين تقدم ذكر اغارتهم على جدة وفيها قبض المنصور على أبي أيوب الموريانى وعلى أخيه وبني أخيه وكانت منازلهم المناذر وكان قد سعى به كاتبه أبان بن صدقة وقيل كان سبب قبضه ان المنصور في دولة بني أمية ورد على الموصل وأقام بها مستترا وتزوج امرأة من الازد فحملت منه ثم فارق الموصل واعطاها تذكرة وقال لها اذا سمعت بدولة لبني هاشم فارسلي هذه التذكرة الى صاحب الامر فهو يعرفها فوضعت المرأة ولدا سمته جعفرا فنشأ وتعلم الكتابة وما يحتاج اليه الكاتب وولي المنصور الخلافة فقدم جعفر الى بغداد واتصل بابي أيوب فجعله كاتبا بالديوان فطلب المنصور يوما من أبي أيوب كاتبا يكتب له شيأ فارسل جعفرا اليه فلما رآه المنصور مال اليه واحبه فلما أمره بالكتابة رآه حاذقا ماهرا فسأله من أين هو ومن أبوه فذكر له الحال وأراه التذكرة وكانت معه فعرفه المنصور وصار يطلبه كل وقت بحجة الكتابة فخافه أبو أيوب ثم ان المنصور احضره يوما واعطاه مالا وأمر ان يصعد الى الموصل ويحضر والدته فسار من بغداد وكان أبو أيوب قد وضع عليه العيون يأتونه باخباره فلما علم مسيره سير وراءه من اغتاله في الطريق فقتله فلما ابطأ على المنصور ارسل الى أمه بالموصل من يسألها عنه فذكرت له انها لا تعلم لها به الا انه ببغداد يكتب في ديوان الخليفة فلما علم المنصور ذلك أرسل من يقص أثره فانتهى الى موضع وانقطع خبره فعلم انه قتل هناك وكشف الخبر فرأى ان قتله من يد أبي أيوب فنكبه وفعل به ما فعل وقبض المنصور أيضا على عباد مولاه وعلى هرثمة بن أعين بخراسان وأحضرا مقيدين لتعصبهما لعيسى بن موسى وفيها أخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال أبو دلامة

تعلمونها ولا يعلمون بها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا له انه ما يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال ويحكم انما قاتلتهم ليدينوا بحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا في قتال عدوكم فان معاوية وابن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وبني النابغة وعدة غيرهم ولاه ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال وجرى له مع القوم خطب طويل قد أتينا ببعضه وتهددوه ان يصنع به ما صنع بعثمان وقال الاشعث ان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ذلك اليك فأته ان شئت فاتاه الاشعث فسأله فقال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى كتاب الله والى ما أمر به في كتابه تبعثون منكم رجلا ترضونه وتختارونه ونبعث رجلا ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما في الكتاب ولا يخرجا عنه وننقاد جميعا الى ما اتفقا عليه من حكم الله فصوب الاشعث قوله وانصرف الى علي فأخبره بذلك فقال

وكنا نرجى من امام زيادة * فزاد الامام المصطفى فى القلانس

وفيها توفى عبيد ابن بنت ابن أبى ليلى قاضى الكوفة فاستقضى شريك بن عبد الله النخعى وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الجورى فوصل الى حصن من حصون الروم ليلا وأهله نيام فسبى وأسر من كان فيه ثم قصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى الرجال البالغين وحج بالناس هذه السنة المهدى وكان أمير مكة محمد بن ابراهيم وأمير المدينة الحسن بن زيد وأمير مصر محمد بن سعيد وكان يزيد بن منصور على اليمن فى قول بعضهم وعلى الموصل اسمعيل بن خالد بن عبد الله بن خالد وفيها مات هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى وقيل سنة ست وخمسين وقيل تسع وخمسين والحسن بن عمارة وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وثور بن يزيد وعبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الانصارى والضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام من ولد أخى حكيم بن حزام وفطر ابن خليفة الكوفى (فطر بالفاء والراء المهملة والجرشى بضم الجيم وبالشين المعجمة)

* (ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة) *

فى هذه السنة سار المنصور الى الشام وبيت المقدس وسير يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الى افريقية فى خمسين ألفا لحرب الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص وأراد المنصور بناه الرافقة فمنعه أهل الرقة فهتم بحاربتهم وسقطت فى هذه السنة الصاعقة فقتلت بالمسجد خمسة نفر وفيها هلك أبو أيوب الموريانى وأخوه خالد وأمر المنصور بقطع أيدى بنى أخيه وأرجلهم وفيها استعمل على البصرة عبد الملك بن ظبيان النميرى وغزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالى فبلغ الفرات وحج بالناس محمد بن ابراهيم وهو على مكة وكان على افريقية يزيد بن حاتم وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو عمرو بن العلاء وقيل مات سنة سبع وخمسين وكان عمره ستا وثمانين سنة ومحمد بن عبد الله الشعيثى النصرى (بالنون) وفيها مات عثمان بن عطاء وجعفر بن برقان الجزرى وأشعب الطامع وعلى بن صالح بن حى وعمر بن اسحق بن يسار أخو محمد بن اسحق ووهيب بن الورد المكى الزاهد وقرة بن خالد أبو خالد السدوسى البصرى وهشام الدستوائى وهو هشام بن أبى عبد الله البصرى (الشعيثى بضم الشين المعجمة وفى آخره ثاء مثلثة)

* (تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله
ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة) *

أكثر الناس رضينا وقبلنا وسمعنا وأطعنا فاختار أهل الشام عمرو بن العاص وقال الاشعث ومن ارتد بعد ذلك الى رأى الخوارج رضينا نحن بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن انى لا أرى ان أولى أبا موسى الاشعرى فقال الاشعث ومن معه لا نرضى الا بابى موسى الاشعرى قال ويحكم ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى ثم انه هرب شهورا حتى أمنته لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك فقال الاشعث وأصحابه والله لا يحكم فينا مضرى قال على فالاشتر قالوا وقد هاج هذا الامر الا الاشتر قال فاصنعوا الآن ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه فبعثوا الى أبى موسى وكتبوا له القضية وقيل لابى موسى ان الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله وقد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه راجعون